البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

محمد معتز كريم الدين — محمد أنس الخن

الجزء التاسع عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع والتطوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات سورة الشورى*

رَكَدَ الشَّيءُ: ثَبتَ مكانَهُ وقَرَّ، قال الشاعرُ:

وقد رَكَدَتْ وَسْطَ السَّماءِ نُجُومُها ... رُكُودَ نوادي[1] الرَّبْرَبِ المُتَفَرِّقِ

* * *

﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ② كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ③ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ④ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ⑤ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ⑥ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ⑦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ⑧ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ⑨ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ⑩ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ⑪ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ⑫﴾.

التفسير

هذه السُّورة مكِّيَّة في قولِ الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابنُ عباس: مكِّيَّة إلَّا أربعَ آيات مِن قوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودَّةَ في القُرْبى»[الآية: ٢٣] إلى آخرِ أربع الآيات، فإنَّها نزلت بالمدينة[2].

---

* تفسير السُّور من «الشورى» إلى «الجاثية» من تحقيق محمد معتز كريم الدين، ومن سورة «الأحقاف» إلى آخر سورة «الذاريات» من تحقيق محمد أنس الخنّ.

(١) في النسخ الخطية عدا (د٣) و(يه): بوادي، وفي مطبوع البحر: يواري. والمثبت من (د٣) و(يه) وديوانِ امرئ القيس ص ١٧١ والبيت له، وسلف عند تفسير الآية (١٤٦) من سورة الأنعام.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٠، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٩١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥، وزاد =

وقال مقاتل: فيها مدنيٌّ قولُه: «ذلك الذي يُبشِّر اللهُ عبادَه» [الآية: ٢٣] إلى «الصُّدُور»[(١)] [الآية: ٢٤].

ومناسبة أوَّل السورةِ لآخِرِ ما قَبْلَها أنَّه قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الآية [٥٢ من سورة فصلت]، وكان في ذلك الحُكم عليهم بالضَّلال لمَّا كَفَروا به، قال هنا: «كذلك» أي: مِثْل الإيحاءِ السَّابِق في القرآن الذي كَفَر به هؤلاء «يوحي إليكَ» أي: إنَّ وَحْيَه تعالى إليكَ متَّصلٌ غيرُ منقطع يتعهَّدُك به وقتاً بعد وقتٍ، وذَكَر المفسِّرون في «حم* عسق» أقوالاً مُضْطَرِبةً لا يصحُّ منها شيء، كعادتهم في هذه الفواتح ضَرَبْنا عن ذِكْرها صَفْحاً[(٢)].

وقرأ الجمهور: «يُوحِي» مبنيًّا للفاعل، وأبو حيوة والأعشى عن أبي بكر وأبان: «نُوحي» بنون العَظَمة[(٣)]، ومجاهد وابنُ كثير، وعبَّاس ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو: «يُوحَى» مبنيًّا للمفعول[(٤)]، «واللهُ» مرفوع بمُضمَر، تقديره: أَوحَى، أو بالابتداء، التقدير: «اللهُ العزيزُ الحكيمُ» المُوحِي، وعلى قراءة: «نُوحِي» بالنُّون، يكون «الله العزيز الحكيم» مبتدأً وخبراً، و«نُوحِي» إمَّا في معنى: أوحى، حتى ينتظمَ قوله «وإلى الذينَ مِن قَبْلك» أو يُقَرُّ على موضوعه، ويُضمَر عاملٌ يتعلَّق به «إلى الذين»، تقديره: وأوحي إلى الذين مِن قَبْلك.

وتقدَّم الكلامُ على «تَكادُ السماواتُ يَنْفَطِرنَ» في سورة «مريم»[(٥)] قراءةً

= المسير ٧/ ٢٧٠، وينظر أيضاً خبر مجاهد عند الحاكم ٢/ ٤٤٥، والإتقان للسيوطي ١/ ٤٩-٥٠.

(١) لم نقف على قول مقاتل فيما بين أيدينا من مصادر، وأورده ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥ لكن عن قتادة لا عن مقاتل، وزاد قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ [الآية: ٣٩] إلى قوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية: ٤١] فلَّعله المراد، والله تعالى أعلم.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٩-٣٨٠، والنكت والعيون ٥/ ١٩١-١٩٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٢-٤٤٣ وغيرها من مصادر.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥ دون ذِكْر: أبان، وذكرها عنه عن عاصم ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٧٢، وينظر الكشاف ٣/ ٤٥٩، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٧١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٠، والقرطبي ١٨/ ٤٤٣، وقراءةُ ابنِ كثير في السبعة ص ٥٨٠، والتيسير ص ١٩٤، والنشر ٢/ ٣٦٧.

(٥) عند تفسير الآية (٩٠) منها، وقراءة: «ينفطرن» بالنون هنا، هي قراءة أبي عمرو وأبي بكر والمفضل وأبي عبيد. تفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٤، وقراءة أبي عمرو وأبي بكر عن عاصم في

وتفسيراً، وقال الزمخشريُّ: وروى يونس عن أبي عمرو قراءةً غَرِيبة: «تتنفطرن»[١] بتاءَين مع النُّون، ونظيرُها حرفٌ نادِرٌ رُويَ في «نوادر ابنِ الأعرابي»: الإبل تَتَشَمَّمْنَ[٢]. انتهى.

والظاهر أنَّ هذا وَهْمٌ مِن الزمخشريِّ في النَّقْل؛ لأنَّ ابنَ خالويه ذَكَر في كتاب «شواذِّ القراءات»[٣] له ما نصُّه: «تَنْفَطِرن» بالتاء والنون، يونس عن أبي عمرٍو، قال ابنُ خالويه: هذا حرفٌ نادِر، لأنَّ العربَ لا تَجْمَع بين علامَتي التأنيثِ، لا يقال: النِّساءُ تقُمْنَ، ولكن: يَقُمْنَ، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ولا يقال: تُرْضِعْنَ، وقد كان أبو عُمر الزَّاهد رَوَى في «نوادرِ ابنِ الأعرابيّ»: الإبل تَشَمَّمْن[٤]، فأنكرناه، فقد قوَّاه الآن هذا. انتهى. كلامُ ابنِ خالويه.

فإن كانت نُسَخُ الزمخشريِّ متفقةً على قوله: بتاءين مع النُّون، فهو وَهْمٌ، وإنْ كان في بعضِها: بتاء مع النُّون، كان موافقاً لقولِ ابنِ خالويه، وكان: بتاءَين، تحريفاً مِن النُّسَاخ، وكذلك كَتْبُهُم: تتنفطرن[٥] وتتشممن، بتاءَين[٦].

والظاهر عودُ الضمير في «مِن فوقهنَّ» على «السماوات»، قال ابنُ عطيَّة: مِن أَعْلَاهُنَّ، وقال الزمخشريُّ: «ينفطرن»[٧] مِن عُلُوِّ شأنِ اللهِ تعالى وعَظَمته، ويدلُّ

= السبعة ص ٤١٢ و٥٨٠، والتيسير ص ١٥٠ و١٩٤، وهي أيضاً قراءة يعقوب، ينظر النشر ٣١٩/٢.

(١) كذا في النسخ الخطيَّة، وفي مطبوع البحر المحيط والكشاف ٣/ ٤٥٩ ومخطوطه الورقة (٢٦٥): «تتفطرن». ينظر ما سيأتي من كلام حول هذه القراءة.

(٢) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٥٩ ومخطوطه الورقة (٢٦٥): تَشَممنَ.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٣٤.

(٤) في مطبوع البحر: تتشممن. وفي مطبوع القراءات الشاذة ص ١٣٤: تَسْمَنّ. وفي مطبوع تفسير الرازي ٢٧/ ١٤٣ نقلاً عن الكشاف: تتشمسن.

(٥) ينظر ما ورد من اختلافٍ في هذه اللفظة قريباً.

(٦) ينظر ما قاله السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٣٩-٥٤٠ حول هذا الكلام، وتَبِعه عليه الشهابُ الخفاجيُّ في حاشيته على تفسير البيضاوي ٧/ ٤٠٩، ولينظر ثَمَّة.

(٧) كذا في النُّسَخ، ومطبوع الكشاف ٣/ ٤٥٩-٤٦٠ ومخطوطه الورقة (٢٦٩)، وهي قراءة أبي عمرو وأبي بكر عن عاصم، وسلفت الإشارة إليها قريباً.

عليه مَجِيئُه بَعْدَ «العليّ العظيم»، وقيل: مِن دُعائهم له وَلَداً، كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠].

فإن قلت: لِمَ قال: «من فوقهنَّ»؟

قلت: لأنَّ أعظمَ الآياتِ وأدلَّها على الجَلَال والعَظَمة فوقَ السماوات وهي العَرْش والكُرسيُّ وصُفُوف الملائكة المُرْتَجَّةِ بالتَّسبيحِ والتَّقديس حولَ العرش، وما لا يعْلَم كُنْهَه إلَّا الله مِن آثارِ مَلَكوته العُظْمى، فلذلك قال: «يَنْفَطِرنَ مِن فوقهنَّ» أي: يَبْتَدِئُ الانفطارُ من جهتهنَّ الفَوقانيَّة[١].

وقال جماعة منهم الحوفيُّ، قال: «مِن فوقهنَّ» الهاء والنون كنايةٌ عن الأَرَضين. انتهى.

و«مِن فوقهنَّ» متعلّق بـ «ينفطرن»، ويدلُّ على هذا القول ذِكْرُ الأرض قَبْلُ، وقال عليُّ بنُ سليمان الأخفش: الضمير للكفار، والمعنى مِن فوقِ الفِرَقِ والجماعات المُلحِدَة، أي: مِن أَجْلِ أقوالها[٢]. انتهى.

فهذه الآيةُ كالذي في سورة «مريم»، واستبعد مكّيّ هذا القولَ، قال: لا يَجوز في الذُّكور مِن بني آدم[٣]، يعني ضميرَ المؤنَّثات، ولاسْتِشْعَارِ ما ذَكَره مكّيّ قال عليُّ بنُ سليمان: مِن فوقِ الفِرَق والجماعات.

وظاهر الملائكةِ العمومُ، وقال مقاتل: حَمَلَة العرشِ، والتسبيح، قيل: قولهم: سبحانَ الله، وقيل: يُصَلُّون[٤].

والظاهر في «يستغفرون»: طَلَب الغُفْران، ولأهلِ الأرض عامٌّ مخصوصٌ بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] قاله السُّدِّيُّ[٥]، وقيل: عامٌّ، ومعنى

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٩-٤٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦، ولم نقف على قول الأخفش في كتابه معاني القرآن، ونَقَله عنه أيضاً مكّيّ في الهداية ١٠/ ٦٥٥٦ كما سيرد قريباً.

(٣) الهداية لمكّيّ ١٠/ ٦٥٥٦.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٩٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦ وما بعده منه أيضاً، مع الإشارة إلى أنَّ ابنَ عطية ذَكَر أوَّلاً عن =

الاستغفارِ طَلَبُ الهداية المُؤدِّية إلى المغفرة، كأنَّهم يقولون: اللَّهمَّ اهْدِ أهلَ الأرض واغْفِر لهم، ويدلُّ عليه وَصْفُه بالغفران والرَّحْمة بالاستفتاح.

وقال الزمخشريُّ: ويحتمل أنْ يقصدوا بالاستغفار لهم طَلَبَ الحِلْم والغفران في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر:٤١] إلى أنْ قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ [الرعد:٦] والمراد الحِلْم عنهم، وأنْ لا يُعاجِلهم بالانتقام، فيكون عامًّا[(١)]. انتهى.

وتكلَّم أبو عبد الله الرازيُّ في قوله: «تكادَ السماواتُ» كلاماً خارجاً عن مناحي مفهوماتِ العرب مُنتَزعاً مِن كلامِ الفلاسفة ومَن جرى مجراهم، يُوقَف على ذلك في كتابه[(٢)].

«والذين اتَّخَذوا مِن دُونه أولياءَ» أي: أصناماً وأوثاناً «اللهُ حفيظٌ عليهم» أعمالَهم ومُجازِيهم عليها «وما أنتَ عليهم بوكيل» أي: بمُفَوَّضٍ إليكَ أمْرُهم ولا قائمٍ، وما في هذا مِن الموادَعة منسوخٌ بآية السَّيْف[(٣)].

«وكذلك» أي: ومِثْلُ هذا الإيحاء والقَضَاء أنَّكَ لستَ بوكيلٍ عليهم، «أوحينا إليكَ قرآناً عربيًّا»، والظاهر أنَّ «قرآناً» مفعول «أوحينا»، وقال الزمخشريُّ: الكاف مفعولٌ به لـ «أوحينا»، و«قرآناً عربيًّا» حال من المفعول به، أي: أوحيناهُ إليكَ وهو قرآنٌ عربيٌّ لا لُبْسَ فيه عليك؛ إذ نَزَلَ بلسانك[(٤)]. انتهى. فاستعمل الكافَ اسماً في الكلام، وهو مذهب الأخفش.

«لتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى» أي: سبب إيحاءِناهُ إليكَ هو الإنذارُ، ولا تُكلَّف غيرَه، و«أُمّ القُرَى» مكَّة، أي: أهلَ أمِّ القُرَى، ولذلك عطف «ومَن حولها»، والمفعول الثاني محذوف، «ومَن حولها» هم العرب، «وتنذر يوم الجمع» والمفعول الأوَّل محذوف،

= بعضهم أنَّ الاستغفار لمن في الأرض منسوخٌ بآية أخرى وهي: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾ [غافر:٧]، ثم ذَكَر كلام السديّ بأنَّ الاستغفار مخصوص بمن في الأرض من المؤمنين.

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٠.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ١٤٤-١٤٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٦، وزاد المسير ٧/ ٢٧٣ وقال بعده: لا يصحّ.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٦١.

والمفعول الثاني هو «يوم الجمع»[١] أي: اجتماع الخلائق، والمُنْذَر به هو ما يَقَعُ في «يوم الجَمْع» مِن الجزاء وانْقِسَام الجَمْع إلى الفريقين، أو اجتماع الأرواح بالأجساد، أو أهلِ الأرضِ بأهلِ السماء، أو الناس بأعمالِهم، أقوالٌ أربعة.

وقرئ: «لِيُنْذِرَ» بياء الغيبة[٢]، أي: لِيُنْذِر القرآنُ، «لا ريبَ فيه» أي: لا شَكَّ في وقوعه، وقال الزمخشريُّ: «لا ريبَ فيه» اعتراضٌ لا محلَّ له[٣]. انتهى.

ولا يَظهر أنَّه اعتراضٌ، أعني: صناعيًّا؛ لأنَّه لم يَقَع بين طالبٍ ومطلوب.

وقرأ الجمهور: «فريق» بالرَّفع فيهما، أي: هم فريق، أو: منهم فريق، وقرأ زيد بنُ عليٍّ: بنصبهما[٤]، أي: افترقوا فريقاً في كذا وفريقاً في كذا، ويدلُّ على الافتراقِ الاجتماعُ المفهومُ مِن يَوْم الجَمْع.

«ولو شاءَ اللهُ لجَعَلهم أُمَّةً واحدةً» يعني: مِن إيمانٍ أو كفرٍ، قال معناه الضَّحَّاك[٥]، وهو قولُ أهلِ السُّنَّة، وذلك تسليةٌ للرَّسول عمَّا كان يُقاسِيه مِن كُفْرِ قومِه، وتوقيفٌ على أنَّ ذلك راجعٌ إلى مشيئته، ولكن مَن سَبَقَت له السعادةُ أدخله في رحمته.

وقال الزمخشريُّ: «لجَعَلَهم أمَّةً واحدةً» أي: مؤمنين كلَّهم على القَسْر والإكراه، كقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة:١٣] وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩] والدليلُ على أنَّ المعنى هو الإلجاءُ إلى الإيمان قولُه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٦] [يونس:٩٩] وذَكَر ما ظنَّه استدلالاً على ذلك، وهو على طريق المعتزلة.

(١) قال السمين في الدر المصون ٩/ ٥٤١: فحذف المفعول الأول من الإنذار الثاني، كما حذف المفعول الثاني من الإنذار الأول.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٦١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٦١ دون عزوٍ، وينظر أيضاً معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٧٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٧.
(٥) النكت والعيون ٥/ ١٩٤.
(٦) الكشاف ٣/ ٤٦١.

وقال أنس بنُ مالك: «في رحمته» في دينِ الإسلام[١].

«أم اتَّخَذوا مِن دُونهِ أولياءَ»: «أم» بمعنى «بل» للانتقال مِن كلام إلى كلام، والهمزةَ للإنكار عليهم اتِّخاذَ أولياءَ مِن دُونِ الله، وقيل: «أم» بمعنى الهمزة فقط، وتقدَّم الكلامُ على مِثْل هذا حيث جاءَت «أم» المنقطعة، والمعنى: اتَّحذوا أولياءَ دونَ الله، وليسوا بأولياءَ حقيقةً «فاللهُ هو الوليُّ» والذي يَجب أن يُتَولَّى وَحْدَهُ لا ما لا يَضُرّ ولا يَنفع مِن أوليائهم.

ولمَّا أَخبر أنَّه الوليُّ، عطف عليه هذا الفعلَ الغريبَ الذي لا يَقْدِرُ عليه غيرُه، وهو إحياء الموتى، ولمَّا ذَكَر هذا الوصفَ ذَكَر قُدْرَته على كلِّ شيءٍ تَتَعلَّقُ إرادتُه به.

وقال الزمخشريُّ في قوله: «فاللهُ هو الوليُّ»: والفاء في قوله: «فاللهُ هو الوليُّ» جوابُ شَرْط مُقدَّر، كأنَّه قيل بَعْدَ إنكارِ كلِّ وَليٍّ سواه: إنْ أرادوا وليًّا بحقٍّ «فاللهُ هو الوليُّ» بالحقِّ، لا وليَّ سِواهُ[٢]. انتهى، ولا حاجةَ إلى اعتقاد شَرْطٍ محذوفٍ، والكلامُ يتمُّ بدونه.

«وما اختلفتم فيه مِن شيء» هذا حكايةٌ لقولِ الرسول، أي: «ما اختلفتم فيه» أيُّها الناسُ مِن تكذيبٍ أو تصديقٍ، وإيمانٍ وكُفْر، وغيرِ ذلك، فالحكم فيه والمجازاةُ عليه ليس ذلك إلَّا إلى الله لا إليَّ.

ولفظةُ «مِن شيء» تدلُّ على العموم، وقيل: «مِن شيء» مِن الخصوماتِ، فتَحاكَموا فيه إلى رسولِ الله ﷺ ولا تُؤْثِرُوا على حكومتِه حكومةَ غيرِه، كقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

وقيل: «مِن شيء» مِن تأويلِ آيةٍ واشْتَبَهَ عليكم، فارجعوا في بيانه إلى آيِ المُحْكَم مِن كتاب الله، والظاهرِ مِن سُنَّة رسولِ الله ﷺ.

وقيل: ما وَقَعَ منكم الخلافُ فيه مِن العلوم التي لا تَتَّصل بتكليفكم ولا طريقَ لكم إلى عِلْمِه، فقولوا: اللهُ أَعْلَمُ، كمعرفة الروح.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٢١ دون عزوه لأنس ﷺ.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٦١.

وقال الزمخشريُّ: أي: ما خالَفكم فيه الكفَّارُ مِن أهل الكتاب والمشركين، فاختلفتم أنتم وهم فيه مِن أمورِ الدِّين، فحكم ذلك المُختَلَف فيه مفوَّض إلى الله، وهو إثابةُ المُحقِّين فيه مِن المؤمنين، ومعاقَبَة المبطلين، «ذلكم» الحاكمُ بينكم هو «ربِّي عليه توكلتُ» في رَدِّ كيدِ أعداءِ الدِّيْن، وإليه أرجعُ في كفاية شَرِّهم[(١)]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «فاطِرُ» بالرفع، أي: هو فاطر، أو خبرٌ بَعْدَ خبرٍ لقوله: «ذلكم»، وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «فاطِرِ» بالجرِّ[(٢)]، صفة لقوله: «إلى الله»، والجملة بَعْدَها اعتراضٌ بين الصِفَة والموصوف.

«خَلَق لكم مِن أنفسكم» أي: من جنسِ أنفِسكم، أي: آدَمِيَّات «أزواجاً» إناثاً، أو جَعَل الخَلْقَ لأبينا آدَم مِن ضِلَعِه حوَّاء زوجاً له خَلْقاً لنا، و«مِن الأنعام أزواجاً» أي: أنواعاً كثيرةً ذكوراً وإناثاً، أو: أزواجاً إناثاً.

«يَذْرَؤكم فيه» قال ابنُ عباس: أي: يَجعل لكم فيه معيشةً تعيشونَ بها[(٣)]، وقال ابنُ زيد: يَرزقكم فيه، وهو قريبٌ مِن القول قَبْلَه. وقال مجاهد: يخلقكم نسلاً بَعْدَ نَسْلٍ، و: قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ، وقال القتبيُّ: يخلقكم في بُطُونِ الإناث، وقال ابنُ زيد أيضاً: «يَذْرَؤكم» فيما خَلَقَ مِن السماوات والأرض، وقال الزجَّاجُ: يُكَثِّركم به، أي: فيه، أي: يُكثِّركم في خَلْقِكم أزواجاً. وقال عليُّ بن سليمان: يَنقُلكم مِن حالٍ إلى حالٍ[(٤)].

وقال ابنُ عطيَّة: الضمير في «فيه» للجَعْل، أي: يَخلقكم ويُكثِّركم في الجَعْل، كما تقول: كلَّمت زيداً كلاماً ما أكرمته فيه، قال: ولفظة: ذَرَأ، تزيد على لفظةِ: خَلَق، معنًى آخَرَ ليس في: خَلَق، وهو تَوالي الطَّبَقات على مرِّ الزمان[(٥)].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٤٦١-٤٦٢.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٦٢ دون عزوٍ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٧٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٨.

(٣) أخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٤٧٦.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٣، والطبري ٢٠/ ٤٧٥-٤٧٦، والنكت والعيون ٥/ ١٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨، وزاد المسير ٧/ ٢٧٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٩، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٩٥، وقول القتبي في كتابه غريب القرآن ص٣٩١، وينظر أيضاً معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨.

وقال الزمخشريُّ: «يَذْرَؤكم»: يُكثِّركم، يقال: ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ: بَثَّهم وكَثَّرهم، والذَّرُّ والذَّرْءُ والذَّرْوُ أخوات في هذا التدبير، وهو أَنْ جَعَلَ للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بينَ ذُكُورهم وإناثِهم التَّوالُد والتَّناسُل، والضمير في «يَذْرَؤكم» يَرجع إلى المخاطبين والأنعام، مُغلّباً فيه المخاطَبون العُقَلاء على الغُيَّب ممَّا لا يَعقل، وهي مِن الأحكام ذات العلَّتين[1]. انتهى.

وقوله: وهي مِن الأحكام ذات العِلَّتين. اصطلاحٌ غريبٌ، ويعني أنَّ الخطابَ يُغلّب على الغَيْبة إذا اجتمعا، فتقول: أنتَ وزيدٌ تقومانِ، والعاقل يُغلَّب على غيرِ العاقل إذا اجتمعا، فتقول: الناسُ والحيوانُ غيرُهم يُسبِّحون[2] خالقَهم.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: ما معنى «يَذْرَؤكم» في هذا التدبير، وهَلَّا قيل: يَذْرَؤكم به؟

قلت: جعلَ هذا التدبير كالمَنْبَع والمَعْدِن للبَثِّ والتكثير، أَلَا تَراكَ تقول للحيوان في خَلْق الأزواج تكثير، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[3] [البقرة: ١٧٩]. انتهى.

«ليس كمثله شيء» تقول العربُ: مِثْلُكَ لا يَفعل كذا، يريدون به المخاطَب، كأنَّهم إذا نَفَوا الوصفَ عن مِثْلِ الشخص، كان نَفْياً عن الشخص، وهو مِن باب المبالغة، ومِثْلُ الآيةِ قولُ أَوْس بنِ حَجَر:

لَيسَ كَمِثْلِ الفتى زُهَيْرٍ   خَلْقٌ يُوازِيه في الفضائلْ[4]

وقول الآخَر:

وقَتْلَى كمِثْل جُذُوعِ النَّخِيْلِ   تغشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ[5]

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٢.

(٢) في (يه): يستحون.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٦٢.

(٤) البيت في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٣ ولم ينسبه، بل نَسَبَ البيتَ الآتيَ لأوس بنِ حجر، فلعلَّه وقع سَبْق نَظَرٍ للمصنِّف، والله تعالى أعلم، والسمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٤٥ تابَعَ المصنِّف في عَزْوه لأوس بن حجر، ولم نقف عليه في ديوانه ولا عند غيره.

(٥) القائل: أوس بن حجر، كما أشرنا إليه آنفاً، والبيت في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٣، والمحرر

وقول الآخَر:

سعدُ بنُ زيدٍ إذا أبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ما إنْ كَمثلِهِمُ في الناس مِن أحَدِ(١)

فَجَرت الآيةُ في ذلك على مَنْهَج كلامِ العرب مِن إطلاق المِثْلِ على نفسِ الشيء.

وما ذهب إليه الطبريُّ(٢) وغيرُه مِن أنَّ: مِثْلاً، زائدةٌ للتوكيد، كالكاف في قوله:

فصُيِّروا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ(٣)

وقوله:

وصالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ(٤)

ليس بجيِّد؛ لأنَّ مِثْلاً اسمٌ، والأسماءُ لا تزاد، بخلاف الكافِ فإنَّها حرفٌ، فتَصلُح للزيادة، ونظيرُ نِسْبَة المِثْل إلى مَن لا مِثْلَ له قولُك: فلانٌ يَدُه مبسوطةٌ، تريد أنَّه جوادٌ، ولا نظيرَ له في الحقيقة إلى اليَدِ حتى تقولَ ذلك لمن لا يَدَ له، كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فكما جعلت ذلك كنايةً عن الجُود فيمَن لا يَدَ له، فكذلك جعلت المِثْل كناية عن الذات في مَن لا مِثْل له أيضاً.

= الوجيز ٥/ ٢٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٤٩، وديوان أوس بن حجر ص ٣٠، وورد عند بعضهم: مطر، وعند آخرين: سيل، بدل: مُسْبِلُ.

(١) البيت في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٧٧، والثعلبي ٥/ ٣٨٣، والنكت والعيون ٥/ ١٩٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨، ولم ينسبوه.

(٢) ينظر تفيسر الطبري ٢٠/ ٤٧٦-٤٧٧ و١٣/ ٥٥٣-٥٥٤، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٨.

(٣) البيت لرؤبة بن العجاج، وهو في ملحق ديوانه ص ١٨١، وقبله: وَلَعِبَت طيرٌ بهم أبابيلْ، وسلف عند تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٤) البيت لخِطام المجاشعي، وصدره: غير خطامٍ ورمادٍ كِنْفين، وهو في الكتاب ١/ ٢٢، والخصائص لابن جنِّيّ ٢/ ٣٦٨، والاقتضاب ص٤٣٠، واللسان (غرا)، وخزانة الأدب ٢/ ٣١٣، والصاليات: الأثافي التي توضع عليها القِدْر، جعلها صاليات، لأنها صليت بالنَّار حتى اسودَّت، واختلف النحويُّون في وزن: يؤثفين، فقيل: يُؤَفْعَلن، وقيل: يُفَعلين. ينظر تتمة هذا الخلاف والكلام حوله في خزانة الأدب، ومعنى البيت: مِثْل ما نُصِبْن أثافيَ لم يَزَلْنَ.

ويحتمل أيضاً أَنْ يراد بالمِثْل الصِّفَة، وذلك سائغٌ يُطلَق المِثْل بمعنى المَثَل وهو الصفة، فيكون المعنى: ليس مِثْلُ صفته تعالى شيءٌ مِن الصفات التي لغيرِه، وهذا مَحْملٌ سَهل، والوجه الأوَّل أغوص.

قال ابنُ قتيبة: العَرَبُ تُقيم المِثْلَ مُقامَ النَّفْسِ، فتقول: مِثْلي لا يُقال له هذا، أي: أَنَا لا يُقال لي هذا[1]. انتهى. فقد صارَ ذلك كنايةً عن الذات، فلا فرقَ بين قولك: ليسَ كاللهِ شيءٌ، أو: ليس كمِثْلِ اللهِ شيءٌ، وقد أَجمعَ المفسِّرونَ على أنَّ الكافَ والمِثْلَ يُراد بهما مَوضُوعهما الحقيقيّ مِن أنَّ كُلَّا منهما يُراد به التَّشْبيه، وذلك محالٌ؛ لأنَّ فيه إثباتَ مِثْلٍ للهِ تعالى، وهو محالٌ، «وهو السميع» لأقوال الخَلْق «البَصِيرُ» لأعمالهم، وتقدَّم تفسير ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في سورة «الزمر»[2].

وقُرِئَ: «ويُقَدِّر»[3] أي: ويُضيِّق.

«إنَّه بكلِّ شيء عليم» أي: فيَبسُط لمَن يشاء، ويُضيِّق على مَن يشاء، وقال الزمخشريُّ: فإذا عَلِمَ أنَّ الغِنَى خيرٌ للعبد أَغْناهُ، وإلَّا أَفْقَرهُ[4]. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

❋ ❋ ❋

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ

(١) تفسير غريب القرآن ص ٣٩١، والكلام من زاد المسير ٧/ ٢٧٦.
(٢) عند تفسير الآية (٦٣) منها.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٦٣.
(٤) المصدر السابق.

أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

لمَّا عَدَّدَ تعالى نِعَمَه عليهم الخاصَّة، أَتْبَعَهُ بذِكْر نِعَمه العامَّة، وهو ما شَرَعَ لهم مِن العقائد المتَّفق عليها؛ مِن توحيدِ اللهِ وطاعته والإيمانِ بُرسُله وبكُتُبه وباليوم الآخِر والجزاء فيه، ولمَّا كان أَوَّلُ الرُّسُل نوحاً عليه السلام وآخِرُهم محمداً ﷺ، قال: «ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك»، ثمَّ أتبع ذلك ما وصَّى به إبراهيم، إذ كان أبا العَرَب، ففي ذلك هَزٌّ لهم وبَعْثٌ على اتِّباع طريقته موسى وعيسى صلواتُ اللهِ عليهم، لأنَّهما هما اللَّذانِ كان أَتباعهما موجودين زمانَ بعثةِ رسولِ الله ﷺ، والشَّرائع متَّفقةٌ فيما ذكرنا مِن العقائد، وفي كثيرٍ مِن الأحكام كتحريم الزِّنَى والقَتْل بغير حقٍّ، والشرائع مُشْتَمِلة على عقائد وأحكام، ويقال: إنَّ نوحاً أوَّل مَن أَتَى بتحريم البناتِ والأمَّهاتِ وذواتِ المحارم[1]، وقال ابنُ عبَّاس: «شَرَعَ» اختار.

ويحتمل أَنْ تكونَ «أَنْ» مفسِّرة؛ لأنَّ قَبْلَها ما هو بمعنى القولِ، فلا موضعَ لها مِن الإعراب، وأَنْ تكون «أَنْ» المصدريَّة، فتكون في موضع نَصْبٍ على البَدَل مِن «ما» وما عُطفَ عليها، أو في موضع رَفْع، أي: ذلك، أو هو إقامةُ الدِّين، وهو توحيدُ اللهِ وما يَتبعه ممَّا لا بُدَّ مِن اعتقاده، ثمَّ نَهَى عن التَّفْرِقة فيه؛ لأنَّ التَّفَرُّقَ سببٌ للهلاك، والاجتماعَ والأُلْفَة سببٌ للنجاة[2].

«كَبُرَ على المشركين» أي: عَظُمَ وشَقَّ ما تَدْعُوهم إليه مِن توحيدِ الله وتَرْكِ عبادةِ الأصنام وإقامةِ الدِّين.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩، وأورد الخبر الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ١٩٦ وعزاه للحكم.
(٢) أخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٤٨١ بنحوه.

«اللهُ يَجْتَبِي» يَجتَلِب ويَجمع «إليه مَن يشاءُ» هدايته، وهذا تسليةٌ للرَّسول، وقيل: «يَجتبي» فيَجْعَله رسولاً إلى عبادِه «ويَهدي إليه مَن ينيب» يَرجع إلى طاعته عن كُفْره.

وقال الزمخشريُّ: «مَن يشاءُ» مَن يَنفَعُ فيهم توفيقُه، ويَجْرِي عليهم لُطْفُه[1]. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

وقال الحافظ أبو بكر بنُ العربيّ: لم يَكن مع آدمَ عليه السلام إلَّا بَنُوه، ولم تُفرَض له الفرائضُ، ولا شُرِعت له المَحارِم، وإنَّما كان مُنَبَّهاً على بعضِ الأمور مُقتصراً على ضروراتِ المعاش، واستمرَّ الهَدْيُ[2] إلى نوحٍ، فبَعَثه اللهُ بتحريم الأمَّهاتِ والبناتِ، ووظَّف عليه الواجباتِ، وأوضح له الأدبَ في الدِّيانات، ولم يَزَل ذلك يتأكَّد بالرُّسُل ويَتناصر بالأنبياء واحداً بَعْدَ واحدٍ، وشريعةً إِثْرَ شريعةٍ، حتى خَتَمه اللهُ بخير المِلَل على لسانِ أكرم الرُّسُل، فكان المعنى: أوصيناكَ يا محمَّد ونوحاً ديناً واحداً في الأصول التي لا تَختلف فيها الشرائعُ؛ وهي التوحيدُ والصلاةُ والزكاة والصيام والحجّ والتقرُّب بصالح الأعمال والصِّدْق، والوفاء بالعَهْد، وأداء الأمانة وصِلَة الرَّحِم، وتحريم الكِبْر[3] والزِّنى والأذِيَّة للخَلْق كيفما تصرَّفت، والاعتداء على الحيوانِ، واقتحام الدَّناءات وما يَعود بخَرْم المُروءات، فهذا كلُّه مشروعاً دِيْناً واحداً وملَّةً متَّحِدةً، لم يختلف على ألسنةِ الأنبياء وإنِ اختلفت أعدادُهم، وذلك قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أي: اجْعَلُوه قائماً، يريد دائماً مستمرًّا محفوظاً مُستقِرًّا مِن غيرِ خلافٍ فيه ولا اضْطِراب. انتهى.

وقال مجاهد: لم يُبعَث نبيٌّ إلَّا أَمَرَ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرارِ بالله وطاعته، فهو إقامةُ الدين[4].

وقال أبو العالية: إقامةُ الدِّين: الإخلاصُ لله وعبادته، «ولا تتفرَّقوا فيه» قال

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٤.
(٢) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٥٤، ونَقَله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٤٥٢: واستقرَّ المَدَى.
(٣) في المصدرين السابقين: وتحريم الكفر.
(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٤، والبغوي ٤/ ١٢٢، والقرطبي ١٨/ ٤٥٣، وهو رواية للوالبي عن ابن عباس، وقاله الكلبيُّ أيضاً.

أبو العالية: لا تَتَعادَوا فيه[١]، وقال مقاتل: معناه: لا تَخْتَلفوا، فإنَّ كلَّ نبيٍّ مُصدِّقٌ[٢]، وقيل: «لا تتفرَّقوا فيه» فتؤمنوا ببعضِ الرُّسُل وتَكْفروا ببعضٍ.

«وما تفرَّقوا» قال ابنُ عباس: يعني: قريشاً، و«العِلْمُ» محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام، وكانوا يَتَّمنَون أنْ يُبعَث إليهم نبيٌّ، كما قال: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٤٢] يريدون نبيًّا، وقيل: الضمير يَعود على أُمَمِ الأنبياءِ جاءَهم العِلْم فطالَ عليهم الأَمَدُ، فآمَنَ قومٌ، وكَفَرَ قومٌ. وقال ابنُ عباس أيضاً: عائدٌ على أهلِ الكتاب والمشركين، دليله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة: ٤] قال المشركون: لِمَ خُصَّ بالنبوَّة، واليهود والنصارى حَسَدوه[٣].

«ولولا كلمةٌ» أي: عِدَةُ التأخُّر إلى يوم القيامة، فحينئذٍ يقع الجزاءُ «لقضيَ بينهم» لجُوزُوا بأعمالهم في الدُّنيا، لكنَّه قَضَى أنَّ ذلك لا يكون إلَّا في الآخِرَة.

وقال الزجَّاج: الكلمة قولُه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾[٤] [القمر: ٤٦].

«وإنَّ الذينَ أُورثوا الكتابَ مِن بَعْدِهم» هم بَقِيَّة أهلِ الكتاب الذين عاصَرُوا رسول الله ﷺ «مِن بَعْدِهم» أي: مِن بَعْدِ أَسلافِهم، أو هم المشركون أُورثوا القرآنَ مِن بَعْد ما أُورث أهلُ الكتابِ التوراةَ والإنجيل[٥].

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «وُرِّثُوا» مبنيًّا للمفعول، مشدَّد الرَّاء.

«لفي شَكٍّ منه» أي: مِن كتابهم، أو مِن القرآن، أو ممَّا جاء به محمَّد ﷺ، أو مِن الدِّين الذي وصَّى اللهُ به نوحاً.

ولمَّا تقدَّم شيئان؛ الأَمْرُ بإقامة الدِّين، وتفرُّق الذين جاءَهم العِلْم واختلافهم، وكونهم في شَكٍّ، احتملَ قولُه: «فلذلكَ» أنْ يكون إشارةً إلى إقامة الدِّيْن ـ أي:

(١) تفسير السمرقندي ٣/ ١٩٢.
(٢) بعدها في النكت والعيون ٥/ ١٩٧ ـ والكلام منه ـ: لمَن قبْلَه.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٥٣-٤٥٤، وينظر تفسير السمرقندي ٣/ ١٩٢-١٩٣، والثعلبي ٥/ ٣٨٤.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٩٦.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٦٤.

فادْعُ لدِيْنِ اللهِ وإقامتِه ـ ولا تَحتاج إلى تقديرِ اللام بمعنى: «إلى»؛ لأنَّ دعا يتعدَّى باللَّام، قال الشاعر:

دعوتُ لِمَا نابَني مِسْوراً فلبَّيْ فلبّي يَدَي مِسْور[١]

واحتمل أَنْ تكون اللَّامُ للعِلَّة، أي: لأَجْلِ ذلك التفرُّق ولِمَا حَدَثَ بسببه مِن تشعُّب الكُفْر شُعباً «فادْعُ» إلى الاتِّفاق والائتِلاف على الملَّة الحنيفيَّة «واستقم» أي: دُمْ على الاستقامة، وتقدَّم الكلامُ على ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ وكيفيَّة هذا التَّشْبيه في أواخِر«هود»[٢].

«ولا تتَّبع أهواءَهم» المُختلِفة الباطِلة، وأَمَرَهُ بأَنْ يُصرِّح أنَّه آمَنَ بكلِّ كتابٍ أنزله اللهُ؛ لأنَّ الذين تفرَّقوا آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض.

«وأُمِرْت لأَعْدِل بينَكم» قيل: إنَّ المعنى: وأُمِرتُ أَنْ أعدلَ بينكم، «وأُمرت» بما أُمرت به «لأعدلَ بينكم» في إيصالِ ما أُمرت به إليكم لا أَخُصُّ شخصاً بشيء دونَ شخصٍ، الشريعةُ واحدةٌ والأَحكام مشتركٌ فيها.

وقيل: «لأَعدلَ بينكم» في الحُكْم إذا تخاصمتم فتَحَاكمتم إليَّ «لا حُجَّةَ بيننَا وبينَكم» أي: قد وَضحت الحُجَج وقامَت البراهينُ، وأَنتم مَحجُوجونَ، فلا حاجةَ إلى إظهار حُجَّة بَعْدَ ذلك.

«اللهُ يَجمَعُ بيننا وبينكم» أي: يومَ القيامة، فيَفْصِل بيننا، وما يَظهر في هذه الآية مِن الموادعةِ منسوخٌ بآية السَّيف[٣].

«والذين يُحاجُّون في الله» أي: يُخاصِمون في دينه، قال ابنُ عباس ومجاهد: نَزَلت في طائفة مِن بني إسرائيل همَّت بردِّ الناس عن الإسلامِ وإضلالِهم ومحاجَّتهم؛ بأَنْ قالوا: كتابُنا قَبْلَ كتابِكم، ونَبيُّنا قَبْلَ نبيِّكم، فدِيْننا أفضلُ. فنَزَلت

(١) سلف عند تفسير الآية (٢٢١) من سورة البقرة.

(٢) عند تفسير الآية (١١٢) منها.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠، عند قوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ إلى آخر الآية، وينظر زاد المسير ٧/ ٢٧٩.

الآيةُ في ذلك، وقيل: نزلت في قريش كانوا يُجادِلونَ في هذا المعنى ويَطْمعُون في رَدِّ المؤمنين إلى الجاهليَّة[١].

و«استُجيبَ» مبنيٌّ للمفعول، فقيل: المعنى: «مِنْ بَعْدِ» ما استجابَ الناسُ لله، أي: لدِيْنه، ودَخَلوا فيه، وقيل: «مِنْ بَعْدِ» ما استجابَ الله «له»، أي: لرسوله ودينِه، بأنْ نَصَره يومَ بدرٍ وأظهر دينَه.

وقال مكّيّ: أي: «من بَعْدِ ما استُجيبَ» دعاءُ النبيِّ ﷺ؛ لأنَه دَعَا على أهلِ بدر فاستجيب له، ودَعَا على أهل مكة بالقَحْط فاستجيب له، ودَعَا للمستضعفين أنْ يُنجيهم اللهُ من قريش فاستجيب له، في أشياء[٢].

«حُجَّتهم داحضة» أي: باطلة، لا ثبوتَ لها.

ولمَّا ذَكَر مَن يُحاجُّ في دينِ الإسلام، صرَّح بأنّه تعالى هو «الذي أنزل الكتابَ»، و«الكتاب» جِنْس يُراد به الكُتُب الإلهيَّة.

«والميزان» قال ابنُ عباس ومجاهد وقتادة وغيرُهم: هو العَدْل، وعن مجاهد[٣]: هو هنا الميزانُ الذي بأيدي الناس، وهذا مندرجٌ في العَدْل.

«وما يُدريكَ» أيُّها المُخَاطَب «لعلَّ الساعةَ قريبٌ» ذكَّرَ على معنى البَعْث، أو على حَذْف مضافٍ، أي: «لعلَّ» مَجِيْءَ «الساعة»، و«لعلَّ الساعةَ» في موضع معمول «وما يُدرِيك»، وتقدَّم الكلامُ على مِثْل هذا في قوله في آخِرِ سورةِ «الأنبياء» ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: ١١١] وتَوافُقُ هذه الجملة مع قوله: «اللهُ الذي أنزل الكتابَ بالحقِّ والميزانَ» أنَّ السَّاعةَ يومُ الحساب ووَضْعُ الموازين القِسْط، فكأنَّه

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٥٦، وينظر تفسير السمرقندي ٣/ ١٩٣، والثعلبي ٥/ ٣٨٥، وخبر مجاهد عند الطبري ٢٠/ ٤٨٨-٤٨٩، والخبر الأول أُوردَ أيضاً عن قتادة، وهو في تفسير السمرقندي ٣/ ١٩٣، والنكت والعيون ٥/ ٢٠٠، وتفسير البغوي ٤/ ١٢٣، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩٠-١٩١.

(٢) في الهداية إلى بلوغ النهاية لمكّيّ ١٠/ ٦٥٧٦: في أشباهٍ لهذا. مع الإشارة إلى أن قول مكي بكامله زيادة من (د٣) و(يه)، ولم يرد في باقي النُّسَخ.

(٣) في النُّسَخ: ابن مجاهد، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٣١ ـ والكلام منه ـ، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٥، وزاد المسير ٧/ ٢٨٠، والقرطبيّ ١٨/ ٤٥٨، وهو الصواب.

قيل: أَمَرَكم اللهُ بالعَدْل والسَّوِيَّة قَبْلَ أَنْ يُفاجِئَكم اليوم الذي يُحاسِبكم فيه ويَزِن أعمالَكم.

«يَستعجلُ بها الذين لا يُؤمنون بها» بطَلَب وُقوعها عاجلةً؛ لأنَّهم ليسوا مُوقِنين بوقوعها؛ ليُبيِّن عَجْزَ مَن يُؤمِن بها عندَهم، أي: هي ممَّا لا يَقَعُ عندهم.

«أَلَا إنَّ الذينَ يُمارُونَ» يَلجُّون «في» أَمْرِ «الساعَةِ لفي ضلالٍ بعيد» عن الحقِّ؛ لأنَّ البعثَ غيرُ مُسْتَبْعَدٍ مِن قدرةِ الله، ودلَّ عليه الكتابُ المُعجِز فوجبَ الإيمانُ به.

«اللهُ لطيفٌ بعباده» أي: بَرٌّ بعبادِه المؤمنين ومَن سَبَقَ له الخلودُ في الجنَّة[1]، وما يُرَى مِن النِّعم على الكافر، فليس بلُطْفٍ، إنَّما هو إملاءٌ، ولا لطفَ إلَّا ما آلَ إلى الرَّحْمَة والوفاةِ على الإسلام.

وقال مقاتل: «لطيفٌ» بالبَرِّ والفاجر؛ حيث لم يَقْتُلهم جُوعاً[2].

وقال الزمخشريُّ[3]: يُوصِل بِرَّهُ إلى جميعهم «يَرزقُ مَن يشاء» أي: مَن يشاء يَرزقه شيئاً خاصًّا، ويَحرم مَن يشاء مِن ذلك الشيء الخاصّ، وكلٌّ منهم مرزوقٌ وإنِ اختلف الرِّزْقُ، «وهو القويُّ» أي: البالغُ القوَّةِ، وهي القُدْرة «العزيز» الغالِبُ الذي لا يُغلَب.

ولمَّا ذَكَر تعالى الرِّزْقَ ذَكَر حديثَ الكَسْب، ولمَّا كان الحَرْثُ في الأرض أَصلاً مِن أصولِ المكاسب، استعير لكلِّ مَكْسَبٍ أُريدَ به النَّماء والفائدة، أي: «مَن كان يريد» عملَ «الآخِرَة» ويَسعى لها سعيها «نَزِدْ له في حَرْثه» أي: في جزاءِ حَرْثِه؛ مِن تضعيفِ الحَسَنات، «ومَن كان يُريد حرثَ الدنيا نؤته منها» أي: العملَ لها لا لآخِرَته «نُؤْتِه منها» أي: نُعْطِه شيئاً منها «ومالَهُ في الآخِرَةِ مِن نصيب» لأنَّه لم يَعمل شيئاً للآخِرَة.

والجملة الأولى وَعْدٌ مُنجَزٌ، والثانية مُقيَّدة بمشيئته تعالى، فلا يَناله إلَّا رِزْقه الذي فَرَغَ منه، لا كلّ ما يُريده هو، واقْتَصَر في عامل الآخِرَة على ذِكْرِ حظِّه فيها،

---

(١) في النسخ: في الدنيا. والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٣٢ ـ والكلام منه ـ وهو الصواب.
(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٥، والبغوي ٤/ ١٢٣، والقرطبي ١٨/ ٤٥٩.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٦٥.

مع أنَّه في الدُّنيا لا بُدَّ له مِن رِزْقه الذي قُدِّر له؛ لأنَّ ما نالَهُ في الدُّنيا بالنسبة إلى حظِّه في الآخِرَة كأنَّه غيرُ مُعتَبر، فلا يُناسِب ذِكْره مع ما أَعدَّ اللهُ له في الآخِرَة لِمَن يَشاءُ ما يَشاء[١].

وجاء فِعْلُ الشَّرْط ماضياً، والجواب مجزومٌ، كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥] ولا نَعْلَم خلافاً في جواز الجَزْم وأنَّه فصيح مختارٌ إلَّا ما ذَكَره صاحبُ كتاب «الإعراب» وهو أبو الحَكَم بنُ عذرة عن بعضِ النَّحْويِّين أنَّه لا يَجيءُ في الكلام الفصيح، وإنَّما يَجِيْءُ مع «كان»؛ لأنَّها أَصْلُ الأفعال، ولا يَجيءُ مع غيرها مِن الأفعال، ونصّ كلام سيبويه والجماعة أنَّه لا يَختصّ ذلك بـ «كان»، بل سائر الأفعال في ذلك مِثْلها، وأنشد سيبويه للفرزدق:

دَسَّتْ رَسولاً بأنَّ القومَ إنْ قَدِرُوا ... عليكَ يَشْفُوا صُدُوراً ذاتَ تَوْغيرِ[٢]

وقال أيضاً:

تَعَالَ فإنْ عاهَدْتَني لا تَخُونني ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذئبُ يَصْطَحبانْ[٣]

وقرأ الجمهور: «نَزِد» و«نُؤْتِه» بالنُّون فيهما، وابنُ مقسم والزعفرانيُّ ومحبوب والمنقريّ كلاهما عن أبي عمرو: بالياء فيهما[٤]، وقرأ سلَّام: «نؤتهُ منها» برفع الهاء، وهي لغة الحجاز[٥].

❁ ❁ ❁

(١) سلف الكلام عنه عند تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة.
(٢) الكتاب ٣/ ٦٩، وديوان الفرزدق ١/ ٢١٣، والبيت سلف عند تفسير الآية (٣٠) من سورة آل عمران.
(٣) ديوان الفرزدق ١/ ٣٢٩، وسلف في الموضع المشار إليه آنفاً.
(٤) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٩/ ٥٤٨، والآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ٢٦٢، مع الإشارة إلى أنَّه ورد في مطبوع القراءات الشاذة ص ١٣٤: «نزد له في حرثه» عبد الوارث عن أبي عمرو. انتهى. فلعلَّ لفظة: «نزد» هنا هي بالياء لا بالنون، لأنَّ قراءة النون هي قراءة الجمهور، فلا داعي لذِكْرها في القراءات الشاذة، وعليه تكون هذه القراءة - أي: بالياء - رواية عن أبي عمرو، والله تعالى أعلم.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٤٩.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾.

«أم لهم شركاءُ» استفهامُ تقرير وتَوبيخ، لمَّا ذَكَر تعالى أنَّه شَرَع للناس «ما وصَّى به نوحاً» الآية، أَخَذَ يُنكِر ما شَرَع غَيْرُه تعالى، والشُّرَكاء هنا يَحتمل أنْ يُراد به شركاؤهم في الكفر كالشياطين والمُغْوين مِن الناس، والضمير في «شرعوا» عائدٌ على الشركاء، والضمير في «لهم» عائدٌ على الكفار المعاصِرين للرَّسول، ويحتمل أنْ يُراد به الأصنام والأوثان، وكلّ مَن جَعَلوه شريكاً لله، وأُضيفَ الشُّركاءُ إليهم؛ لأنَّهم مُتَّخذوها شركاءَ لله، فتارةً تُضاف إليهم بهذه الملابسة، وتارةً إلى الله.

والضمير في«شرعوا» يحتمل أنْ يَعود على الشركاء، و«لهم» عائدٌ على الكفَّار، لمَّا كانت سبباً لضَلالهم وافْتِتانهم جُعِلَت شارعةً لدِيْن الكفر، كما قال إبراهيمُ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم:٣٦] واحتمل أنْ يعود على الكفار، و«لهم» عائد على الشُّركاء، أي: شَرَع الكُفَّارُ لأصنامِهم ومعبوداتِهم، أي: رَسَموا لهم غوايةً وأحكاماً في المعتقدات، كقولهم: إنَّهم آلهةٌ، وإنَّ عبادتَهم تُقرِّبهم

إلى الله، ومِن الأحكام: البَحِيرة والوَصِيْلَة والحامي[(١)] وغير ذلك.

«ولولا كلمةُ الفَصْلِ» أي: العِدَة بأنَّ الفَصْل يكون في الآخِرَة، أو: لولا القضاءُ بذلك؛ لقضيَ بين المؤمن والكافر، أو بينَ المشركين وشركائهم.

وقرأ الجمهور: «وإنَّ الظالمين» بكسر الهمزة على الاستئناف والإخبار بما يَنالهم في الدنيا مِن القَتْل والأَسْر والنَّهْب، وفي الآخِرَة النَّار.

وقرأ الأعرج ومسلم بنُ جندب: «وأنَّ» بفتح الهمزة[(٢)]، عطفاً على «كلمة الفَصْل» فهو في موضع رَفْع، أي: ولولا كلمةُ الفَصْل وكونُ الظالمينَ لهم عذابٌ أليم، لقُضِيَ بينهم في الدُّنيا، وفصلَ بين المتعاطفين بجواب «لولا» كما فُصِلَ في قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

«تَرَى الظالمين» أي: تُبصِر الكافرينَ ـ لمقابلتِه بالمؤمنين ـ «مُشْفِقينَ» خائفينَ الخوفَ الشديدَ «ممَّا كسبوا» مِن السَّيئات، «وهو» أي: العذابُ ـ أو يَعود على ما كسبوا على حَذْفٍ، أي: وَبَال ما كسبوا ـ أو: جزاؤه، حالٌّ بهم «وهو واقعٌ بهم» فإشفاقُهم هو في هذه الحال، فليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مُشفِقون مِن السَّاعة.

ولمَّا كانت الروضاتُ أحسنَ ما في الجنَّات وأَنْزَهَها وفي أعلاها، ذَكَر أنَّ المؤمنينَ فيها.

واللغة الكثيرةُ تَسكينُ الواوِ في: «روضات»، ولغةُ هُذَيل بنِ مُدْرِكة: فتح الواو؛ إجراءً للمُعتلِّ مُجرى الصحيح، نحو: جَفَنَات، ولم يَقْرَأ أحَد ممَّن عَلِمْناه بلغتهم[(٣)].

---

(١) سبق التعريف بهذه عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣ عن مسلم بن جندب، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٤ عن عبد الرحمن بن هرمز (الأعرج) والقراءة عنهما في القراءات الشاذة ص ١٣٤، وعن ابن جندب في المحتسب ٢/ ٢٥٠.

(٣) ينظر ما قاله السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٤٩ حول هذا الكلام، وينظر ما سلف من الكلام عند تفسير الآية (٣١) من سورة النور.

و«عند» ظَرْف، قال الحوفيُّ: معمول لـ «يشاؤون»، وقال الزمخشريُّ: منصوبٌ بالظَّرْف لا بـ: «يشاؤون». انتهى. وهو الصواب، ويعني بالظَّرْف الجارَّ والمجرور وهو «لهم»، وفي الحقيقة «عند» معمول للعامل في «لهم»، والمعنى: «ما يشاؤون» مِن النعيم والثواب مُستَقِرٌّ لهم «عند ربِّهم»، والعِنْدِيَّة عِنْديَّة المَكَانة والتشريف، لا عنديَّة المَكَان.

وقرأ الجمهور: «يُبَشِّر» بشَدِّ الشين[١]، مِن: بَشَّر، وعبد الله وابن يَعْمَر وابنُ أبي إسحاق والجَحْدَريُّ والأعمش وطلحة ـ في رواية ـ والكسائيُّ وحمزة: «يَبْشُر»[٢] مِن: بَشَر، ثلاثيًّا، ومجاهد وحميد بنُ قيس: بضمِّ الياء، وتخفيف الشين[٣]، مِن[٤]: أَبْشَر، وهو معدًّى بالهمزة مِن بَشِرَ اللازم المكسور الشين، وأمَّا: بَشَرَ ـ بفتحها ـ فمتعدٍّ، وبَشَّر ـ بالتشديد ـ للتكثيرِ لا للتعدية؛ لأنَّ المتعدِّي إلى واحد، ـ وهو مخفَّف ـ لا يُعدَّى بالتضعيف إليه، فالتضعيفُ فيه للتكثيرِ لا للتعدِية[٥].

«ذلك» إشارة إلى ما أعدَّ لهم مِن الكرامة، وهو مبتدأٌ، خبرُه الموصول، والعائد عليه محذوف، أي: يُبشِّرُ اللهُ به عبادَه، بحذف حرف الجَرِّ، فانتصب الضمير ثمَّ حَذَفه[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣، وهي قراءة نافع وعاصم وابن عامر. السبعة ص ٢٠٥-٢٠٦، والتيسير ص ١٩٥، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف. النشر ٢/ ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) وهي أيضاً قراءة أبي عمرو وابن كثير. تنظر المصادر الآنفة الذِّكْر والدر المصون ٩/ ٥٤٩، مع الإشارة إلى أنَّه ورد في النُّسَخ ـ عدا (د٣) و(يه) ـ: وعبد الله بن يعمر، والمثبت منهما ومن المحرر الوجيز ٥/ ٣٣، حيث صرَّح بأنَّ عبد الله هو ابن مسعود. وابن يعمر هو: يحيى بن يعمر، لا: عبد الله.

(٣) أي: «يُبْشِر» المحرر الوجيز ٥/ ٣٣، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٥، والقراءة عنهما في المحتسب ٢/ ٢٥١.

(٤) من قوله: بَشَّر، وعبد الله... إلى هنا، ليست في (ز٢).

(٥) من قوله: لا للتعدية؛ لأنَّ المتعدي... إلى هنا، ليست في (ت) و(ز٢).

(٦) قوله: بحذف حرف الجرّ، فانتصب الضمير ثم حذفه. زيادة من (د٣) ولم ترد في باقي النسخ.

وقال الزمخشريُّ: أو ذلك التبشيرَ الذي يُبَشِّره اللهُ عبادَه[١]. انتهى. ولا يَظهر هذا الوجه؛ إذ لم يتقدَّم في هذه السورة لفظُ البُشْرى، ولا ما يدلُّ عليها مِن بشر أو شِبْهِه.

ومِن النَّحوِيِّين مَن جَعَلَ «الذي» مصدريَّةً، حكاه ابنُ مالك عن يونس، وتأوَّل عليه هذه الآية، أي: ذلك تبشيرُ اللهِ عبادَه. وليس بشيءٍ؛ لأنَّه إثباتٌ للاشتراك بين مختلفي الحدِّ بغيرِ دليلٍ، وقد ثَبَتت اسميَّة «الذي» فلا يُعدَل عن ذلك بشيء لا يَقوم به دليلٌ، بل ولا شُبْهةٌ[٢].

«قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المَوَدَّةَ في القُرْبى» روي أنَّه اجتمعَ المشركونَ في مجمعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: أَتَرونَ محمَّداً يَسأل أجراً على ما يُتعاطاه. فنزلت[٣].

ورويَ أنَّ الأنصارَ أَتَوا رسولَ الله ﷺ بمالٍ جَمعوه، وقالوا: يا رسولَ الله، قد هَدَانا اللهُ بكَ، وأنتَ ابنُ أختِنا وتَعْرُوكَ حقوقٌ، وما لَكَ سَعَةٌ، فاسْتَعِنْ بهذا على ما يَنُوبُكَ. فنزلت الآية، فرَدَّه[٤].

وقيل: الخطاب مُتوجِّه إلى قريش حين جَمعوا له مالاً وأَرادوا أَنْ يرشُوه عليهم على أَنْ يُمسِكَ عن سَبِّ آلهتهم، فلم يفعل ونَزَلت.

فالمعنى: لا أَسألكم مالاً ولا رياسةً، ولكِن أَسألكم أَنْ تُراعوا حقَّ قَرَابتي

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٦.

(٢) ينظر قولُ ابنِ مالك في كتابه التسهيل ص ٣٣ وشرحِه - له أيضاً - ١/ ٢٠٦، وينظر أيضاً ارتشاف الضَّرَب للمصنِّف ٢/ ٩٩٦ حيث نقلَ القول فيه عن يونس والفراء، وتبعهما عليه ابنُ مالك.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٦٦، والخبر عند الثعلبيّ ٥/ ٣٨٧ والواحديّ في أسباب النزول ص ٣٩٥، ونسباه لقتادة، وكذا نَقَله ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٨٣، والقرطبيُّ ١٨/ ٤٧٠، وقال الثعلبيُّ إثره: وهذا التأويل أشبه بظاهر الآية والتنزيل؛ لأن هذه السورة مكِّيَة. انتهى. وكذا نَقَل عنه القرطبيُّ.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٦٨، والخبر عند الثعلبيّ ٥/ ٣٨٧، والواحديّ في أسباب النزول ص ٣٩٥، وابنِ الجوزي في زاد المسير ٢٧/ ١٦٤ وعزاه للكلبي، والقرطبي ١٨/ ٤٦٩.

وتُصدِّقوني فيما جِئْتُكم به، وتُمسِكوا عن أذِيَّتي وأذِيَّةِ مَن تَبِعني، قاله ابنُ عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبيُّ وغيرهم[١].

قال الشعبيُّ: أَكْثَرَ الناسُ علينا في هذه الآية، فكَتَبنا إلى ابنِ عباس نَسْأَله عنها، فكتبَ أنَّ رسول الله ﷺ كان أوسطَ الناسِ في قُريش، ليس بَطْنٌ مِن بُطونهم إلا قد وَلَدَهُ، فقال الله تعالى له: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلَّا» أنْ تَوَدُّوني في قرابتي منكم، فَارْعوا ما بيني وبينكم فتصدِّقوني[٢].

وقال عكرمة: وكانت قريش تَصِلُ أرحامها[٣].

وقال الحسن: المعنى: إلَّا أنْ تَتودَّدوا إلى الله بالتَّقرُّب إليه[٤].

وقال عبد الله بنُ القاسم: إلَّا أنْ يَتودَّدَ بعضُكم إلى بعضٍ، وتَصِلُوا قراباتكم[٥].

ورُويَ أنَّ شباباً مِن الأنصار فاخَروا المهاجرينَ وصَالُوا بالقول[٦]، فنزلت، على معنى: أَنْ لا تُؤْذوني[٧] في قَرَابتي وتَحفظوني فيهم. وقال بهذا المعنى عليّ بنُ الحسين بنِ عليِّ بنِ أبي طالب، واستشهد بالآية حين سِيقَ إلى الشام أسيراً، وهو

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/٣٨٧-٣٨٨، والنكت والعيون ٥/٢٠١-٢٠٢، والمحرر الوجيز ٥/٣٣-٣٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٥، ومعاني القرآن للنحاس ٦/٣٠٨، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٤٩٥-٤٩٨، وأثَر ابنِ عباس أيضاً عند الطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٢٦)، وينظر خبره عند البخاري (٤٨١٨)، وأحمد (٢٠٢٤).

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٥، وينظر تفسير الرازي ٢٧/ ١٦٤، والخبر أخرجه سعيد بن منصور كما في فتح الباري ٨/ ٥٦٥، وهو عند الطبري ٢٠/ ٤٩٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٤، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٨٥.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٥، وينظر معاني القرآن للنحاس ٦/٣٠٨، وتتمَّة الخبر عندهما: فلمَّا بُعثَ النبيُّ ﷺ قَطَعَته، فقال: «صِلُوني كما كنتم تفعلون». ولم نقف عليه مسنداً.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٠٠-٥٠١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٠٢، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٠١.

(٦) في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٣٤ والكلام منه: ومالوا بالقول. وصال عليه: استطال. مختار الصحاح (صول).

(٧) في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٣٤: إلا أن تودُّوني فتراعوني.

قولُ ابنِ جبير والسُّدِّيّ وعمرو بنِ شعيب، وعلى هذا التأويل قال ابنُ عباس: قيل: يا رسولَ الله، مَن قَرَابتك الذين أُمِرْنا بمودَّتهم؟ قال: «عليٌّ وفاطمة وابناهما»، وقيل: هم وَلَدُ عبد المطلب[١].

والظاهر أنَّ قولَه: «إلَّا المودَّة» استثناءٌ منقطع؛ لأنَّ المَودَّة ليست أجراً، وقال الزمخشريُّ: يجوز أن يكون استثناءً متَّصلاً، أي: لا أسألكم عليه أجراً إلَّا هذا، وهو أنْ تودُّوا أهلَ قرابتي، ولم يَكن هذا أجراً في الحقيقة؛ لأنَّ قرابتَه قرابتُهم، فكانت صِلَتهم لازمةً لهم في المُرُوءَة[٢].

وقال: فإن قلت: هلَّا قيل: إلَّا مَوَدَّة القُربى، أو: إلَّا المَودَّة للقُربى؟

قلت: جُعلوا مكاناً للمودَّة ومَقَرًّا لها، كقولك: لي في آلِ فلانٍ مودَّةٌ، ولي فيهم هوًى وحبٌّ شديد، تريد: أُحبُّهم وهم مكان حُبِّي ومحلّه، وليس «في» صلةً للمودَّة، كاللام إذا قلت: إلَّا المودَّة للقُرْبى، إنَّما هي متعلِّقة بمحذوفٍ تعلُّقَ الظَّرْف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلَّا المودَّة ثابتةً في القُرْبى ومتمكِّنةً فيها[٣]. انتهى. وهو حَسَن، وفيه تكثيرٌ.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «إلَّا مَوَدَّة»[٤]، والجمهور: «إلَّا المَوَدَّة».

و«مَن يَقترف حسنةً» أي: يَكتسب، والظاهر عمومُ الحَسَنة عموم البَدَل، فيَندرجُ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٨٨، والنكت والعيون ٥/ ٢٠١-٢٠٢، وزاد المسير ٧/ ٢٨٤-٢٨٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٦٦، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٤٩٩-٥٠٠، والخبر المرفوع أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٤١)، (١٢٢٥٩)، وعزاه ابنُ حجر في الكافي الشاف ص ١٤٥ أيضاً لابن أبي حاتم [وهو في التفسير ١٠/ ٣٢٧٧] وللحاكم في مناقب الشافعي، وهو من رواية: حسين الأشقر، قال عنه ابنُ حجر: ضعيف ساقط، وقد عارضه ما هو أولى منه، . . . ثم ساق حديث ابنِ عباس عند البخاريِّ (٤٨١٨)، وسلف قريباً.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٦٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق أيضاً، ولم نقف عليها عند غيره ممَّن سبقه، ونَقَلها عنه السمين في الدر ٩/ ٥٥١، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٢٧٤.

فيها «المودَّة في القُرْبى» وغيرُها، وعن ابنِ عباس والسُّدِّيّ أنَّها المودَّة في آلِ رسولِ الله ﷺ(١).

وقرأ الجمهور: «نزد» بالنون، وزيد بن عليٍّ وعبدُ الوارث عن أبي عمرو، وأحمد بنُ جبير عن الكسائيِّ: «يزد» بالياء(٢)، أي: يَزِد الله.

والجمهور: «حُسْناً» بالتنوين، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «حُسْنَى» بغيرِ تنوينٍ على وزن: رُجْعَى(٣)، وزيادةُ حُسْنها مضاعفةُ أَجْرِها.

«إنَّ الله غفورٌ» ساتِرٌ عيوبَ عبادِه «شكورٌ» مُجازٍ على الدَّقِيقة، لا يَضيعُ عندَه عَمَلُ العاملِ، وقال السُّدِّيُّ: «غفورٌ» لذنوبِ آلِ محمد عليه الصلاة والسلام «شكورٌ» لحسناتهم(٤).

«أم يقولونَ افترى على الله كذباً» أَضربَ عن الكلام المتقدِّم مِن غير إبطالٍ، واستفهمَ استفهامَ إنكارٍ وتوبيخ على هذه المقالة، أي: مِثْله لا يُنسَب إليه الكذب على الله مع اعترافِكم له قَبْلُ بالصِّدْق والأمانة.

«فإن يَشَأ اللهُ يَخْتِم على قلبك» قال مجاهد: يَربِط على قلبك بالصَّبْر على أَذَاهم حتى لا يشقَّ عليكَ قولهم: إنَّكَ مُفْتَرٍ، وقال قتادة وجماعة: «يَختِم على قلبكَ» يُنْسِيكَ القرآنَ، والمراد الرَّدُّ على مقالة الكفار وبيانُ إبْطالها، وذلك كأنَّه يقول: وكيف يصحُّ أَنْ تكون مُفْترياً وأنتَ مِن الله بمَرْأى ومَسْمَع، وهو قادرٌ ـ لو شَاءَ ـ أَنْ يَختمَ على قلبك، فلا تَعقل ولا تَنطِق ولا يَستمرّ افتراؤك، فمقصد اللفظ هذا المعنى، وحُذفَ ما يدلُّ عليه الظاهرُ اختصاراً واقتصاراً(٥). انتهى.

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٩١ من طريق السُّدِّيّ، عن أبي مالك، عن ابن عباس، ونَقَله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٤٧٠، وأورده عن السُّدِّيّ الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٦٨، والطبرسيُّ في مجمع البيان ٢٥/ ٥١.

(٢) زاد المسير ٧/ ٢٨٥ عن ابنِ السميفع وابنِ يعمر والجحدري، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤، والكشاف ٣/ ٤٦٨ دون نسبة، وفي الدر المصون ٩/ ٥٥١ عن زيد بن علي وعبد الوارث عن أبي عمرو، وعنهم جميعاً في روح المعاني ٢٤/ ٢٧٥.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٣٤، وهي في الكشاف ٣/ ٤٦٨ دون نسبة.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٠٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٧٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥-٣٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٩٢، والنكت والعيون ٥/ ٢٠٢- =

هكذا أَوردَ هذا التأويلَ عن قتادة ابنُ عطيَّة، وفي ألفاظه فَظَاظةٌ لا تَليقُ أنْ تُنسَب للأنبياء.

وقال الزمخشريُّ: عن قتادة: يُنْسِكَ القرآنَ ويَقطع عنكَ الوحي، يعني: لو افْتَرَى على اللهِ الكذبَ لفَعَل به ذلك[١]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ أيضاً: «فإنْ يَشَأ اللهُ» يَجْعَلْك مِن المختومِ على قلوبهم حتى تفتريَ عليه الكذبَ، فإنَّه لا يَجترئُ على افتراءِ الكذب على اللهِ إلَّا مَن كان في مِثْلِ حالهم، وهذا الأسلوب مُؤَدَّاهُ استبعادُ الافتراءِ مِن مِثْلِه، وأنَّه في البُعْدِ مِثْلُ الشِّرْك بالله والدُّخول في جملة المختومِ على قلوبهم، ومثالُ هذا أَنْ يُخوِّنَ بعضَ الأُمناء، فيقول: لعلَّ اللهَ خَذَلني، لعلَّ اللهَ أَعمى قلبي، وهو لا يُريد إثباتَ الخذلانِ وعَمَى القلب، وإنَّما يُريد استبعادَ أَنْ يُخوَّن مِثْلُه، والتنبيهَ على أنَّه رُكِّبَ مِن تخوينِه أَمْرٌ عظيم، ثمَّ قال: ومِن عادةِ اللهِ أَنْ يَمحوَ الباطل ويُثبِتَ الحقَّ[٢] بوَحْيه أو بقضائه، كقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٨] يعني: لو كان مفترياً كما يَزعمون، لكَشَفَ اللهُ افتراءَه ومَحَقَه وقَذَفَ بالحقِّ على باطله، فدَمَغَهُ[٣]. انتهى.

وقيل: المعنى: لوِ افتريتَ على اللهِ لطَبَع على قلبك حتى لا تَقْدِرَ على حِفْظِ القرآن، وقيل: لخَتَم على قلبك بالصِّدْق واليقين، وقد فَعَلَ ذلك.

وذَكَر القشيريُّ أنَّ المعنى: يَختم على قلوبِ الكفار، وعلى أَلسنتهم، ويُعاجِلهم بالعذاب[٤]. انتهى. فيكون التفاتاً مِن الغَيبة إلى الخطاب، ومِن الجَمْع إلى الإفراد، أي: يَختم على قلبك أيُّها القائل: إنَّه افترى على الله كذباً.

«ويَمْحُ اللهُ الباطلَ» استئنافُ إخبارٍ، أي: يَمحوهُ إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخِرَة، بحسب نازلةٍ نازلةٍ، وكُتِبَ: «ويَمْحُ» بغير واوٍ، كما كَتَبوا: ﴿سَنَدْعُ﴾ [العلق:١٨] بغيرِ

= ٢٠٣، وتفسير البغوي ٤/ ١٢٦، والقرطبي ١٨/ ٤٧١، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٥٠٤.

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٨.

(٢) بعدها في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٦٨ ومخطوطه الورقة (٢٦٩): «بكلماته».

(٣) الكشاف ٣/ ٤٦٨.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٧١.

واو؛ اعتباراً بعَدَم ظهورها، لأنَّها لا يُوقَف عليها وَقفَ اختيارٍ، فلمَّا سَقَطت مِن اللفظِ سَقَطت مِن الخَطِّ[١].

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز أَنْ تكون عِدَةً لرسولِ الله ﷺ بأنَّه يَمحُو الباطلَ الذي هم عليه؛ مِن البُهْت والتكذيب، ويُثْبِت الحقَّ الذي أنتَ عليه بالقرآن وبقضائِه الذي لا مَرَدَّ له مِن نُصْرَتكَ عليهم، إنَّ اللهَ عليمٌ بما في صَدْرِك وصُدُورهم، فيُجري الأَمْرَ على حسَب ذلك[٢]. انتهى.

وقيل: «ويُحِقّ» الإسلامَ «بكلماته» أي: بما أَنزل مِن القرآن.

وتقدَّم الكلام في شرائطِ التَّوبة، يقال: قَبِلْتُ منه الشيءَ، بمعنى: أَخذتُه منه، كقوله ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٤] أي: تُؤخَذ، أي: جَعَلْتُه مَبْدَأَ قَبولي ومَنْشَأَهُ، و: قَبِلْتُهُ عنه: عَزَلتُه عنه وأَبَنْتُه، فمعنى: «عن عبادِه» أي: يُزيل الرجوعَ عن المعاصي.

«ويَعفو عن السَّيِّئات» قال الزمخشريُّ: «عن السَّيِّئات» إذا تِيْبَ عنها، وعن الصغائر إذا اجْتُنِبَت الكبائر[٣]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال أنَّ الكبائرَ لا يُعفَى عنها إلَّا بالتوبة.

«ويَعلم ما يفعلون»[٤] فيُثِيْبُ ويُعاقِب.

وقرأ الجمهور: «ما يفعلون» بياء الغيبة، وعبد الله وعلقمة والأَخَوان وحفص: بتاء الخطاب[٥].

والظاهر أنَّ «الذين» فاعل «ويستجيب» أي: ويُجيب الذين آمنوا لربِّهم، كما قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] فيكون

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٦٨.
(٣) المصدر السابق ٧/ ٤٦٩.
(٤) كذا في النسخ الخطية، وهي قراءة الجمهور، وستأتي قريباً.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥، وقراءة الأخوين ـ حمزة والكسائي ـ وحفصٍ في السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥، وهي أيضاً قراءة خَلَف، النشر ٢/ ٣٦٧.

«يستجيب» بمعنى: يجيب، أو يَبقى على بابه مِن الطَّلَب، أي: يَسْتدعي الذين آمنوا الإجابةَ مِن ربِّهم بالأعمال الصالحة.

وقال سعيد بن جبير: هذا مِن فِعْلهم إذا دَعَاهم. وعن إبراهيم بنِ أدْهَم: أنَّه قيل له: ما بالُنَا نَدْعُو فلا نُجَابُ؟ قال: لأنَّه دَعاكم فلم تُجيبوه، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[1] [يونس: ٢٥].

«ويَستجيب الذين آمنوا» قال الزجَّاج: «الذين» مفعول، وأجاب واستجاب بمعنًى واحد، فالمعنى: ويُجيب اللهُ الذين آمنوا[2]، أي: للذين، كما قال:

فلم يَستَجِبْه عند ذاكَ مُجِيْبُ[3]

أي: لم يُجبْهُ، ورُوِيَ هذا المعنى عن معاذ بن جبل وابنِ عباس[4].

«ويَزيدُهم مِن فَضْلِه» أي: على الثواب تَفَضُّلاً، وفي الحديث: «قَبول الشفاعات في المؤمنين والرِّضوان»[5].

وقال خباب بنُ الأرتّ: نَظَرنا إلى أموال بني قُرَيظة والنَّضِير وبني قَيْنُقاع فتمنَّيناها، فنزلت: «ولو بَسَط اللهُ الرِّزْقَ لعبادِه لبَغَوا في الأرض».

وقال عَمرو بنُ حريث: طَلَبَ قومٌ مِن أهلِ الصُّفَّة مِن الرَّسول عليه الصلاة والسلام أنْ يُغْنِيَهم اللهُ ويَبسُطَ لهم الأموالَ والأرزاق، فنزلت، اعْلَم أنَّ الرزقَ لو

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥، وعجز البيت لكعب بن سعد الغنوي، وهو في الأصمعيَّات ص٩٦، وصدره: وداعٍ دعا يا من يُجيب إلى النَّدى، وسلف عند تفسير الآية (٥٠) من سورة القصص.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥، وأخرجه عن معاذ الطبريُّ ٢٠/ ٥٠٧، والثعلبيُّ ٥/ ٣٩٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦، ولم نقف على الحديث بهذا اللفظ مسنداً، بل أخرج الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٩٤ عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال: تشفِّعهم في إخوانهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، قال: في إخوان إخوانهم. اهـ. ولم يرفعه، وكذا رُويَ نحوه عن أبي إبراهيم اللخمي كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٥٠٧، وزاد المسير ٧/ ٢٨٧.

جاءَ على اقتراحِ البَشَر لكان سببَ بَغْيهم وإفسادهم، ولكنَّه تعالى أعلم بالمصلحة، فرُبَّ إنسانٍ لا يَصْلُح ويُكْتَفَى شَرُّه إلَّا بالفَقْر، وآخَر بالغِنى.

وفي هذا المعنى والتقسيم حديثٌ رواه أنسٌ، وقال: اللَّهمَّ إنِّي مِن عبادِكَ الذين لا يُصلحهم إلَّا الغنى فلا تُفْقِرني[1].

و«لبَغَوا» إمَّا مِن البَذْخ والكِبْر، أي: لَتَكَبَّروا في الأرض ففَعَلُوا ما يَتْبَعُ الكِبْر من العلوِّ والفساد، وإمَّا مِن الظُّلْم، أي: لظَلَم هذا ذاك، وذاك هذا، لأنَّ الأَشَرَ والبَطَرَ مع الغِنى، أَلَا ترى إلى حالِ قارون، وفي الحديث: «أَخوفُ ما أخاف على أمَّتي زهرةُ الدُّنيا»، وقال الشاعر:

وقد جَعَلَ الوَسْمِيُّ يُنبتُ بيننا ... وبين بني رُومان نَبْعاً وشَوْحَطا[2]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦، وقول خبّاب عند الواحدي في أسباب النزول ص ٣٩٦، والثعلبيّ ٥/ ٣٩٥، والزمخشريّ في الكشاف ٣/ ٤٦٩، وابنِ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٨٧، والقرطبي ١٨/ ٤٧٣.
وقول عمرو بن حريث عند الواحديِّ في أسباب النزول ص ٣٩٦، والطبريّ ٢٠/ ٥٠٩، وأبي نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٣٨، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٣٢).
وأمَّا حديثُ أنسٍ فهو ما رواه عن النبيِّ ﷺ، عن جبريل، عن الله عز وجل قال: «يقول الله عز وجل: من أهان لي ولياً، . . .» وفيه: «وإنَّ من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ مِن عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك. . .» إلى آخر الحديث، وهو عند الثعلبيّ ٥/ ٣٩٥-٣٩٦، والبغويّ في تفسيره ٤/ ١٢٧ بإسنادهما إلى أنس ﷺ، وأورده عنه القرطبيُّ ١٨/ ٤٧٥، وزاد عنده وعند الثعلبيّ قول أنسٍ أخيراً، ونَقَلَ الحافظُ في فتح الباري ١١/ ٣٤٢ تضعيفه عن ابن حبان، وأخرج بعض ألفاظه البخاريُّ (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٦٩، ونَقَله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٤٧٤-٤٧٥، والحديث المرفوع أورده الثعلبيُّ ٥/ ٣٩٥ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥١٠، وهو عند البخاريّ (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢)، وأحمد (١١١٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بنحوه.
والبيت أورده ابنُ قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٨٩٥، وأبو العلاء المعريُّ في رسالة الصاهل والشاحج ص ٥٤٠، والعسكريُّ في الصناعتين ص ٣٨٢، والبكريّ في سمط اللآلي ١/ ٢٤، وابنُ منظور في لسان العرب (شحط) ولم ينسبوه، وورد عند بعضهم: دُودان، بدل: رُومان.
وبنو رومان: رَهْطٌ مِن طيِّئ، كما في الاشتقاق ص ٣٨٠، والوسميّ: مطر الربيع الأول. القاموس (وسم)، والنَّبع والشَّوحط: ضربٌ من الشجر، وهي هنا: القِسِيُّ. قاله ابنُ قتيبة.

يعني: أنَّهم أُحْيُوا فحدَّثوا أنفسَهم بالبَغْي والفِتَن.

«ولكِن يُنَزِّلُ بقَدَرٍ ما يَشاءُ» يقال: قَدر، بالسكون وبالفتح، أي: يُقَدِّر لهم ما هو أَصلحُ لهم.

وقرأ الجمهور: «قَنَطُوا» بفتح النون، والأعمش وابنُ وثَّاب: بكسرها[١]، «ويَنشُر رحمته»: ما يظهر مِن آثارِ الغَيْث؛ مِن المنافع والخِصْب.

والظاهر أنَّ «رحمتَه» نَشْرها أعمّ ممَّا في الغيث، وقال السُّدِّيُّ: «رحمته»: الغيث، وعَدَّدَ النِّعمةَ بعينها بلفظَيْن، وقيل: الرَّحْمَة هنا: ظهورُ الشمس؛ لأنَّه إذا دامَ المطرُ سُئِمَ، فتَجِيءُ الشمسُ بَعْدَه عظيمة الموقع، ذكره المهدويُّ[٢].

«وهو الوليُّ» الذي يتولَّى عبادَه «الحميد» المَحْمُود على ما أسدى مِن نعمائه.

«وما بثَّ» الظاهر أنَّه مجرور عطفاً على «السماوات والأرض»، ويَجوز أَنْ يكون مرفوعاً، عَطْفاً على «خَلْق» على حذفِ مضاف، أي: و«خَلْقُ» ما «بثَّ»[٣].

و«فيهما» يجوز أَنْ يكونَ ممَّا نُسبَ فيه «دابَّة» إلى المجموع الذُّكُور وإنْ كان ملتبساً ببعضه، كما يقال: بنو فلانٍ صَنَعوا كذا، وإنَّما صَنَعه واحدٌ منهم، ومنه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ [الرحمن:٢٢] وإنَّما يَخرج مِن المِلْح[٤]، أو يكون مِن الملائكة بعضٌ يَمشي مع الطيرانِ، فيُوصَف بالدَّبيب، كما يُوصَفُ الأناسيُّ، أو يكون قد خَلَق في السماوات حيواناً يَمشي مَشْيَ الأناسيّ على الأض، أو يُريد الحيوان الذي يكون في السَّحَاب، وقد يقع أحياناً، كالضَّفادِع، والسَّحَابُ داخلٌ في اسْمِ السماء، وقال مجاهد: «وما بثَّ فيهما مِن دابَّة» هم الناس والملائكة[٥].

وقال أبو عليٍّ: هو على حَذْفِ مضاف، أي: وما بَثَّ في أحدهما[٦].

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٦، وتفسير القرطبي ١٨/٤٧٦.
(٢) ينظر المصدران السابقان.
(٣) ينظر ما قاله السمينُ الحلبيُّ حول هذا الكلام في الدر المصون ٩/٥٥٣.
(٤) أي: من الماءِ المِلْح دون العَذْب. تفسير القرطبي ١٨/٤٧٧، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس ٤/٨٢.
(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٧، وقولُ مجاهد عند الطبريّ ٢٠/٥١٢.
(٦) تفسير القرطبي ١٨/٤٧٧.

وقرأ الجمهور: «فبما» بالفاء وكذا هي في معظم المصاحف، واحتمل «ما» أَنْ تكونَ شرطيَّةً ـ وهو الأظهر ـ وأَنْ تكون موصولةً، والفاء تَدخُل في خبرِ الموصول إذا أُجري مجرى الشَّرْط، بشرائطَ ذُكِرت في النَّحْو وهي هنا موجودة.

وقرأ نافع وابنُ عامر وأبو جعفر في رواية ـ وشيبة «بما» بغير فاء[١]، ف «ما» موصولة، ولا يَجوز أَنْ تكون شرطيَّة وحُذفت الفاء[٢]؛ لأنَّ ذلك ممَّا يَخُصّه سيبويه بالشِّعْر، وأجاز ذلك الأخفشُ وبعضُ نحاةِ بغداد[٣]، وذلك على إرادة الفاء وترتُّب ما أصاب مِن المصائب على كَسْب الأيدي موجودٌ مع الفاء ودُونَها هنا.

والمصيبة: الرَّزَايا والمصائب في الدنيا، وهي مجازاةٌ على ذنوبِ المَرْءِ، وتَمحيصٌ لخطاياهُ، وأنَّه تعالى يَعفو عن كثيرٍ فلا يُجازي عليه بمصيبة.

وفي الحديث: «لا يُصيب ابنَ آدم خَدْشُ عودٍ أو عَثْرَةُ قَدَم ولا اختلاجُ عِرْق إلَّا بذنبٍ، وما يَعفو عنه أكثر»[٤].

وسُئِلَ عمران بنُ حصين عن مَرَضه، فقال: إنَّ أَحَبَّه إليَّ أَحَبُّه إلى الله، وهذا ممَّا كَسبَتْ يَدَايَ. ورُئيَ على كفِّ شُرَيح قَرْحَةٌ، فقيل: بِمَ هذا؟ فقال: بما كَسَبت يدي[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧، وقراءة نافع وابنِ عامر في السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٦٦.

(٢) القائل بذلك أبو البقاء، وكلامه في كتابه الإملاء ٢/ ٢٢٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧، وتفسير القرطبيّ ١٨/ ٤٧٨، وينظر كتاب سيبويه ٣/ ٦٥.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧، والخبر أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩٢، ووكيع في الزهد (٩٣)، وهناد في الزهد (٤٣١)، والثعلبيُّ في التفسير ٥/ ٣٩٧، عن الحسن مرسلاً، وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٩.
وأخرجه أيضاً الطبريُّ في التفسير ٢٠/ ٥١٣-٥١٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣٥٧) عن قتادة مرسلاً. الكافي الشاف لابن حجر ص١٤٦.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٩٧ ـ والخبران عنده بإسناده عنهما ـ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٧٩، وخبر شريح عند هناد في الزهد (٣٨٧)، وأبي نعيم في الحلية ٤/ ١٣٣ بنحوه.

وقال الزمخشريُّ: الآيةُ مخصوصةٌ بالمُجْرِمين، ولا يَمتنع أنْ يستوفي اللهُ عقابَ المُجرم ويَعفو عن بعضٍ، فأمَّا مَن لا جرمَ له كالأنبياء والأطفال والمجانين، فهؤلاء إذا أصابهم شيءٌ مِن أَلَمٍ أو غيرِه، فللعِوَض المُوفى والمصلحة، وعن عليٍّ: هذه أرجى آيةٍ للمؤمنين[1]. انتهى.

وقال الحسن: «مِن مصيبة» أي: حَدّ مِن حدودِ الله، وتلك مصائبُ تَنْزِل بشخصِ الإنسان ونفسِه، فإنَّما هيَ بكَسْب أيديكم «ويعفو» اللهُ «عن كثيرٍ» فيَستُره على العَبْد حتى لا يُحَدَّ عليه[2].

«وما أَنتم بمعجزين» أي: فائتين، أي: أنتم في قَبْضَة القدرة، وقيل: ليست المصائب مِن الأَسْقام والقَحْط والغَرَق وغير ذلك بعقوباتٍ على الذُّنوب؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر:١٧] ولاشتراكِ الصَّالح والطَّالح فيها، بل أكثر ما يُبتلى به الصَّالحون المتَّقون، وفي الحديث: «خُصَّ بالبلاءِ الأنبياءُ، ثُمَّ الأَمْثَل فالأَمْثَل»[3] ولأنَّ الدَّنيا دارُ التكليف، فلو حَصَلَ الجزاءُ فيها لكانت دارَ الجزاء، وليس الأَمْرُ كذلك، وهذا القول تَردُّه نصوصُ القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الآية [العنكبوت: ٤٠].

❋ ❋ ❋

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٠-٤٧١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧، وينظر تفسير الرازي ٢٧/ ١٧٣، والقرطبي ١٨/ ٤٧٨.

(٣) لم نقف على الحديث بهذا اللفظ، بل الوارد ما رواه سعد بن أبي وقاص أنه سَأل رسولَ الله ﷺ عن أيِّ الناس أشدّ بلاءً؟ فقال ﷺ: «الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، . . .» الحديث، وهو عند الترمذي (٢٥٦١)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١٤٨١)، وابن حبان (٢٩٠١).

﴿٣٨ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا
السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن
صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى
الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

لـمَّا ذَكَر تعالى مِن دلائل وحدانيَّته أنواعاً، ذَكَر بَعْدَها العالَم الأكبرَ وهو السماوات والأرض، ثم العالَم الأصغرَ وهو الحيوان، ثم أَتْبَعَه بذِكْر المَعَاد = أَتْبَعَهُ بذِكْر السُّفُنِ الجارية في البَحْر؛ لِمَا فيها مِن عظيم دلائلِ القُدرة؛ مِن جهة أنَّ الماءَ جسمٌ لطيفٌ شَفَّافٌ يَغوصُ فيه الثقيلُ، والسُّفُنُ تُشْحَنُ بالأجسام الثقيلة الكَثيفة، ومع ذلك جَعَلَ تعالى للماء قوَّةً تَحملُها بها وتُمنَعُ مِن الغَوص، ثم جَعَلَ الرِّياح سبباً لسَيْرِها، فإذا أراد أنْ تَرْسُوَ أَسْكَنَ الرِّيحَ، فلا تَبْرَح عن مكانها[١].

والجواري: جمع: جارِيَة، وأصله: السُّفُن الجَوَاري، حذف الموصوف وقامَت الصفة مقامَه، وحسَّن ذلك قوله: «في البحر» فدلَّ ذلك على أنَّها صفةٌ للسفن، وإلَّا فهي صفة غيرُ مختصَّة، فكان القياس أنْ لا يحذفَ الموصوفَ وتَقومَ مقامه، ويمكن أَنْ يُقال: إنَّها صفةٌ غالبة كالأَبْطَح[٢]، فجاز أَنْ تَليَ العواملَ بغير ذِكْرِ الموصوف.

وقرئ: «الجواري» بالياء ودونها[٣]، وسُمِعَ مِن العرب الإعرابُ في الرَّاء[٤]، و«في البحر» متعلِّق بالجواري، و«كالأعلام» في موضع الحالِ، والأعلام: الجبالُ، ومنه قولُ الخَنْساء أُخْتِ صَخْرٍ ومعاوية:

(١) هو تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ الآية. تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨١.
(٢) الأبطح: مَسِيْلٌ واسع فيه دقاق الحصى، والجمع: الأباطح والبطاح. مختار الصحاح (بطح).
(٣) قرأ بالياء وصلاً نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، وفي الحالين ـ يعني: وصلاً ووقفاً ـ ابنُ كثير ويعقوب، وقرأ الباقون بحذف الياء وصلاً ووقفاً. السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥، والنشر ٢/ ٣٦٨.
(٤) قال السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٥٥: وسُمِعَ: هذه الجوارُ، وركبتُ الجوارَ، وفي الجوارِ، بالإعراب على الراء؛ تناسياً للمحذوف.

وإنَّ صَـخْـراً لـتَـأْتَـمُّ الـهـداةُ بـه كـأنَّـه عَـلَـم فـي رأسِـهِ نَـارُ[١]

ومنه:

إذا قَـطَـعْـنَ عَـلـمـاً بَـدَا عَـلَـم[٢]

وقرأ جمهور السَّبْعَة: «الرِّيح» إفراداً، ونافع: جمعاً[٣]، وقرأ الجمهور: «فيَظْلَلْنَ» بفتح اللام، وقرأ قتادة بكسرِها[٤]، والقياس الفتحُ؛ لأنَّ الماضيَ بكسر العين، فالكسر في المضارع شَاذٌّ.

وقال الزمخشريُّ: مِن: ظَلَّ يَظَلُّ ويَظِلُّ، نحو: ضَلَّ يَضَلُّ ويَضِلُّ[٥]. انتهى.

وليس كما ذَكَر، لأنَّ: يَضَلّ بفتح العين، مِن: ضَلِلْت بكسرها في الماضي، ويَضِلّ بكسرها، مِن: ضَلَلْت بفتحها في الماضي، وكلاهما مَقِيسٌ.

«لكلِّ صَبَّارٍ» على بلائه «شَكُورٍ» لنعمائه.

«أو يُوبِقْهُنَّ» يُهْلِكهُنَّ، أي: الجواري، وهو عطف على «يُسكِن»، والضمير في «كسبوا» عائدٌ على ركَّاب السُّفُن، أي: بذنوبهم.

وقرأ الأعمش: «ويَعْفُوْ» بالواو[٦]، وعن أهلِ المدينة بنصبِ الواوِ[٧]، والجمهورُ: «ويَعْفُ» مجزوماً؛ عطفاً على «يُوبِقْهنَّ».

فأمَّا قراءةُ الأعمش؛ فإنَّه أَخبر تعالى أنَّه يَعفو عن كثيرٍ، أي: لا يُؤاخِذ بجميعِ ما اكتسبَ الإنسانُ، وأمَّا النصب؛ فبإضمار «أَنْ» بعد الواو، كالنَّصْبِ بعد الفاء في

---

(١) ديوان الخنساء ص ٤٩.

(٢) الراجز جرير، والرجز في ديوانه ١/ ٥١٢، وبعده:

فـهـنَّ بَـخْـثـاً كـمـضِـلَّات الـخَـدَم

(٣) السبعة ص ١٧٣، والتيسير ص ٧٨، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر. النشر ٢/ ٢٢٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٨١، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٥٢.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٧١.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٧١ دون نسبة، والقرطبي ١٨/ ٤٨٢ وعزاها لقومٍ، وقال: وهي جيِّدة في المعنى.

(٧) يعني: «ويَعْفُوَ». ولم نقف على القراءة عند غيره، ونَقَلَها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٥٥٧، والآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ٢٩٨.

قراءة مَن قرأ: «يُحاسِبْكُم به اللهُ فيَغْفِرَ»[١] وبَعْدَ الواوِ في قول الشاعر:

فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ ربيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الحَرَامُ
ونَأْخُذَ بَعْدَهُ بذِنابِ عيشٍ أَجَبِّ الظَّهْرِ ليس له سَنامُ[٢]

رُوِيَ بنصب: ونَأْخُذ، ورَفْعِه وجَزْمِه، وفي هذه القراءة يكون العطفُ على مصدر متوهَّم، أي: يقع إيباقٌ وعَفْوٌ عن كثير، وأمَّا الجَزْم فإنَّه داخلٌ في حُكم جوابِ الشَّرْط، إذ هو معطوفٌ عليه، وهو راجعٌ في المعنى إلى قراءةِ النَّصْب، لكن هذا عطف فِعْلٍ على فِعْلٍ، وفي النَّصْب عطف مصدرٍ مقدَّر على مصدرٍ متوهَّم.

وقال القشيريُّ: وقُرئَ: «ويَعْفُ» بالجَزْم، وفيها إشكالٌ؛ لأنَّ المعنى: إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الريحَ فتَبقى تلك السُّفُن رواكد، أو: يُهلكها بذنوبِ أهلها، فلا يَحسُن عطف: «ويَعْفُ» على هذا؛ لأنَّ المعنى يصير: إنْ يَشَأْ يَعْفُ، وليس المعنى ذلك، بل المعنى الإخبار عنِ العفو مِن غيرِ شَرْطِ المشيئة، فهو إذن عطفٌ على المجزوم مِن حيث اللفظُ لا مِن حيث المعنى، وقد قَرَأَ قومٌ: «ويعفو» بالرفع، وهي جيِّدة في المعنى[٣]. انتهى.

وما قاله ليس بجيِّد، إذ لم يَفهم مدلولَ التركيب، والمعنى: أنَّه تعالى إنْ يَشَأْ أَهْلَكَ ناساً وأنجى ناساً، على طريق العَفْوِ عنهم.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: علامَ عطف «يُوبِقْهنّ»؟

قلت: على «يُسْكِن»، لأنَّ المعنى: إنْ يَشَأْ يُسكِن الريحَ فيَرْكُدْنَ، أو يَعْصِفها فيَغْرَقْنَ بعَصْفها[٤]. انتهى.

ولا يتعيَّن أَنْ يكونَ التقدير: أو يَعْصِفها فيغرقن؛ لأنَّ إهلاكَ السُّفُن لا يتعيَّن أَنْ يكون بعَصْفِ الرِّيح، بل قد يُهلكها تعالى بسببِ غيرِ الرِّيح، كنزول سَطْحِها بكثرةِ

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢٨٤) من سورة البقرة.
(٢) البيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص ١١٠، وسلف عند الموضع المشار إليه آنفاً، ووقع في الديوان: ونمسك، بدل: ونأخذ.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٢.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٧١.

الثِّقَل، أو انكسارِ لوحٍ يكون سبباً لإهلاكها، أو يَعْرِض عدوٌّ يُهلِك أهلَها.

وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة ونافع وابنُ عامر وزيد بنُ عليٍّ: «ويَعْلَمُ» بالرَّفْع على القَطْع[1]، وقرأ الجمهور: «ويَعْلَمَ» بالنصب، قال أبو عليٍّ: وحَسُنَ النَّصْبُ إذا كان قَبْلَه شَرْطٌ وجزاء، وكلٌّ واحدٍ منهما غيرُ واجبٍ[2].

وقال الزجَّاج: على إضمار «أنْ» لأنَّ قَبْلَها جزاء، تقول: ما تَصْنَعْ أَصْنَعْ مِثْلَه، وأُكْرِمَكَ، وإن شئتَ: أُكْرِمُك، على: وأَنَا أُكْرِمُكَ، وإنْ شئتَ: وأُكْرِمْكَ، جَزْماً[3].

قال الزمخشريُّ: فيه نَظَرٌ؛ لِمَا أوردهُ سيبويه في كتابه، قال: واعْلَم أنَّ النصبَ بالفاءِ والواوِ في قوله: إنْ تَأْتِني آتِكَ وأعطيَك، ضعيفٌ، وهو نحوٌ مِن قوله:

وألْحَقَ بالحِجازِ فأَسْتَرِيحا[4]

فهذا لا يجوز، وليس بحدِّ الكلام ولا وَجْهِه، إلَّا أنَّه في الجزاءِ صارَ أقوى قليلاً؛ لأنَّه ليس بواجبٍ أنَّه يفعلُ، إلَّا أن يكون مِن الأوَّل فِعْلٌ، فلمَّا ضارَعَ الذي لا يُوجِبُهُ كالاستفهام ونحوِه، أجازوا فيه هذا على ضَعْفه[5].

قال الزمخشريُّ: ولا يَجوز أنْ تُحْمَل القراءة المستفيضةُ على وَجْهٍ ضعيف، ليس بحدِّ الكلامِ ولا وَجْهِه، ولو كانت مِن هذا الباب لَمَا أَخْلَى سيبويه منها كتابَه، وقد ذَكَرَ نظائرَها مِن الآيات المُشْكِلة[6]. انتهى.

وخرَّج الزمخشريُّ على أنَّه معطوف على تعليلٍ محذوف، قال: تقديره: لِيَنْتَقِمَ منهم ويَعلمَ الذين يجادلون، ونَحوُه في العطف على التعليلِ المحذوف غيرُ عزيزٍ في

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨، وقراءة نافع وابنِ عامر في السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦٧.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٣، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٩٩.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٧٢، والكتاب ٣/ ٩٢، وصدر البيت المذكور: سأتركُ منزلي لبني تميمٍ، وسلف عند تفسير الآية (٧١) من سورة آلِ عمران.
(٥) الكتاب ٣/ ٩٢.
(٦) الكشاف ٣/ ٤٧٢.

القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] وقوله: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢]. انتهى.

ويَبْعُد تقديره: لِيَنتقم منهم؛ لأنَّه ترتَّب على الشَّرْط إهلاكُ قوم، فلا يَحسُن: لينتقم منهم، وأمَّا الآيتان فيمكن أنْ تكونَ اللامُ متعلِّقةً بفِعْلٍ محذوف، أي: «ولِنَجْعَله آيةً للناس» فَعَلْنا ذلك، «ولتُجزَى كلُّ نفسٍ بما كسبت» فَعَلْنا ذلك، وهو كثيراً يُقَدَّر هذا الفعلَ محذوفاً قَبْلَ لام العلَّة إذا لم يكن فِعْلٌ ظاهرٌ يَتعلَّق به[1].

وذَكَرَ الزمخشريُّ أنَّ قولَه تعالى: «ويَعْلم» قُرِئَ بالجَزْم، قال: فإنْ قلت: فكيف يصحُّ المعنى على جَزْمِ «ويَعْلَم»؟ قلت: كأنَّه قال: أو إنْ يَشَأ يَجمع بين ثلاثةِ أمورٍ؛ هلاكِ قوم، ونجاةِ قومٍ، وتحذيرِ آخَرِين[2]. انتهى. لأنَّ قولَه: «ويَعْلَم الذين يجادلونَ في آياتِنا ما لهم مِن محيص» يتضَّمن تحذيرَهم مِن عقابِ الله، و«ما لهم مِن محيصٍ» في موضع نصبٍ لـ «أنْ»، و«يَعْلَم» معلَّقة، كقولك: علمتُ ما زيدٌ قائم.

وقال ابنُ عطيَّة في قراءة النَّصْبِ: وهذه الواو ونحوها التي يُسمِّيها الكوفِيُّون واوَ الصَّرْف؛ لأنَّ حقيقةَ واوِ الصَّرف التي يُريدونها عَطْفُ فِعْلٍ على اسمٍ مقدَّرٍ، فيقدّر «أنْ» لتكونَ مع الفِعْل بتأويل المصدر، فيَحسُن عَطْفُه على الاسم[3]. انتهى.

وليس قولُه تعليلاً لقولِهم واو الصَّرْف، إنَّما هو تقريرٌ لمذهب البَصْريِّين، وأمَّا الكوفِيُّون؛ فإنَّ واوَ الصَّرْفِ ناصبةٌ بنفسِها لا بإضمار «أنْ» بَعْدَها[4].

وقال أبو عبيد: على الصَّرْف، كالذي في «آلِ عمران»: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: ١٤٢]، ومعنى الصَّرْفِ أنَّه كان على جهةٍ فصُرف

(١) قال السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٦٠: بل يَحسُن تقدير: لينتقم، لأنه يعود في المعنى على إهلاك قوم المترتِّب على الشرط.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٢، وتنظر القراءة في التبيان لأبي البقاء ص ١١٣٤، والفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي ص ٢٢٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨.

(٤) ينظر الإنصاف لابن الأنباري ٢/ ٥٥٥ وما بعدها، ومغني اللبيب ص ٤٧٢، والفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي ص ٢١٨.

إلى غيرِها فتغيَّرَ الإعراب لأَجْلِ الصَّرْفِ، والعطف لا يُعيِّن الاقترانَ في الوجود، كالعطف في الاسم، نحو: جاءَ زيدٌ وعَمرٌو، ولو نصب: وعَمرو، اقتضى الاقترانَ[١]، وكذلك واوُ الصَّرْفِ تفيدُ معنى الاقترانِ وتعيّن معنى الاجتماع، ولذلك أُجمعَ على النصب في قوله: «ويَعْلَم الصابرين» أي: ويَعلَم المجاهدينَ والصابرينَ معاً.

عن عليٍّ ﷺ: اجتمعَ لأبي بكرٍ ﷺ مالٌ فتَصَّدق به كلّه في سبيلِ اللهِ والخيرِ، فلامَهُ المسلمونَ وخَطَّأَهُ الكافرون، فنزلت: «فما أُوتيتم مِن شيء»[٢].

والظاهر أنَّه خطابٌ للناس، وقيل: للمشركين.

و«ما» شرطيَّة مفعولٌ ثانٍ لـ «أوتيتم» و«مِن شيء» تبيين لـ «ما»، والمعنى: مِن شيء مِن رياشِ الدنيا ومالِها والسَّعَة فيها، والفاءُ فيها جوابُ الشَّرْط، أي: فهو متاع، أي: يَسْتَمتع به في الحياة.

«وما عندَ الله» أي: مِن ثوابه، وما أَعَدَّ لأوليائِهِ «خيرٌ وأَبقى» ممَّا أُوتيتم؛ لأنَّه لا انقطاعَ له.

وتقدَّم الكلامُ في الكبائر في قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ في «النساء»[٣].

وقرأ الجمهور: «كبائر» جَمْعاً هنا وفي «النَّجْم»، وحمزة والكسائيُّ بالإفراد[٤].

«والذين يجتنبون» عطف على «للذين آمنوا» وكذلك ما بَعْدَهُ، ووَقَعَ لأبي البقاء وَهْمٌ في التلاوة اعتَقَدَ أنَّها «الذين يجتنبون» بغيرِ واوٍ، فبَنَى عليه الإعراب، فقال:

---

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة ص ٢٢٥-٢٢٦، وينظر ما قاله العلائي حول هذا الكلام.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٢، والخبر بتمامه أخرجه الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٤٠٠، وخبر إنفاقِ أبي بكر مالَه كلَّه عند أبي داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) عند تفسير الآية (٣١) منها.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٥، وأورد القراءة ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/٣٩ وزاد: عاصماً، ولعلَّه: في رواية، إذ رواية عاصم المشهورة كقراءة الجمهور، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥، وهي أيضاً قراءة خَلَف. النشر ٢/ ٣٦٧.

«الذين» في موضع جرٍّ بَدَلاً مِن «للذين آمَنُوا»[١]، ويجوز أنْ يكون في موضع نَصْبٍ بإضمار: أعني، وفي موضع رَفْعٍ على تقدير: «هم». انتهى.

والعامل في «إذا»: «يَغفرون»، وهي جملةٌ مِن مبتدأ وخبر، معطوفة على «يجتنبون»، ويجوز أن يكون «هم» توكيداً للفاعل في «غضبوا»، وقال أبو البقاء: «هم» مبتدأ، و«يغفرون» الخبر، والجملة جوابُ «إذا»[٢]. انتهى.

وهذا لا يَجوز؛ لأنَّ الجملة لو كانت جوابَ «إذا» لكانت بالفاء، تقول: إذا جاءَ زيدٌ فعَمرو مُنطلقٌ، ولا يجوز حَذْفُ الفاء إلَّا إنْ وَرَدَ في شِعْرٍ.

وقيل: «هم» مرفوع بفِعْل محذوف يُفسِّره «يغفرون»، ولمَّا حُذِفَ انْفَصَلَ الضميرُ.

وهذا القولُ فيه نَظَر، وهو أَنَّ جوابَ «إذا» يُفَسَّر كما يُفَسَّر فِعْلُ الشَّرْط بَعْدَها، نحو: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١] ولا يَبْعُد جوازُ ذلك على مذهب سيبويه[٣]؛ إذ أجازَ ذلك في أداة الشَّرْط الجازمة، نحو: إنْ تَنْطَلق، زيدٌ يَنْطَلق، فزيدٌ عندَه فاعلٌ بفِعْلٍ محذوفٍ يُفسِّره الجوابُ، أي: يَنْطَلِق زيدٌ، وقد مَنَعَ ذلك الكسائيُّ والفَرَّاء.

قال الزمخشريُّ: «هم يغفرون» أي: هم الأَخصَّاء بالغُفْران في حال الغَضَب لا يَغُول الغَضَبُ أحلامَهم[٤]، كما يَغُولُ حُلُومَ الناس، والمَجِيْء بـ «هـم» وإيقاعُه مبتدأً، وإسنادُ «يَغفرون» إليه، لهذه الفائدة[٥]. انتهى.

وفيه حَضٌّ على كَسْرِ الغَضَب، وفي الحديث: أَوْصِني. قال: «لا تغضب»،

---

(١) الذي في مطبوع الإملاء ٢/ ٢٢٥: «والذين يجتنبون» معطوف على قوله تعالى: «للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكَّلون». . ولعلَّ نسخة المصنِّف ـ وكذا نسخة صاحب الدر المصون ٩/ ٥٦١ ـ غير النسخة المعتمدة في المطبوع.

(٢) الإملاء ٢/ ٢٢٥.

(٣) ينظر الكتاب ٣/ ١١٢-١١٣.

(٤) الغَضَب غُولُ الحِلْم، لأنَّه يغتاله ويذهب به، يقال: أَيَّةُ غُولٍ أَغْوَلُ من الغضب. مختار الصحاح (غول).

(٥) الكشاف ٣/ ٤٧٢.

قال: زِدْني. قال: «لا تغضب»، قال: زِدْني. قال: «لا تغضب»[١].

«والذين استجابوا لربِّهم» قيل: نزلت في الأنصار؛ دَعَاهم اللهُ للإيمان به وطاعتِه، فاستجابوا له، وكانوا قَبْلَ الإسلام ـ وقَبْلَ مَقْدَم رسولِ الله ﷺ المدينةَ ـ إذا نابَهُم أَمْرٌ تشاوروا، فأثنى اللهُ عليهم أي: لا يَنفردون بأَمْرٍ حتى يَجتمعوا عليه. وعن الحسن: ما تَشَاور قومٌ إلَّا هُدُوا لأرشدِ أَمْرِهم[٢]. انتهى.

وفي الشورى اجتماعُ الكلمة والتحابُّ والتعاضُدُ على الخير، وقد شاورَ الرَّسولُ عليه السلام فيما يتعلَّق بمصالحِ الحروب والصحابةُ بَعْدَه في ذلك، كمشاورة عُمر للهُرْمُزان، وفي الأحكام كقتالِ أهلِ الرِّدَّة وميراثِ الجَدِّ وعَدَدِ حَدِّ الخمر، وغير ذلك[٣].

والشُّورَى مصدرٌ كالفُتيا بمعنى التَّشَاور، على حَذْفِ مضاف، أي: وأَمْرُهم ذو شُورى بينهم.

و«هم يَنتصرون» صِلَة «للذين»، و«إذا» معمولةٌ لـ «ينتصرون»، ولا يَجوز أَنْ يكون «هم ينتصرون» جواباً لـ «إذا»، والجملة الشرطيَّة وجوابُها صِلَة؛ لِمَا ذكرناهُ مِن لزومِ الفاء، ويَجوز هنا أَنْ يكون «هم» فاعلاً بفِعْلٍ محذوف على ذلك القول الذي قيل في «هم يَغفرون».

وقال الحوفيُّ: وإنْ شئتَ جعلت «هم» توكيداً للهاءِ والميم، يعني في «أَصابهم»، وهو ضميرُ رفعٍ، وفي هذا نَظَر، إذ فيه الفَصْلُ بين المؤكّد والتوكيد بالفاعل، وهو فَصْلٌ الظاهرُ أَنَّه يَمتنع.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩، والخبر أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو عند أحمد (١٠٠١١).

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٢، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٠٦، وقول الحسن عند ابن المنتدر في الأوسط ١١/ ٣٠٧، وأخرجه عنه ابنُ أبي شيبة (٢٦٨٠٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٨).

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٧-٤٨٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٥٦، وخبرُ عمر مع الهرمزان ـ وهو: اسمٌ لبعض أكابر الفرس. تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ١٣٥-١٣٦ ـ عند البخاري (٣١٥٩) من حديث جُبير بن حيَّة.

والانتصار: أَنْ يَقتصِرَ على ما حَدَّهُ اللهُ له، ولا يَعْتدِي، وقال النَّخَعيُّ: كانوا يَكرهون أَنْ يُذِلُّوا أنفسَهم فتَجترِئ عليهم الفُسَّاق، ومَن انتصَرَ غيرَ متعدٍّ، فهو مطيعٌ محمود[1].

وقال مقاتل وهشام بنُ عروة[2]: الآية في المجروح يَنتصفُ مِن الجارح بالقِصَاص، دون غيره مِن سَبٍّ أو شَتْمٍ، وقيل: نزلت في بغي المشرك على المؤمن فأباح الله له الانتصار[3].

وقال ابنُ عبَّاس: بَغَى المشركونَ على رسولِ الله ﷺ وعلى أصحابِه وأخرجوهم مِن مكَّة، فأَذِنَ اللهُ لهم بالخروج فمكَّن لهم في الأرض ونَصَرهم على مَن بَغَى عليهم[4].

وقال الكِيا الطبريُّ: ظاهره أنَّ الانتصارَ في هذا الموضع أفضلُ، أَلَا ترى أنَّه قَرَنه إلى ذِكْر الاستجابة للهِ ولرسوله وإقامة الصلاة، فهذا على ما ذَكَره النخعيُّ، وهذا فيمَن تعدَّى وأَصَرَّ، والمأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادِماً مُقْلِعاً، وقد قال عقيبَ هذه الآية: «ولَمَن انتصرَ بَعْدَ ظُلْمه» الآية، فيقتضي إباحةَ الانتصار، وقد عقَّبه بقوله: «ولَمَن صَبَرَ وغَفَرَ» وهذا محمول على الغفران عند غيرِ المُصِرِّ، فأمَّا المُصِرُّ على البَغْي، فالأفضلُ الانتصارُ منه بدليلِ الآية قبْلَها[5].

وقال ابنُ بحر: المعنى: تَنَاصَرُوا عليه، فأَزالوه عنهم[6].

وقال أبو بكر بنُ العربيّ نحواً مِن قول الكِيا[7].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٢-٤٧٣، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٠٦، وزاد المسير ٧/ ٢٩٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥.

(٢) كذا في النسخ، والذي في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٠-٤٠١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٩٠: وهشام بن حُجَير. وكلام مقاتل عند ابنِ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩.

(٣) من قوله: دون غيره من سبّ وشتم. . .، إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه)، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٩.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٩، والخبر في زاد المسير ٧/ ٢٩١ عن عطاء بنحوه.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٩٠، وكلام الكيا الطبري في كتابه أحكام القرآن ٤/ ٣٦٦.

(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٩٠، والنكت والعيون ٥/ ٢٠٧.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٥٧، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨٩.

قال الجمهور: إذا بَغَى مؤمنٌ على مؤمنٍ، فلا يَجوز له أَنْ ينتصرَ منه بنفسِه، بل يَرفَعُ ذلك إلى الإمام أو نائبه، وقالت فرقة: له ذلك.

«وجزاء سَيِّئةٍ سيئةٌ مِثْلُها» هذا بيانٌ للانتصار، أي: لا يتعدَّى فيما يُجازِي به مَن بَغَى عليه.

قال ابنُ أبي نَجيح والسُّدِّيُّ: إذا شُتِمَ فله أَنْ يَرُدَّ مِثْل ما شُتِمَ به دونَ أَنْ يتعدَّى[١].

وسُمِّيَ القصاصُ سيِّئةً؛ على سبيل المقابلة، أو لأَنَّها تَسوءُ مَن اقتُصَّ منه كما ساءَت المقتصّ.

وظاهر قوله: «مِثْلها» المماثلةُ مطلقاً في كلِّ الأحوال إلَّا فيما خصَّه الدليلُ، والفقهاء أَدخلوا التخصيصَ في صُوَرٍ كثيرةٍ بناءً على القياس.

قال مجاهد والسُّدِّيُّ: إذا قال له: أَخزاكَ اللهُ. فليقل له: أَخزاكَ اللهُ، وإذا قَذَفه قذفاً يُوجبُ الحَدَّ [فليس له ذلك][٢] بل الحدُّ الذي أَمَرَهُ اللهُ.

«فمن عَفَا وأَصلح» أي: بينَه وبينَ خَصْمِه بالعَفْو «فأَجْرُه على الله» عِدَةٌ مُبهَمَة لا يُقاسُ عِظَمها، إذ هي على الله.

«إنَّه لا يُحبُّ الظالمين» أي: الجانِين، وإذا كان لا يحبّه وقد نَدَبَ إلى العَفْوِ عنه، فالمؤمن الذي يُحبُّه اللهُ أَولى أَنْ يُعفَى عنه، أو: «لا يحبُّ الظالمين» مَن تَجاوَزَ واعْتَدى مِن المجنيِّ عليهم إذا اقتصُّوا وخصوصاً في حالة الحَرَدِ[٣] والتهابِ الحميَّة، فربَّما يَظلم وهو لا يَشعر، وفي الحديث: «إذا كان يومُ القيامة نادَى منادٍ:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٠٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٠، وقولهما عند الطبري ٢٠/ ٥٢٥، وقول ابن أبي نجيح أيضاً عند النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٣.

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في النسخ، واستدرك من تفسير الرازيّ ٢٧/ ١٨١ ـ والكلام منه ـ وينظر روح المعاني ٢٤/ ٣١١، ونَقَل الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٢٠٧ عن ابنِ أبي نجيح والسُّدّيّ قولهما: إذا قال: أخزاهُ اللهُ، أو: لَعَنَهُ اللهُ، أنْ يقول مِثْلَه، ولا يقابل القذف بقذف، ولا الكذب بكذب.

(٣) هو: الغَضَب. الصحاح (حرد).

مَن كان له على الله أَجْرٌ فليَقُم. قال: فيَقوم خَلْقٌ، فيُقال لهم: ما أَجرُكم على الله؟ فيقولون: نحن عَفَونا عمَّن ظَلَمنا. فيُقال لهم: ادْخُلُوا الجنّة بإذن الله»[١].

واللام في «ولَمَن انتَصَر» لامُ توكيد، قال الحوفيُّ: وفيها معنى القَسَم، وقال ابنُ عطيَّة: لامُ التقاءِ القَسَم. يَعْنِيان أنَّها اللامُ التي يُتَلقَّى بها القَسَم، فالقَسَم قَبْلَها محذوفٌ، و«مَن» شرطيّة، وحُمل «انتَصَر بَعْدَ ظُلْمه» على لفظ «مَن»، و«فأولئك» على معنى «مَن»، والفاء جواب الشَّرْط، و«ظلمه» مصدرٌ مضاف إلى المفعول، قال الزمخشريُّ: ويُفسِّره قراءةُ مَن قرأ: «بَعْدَ ما ظُلِمَ»[٢].

«ما عليهم مِن سبيل» قيل: أي: مِن طريقٍ إلى الحَرَج، وقيل: «مِن سبيلٍ» للمعاقب ولا المعاتب والعاتب، وهذه مبالغةٌ في إباحة الانتصار.

«إنَّما السبيلُ» أي: سبيل الإِثْم والحَرَج «على الذين يَظلمون» أي: يبتدئون بالظُّلْم «ويَبغون في الأرض» أي: يتكبَّرون فيها ويَعْلُون ويُفسِدون، وقيل: «يظلمون الناسَ» أي: يَضَعون الأشياءَ غيرَ مواضعها؛ مِن القَتْل وأَخْذِ المال والأَذَى باليد واللسان والبَغْي بغيرِ الحقِّ، فهو نوعٌ مِن أنواعِ الظُّلم خصَّه بالذِّكْر؛ تنبيهاً على شدَّته وسُوء حالِ صاحبه[٣]. انتهى.

«ولَمَن صَبَر» أي: على الظُّلْم والأذى «وغَفَر» ولم يَنتصِر، واللام في «ولَمَن» يَجوز أَنْ تكون اللامَ الموطِّئة للقَسَم المحذوف، و«مَن» شرطيَّة، وجواب القَسَم قوله: «إنَّ ذلك»، وجواب الشَّرْط محذوفٌ؛ لدلالة جوابِ القَسَم عليه، ويجوز أَنْ تكون اللامُ لامَ الابتداء، و«مَن» موصولة مبتدأ، والجملة المؤكّدة بـ «إنَّ» في موضع الخبر.

---

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ١٨١، والخبر في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠١ بإسناده إلى ابنِ عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وأخرجه أيضاً ابنُ مردويه كما في الدر المنثور ١٣/ ١١٧.
وأخرجه أيضاً ابنُ أبي عاصم في الجهاد (٢٠٨)، والطبراني في الأوسط (١٩٩٨)، والعقيلي في الضعفاء (٣٥٤)، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١٨٧ عن أنس بنحوه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٩٥: رواه الطبراني في الأوسط.. وفي إسناده: الفضل بن يسار، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. اهـ.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٣، ولم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٩/ ٥٦٣، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٠٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠.

وقال الحوفيّ: «من» رفع بالابتداء وأضمرَ الخبر، وجواب الشَّرْط «إنَّ» وما تعلَّقت به، على حَذْفِ الفاء، كما قال الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَناتِ اللهُ يَشْكُرها[1]

أي: فالله يَشْكُرها. انتهى. وهذا ليس بجيِّد؛ لأنَّ حذفَ الفاء مخصوصٌ بالشعر عند سيبويه، والإشارة بـ «ذلك» إلى ما يُفهم مِن مَصْدر: «صَبَر وغَفَر»، والعائد على الموصول المبتدأ مِن الخبر محذوف، أي: «إنَّ ذلك» منه ـ لدلالة المعنى عليه ـ «لمن عَزْم الأمور» إن كان «ذلك» إشارةً إلى المصدر المفهوم مِن قوله: «ولَمَن صَبَر وغفَر» لم يكن في «عَزْم الأمور» حذف، وإن كان «ذلك» إشارةً إلى المبتدأ، كان هو الرابطَ، ولا يَحتاج إلى تقدير: منه، وكان في «عزم الأمور» حَذْفٌ، أي: إنَّه لمن ذَوي عَزْمِ الأمور.

وسَبَّ رجلٌ آخرَ في مجلسِ الحَسَن، فكان المسبوبُ يَكظم ويَعْرَق فيمسح العَرَق، ثم قام فتَلا هذه الآية، فقال الحسن: عَقَلها واللهِ، وفَهِمَها لمَّا ضَيَّعَها الجاهلون[2].

والجملة مِن قوله: «إنَّما السبيل» اعتراضٌ بينَ قوله: «ولَمَن انتصر» وقوله: «ولَمَن صَبَر».

«ومَن يُضلل اللهُ فما له مِن وليٍّ مِن بَعْدِه» أي: مِن ناصرٍ يتولَّاه مِن بَعْدِه، أي: مِن بَعْدِ إضلاله، وهذا تحقيرٌ لأَمْرِ الكفرة.

«وتَرَى الظالمينَ» الخطاب للرَّسول، والمعنى: وتَرَى حالَهم وما هم فيه مِن الحَيْرَة «لمَّا رَأَوُا العذابَ يقولون هل إلى مَرَدٍّ مِن سبيل» أي: هل سبيل إلى الرَّدِّ للدنيا؛ وذلك مِن فظيعِ ما اطَّلعوا عليه وسُوءِ ما يحلُّ بهم.

«وتراهم يُعرَضُون عليها» أي: على النار، دلَّ عليها ذِكْرُ العذاب «خاشعينَ» متضائلينَ صاغرينَ ممَّا يَلحقهم «مِن الذُّلِّ».

---

(١) سلف عند تفسير الآية (١٨٠) من سورة البقرة.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٣، ونَقَله عنه الرازيُّ ٢٧/ ١٨٢، والقرطبيُّ ١٨/ ٤٩٥، وأخرجه عنه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه (١٢٥).

وقرأ طلحة: «مِن الذِّلِّ» بكسر الذال[1]، والجمهور بالضَّمِّ.

والخشوع: الاستكانةُ، وهو محمودٌ، وإنَّما أخرجه إلى الذَّمِّ اقترانُه بالذّلِّ، وقيل: «مِن الذّلّ» متعلِّق بـ «ينظرون مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ» قال ابنُ عباس: ذليل[2]. انتهى.

قيل: ووصفَ بالخَفَاء، لأنَّ نَظَرهم ضعيفٌ ولَحْظهم بمهابة، قال الشاعر:

فَغُضّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيْرٍ[3]

وقيل: يُحشَرون عُمْياً، ولمَّا كان نَظَرهم بعيونِ قُلوبهم، جَعَله طَرْفاً خفيًّا، أي: لا يَبدو نَظَرهم، وهذا التأويلُ فيه تكلُّف. وقال السُّدِّيُّ وقتادة: المعنى: يُسارِقون النَّظَر؛ لِمَا كانوا فيه مِن الهَمِّ وسُوء الحال لا يَستطيعون النظرَ بجميعِ العين، وإنَّما يَنظرون مِن بعضها، فيَجوز على هذا التأويل أنْ يكون الطَّرْف مصدراً، أي: «مِن» نَظَر «خَفِيٍّ»[4].

وقال الزمخشريُّ: «مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ» أي: يَبْتَدِئُ نَظَرُهم مِن تحريكٍ لأجفانهم ضعيفٍ خَفِيّ بمسارقة، كما ترى المصبورَ[5] يَنظر إلى السيف، وهكذا نَظَرُ الناظرِ إلى المكارِه لا يَقْدِرُ أنْ يَفتحَ أجفانَه عليها ويَملأ عينَيْه منها، كما يَفعل في نَظَره إلى المَحَابِّ[6].

❁ ❁ ❁

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١.

(٢) المصدر السابق، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠١، والنكت والعيون ٥/ ٢١٠، وزاد المسير ٧/ ٢٩٤، وأخرجه عنه - وعن مجاهدٍ أيضاً - الطبريُّ ٢٠/ ٥٣٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠١، والنكت والعيون ٥/ ٢١٠، وعجز البيت:

فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وهو لجرير، ديوانه ١/ ٨٢١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١، وقول قتادة والسدي عند الطبري ٢٠/ ٥٣٣.

(٥) هو مَن يُقتَل في غير حرب، فيُقدَّم للقتل موثقاً، فهو يَنظُر لسيفِ مَن يضرب عنقه نظراً يسارقه. حاشية الشهاب الخفاجي ٧/ ٤٢٦.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٧٤.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ
إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ
أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن
يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ
إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ
رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا
كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ
ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

الظاهر أنَّ «وقال» ماضٍ لفظاً ومعنًى، أي: وقال الذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويكون «يوم القيامة» معمولاً لـ «خَسِروا»، ويَحتمل أنْ يكون معنى «وقال»: ويقول، و«يوم القيامة» معمولٌ لـ: ويقول، أي: ويقولوا في ذلك اليوم لمَّا عايَنوا ما حلَّ بالكفَّار.

«وأَهْلِيهم» الظاهر أنَّهم الذين كانوا أهليهم في الدنيا، فإن كانوا معهم في النَّار فقد خَسِروهم؛ إذ لا يَنتفعون بهم، وإنْ كانوا في الجنَّة لِكونهم كانوا مؤمنين كآسِيَة امرأةِ فرعون ـ فهم لا يَنتفعون بهم أيضاً ـ وقيل: أهلوهم ما كان أُعدَّ لهم مِن الحُور لو كانوا آمَنُوا.

والظاهر أنَّ قوله: «أَلَا إنَّ الظالمينَ في عذاب مقيم» مِن كلام المؤمنين، وقيل: استئنافُ إخبارٍ مِن الله تعالى.

«مِن قَبْلِ أَنْ يأتيَ يومٌ» قيل: هو يوم وُرودِ الموت، والظاهر أنَّه يومُ القيامة، و«مِن الله» متعلِّق بمحذوف يدلُّ عليه «لا مَرَدَّ» أي: لا يَرُدُّ ذلك اليومَ ممَّا حَكَمَ الله به فيه.

وقال الزمخشريُّ: «مِن الله»: «مِن» صلَةُ لـ «لا مَرَدَّ»[(١)]. انتهى. وليس بجيِّد؛ إذ لو كان «مِن» صلتَه، لكان معمولاً له، فكان يكونُ اسم «لا» من قبيل المطوَّل، فكان يكون مُعْرَباً منوَّناً.

وقيل: «مِن الله» يتعلَّق بقوله: «يأتي»، أي: «مِن قَبْلِ أَنْ يأتيَ» مِن الله «يومٌ» لا يَقْدِر أحدٌ على ردِّه.

«ما لكم مِن مَلْجَإٍ» تلجؤون إليه فتخلصونَ مِن العذاب «وما لكم مِن» إنكارِ شيءٍ مِن أعمالكم التي تُوردكم النارَ، والنَّكِير مصدر: أَنْكَر، على غيرِ قياس، قيل: ويَحتمل أَنْ يكون اسمَ فاعلٍ للمبالغة، وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ نَكِرَ، معناه: لم يُميِّز.

«فإن أَعْرَضُوا» الآية، تسليةٌ للرَّسول، وتأنيسٌ له، وإزالةٌ لهمِّه بهم، والإنسان يُراد به الجنسُ، ولذلك جاءَ: «وإنْ تُصِبْهم سيِّئةٌ»، وجاء جوابُ الشَّرْط: «فإنَّ الإنسانَ»، ولم يَأْتِ: فإنَّه، ولا: فإنَّهم؛ ليدلَّ على أنَّ هذا الجنس مَوسومٌ بكفران النِّعَم، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦].

ولمَّا ذَكَر أنَّه يَكفُر النِّعَم أَتبع ذلك بأنَّ له مُلْك العالَم العُلْويّ والسُّفْليّ، وانَّه يفعل ما يُريد.

ونبَّه على عظيم قدرته وأنَّ الكائناتِ ناشئةٌ عن إرادته، فذَكَر أنَّه يَهَبُ لبعضٍ إناثاً، ولبعضٍ ذكوراً، ولبعضٍ الصِّنْفَين، ويُعقِم بعضاً فلا يُولد له.

وقال إسحاق بنُ بِشْر: نزلت هذه الآية في الأنبياء، ثم عَمَّت؛ فـ: لوط أبو بناتٍ، لم يُولَد له ذَكَر، وإبراهيم ضِدّه، ومحمَّد ﷺ وعليهما وُلِدَ له الصِّنفان، ويَحيى عقيم[(٢)]. انتهى.

وذكرَ أيضاً مع لوطٍ شُعَيب، ومع يحيى عيسى[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٢ ـ وفيه قول إسحاق بإسناده إليه ـ والنكت والعيون ٥/ ٢١١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٧٥، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٦٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠٢- =

وقَدَّم تعالى هبةَ البناتِ؛ تأنيساً لهنَّ وتشريفاً لهنَّ ليُهْتَمَّ بصونهنَّ والإحسان إليهنَّ، وفي الحديث: «مَنِ ابتُليَ بشيءٍ مِن هذه البنات، فأَحْسَنَ إليهنَّ، كُنَّ له ستراً مِن النار»[(١)].

وقال واثلة بنُ الأسقع: مِن يُمن المرأة تبكيرُها بالأُنثى قَبْلَ الذَّكَر؛ لأنَّ الله تعالى بَدَأَ بالإناث[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: لِمَ قدَّم الإناث على الذُّكور مع تقدُّمِهم عليهنَّ، ثم رَجَع فقدَّمهم؟ ولِمَ عَرَّف الذُّكورَ بَعْدَما نَكَّر الإناثَ؟

قلت: لأنَّه ذَكَر البلاءَ في آخِرِ الآيةِ الأُولى وكفرانَ الإنسانِ بنسيانِهِ الرحمةَ السابقةَ عنده، ثم ذَكَّره بذِكْر مُلْكِه ومشيئتِه، وذِكْرِ قسمةِ الأولاد، فقدَّم الإناثَ؛ لأنَّ سياقَ الكلام أنَّه فاعِلٌ ما يَشاؤه لا ما يَشاءُ الإنسان، فكان ذِكْرُ الإناثِ ـ اللآئي مِن جملة ما لا يَشاؤه الإنسانُ ـ أَهَمَّ، والأهمُّ واجبُ التقديم، ولِيَلِيَ الجنسَ الذي كانت العرب تَعَدُّه بلاءً، ذَكَر البَلَاءَ، وأَخَّر الذكور، فلمَّا أخَّرهم لذلك تَدَارَكَ تأخيرُهم ـ وهم أحقَّاءُ بالتقديم ـ بتعريفهم؛ لأنَّ التعريفَ تنويهٌ وتشهيرٌ، كأنَّه قال: ويَهبُ لمَن يشاءُ الفُرْسانَ الأعلامَ المذكورين الذين لا يَخْفَون عليكم، ثم أَعطى بَعْدَ ذلك كِلَا الجنسين حظَّه مِن التقديم والتأخير، وعرَّف أنَّ تقديمهنَّ لم يَكن لتقدُّمِهنَّ، ولكن لمقتضى آخَر، فقال: «ذكراناً وإناثاً»، كما قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾[(٣)] [القيامة: ٣٩]. انتهى.

= ٥٠٣، وتنظر أخبارهم في التعريف والإعلام للسهيلي والبداية والنهاية لابن كثير، وغيرهما من الكتب.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣، والخبر أخرجه البخاريُّ (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩)، وأحمد (٢٤٠٥٥) من حديث عائشة ﵂.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣ نقلاً عن الثعلبي ـ وهو عنده في كتابه الكشف والبيان ٥/ ٤٠٢ بإسناده إليه مرفوعاً ـ وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠١.
قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ١٠٣ (ترجمة ٢٩٠٤ سالم بن إبراهيم): روى سالم، عن حكيم بن خذام ـ متروك ـ عن العلاء بن كثير ـ تالف ـ عن مكحول، عن واثلة مرفوعاً: «من يُمْنِ المرأة تبكيرها بأنثى». اهـ. وينظر أيضاً المقاصد الحسنة للسخاوي (١٢٠٥).

(٣) الكشاف ٣/ ٤٧٥.

وقيل: بَدَأَ بالأنثى ثم ثنَّى بالذَّكر؛ لتنقُّله مِن الغَمِّ إلى الفَرَح، وقيل: ليعلمَ أنَّه لا اعتراضَ على اللهِ فيَرضى، فإذا وَهَبَ له الذَّكَرَ عَلِمَ أنَّه زيادةٌ وفَضْلٌ مِن الله وإحسانٌ إليه. وقيل: قدَّمها؛ تنبيهاً على أنَّه إذا كان العَجْزُ والحاجة أتمّ، كانت عنايةُ الله أكثرَ[1].

وقال مجاهد والضحاك والحسن وأبو مالك وعبيدة[2]: إناثاً لا ذكورَ معهنَّ، وذكوراً لا إناثَ معهنَّ.

وقال القتيبيُّ: التزويج: الجَمْع بين البنين والبنات.

وقال مجاهد: هو أَنْ تَلِدَ المرأةُ غلاماً، ثم تَلِدُ جاريةً.

وقال محمد بن الحنفية أَنْ تلِدَ توأماً غلاماً وجاريةً[3].

وقال أبو بكر بنُ العربي: «أو يُزوِّجهم ذكراناً وإناثاً» قال علماؤنا: يعني آدم، كانت حوَّاء تَلِدُ له في كلِّ بطنٍ تَوأَمين ذَكَراً وأنثى، تزوّج ذَكَر هذا البطن أُنثى البطنِ الآخَر[4]. انتهى.

ولمَّا ذَكَر الهبةَ في الإناث والهبةَ في الذكور، اكتفى عن ذِكْرها في قوله: «أو يُزوِّجهم ذكراناً وإناثاً»، ولمَّا كان العُقْم ليس بمحمودٍ، قال: «ويَجعلُ مَن يشاء عقيماً» وهو قسيمٌ لمن يُولَد له.

ولمَّا كانت الخنثى ممَا يُحزَن بوجوده، لم يَذْكُره تعالى، قالوا: وكانت الخِلْقةُ مستمرَّةً ذكراً وأنثى إلى أَنْ وَقَعَ في الجاهليَّة الأُولى الخنثى، فسُئِلَ فارضُ العَرَب ومُعمَّرها عامر بنُ الظَّرِب عن ميراثه، فلم يَدْرِ ما يقول وأَرْجَأهم، فلمَّا جنَّ عليه الليلُ، جَعَل يتقلَّب وتَذهبُ به الأفكار، وأنكرت خادِمُه حالَه، فسألته فقال: سَهِرتُ

---

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ١٨٤-١٨٥.

(٢) في النسخ: وأبو عبيدة، وكذا وقع في النسخ الخطية لتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠١ بهامشه، والمثبت أعلاه منه ومن معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٢٥، وهو الصواب، وهو عَبِيْدَة السلماني. وينظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٠١.

(٣) ينظر النكت والعيون ٥/ ٢١١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠١-٥٠٢، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٥٣٧-٥٣٩، وقول القتيبي ـ وهو ابن قتيبة ـ في كتابه غريب القرآن ص ٣٩٤.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٦٠، وعنه القرطبي ١٨/ ٥٠٢-٥٠٣.

لأَمْرٍ لا أَدري ما أَقول فيه! فقالت له: ما هو؟ فقال: شخصٌ له ذَكَرٌ وفَرْج، كيف يكون حاله في الميراث؟ قالت له الأَمَة: ورِّثه مِن حيث يَبول، فعَقَلها، وأصبحَ فعَرَضها عليهم فَرضُوا بها، وجاء الإسلامُ على ذلك، وقضى بذلك عليٌّ كرَّم اللهُ وجهه[(١)].

«إنَّه عليم» بمصالح العباد «قديرٌ» على تكوين ما يَشاء.

كان مِن الكفَّار خَوضٌ في معنى تكليم اللهِ موسى، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التَّجسيم، فنزلت[(٢)].

وقيل: كانت قريش تقول: أَلَا تكلِّم اللهَ وتَنْظر إليه ـ إنْ كنتَ نبيّاً صادقاً ـ كما كلَّمه موسى ونَظَر إليه؟ فقال لهم الرَّسول عليه الصلاة والسلام: «لم يَنظُر موسى إلى الله»، فنزلت: «وما كان لبشرٍ أَنْ يُكلِّمه اللهُ»[(٣)] بياناً لصورةِ تكليم الله عبادَه، أي: ما ينبغي ولا يُمكِن إلَّا يُوحَى إليه أَحَد وجوهِ الوَحْي؛ مِن الإلهام، قال مجاهد: أو النَّفْث في القَلْب، قال النقاش: أو: وَحْي في المنام، وقال النَّخَعيُّ: كان في الأنبياء مَن يُخَط له في الأرض، أو بأَنْ يُسْمِعَه كلامَه دونَ أَنْ يَعرفَ هو للمتكلِّم جهةً ولا حَيِّزاً، كموسى عليه السلام، وهذا معنى «مِن وراء حجاب» أي: مِن خفاءٍ عن المتكلِّم لا يَحدّه ولا يتصوَّر بذِهْنه عليه، وليس كالحجاب في الشاهد، أو: بأَنْ يُرسلَ إليه مَلَكاً يُشافِهه بوحي اللهِ تعالى، قاله ابنُ عطيَّة[(٤)].

وقال الزمخشريُّ: وما صحَّ لأحدٍ مِن البشر «أَنْ يُكلِّمه اللهُ» إلَّا على ثلاثة أوجه: إمَّا على طريق الوَحْي وهو الإلهامُ والقَذْف في القلب، أو المَنَامِ كما أوحى إلى أمِّ موسى وإلى إبراهيم ـ عليهما السلام ـ في ذَبْحِ ولدِه، وعن مجاهد:

(١) المصدران السابقان، وقضاء عليٍّ عند البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٦١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٥٠٧ وعزاه للنقاش والواحدي والثعلبي، وهو عند الواحديّ في أسباب النزول ص ٣٩٦، وعند الثعلبيّ في الكشف والبيان ٥/ ٤٠٣، وعزاه للنقاش أيضاً الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٢١٢.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣، وينظر تفسير الثعلبيّ ٥/ ٤٠٣، والنكت والعيون ٥/ ٢١٢، والكشاف ٣/ ٤٧٥.

أَوحى اللهُ الزَّبُورَ إلى داودَ عليه السلام في صَدْرِه، قال عَبيد بنُ الأَبْرَص:

وأَوحــى إلــيَّ اللهُ أَنْ قَــدْ تــآمــروا بإِبْلِ أبي أَوفى فَقُمْتُ على رِجْلي[١]

أي: أَلهمني وقَذَف في قلبي، وإمَّا على أَنْ يُسْمِعَه كلامَه الذي يَخْلُقه في بعضِ الأجرام مِن غير أَنْ يُبصِر السامعُ مَن يُكلِّمه؛ لأنَّه في ذاته غير مَرْئيّ.

وقوله: «مِن وراءِ حجاب» مَثَلٌ، أي: كما يُكلِّم المَلِك المُحتَجِب بعضَ خواصِّه وهو مِن وراءِ الحجاب، فيَسمعُ صوتَه ولا يَرَى شخصَه، وذلك كما كلَّمَ موسى ويُكلِّم الملائكة، وإمَّا على أَنْ يُرسِل إليه رسولاً مِن الملائكة فيُوحِي المَلَك إليه، كما كلَّم الأنبياءَ غيرَ موسى. انتهى. وهو على طريق المعتزلة في استحالةِ رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقيّ عن اللهِ تعالى.

وكلُّ هذه الأقسام الثلاثة يَصْدُق عليها أنَّها وحيٌ، وخصّ الأُولى باسم الوحي هنا؛ لأنَّ ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يَقَعَ دفعةً واحدةً، فكان تخصيصُ لفظ الوحي به أَولى، وقيل: وحياً كما أَوحى إلى الرُّسُل بواسطة الملائكة، «أو يرسل رسولاً» أي: نبيًّا، كما كلَّم أُمَم الأنبياء على ألسنتهم. حكاه الزمخشريُّ[٢].

وترك تفسير «أو مِن وراءِ حجاب»، ومعناه في هذا القول: كما كلَّم محمَّداً وموسى صلى الله عليهما وسلم.

وقرأ الجمهور: «حجاب» مفرداً، وابنُ أبي عبلة: «حُجُب» جمعاً[٣]، والجمهور: «أو يُرسِلَ رسولاً فيُوحيَ» بنصب الفِعْلَين؛ عطف، «أو يرسل» على المُضمَر الذي يتعلَّق به «مِن وراءِ حجاب»، تقديره: أو يكلّمه مِن وراءِ حجاب، وهذا المُضمَر معطوفٌ على «وَحْياً»، والمعنى: إلَّا بوحيٍ أو إسماعٍ مِن وراء حجاب، أو إرسالِ رسولٍ، فيُوحِي ذلك الرَّسولُ إلى النبيِّ الذي أُرسلَ عنه بإذنِ الله ما يَشاءُ، ولا يَجوز أَنْ يعطفَ «أو يرسل» على «أَنْ يُكلِّمه اللهُ»؛ لفساد المعنى.

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٥، ولم نقف على بيت عبيد في ديوانه المطبوع ولا في المصادر الأدبية التي بين أيدينا، ونَقَله عن المصنِّف الآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٢١.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٥.

(٣) لم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٩/ ٥٦٨، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٢٦.

وقال الزمخشريُّ: و«وحياً» و«أنْ يُرسِل» مصدرانِ واقعانِ موقعَ الحال؛ لأنَّ «أنْ يُرسِل» في معنى: إرسالاً، و«مِن وراء حجاب» ظرفٌ واقعٌ موقعَ الحالِ أيضاً، كقوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، والتقدير: وما صحَّ أنْ يُكلِّم أحداً إلَّا مُوحياً أو مُسمِعاً مِن وراءِ حجاب، أو مُرسِلاً[١]. انتهى.

أمَّا وقوعُ المصدر موقعَ الحال فلا يَنقاس، وإنَّما يُقال منه ما قالته العرب، ولذلك لا يَجوز: جاءَ زيدٌ بكاءً، تريد: باكياً، وقاسَ منه المُبَرِّد ما كان نوعاً للفِعْل، نحو: جاء زيدٌ مشياً، أو سرعةً، ومَنَعَ سيبويه أن يَقَع «أنْ» والفعل المقدَّر بالمصدر موقعَ الحالِ، فلا يجوز: جاء زيدٌ أنْ يَضْحَكَ، في معنى: ضَحِكاً، الواقع موقعَ: ضاحكاً، فجعله «وحياً» مصدراً في موضع الحال ممَّا لا يَنقاس، و«أنْ يرسل» في معنى إرسالاً الواقع موقع: مرسلاً، ممنوعٌ بنصِّ سيبويه[٢].

وقرأ نافع وأهلُ المدينة: «أو يُرسِلُ رسولاً فيُوحي» بالرَّفْع فيهما[٣]، فخرجَ على إضمار «هو» أي: أو هو يرسل، أو على ما يتعلَّق به «مِن وراء»، إذ تقديره: أو يُسمِع مِن وراء حجاب.

و«وَحْياً» مصدرٌ في موضع الحال، عطف عليه ذلك المقدَّر المعطوف عليه «أو يرسل»، والتقدير: إلَّا موحياً أو مسمعاً مِن وراء حجاب، أو مرسلاً،

وإسنادُ التكلّم إلى اللهِ بكونه أرسل رسولاً ـ مجازٌ، كما تقول: نادَى المَلِكُ في الناس بكذا، وإنَّما نادى البريح[٤] الدَّائر في الأسواق، نُزِّلَ ما كان بواسطةٍ منزلةَ ما كان بغيرِ واسطة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٥.
(٢) ينظر المقتضب ٣/ ٢٤٣ و٢٦٩ و٤/ ٣١٢، والكتاب ١/ ٣٩٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣، وزاد: ابنَ عامر. وهي في رواية ابنِ ذكوان عنه، كما في النشر ٢/ ٣٦٨، ولأنَّ قراءته المشهورة عنه كقراءة الجمهور، وقراءة نافع في السبعة ص ٥٨٢، والتيسير ص ١٩٥، والنشر ٢/ ٣٦٨.
(٤) لم تُنقَط هذه اللفظة في معظم النسخ الخطية، ووقع في (ت): البريح، وفي مطبوع البحر: الريح. والمثبت هو الصواب، يقال: بَرَّح: نادى وأعلن أمراً من السلطان، و: بَرَّاح: منادٍ عامّ. تكملة المعاجم العربية لدوزي ١/ ٢٧٥-٢٧٦ (برح)، وينظر نفح الطيب ٥/ ٨٩ حيث أوردَ ضمن خبرٍ: . . . فقعد السلطانُ بقبة العرض من جنّة المصارة، وبرز الناس وقد أسمعهم البريح، الخبر.

قال ابنُ عطيَّة: وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الرسالةَ مِن أنواعِ التكليم، وأنَّ الحالفَ المُرْسِلَ حانِثٌ إذا حَلَفَ أنْ لا يُكلِّم إنساناً فأرسل إليه، وهو لم يَنْوِ المشافهَة وقتَ يمينه[1]. انتهى. «إنَّه عَلِيٌّ» عن صفاتِ المخلوقين «حكيمٌ» تَجري أفعالُه على ما تَقتضيه الحكمة، يُكلِّم بواسطة وبغيرِ واسطة.

«وكذلك أَوحينا» أي: مِثْل ذلك الإيحاء الفَصْل «أَوحينا إليك» إذ كان عليه الصلاة والسلام اجتمعت له الطُّرُق الثلاث: النَّفْث في الرُّوع، والمنام، وتكليمُ اللهِ له حقيقةً ليلةَ الإسراء، وإرسال رسولٍ إليه ـ وهو جبريل ـ وقيل: كما أَوحينا إلى الأنبياء قَبْلَك «أوحينا إليكَ روحاً مِن أمرنا».

قال ابنُ عباس: النبوَّة، وقال السُّدِّيُّ: الوحي، وقال قتادة: رحمة، وقال الكلبيُّ: كتاباً، وقال الربيع: جِبريل، وقيل: القرآن، وسمّى ما أوحى إليه رُوحاً؛ لأنَّ به الحياة مِن الجهل. وقال مالك بنُ دينار: يا أَهلَ القرآن ماذا زَرَعَ القرآن في قلوبكم، فإنَّ القرآنَ ربيعُ القلوب، كما أنَّ الغيثَ ربيعُ الأرض[2].

«ما كنت تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ» توقيفٌ على عِظَم المنَّة، وهو ﷺ أعلمُ الناسِ بها، وعطف «ولا الإيمان» على «ما الكتاب» وإنَّما معناه الإيمانُ الذي يُدْرِكه السمعُ؛ لأنَّ لنا أشياءَ مِن الإيمان لا تُعلَم إلَّا بالوحي، أمَّا توحيدُ الله تعالى وبَرَاءته من النقائصِ ومعرفةُ صفاته العُلَا، فجميع الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام عالمونَ ذلك معصومونَ أنْ يَقعَ منهم زَلَلٌ في شيء مِن ذلك، سابقٌ لهم عِلْم ذلك قَبْلَ أن يُوحى إليهم، وقد أطلق «الإيمان» على الصلاة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] إذ هي بعضُ ما يتناوله الإيمان، ومَن طالَعَ سِيَرَ الأنبياء مِن نَشْأَتهم إلى مَبْعَثِهم تحقَّق عنده أنَّهم معصومونَ مِن كلِّ نقيصةٍ مُوحِّدون لله منذ نَشَؤوا، قال اللهُ تعالى في حقِّ يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٥٠٨، والإشراف لابن المنذر ١/ ٤٧٤.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٤، والنكت والعيون ٥/ ٢١٠، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٢، وزاد المسير ٧/ ٢٩٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠٩، وقول قتادة والسديّ عند الطبري ٢٠/ ٥٤٢، وقول مالك بن دينار عند أحمد في الزهد ص ٣٨٦، وأبي نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨.

صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢]، قال معمر: كان ابنَ سنتين أو ثلاثٍ[١]، وعن أبي العالية: «ما كنت تدري» قَبْلَ الوحي أنْ تَقْرَأَ القرآن، ولا كيفَ تدعو الخَلْقَ إلى الإيمان[٢].

وقال القاضي[٣]: «ولا الإيمان»: الفرائض والأحكام، قال: وكان قَبْلُ مؤمناً بتوحيدِ الله، ثم نزلت الفرائضُ التي لم يَكن يَدْريها قَبْلُ، فزاد بالتكليف إيماناً.

وقال القشيريُّ: يجوز إطلاقُ «الإيمان» على تفاصيلِ الشَّرْع، وقال الحسين بنُ الفَضْلِ: هو على حذفِ مضاف، أي: ولا أَهْلَ الإيمان أي: مَن الذي يُؤمِن: أبو طالب، أو العبَّاس أو غيرهما؟ وقال علي بنُ عيسى: إذ كنتَ في المهد، وقيل: «ما الكتاب» لولا إنعامنا عليك، «ولا الإيمان»: لولا هدايتنا لك[٤].

وقيل: أي: كنتَ مِن قوم أُمِّيِّينَ لا يَعرفون الإيمانَ ولا الكتابَ، فتكون أخذتَ ما جئتَهم به عمَّن كان يَعلم ذلك منهم.

«ما الكتاب» جملةٌ استفهاميَّة، مبتدأ وخبر، وهي في موضع نصب بـ«تدري»، وهي معلّقة. «ولكن جَعلناهُ نُوراً» يَحتمل أنْ يعودَ إلى قوله: «روحاً» وإلى «الكتاب» وإلى «الإيمان»، وهو أقربُ مذكور، وقال ابنُ عطيَّة: عائدٌ على «الكتاب»[٥]. انتهى.

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٥١٠، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٤، والطبريُّ ١٥/ ٤٧٤، وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٣/ ٤٢٣ عن قتادة، وأورد عن مقاتل أنَّه كان ابنَ ثلاث سنين، وينظر النكت والعيون ٣/ ٣٦٠، وزاد المسير ٥/ ٢١٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٥١٤، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٤، وزاد المسير ٧/ ٢٩٨، وأورد الكلام السمرقنديُّ في تفسيره ٣/ ٢٠١ ولم ينسبه.

(٣) أي: بكر بن العلاء القشيري، من قضاة المالكية، والكلام من تفسير القرطبي ١٨/ ٥١٤ نقلاً عن القاضي عياض في كتابه الشفا ٢/ ٢٦٦، وينظر أيضاً شرحه للملا عليّ القاري ٢/ ١٧٧ و٢٠٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٥١٤-٥١٥، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٤، والنكت والعيون ٥/ ٢١٢، وشرح الشفا ٢/ ٢٠٥، ويعني بالقشيري: الأستاذ عبد الكريم بن هوازن، أو: ولده عبد الرحيم. كما في شرح الشفا، والكلام في لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن ٣/ ٣٦٠ بنحوه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤.

وقيل: يعود إلى «الكتاب» و«الإيمان» معاً؛ لأنَّ مقصدهما واحد، فهو نظير: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقرأ الجمهور: «لَتهْدِي» مضارع: هَدَى، مبنيًّا للفاعل، وحوشب: مبنيًّا للمفعول[1]، فهو إجابةُ سؤالِه عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «لتُهْدِي» بضمِّ التاء وكسر الدالِ، وعن الجحدريِّ مِثْلها، ومِثْل قراءةِ حوشب[2].

«صراط مستقيم» قال عليٌّ: هو القرآنُ، وقيل: الإسلام[3].

«أَلَا إلى اللهِ تَصيرُ الأمور» أَخبر بالمضارع والمرادُ به الديمومة، كقولك: زَيدٌ يُعطِي ويَمنَع، أي: مِن شأنه ذلك، ولا يُراد به حقيقة المستقبل؛ إذ جميع الأمور صائرة على الدوام إليه، وقيل: المراد به المستقبل، أي: تَرِدُ جميعُ أمورِ الخَلْقِ إليه تعالى يومَ القيامة، فيقضي بينهم بالعَدْل، وخصّ ذلك بيوم القيامة؛ لأنَّه لا يُمكِن لأحدٍ أَنْ يَدَّعي فيه لنفسه شيئاً.

---

(١) أي: «لتُهْدَى». المصدر السابق، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥١٦، وزادَ نسبتها لعاصم الجحدري في رواية، وهي عنه في النكت والعيون ٥/ ٢١٣، وعنهما في القراءات الشاذة ص ١٣٤، ورُسمت في مطبوعه هكذا: «لتُهْدى» دون الإشارة إلى الحرف الأخير، هل هو ياء، فتكون: «لتُهْدِي»، أم ألف مقصورة، فتكون: «لتُهْدَى»؟ وينظر الكشاف ٣/ ٤٧٦، والقراءة الآتية والتي بعدها، مع الإشارة إلى أنَّ القراءة وردت في الدر المصون ٩/ ٥٦٨، واللباب ١٧/ ٢٢٤ عن ابنِ حوشب، وليس عن: حوشب. وابن حوشب هو: شَهْر.
وأمَّا حوشب: فلعلَّه: ابن عقيل الجَرْمي أبو دحية البصري، روى عن الحسن البصري وابن جريج وغيرهما، وعنه: زيد بن الحُباب وسليمان بن حرب وسليمان الطيالسي وغيرهم، ولعلَّه: ابن مسلم الثقفي مولى الحجَّاج، روى عن الحسن البصري، وعنه: جعفر بن سليمان الضبعي وشعبة بن الحجاج وغيرهما. تهذيب الكمال. والله تعالى أعلم بالمراد.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤، وينظر التعليق السابق.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٥١٦، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢١٣، وفيه أن القول الثاني رواه النواس بن سمعان، عن النبيّ ﷺ، وهو عند أحمد (١٧٦٣٤)، وينظر خبر علي المرفوع عند الترمذي (٢٩٠٦)، وأحمد (٧٠٤).

مفردات سورة الزخرف

قال الفَرَّاء[1]: يَعْشُو: يُعْرِض، ويَعْشَى: يَعْمَى[2]. وقال ابنُ قتيبة: لم نَرَ أحداً حكى: عَشَوتُ عن الشيء: أعرضتُ عنه، وإنَّما يقول: تَعاشَيْتُ عن كذا وتَعامَيْتُ: إذا تغافلت عنه، وتقول: عَشَوت إلى النَّار: إذا اسْتَدْلَلت عليها ببَصَرٍ ضعيفٍ[3].

وقيل: عَشِيَ يَعْشَى: إذا حصلت الآفةُ في بَصَره، وعَشَا يَعْشُو: نَظَرَ العُشِيّ ولا آفَةَ به، كما قالوا: عَرَجَ لمن به الآفةُ، وعرج لمَنْ مَشَى مِشْيَةَ العُرْجان مِن غير عَرَجٍ، قال الحطيئة:

مـتـى تَـأْتـه تَـعْـشُـو إلـى ضـوءِ نـارِهِ　　　تَـجِدْ خيرَ نـارٍ عـنـدَهـا خيـرُ مُـوقِـدِ[4]

أي: تنظر إليها نَظَر العُشِيّ لِمَا يُضْعِف بَصَرَكَ مِن عِظَمِ الوَقود به، ومنه قول حاتم:

أَعْــشُــو إذا مــا جــارتــي بَــرَزَت　　　حــتــى يــواري جــارتــي الــخِــدْرُ[5]

الصَّحْفَة قال الجوهريُّ: هي كالقَصْعَة، وقال الكسائيُّ: أَعْظَمُ القِصَاعِ الجَفْنَة، ثمّ القَصْعة تليها تسع[6] العَشَرَةَ، ثم الصَّحْفَة تسعُ[7] الخمسةَ، ثم المِئْكَلَة تسعُ

---

(١) في مطبوع البحر: قاله الفراء. مع الإشارة إلى أن العبارة وقعت فيه في آخر الجزء السابع ثم ابتدأ الجزء الثامن ببداية سورة الزخرف.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/٤٦-٤٧، وعزاه أيضاً لقتادة، وهو عند الطبريّ ٢٠/٥٩٦، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٣٢.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٣٩٨، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٧.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٨٧-٤٨٨، والبيت في ديوان الحطيئة ص١٦١.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٨٨، والبيت سلف عند تفسير الآية (١٨) من سورة البقرة.

(٦) في النسخ: تَسَع، وكذا هي في الأصول الخطية لكتاب الجراثيم، وتفسير القرطبي ١٨/ ٨١، والصحاح (صحف)، واللسان (صحف)، وتهذيب اللغة.

(٧) كذا في النسخ والأصلِ الخطي لكتاب الجراثيم لابن قتيبة ١/ ٤١٥ بهامشه ـ ولعلَّها بمعنى: =

الرَّجُلَين والثلاثة، والصَّحيفة: الكتاب، والجمع: صُحُف وصَحَائف.

الكُوب: قال قطرب: الإبْرِيق لا عُرْوَةَ له، وقال الأخفش: الإبريق لا خرطومَ له[١].

وقيل: كالإبريق إلَّا أنَّه لا أُذُنَ له ولا مِقْبَض[٢].

قال أبو منصور الجواليقيُّ: إنَّما كان بغير عروةٍ ليَشْرَب الشاربُ مَن أينَ شاءَ؛ لأنَّ العروةَ تَرُدُّ الشاربَ مِن بعضِ الجهات[٣]. انتهى. وقال عدي:

مُتَّكِئاً تَصْفِقُ أبوابُه يَسْعَى عليه العَبْدُ بالكُوب[٤]

أبْرَم: قال النَّحَّاس[٥]: أَبْرَمَ الأَمْرَ: بالَغَ في إحكامه، وأَبْرَمَ الفَاتِلُ: إذا أَحكم [الفَتْلَ] وهو الفَتْلُ الثاني[٦]، والأوَّل يقال له: سَحِيلٌ، كما قال زهير:

... مِن سَحِيلٍ ومُبْرَمِ[٧]

انتهى.

والإبرام: أنْ يَجمعَ خيطين ثم يَفتلهما فَتْلاً مُتْقَناً، والبَرِيْم: خيطٌ فيه لونان[٨].

= تكفي ـ والذي في مطبوعه والصحاح واللسان (صحف) وتهذيب اللغة ٤/ ٢٥٥ (صحف)، وتفسير القرطبي ١٨/ ٨١ وغيرها من مصادر: تشبع.

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٣٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨١، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٣.

(٣) زاد المسير ٧/ ٣٢٨.

(٤) المصدر السابق، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨١، والبيت في تهذيب اللغة ١٠/ ٤٠٠، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧، والصحاح واللسان (كوب)، وأشار محقِّق مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦ إلى أنَّ البيتَ ورد بهامش بعضِ نُسَخه الخطيَّة مطموساً.

(٥) في النسخ: الفراء. والمثبت من معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٨٦ والكلام منه، والذي في معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٨: «أبرموا أمراً» ينجيهم من عذابنا عند أنفسهم، «فإنَّا مبرمون»: معذبوهم. اهـ. وكذا نَقَلَ عنه النحاس، ثمَّ ذَكَر الكلامَ المذكور أعلاه، فلعلَّه سبق نَظَر من المصنِّف، والله تعالى أعلم، وينظر أيضاً زاد المسير ٧/ ٣٣٠.

(٦) في مطبوع البحر: وأبرم القاتل إذا أدهم وهو القتل الثاني؟! وما ورد بين حاصرتين استدرك من معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٨٦.

(٧) المصدر السابق، وتمام البيت: يميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجدتما، على كلِّ حال... وهو في ديوان زهير ص١٤.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٦٥، وينظر الجراثيم لابن قتيبة ١/ ٤٢١، والصحاح واللسان (برم).

سورة الزخرف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ۝١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨﴾.

هذه السُّورة مَكِّيَّة، وقال مقاتل: إلَّا قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾[1] [الآية: ٤٥]، وقال ابن عطيَّة: مَكِّيَّة بإجماعٍ مِن أهلِ العلم[2].

«إنَّا جعلنَاهُ» أي: صَيَّرناهُ، أو: سَمَّيناهُ، وهو جوابُ القَسَم، وهو مِن الأقسام الحَسَنة؛ لتناسب القَسَم والمقسَم عليه وكونهما مِن وادٍ واحدٍ، ونظيره قولُ أبي تمام:

وثَـنَـايَـاكِ إنَّـهـا إغْـرِيـض[3]

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٧، وزاد المسير ٧/ ٣٠١، وتفسير القرطبي ١٩/ ٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٧٧، وعجز البيت: ولآلٍ تومٌ وبَرْقٌ وَمِيْضُ، وهو في شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ٢/ ٢٨٧، قال شارحه: والإغريض: الطَّلْع، وقيل: إنَّ البرد يُسمَّى إغريضاً، ويقال للؤلؤة العظيمة: تُومَة، والجمع تُوم، شبَّه بياض ثناياها ببياضه، وأقسم بثناياها.

وقيل: «والكتاب» أُريدَ به الكُتُب المُنزلة، والضمير في «جعلناه» يَعود على القرآن وإن لم يتقدَّم له صريحُ الذِّكر؛ لدلالة المعنى عليه.

وقال الزمخشريُّ: «جعلناه» بمعنى: صيَّرناه، معدًّى إلى مفعولَيْن، أو بمعنى: خَلَقْناه، معدًّى إلى واحد، كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] ولعلَّه مستعارٌ لمعنى الإرادة لتُلاحِظَ معناها ومعنى التَّرجِّي، أي: خَلَقْناهُ عربيًّا غيرَ عجميٍّ؛ إرادة أَنْ تَعْقِلَهُ العَرَبُ ولئلَّا يقولوا: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[1]. انتهى. وهو على طريق الاعتزال في كونِ القرآن مخلوقاً.

و«أمُّ الكتاب» اللوح المحفوظ؛ لأنَّه الأصلُ الذي أُثبتت فيه الكُتُب، وهذا فيه تشريفٌ للقرآن، وترفيعٌ بكونه لديه عَلِيًّا على جميعِ الكتب وعالياً عن وجوهِ الفساد.

«حكيماً» أي: حاكماً على سائرِ الكُتُب، أو مُحكماً بكونه في غاية البلاغة والفَصَاحة وصحَّة المعاني.

قال قتادة وعكرمة والسُّدِّيُّ: اللوحُ المحفوظُ القرآنُ فيه بأَجْمَعِه منسوخٌ، ومنه كان جبريلُ ينزلُ[2].

وقيل: «أمّ الكتاب»: الآياتُ المُحكَماتُ، لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. ومعناه أنَّ سورة ﴿حمٓ ۝١﴾ واقعةٌ في الآيات المُحكَمات التي هي الأمُّ.

وقرأ الجمهور: «في أُمِّ» بضمِّ الهمزة، والأَخَوان: بكسرها[3]، وعزاها ابنُ عطيَّة: ليوسف بن عُمر والي العراق، ولم يَعْزُها للأَخوين؛ غَفْلَةً منه[4].

يقال: ضَرَب عن كذا، وأَضْرَبَ عنه: إذا أَعرضَ عنه، و«الذِّكْر» قال الضحاك

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٧.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٥٤٧.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٧، وقراءة الأخوين حمزة والكسائي في السبعة ص٢٢٨، والتيسير ص٩٤، والنشر٢/ ٢٤٨، وهي عنهما حالةَ الوصل، أمَّا عند الابتداء فبالضَّمِّ.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، وفيه أنَّ القراءة معزوَّة أيضاً لعيسى بن عمر، ولعلَّه: أبو عُمر الثقفي إمامُ النحو والعربية والقراءة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وعنه الأصمعيُّ وغيره، وسلف مراراً وتكراراً. بغية الوعاة ٢/ ٢٣٧-٢٣٨، وغاية النهاية ١/ ٦١٣.

=

وأبو صالح: القرآن[1]، أي: أفنُزِيلُ عنكم القرآن، مِن قولهم: ضَرَبَ الغرائبَ عن الحوض: إذا ذَادَها ونَحَّاها، وقال الشاعر:

اضْـرِب عـنـكَ الـهـمـومَ طـارِقَـهـا[2]

وقيل: «الذِّكر»: الدُّعاء إلى الله، والتخويف مِن عقابه.

قال الزمخشريُّ: والفاء للعطف على محذوف، تقديره: أَنُهْمِلكم فَنُضْرِب عنكم الذِّكرَ إنكاراً لأنْ يكونَ الأَمْرُ على خلافِ ما قدّم مِن إنْزاله الكتابَ، وخَلْقِه قرآناً عربياً ليَعقلُوه ويَعملوا بموجبه[3]. انتهى.

وتقدَّم الكلامُ معه[4] في تقديره فِعْلاً بينَ الهمزة والفاء، في نحو: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وبينها وبين الواوِ في نحو: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ أنَّ المذهب الصحيحَ قولُ سيبويه والنَّحويِّين؛ أنَّ الفاءَ والواوَ مَنوِيٌّ بهما التقديم؛ لعَطْف ما بَعْدَهما على ما قَبْلَهما، وأنَّ الهمزة تقدَّمت لكون الاستفهام له صَدْر الكلام فلا حذف بين الهمزة والحرف، وقد رَدَدْنا عليه قولَه.

وقال ابنُ عباس ومجاهد: المعنى: أَفَنَتْرُك تَذْكيرَكم وتخويفَكم عَفْواً عنكم وغُفْراً عن إجرامكم أن كنتم، أو: مِن أَجْل «أَنْ كُنتم قوماً مسرفين» أي: هذا

= وأما والي العراق، فهو: يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي أمير العراقين وخراسان لهشام بن عبد الملك، ضُربَ عنقه سنة سبع وعشرين ومئة، وقيل: رَمَوه قتلاً. سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٢-٤٤٤. ويُنظر خبر عيسى بن عمر - مع الآنف الذكر - في تاريخ الإسلام للذهبي أيضاً ٤/ ١٧٨-١٧٩.

(١) الذي في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦ والكلام منه: وقال أبو صالح: «الذكر» هنا هو العذاب نفسه، وقال الضحاك ومجاهد: «الذكر»: القرآن. اهـ. وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٦، وزاد المسير ٧/ ٣٠٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٨، قال الثعالبيُّ في ثمار القلوب ص٣٤٨: من أمثال العرب: ضربَ ضَرْبَ غرائِب الإبل، وذلك أنَّ ربَّ الإبل إذا أوردها ذاد عنها الغرائبَ بالضرب... إلى آخر كلامه.

وعجز البيت: ضربك بالسيف قونس الفرس، وهو لطرفة بن العبد، وسلف.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٧٨.

(٤) عند تفسير الآية (٧٥) من سورة البقرة.

لا يَصلُح[١]، ونَحَا قتادة إلى أنَّ المعنى: «صَفْحاً» أي: مغفولاً عنه، أي: نتركه، ثم لا تُؤْخذونَ بقَبوله ولا بتدبُّره ولا تُنَبَّهون عليه، وهذا المعنى نظيرُ قولِ الشاعر:

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحاً بسَاكِنِ ذي الغَضَا ويَصْدَعُ قلبي أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُها[٢]

وقول كُثَيِّر:

صفوحاً فما تَلْقاكَ إلَّا بخيلةً فمَن مَلَّ منها ذلك الوَصْلَ مَلَّتِ[٣]

وقال ابنُ عباس أيضاً: المعنى: أفحسبتم أَنْ يَصْفَحَ عنكم ولمَّا تفعلوا ما أُمرتم به[٤]، وقال الكلبيُّ: أَنْ نَتْرُكَكم هَمَلاً[٥] بلا أَمْرٍ ولا نهي[٦]. وقال مجاهد أيضاً: أَنْ لا يعاقبكم بالتكذيب[٧]، وقيل: أَنْ يَتْرُكَ الإنزالَ للقرآن، مِن أجل تكذيبكم.

وقرأ حسان بنُ عبد الرحمن الضُّبَعي والسُّمَيْط بنُ عُمَير وشُبَيْل بنُ عَزْرَة: بضمِّ الصاد[٨]، والجمهور: بفتحها، وهما لغتانِ كالسُّدِّ والسَّدِّ.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٧، والطبريّ ٢٠/ ٥٤٨-٥٤٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، وقول قتادة عند الطبري ٢٠/ ٥٤٩ بنحوه، والبيت لمجنون ليلى، وهو في ديوانه ص٣٥، والصَّبا: ريحٌ، والغَضَا: أرض لبني كلاب، ووادٍ بنجد، القاموس (صبا) و(غضا).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٨، والبيت في ديوان كُثَيِّر عزَّة ص٧٧، وفيه: صفوحٌ، بالرفع، وفي النكت والعيون ٥/ ٢١٦: صفحٌ، وهو برواية المصنِّف في المصدرين السابقين وزاد المسير ٧/ ٣٠٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٦، وورد في النكت والعيون أيضاً: قَلَّ، بدل: مَلَّ، و: قَلَّت، بدل: مَلَّت.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٧، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٦، والنكت والعيون ٥/ ٢١٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٤٩.

(٥) من هنا، وحتى قوله: محلاً للنداء والظاهر أنه نادى. عند تفسير الآية (٥٠) من هذه السورة، سقط من (ز٢).

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٣٤.

(٧) زاد المسير ٧/ ٣٠٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٤٨.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦، عن السُّميط، وهي عن ثلاثتهم في القراءات الشاذة ص١٣٤، ودون عزوٍ في الكشاف ٣/ ٤٧٨، والإملاء ٢/ ٢٢٦، وسميط هو: أبو عبد الله السدوسي البصري، روى عن أنس بن مالك وأبي موسى الأشعري وغيرهما، وعنه سليمان التيمي وعاصم الأحول وغيرهما. تهذيب الكمال.

وانتصابُ: «صَفْحاً» على أنَّه مصدرٌ مِن معنى: أَفنضرب؛ لأنَّ معناه: أَفَنَصفح، أو مصدر في موضع الحال، أي: صافحينَ، قالهما الحوفيُّ وتَبِعه أبو البقاء[١].

وقال الزمخشريُّ: و«صَفْحاً» على وجهين، إمَّا مصدرٌ مِن: صَفَحَ عنه: إذا أَعرضَ، منتصب على أنَّه مفعولٌ له، على معنى: أَفنعزِل عنكم إنزالَ القرآن وإلزامَ الحُجَّة به إعراضاً عنكم، وإمَّا بمعنى الجانب، مِن قولهم: نَظَرَ إليه بصَفْحِ وَجْهِه، و: صُفْح وَجْهِه، على معنى: أَفَنُنحِّيه عنكم جانباً، فينتصب على الظَّرْف، كما تقول: ضَعْهُ جانباً، وامْشِ جانباً، وتعضدُهُ قراءةُ مَن قَرَأَ: «صُفْحاً» بالضَّمِّ، وفي هذه القراءة وَجْهٌ آخَرُ، وهو أَنْ يكون تخفيف: صُفُحٍ، جمعُ صَفُوحٍ، ويَنتصب على الحال، أي: صافحينَ مُعْرِضين[٢].

وقال ابنُ عطيَّة: «صفحاً» انتصابه، كانتصاب ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨][٣]. انتهى.

يعني أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ مضمونَ الجملة السابقة، فيكون العامل فيه محذوفاً، ولا يَظهر هذا الذي قاله، فليس انتصابُه انتصابَ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾.

وقرأ نافع والأخوان «إنْ» بكسر الهمزة[٤]، وإسرافهم كان متحقَّقاً، فكيف دخلت عليه «إنْ» الشرطيَّة التي لا تَدخُل إلَّا على غيرِ المتحقَّق، أو على المتحقّق الذي انْبَهَم زمانُه؟

قال الزمخشريُّ: هو مِن الشرط الذي يَصدُرُ عن المُدِلِّ بصحَّة الأَمْرِ المتحقَّق لثبوته، كما يقول الأجير: إنْ كنتُ عَملتُ لَكَ، فوفِّني حقِّي، وهو عالِمٌ بذلك، ولكنَّه يُخيِّل في كلامه أنَّ تفريطَكَ في الخروج عن الحقِّ فِعْلُ مَن له شَكٌّ في الاستحقاقِ مع وضوحِه استجهالاً له[٥].

---

(١) الإملاء ٢/٢٢٦.
(٢) الكشاف ٣/٤٧٨.
(٣) المحرر الوجيز ٥/٤٦.
(٤) أي: «إنْ كنتم». المحرر الوجيز ٥/٤٦، والقراءة عنهم في السبعة ص٥٨٤، والتيسير ص١٩٥، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر وخلف. النشر ٢/٣٦٨.
(٥) الكشاف ٣/٤٧٨.

وقرأ الجمهور: «أَنْ» بفتح الهمزة، أي: مِن أَجْلِ «أَنْ كنتم»، قال:

أَتَـجْـزَعُ أَنْ بَـانَ الـخَـلـيـطُ الـمُـودّعُ(١)

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «إذ كنتم» بذالٍ مكان النون(٢).

لمَّا ذَكَر خطاباً لقريش: «أفنَضْرِب عنكم الذِّكْرَ» وكان هذا الإنكارُ دليلاً على تكذيبهم للرُّسُل وإنكاراً لِمَا جاءَ به ـ آنَسَهُ تعالى بأنَّ عادتَهم عادةُ الأمم السابقة مِن استهزائهم بالرُّسُل، وأنَّه تعالى أهلك مَن كان أشدَّ بَطْشَاً مِن قريش، أي: أكثر عَدَداً وعُدَداً وجَلَداً، «ومضى مَثَل الأوَّلين» أي: فلتَحذَر قريش أَنْ يَحلَّ بهم مِثْل ما حلَّ بالأوَّلين مكذِّبي الرُّسُل مِن العقوبة، قال معناه قتادة(٣)، وهي العقوبة التي سارت سَيْرَ المَثَل، وقيل: «مَثَل الأوَّلين» في الكفر والتكذيب، وقريش سَلَكت مسلكَها، وكان مقبلاً عليهم بالخطاب في قوله: «أفنضربُ عنكم» فأعرض عنهم إلى إخبار الغائب في قوله: «فأهلكنا أَشَدَّ منهم بَطْشاً».

«ولَئِن سَأَلتهم» احتجاج على قريش بما يُوجِب التناقض، وهو إقرارهم بأنَّ مُوجِدَ العالَم العلويّ والسُّفْليّ هو الله، ثم هم يَتّخِذون أصناماً آلهةً مِن دون الله يَعبدونهم ويعظمونهم.

قال ابنُ عطيَّة: ومقتضى الجواب أَنْ يقولوا: خَلَقهنَّ اللهُ، فلمَّا ذَكَر تعالى المعنى جاءَت العبارةُ عن الله تعالى بـ «العزيز العليم»؛ ليكونَ ذلك توطئةً لِمَا عدَّد بَعْدُ مِن أوصافه التي ابْتَدَأَ الإخبار بها وقَطَعها مِن الكلام الذي حكى معناه عن قريش(٤). انتهى.

وقال الزمخشريُّ: ليَنْسِبن خَلقها إلى الذي هذه أوصافه وليُسْنِدُنَه إليه(٥). انتهى.

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨، وتفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١، وخزانة الأدب ٩/ ٨٠، وعجز البيت: وحبلُ الصفا من عَزَّة المتقطِّع. والبيت لم يُنسب عندهم، ويبدو أنَّه لكُثَيِّر، ولم نقف عليه في ديوانه.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٧٨ دون عزوٍ.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٢١٦، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩٤، والطبريُّ ٢٠/ ٥٥٣.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٧٩.

والظاهر أَنَّ «خَلَقَهُنَّ العزيز العليم» نفس المَحكي مِن كلامهم، ولا يدلُّ كونهم ذَكروا في مكان: خلقهنَّ الله، أنْ لا يقولوا في سؤال آخَر: «خَلَقَهُنَّ العزيزُ العليم».

و«الذي جَعَلَ لكم» مِن كلام اللهِ خطاباً لهم بتذكير نِعَمه السابقة، وكرَّر الفعل في الجواب في قولهم: «خلقهنَّ العزيز العليم» مبالغة في التوكيد، وفي غير ما سؤال اقتصروا على ذِكْر اسمِ الله، إذ هو العَلَم الجامع للصفات العُلَا، وجاء الجواب مطابقاً للسؤالِ من حيث المعنى لا مِن حيث اللفظ؛ لأنَّ «مَن» مبتدأ، فلو طابقَ في اللفظ كان بالاسم مبتدأ، ولم يكن بالفعل.

«لعلَّكم تهتدون» أي: إلى مقاصدكم في السَّفَر، أو تهتدون بالنَّظَر والاعتبار بقَدَرٍ، أي: بقضاءٍ وحَتْم في الأزل، أو بكفاية؛ لا كثيراً فيفسد، ولا قليلاً فلا يجدي. «فأَنْشَرنا»: أَحْيَيْنا به «بَلْدَةً ميتاً» ذُكِّرَ على معنى القَطْر، و«بلدة» اسمُ جنس.

وقرأ أبو جعفر وعيسى: «ميِّتاً» بالتشديد[(١)]، وقرأ الجمهور: «تُخرَجون» مبنيًّا للمفعول، وابنُ وثَّاب وعبد الله بنُ جبير المصبح[(٢)] وعيسى وابنُ عامر والأَخَوان: مبنيًّا للفاعل[(٣)].

والأزواج: الأنواع من كلِّ شيء، قيل: وكلّ ما سوى الله فهو زوجٌ، ك: فوق وتحت ويمين وشمال وقدَّام وخَلْف وماضٍ ومستقبل وذوات وصفات وصيف وشتاء

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٢٤، والمحتسب ٢/ ٢٥٣.

(٢) كذا في النُّسَخ، والذي في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٤٧ والكلام منه: المُصبح. ولعلَّه الصواب؛ لأنَّ عبد الله بن جبير هو الصحابي الذي شهد العقبة مع السبعين وبدراً وأُحُداً، وهو الذي استعمله رسولُ الله ﷺ يومئذٍ على الرماة وكان أميرَهم والمصبحَ بهم ـ حين ذهب الرُّمَاة ليأخذوا من الغنيمة ـ: أَمَا عَهِدَ إليكم رسولُ الله ﷺ أن لا تبرحوا. فلعلَّ ابنَ عطية يريد ـ بإطلاقه لَقَبَ: المصبح، عليه ـ هذه الحادثة، وأنَّه كان هو المصبحَ لهم. والله تعالى أعلم.
ينظر تفسير السمرقندي ١/ ٣٠٢، وتفسير القرطبي ٥/ ٣٥٨-٣٥٩، والإصابة ٦/ ٣٣، وخبره عند البخاريّ (٤٠٤٣)، وأحمد (١٨٥٩٣) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

(٣) أي: «تَخرجُون». ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١، وزاد المسير ٧/ ٣٠٤، وقراءة الأخوين ـ حمزة والكسائي ـ وابن عامر ـ في رواية ابن ذكوان ـ في السبعة ص٢٧٩ و٥٨٤، والتيسير ص١٠٩، وهي أيضاً قراءة خلف. النشر ٢/ ٢٦٧-٢٦٨.

وربيع وخريف، وكونها أزواجاً يدلُّ على أنَّها ممكنة الوجود، ويدلُّ على أنَّ مُحدثَها فردٌ، وهو اللهُ المُنَزَّه عن الضِّدِّ والمقابل والمعارض[١]. انتهى.

«والأنعام»: المَعهُود أنَّه لا يُركَب مِن الأنعام إلَّا الإبل، «ما» موصولةٌ، والعائد محذوف، أي: ما يَركبونه و: رَكِبَ، بالنسبة للفُلْك يتعدَّى بـ «في» كقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ويتعدَّى للإبل بنفسه، فغلّب المتعدِّي بنفسه على المتعدّي بوساطة «في»، إذ التقدير: ما يَركبونه.

واللام في: «لِتَسْتَووا» الظاهر أنَّها لامُ «كي»، وقاله الحوفيُّ ومَن أثبت لامَ الصيرورة جاز له أَنْ يقول به هنا.

وقال ابنُ عطيَّة: لام الأمر[٢]. وفيه بُعْدٌ مِن حيث استعمالُ أَمْرِ المُخاطَب بتاء الخطاب، وهو مِن القِلَّة بحيث ينبغي أَنْ لا يُقاس عليه، فالفصيح المستعمل: اضْرِب، وقَلَّ: لتَضْرِب، بل نصَّ النحويون على أنَّها لغةٌ رديئة قليلة، إذ لا تكاد تُحفَظ إلَّا قراءة شاذة: «فَبِذَلك فَلْتفْرَحُوا» [يونس: ٥٨] بالتاء للخطاب[٣]، وما آثَرَ المُحدِّثون مِن قولِهِ عليه الصلاة والسلام: «لتَأْخُذوا مَصَافّكم»[٤] مع احتمال أَنَّ الراويَ روى بالمعنى، وقول الشاعر:

لِتَقُم أنتَ يا ابنَ خيرِ قريشٍ فَتُقَضَّى حوائجُ المسلمينا[٥]

---

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ١٩٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧.

(٣) وهي قراءة أبي جعفر ـ في غير المشهورة عنه ـ ويعقوب ـ في رواية رويس عنه ـ وغيرهما. وسلفت عند تفسير الآية (٥٨) من سورة يونس.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٠، واللامات للزجاجي ص٨٩، والكشاف ٢/ ٢٤٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٦١، وتفسير القرطبي ١١/ ١١، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٥٢٤، والخبر قطعة من حديث معاذ بن جبل ﷺ، وهو عند الترمذي (٣٥١٦)، وأحمد (٢٢١٠٩)، لكن بلفظ: «على مصافّكم كما أنتم»، وعليه فلا شاهِدَ فيه، والمَصَافّ: جمع: مَصَفّ، وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف. النهاية (صفف).

(٥) البيت في الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٥٢٥، ومغني اللبيب الشاهد (٤١٢) و(٩٥٠)، وخزانة الأدب ٩/ ١٤ وقال: والبيت أورده الكوفيون، وهو مجهول لا يعلم تتمَّته ولا قائله، والله أعلم، اهـ. وورد عند بعضهم: فلتُقضِّي، بدل: فتُقَضَّى.

وزَعَم الزجَّاجيُّ[١] أنَّها لغةٌ جيِّدة، وذلك خلاف ما زَعَم النَّحويون.

والضمير في «ظهوره» عائدٌ على «ما» كأنَّه قال: على ظهور ما تركبون، قاله أبو عبيدة[٢]، فلذلك حسنَ الجَمْع، لأنَّ مآلها لفظٌ ومعنًى، فمَن جَمَعَ فباعتبار المعنى، ومَن أَفرد فباعتبار اللفظ، ويعني: «من الفُلْك والأنعام»، وقال الفرَّاء نحواً منه، قال: أضافَ الظُّهور إلى واحدٍ فيه معنى الجمع بمعنى الجنس، فلذلك جَمَع: الظهور[٣].

«ثمَّ تَذْكُروا» أي: في قلوبكم «نعمةَ ربِّكم» معترفينَ بها مستعظمينَ لها، لا يُريد الذِّكر باللسان بل بالقلب، ولذلك قابَلَهُ بقوله: «وتقولوا سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا» أي: تُنَزِّهوا اللهَ بصريح القول، وجاء في الحديث أنَّه عليه الصلاة والسلام كان إذا وَضَعَ رِجْلَه في الرِّكاب، قال: «بَسْمِ الله» فإذا استوى على الدَّابَّة، قال: «الحمدُ لله على كلِّ حال، سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا» إلى قوله: «المنقلبون» وكبَّر ثلاثاً وهلَّل ثلاثاً. وقالوا: إذا ركب في السفينة، قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ إلى ﴿رَّحِيمٌ﴾[٤] [هود: ٤١]. ويقال: عند النزول منها: اللَّهمَّ أنزلنا منزلاً مباركاً وأنتَ خيرُ المنزلين.

والمُقْرِن: الغالِب الضابِط المُطِيق للشيء[٥]، يقال: أَقْرَن الشيءَ: إذا أَطاقَهُ، قال ابنُ هَرْمَة:

---

(١) في النسخ عدا (ت) و(ح) و(د٢) و(ع): الزجاج. والمثبت منها ومن الدر المصون ٩/ ٥٧٦ حيث صرَّح بأنه أبو القاسم الزجَّاجي، وكلامه في كتابه اللامات ص٨٨، دون التصريح بأنَّها لغة جيِّدة.

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٠٤، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٢، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١١؛ حيث نُسبَ الكلام فيه إلى أبي عبيد.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ١١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٨، وتفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٦-٥٥٧، والثعلبي ٥/ ٤٠٧.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٧٩-٤٨٠، وهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٧ عن عليّ بإسناده إليه مرفوعاً، وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٩/ ١٥ مطوَّلاً، وعزاه لأبي داود الطيالسي في مسنده [برقم (١٣٢)، وهو أيضاً عند أبي داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (٨٧٤٨)، وأحمد (٧٥٣) و(١٠٥٦)] وأبي عبد الله محمد بن خُويزمنداد في أحكامه. اهـ.
وينظر خبر ابنِ عمر عند مسلم (١٣٤٢).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٢-١٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٢.

وأَقْرَنْتُ ما حَمَّلْتِني ولَقَلَّما ... يُطاقُ احتمالُ الصَّدِّ يا دَعْدُ والهَجْرُ[(١)]

وحقيقة أَقْرَنَهُ: وَجَدَهُ قَرِينَتَهُ وما يُقرنُ به؛ لأنَّ الصَّعْبَ لا يكون قرينةً للضعيف.
قال الشاعر:

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يَسْتَطِع صَوْلَةَ البُزْلِ القناعيسِ[(٢)]

والقَرَن: الحَبْلُ الذي يقرنُ به، وقال أبو عبيد[(٣)]: فلانٌ مُقرِنٌ لفلان، أي: ضابطٌ له، والمعنى أنَّه ليس لنا مِن القوَّة ما نَضْبِط به الدَّابَّةَ والفُلْكَ، وإنَّما اللهُ هو الذي سَخَّرها، وأنشد قُطرب لعمرو بنِ مَعْدِ يكرب:

لقد عَلِمَ القبائلُ ما عُقَيْلٌ ... لنا في النائباتِ بمُقْرِنينا[(٤)]

وقرئ: «المقترنين» اسم فاعل مِن: اقْتَرَن[(٥)].

«وإنَّا إلى ربِّنا لمنقلبون» أي: راجعونَ، وهو إقرارٌ بالرجوع إلى الله وبالبعث؛ لأنَّ الراكبَ في مظنَّة الهلاك بالغَرَق إذا رَكبَ الفُلْكَ، وبِعُثُورِ الدَّابَّة إذا رَكِبوه أَمْرٌ فيه خَطَرٌ، ولا تُؤمَن السلامةُ فيه، فقوله هذا تذكيرٌ بأنَّه مُستشعِر الصيرورةَ إلى الله ومُستعدٌّ للقائه، فهو لا يَترك ذلك مِن قلبه ولا لسانه.

«وجعلوا له» أي: وجعل كفَّار قريش والعرب «له»، أي: لله «من عباده» أي: ممَّن هم عبيدٌ لله، «جُزْءَاً» قال مجاهد: نصيباً وحظًّا، وهو قولُ العرب: الملائكةُ بناتُ الله، وقال قتادة «جُزْءاً» أي: نِدًّا، وذلك هو الأصنام وفرعون ومَن عُبدَ مِن دونِ الله، وقيل: الجُزْءُ: الإناثُ، قال بعضُ اللُّغويِّين، يقال: أَجْزَأَت

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٠، ولم نقف على البيت في شعر إبراهيم بن هرمة المطبوع.
(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ١٢٨، وسلف عند تفسير مفردات الآية (٣٨) من سورة النساء.
(٣) كذا في النسخ، والذي في زاد المسير ٧/ ٣٠٤: أبو عبيدة. وكلامه في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٢. وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٣.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٢١٨، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٣، ولم نقف على البيت عند غيرهما. ونَقَله عن المصنِّف السمينُ في الدر ٩/ ٥٧٧، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٥٠.
(٥) لم نقف عليها عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمينُ في الدر ٩/ ٥٧٧، وابنُ عادل في اللباب ١٧/ ٢٣٨، وأشار الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٨٠ إلى أنه قُرئ: «مقرّنين»، وكذا نَقَل عنه الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٥١، وقال: بتشديد الراء مع فتحها وكسرها.

المرأةُ: إذا وَلَدَت أُنثى، قال الشاعر:

إنْ أَجْزَأَت حُرَّةٌ يوماً فلا عَجَبٌ قد تُجزِئُ الحرَّة المذكارُ أحياناً[١]

قيل: هذا البيت مَصْنُوعٌ، وكذا قوله:

زُوِّجْتُها مِن بناتِ الأوسِ مُجْزِئَةً[٢]

ولمَّا تقدَّم أنَّهم معترفونَ بأنَّه تعالى هو خَالِق العالمَ، ثمَّ أَنكر عليهم جَعْلَهم للهِ جُزْءاً وقد اعترفوا بأنَّه هو الخالقُ، فكيف وَصَفوه بصفة المخلوق؟!

«إنَّ الإنسانَ لكفور» نعمةَ خالقِه «مُبِيْنٌ» مُظْهِرٌ لجحوده، والمراد بالإنسان مَن جَعَلَ للهِ جُزْءاً وغيرُهم مِن الكفرة.

قال ابنُ عطيَّة: «ومُبِيْن» في هذا الموضع غيرُ مُتَعَدٍّ[٣]. انتهى.

وليس يتعيَّن ما ذكرَ، بل يَجوز أَنْ يكون معناه: ظاهرٌ للكفران ومُظْهِرٌ لجُحُوده، كما قلنا.

«أم اتَّخَذَ ممَّا يَخلُقُ بناتٍ» استفهامُ إنكار وتوبيخ لقلَّة عقولهم، كيف زَعَموا أنَّه تعالى اتَّخذ لنفسِه ما أَنتم تَكرهونه حتَّى أنتم تَسْوَدّ وجوهكم عند التبشيرِ بهنَّ وتَئِدُونَهنَّ «وأَصفاكم» جَعَلَ لكم صفوةَ ما هو محبوبٌ، وذلك البنون.

وقوله: «ممَّا يَخلُق» تنبيهٌ على استحالة الولديَّة ذَكَراً كان أو أُنثى، ولو فُرِضَ اتِّخاذ الوَلَد، فكيف يَختار له الأدنى ويَخصّكم بالأعلى؟! وقدّم البناتِ؛ لأنَّه المُنكر

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨-٤٩، وينظر تفسير الثعلبي/ ٧/ ٤٠٧، والنكت والعيون ٥/ ٢١٩، وزاد المسير ٧/ ٣٠٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٦، وينظر قول مجاهد وقتادة عند الطبري ٢٠/ ٥٦١، وقول قتادة أيضاً عند عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩٥، والبيت في غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠١، والهداية لمكي ١٠/ ٦٦٣٩، والمخصص ١٥/ ٧، وتهذيب اللغة ١١/ ١٤٥، واللسان (جزأ) ولم يُنسَب عندهم، وورد في النكت والعيون: مرة قوماً، بدل: حرَّة يوماً.

(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٤٨١، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٦-١٧، وعجز البيت: للعَوسَجِ اللَّدْنِ في أبياتها زَجَلٌ، وهو في مجالس ثعلب ص١٤٥، واللسان (جزأ)، والعوسج اللَّدْن: كانت العرب يعملون منه المغازل يغزل النساء بها، فيكون لمغازلهنَّ زَجَلٌ، والزَّجَل: الصوت، والمعنى: نكحتها مخافة أن تلد البنات، فولدت بنات كثيرة مَلَأت منهنَّ بيته.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩.

عليم نِسْبَتهنَّ إلى الله، وعَرَّف البنينَ دونَ البناتِ؛ تشريفاً لهم على البنات.

«وإذا بُشِّرَ أحدُهم» تقدَّم تفسيرُ نظيرِها في سورة «النحل»[١].

«أَوَمَن يُنَشَّأ في الحلية» أي: يَنتقل في عُمره حالاً فحالاً «في الحِلْية» وهو الحلي الذي لا يَليقُ إلَّا بالإناث دونَ الفحول؛ لتَزَيُّنهنَّ بذلك لأزواجهنَّ، وهو إنْ خَاصَم لا يُبين؛ لضَعْفِ العقلِ ونَقْصِ التدبُّر والتأمُّل، أَظْهَرَ بهذا تحقيرهنَّ[٢] وشُفُوفَ البنين عليهنَّ، وكأنَّ في ذلك إشارة إلى أنَّ الرَّجُلَ لا يُناسِبه التزيُّن كما للمرأة، وأَنْ يكون مُخْشَوْشناً، والفَحْل مِن الرجال يَأْبى أَنْ يكون متَّصفاً بصفات النِّساء.

والظاهر إنَّما أراد بـ «مَن يُنَشأ في الحلية» النساء، وقاله ابنُ عباس ومجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ[٣]، ويدلُّ عليه قوله: «وهو في الخصام غيرُ مُبِين» أي: لا يُظهِر حجَّةً، ولا يُقيم دليلاً، ولا يَكشف عمَّا في نفسه كشفاً واضحاً، ويقال: قَلَّما تَجِد امرأةً إلَّا تفسد الكلام وتَخْلِط المعاني[٤]، حتى ذُكِرَ عن بعضِ الناس أنَّه قال: إذا دخلنا على فلانة لا نَخرُج حتى نَعْلَم أنَّ عقلَها عقلُ امرأة.

وقال ابنُ زيد: المراد بـ «مَن يُنَشَّأ في الحلية» الأصنامُ، وكانوا يتّخذون كثيراً منها مِن الذهب والفضة، ويَجعلون الحلي على كثيرٍ منها[٥]، ويُبعِد هذا القولَ قولُه: «وهو في الخصامِ غيرُ مبين» إلَّا إنْ أُريدَ بنَفْي الإبانة نَفْيُ الخصام، أي: لا يكون منها خِصَامٌ فإبانةٌ، كقوله:

على لاحِبٍ لا يُهتَدى بمنارِهِ[٦]

أي: لا منارَ له فيهتدى به.

---

(١) عند تفسير الآية (٥٨) منها.

(٢) في النسخ عدا (د٣) و(يه): لحقوقهنَّ. والمثبت منهما.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٨-٤٠٩، والنكت والعيون ٥/ ٢١٩-٢٢٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٠، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٥٦٣-٥٦٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٢٠، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٦٥.

(٦) وعجزه: إذا سافَهُ العَوْدُ النباطِيُّ جَرْجَرا، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٦٦، وسلف عند تفسير الآية (١٦) من سورة البقرة.

و«مَن» في موضع نصب، أي: أَوَجَعَلُوا مَن يُنَشَّأُ، ويجوز أن يكون في موضع رَفْعٍ على الابتداء، أي: «أَوَمَن يُنَشَّأ» جَعَلُوه للهِ.

وقرأ الجمهور: «يَنْشَأُ» مبنيًّا للفاعل، والجحدريُّ في قولٍ: مبنيًّا للمفعول مخفَّفاً[١]، وابنُ عباس وزيد بن عليّ والحسن ومجاهد والجحدريُّ - في رواية - والأخوان وحفص والمُفضَّل وأبان وابنُ مقسم وهارون عن أبي عَمرو: مبنيًّا للمفعول مشدَّداً[٢]، والحسنُ في رواية: «يُناشَأُ» على وزن يُفاعَل، مبنيًّا للمفعول[٣].

والمُناشأة بمعنى: الإنشاء، كالمغالاة بمعنى الإغلاء، و«في الخصام» متعلِّق بمحذوف يُفَسِّره «غير مبين»، أي: وهو لا يُبين في الخصام، ومَن أجاز: أنا زيداً غيرُ ضاربٍ، بإعمال المضاف إليه غيرٌ، أجاز أنْ يتعلَّق بـ «مبين» أجْرى «غيراً» مُجرى «لا»، وتقديم معمولِ ما بَعْدَ «لا» مُختلَف فيه، وقد ذكرَ ذلك في النَّحْوِ[٤].

❀ ❀ ❀

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ
وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ
﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ
مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى

---

(١) أي: «يُنْشَأ». القراءات الشاذَّة ص١٣٤، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩ عن ابن عباس وقتادة.

(٢) أي: «يُنَشَّأ». ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٠٨، وزاد المسير ٧/ ٣٠٦، وتفسير الرازي ٢٧/ ٢٠٢، والقرطبي ١٩/ ١٩، وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي في السبعة ص٥٨٤، والتيسير ص١٩٦، وهي أيضاً قراءة خلف. النشر ٢/ ٣٦٨.

(٣) القراءات الشاذَّة ص١٣٤، وهي في الكشاف ٣/ ٤٨٣ دون عزوٍ، ونَقَلها عنه الرازيُّ ٢٧/ ٢٠٢.

(٤) ينظر ما سلف عند تفسير الآية (٧) من سورة الفاتحة.

فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

لم يَكْفِهم أَنْ جَعَلوا لله ولداً وجَعَلوه إناثاً وجعلوهم مِن الملائكة، وهذا مِن جَهْلهم بالله وصفاته واستخفافِهم بالملائكة حيث نَسَبوا إليهم الأُنوثة.

وقرأ عمر بنُ الخطَّاب والحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر وشيبة والأعرج والابْنان ونافع: «عند الرحمن» ظَرْفاً[(١)]، وهو أدلُّ على رَفْع المنزلة وقُرْب المكانة؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقرأ عبد الله وابنُ عباس وابنُ جُبير وعلقمة وباقي السَّبْعَة: «عِبَادُ الرَّحمن» جمع: عبد[(٢)]، لقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقرأ الأعمش: «عِبَادَ الرَّحمن» جَمْعاً وبالنصب، حكاها ابنُ خالويه، قال: وهي في مصحف ابنِ مسعود كذلك[(٣)].

والنصب على إضمار فِعْلٍ، أي: الذين هم خَلَقوا عبادَ الرَّحمن، أو: أنشؤوا عبادَ الرَّحمن، وقال ابنُ عطيَّة: وفي مصحف ابن مسعود: «وجعلوا الملائكة عباد الرحمن إناثاً»[(٤)].

وقرأ أُبَيٌّ: «عَبْد الرَّحْمَن» مفرداً[(٥)]، ومعناه: الجمع؛ لأنَّه اسمُ جنس.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٢١، وزاد المسير ٧/ ٣٠٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٣، وقراءة نافع والابنين - ابن كثير وابن عامر - في السبعة ص٥٨٥، والتيسير ص١٩٦، وهي أيضاً قراءة يعقوب - وأبي جعفر كما ذكر - وهما من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٦٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩، وينظر التعليق السابق.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩، وورد في مطبوعه: «عبد»، بدل: «عباد».

(٥) لم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمينُ في الدر ٩/ ٥٧٩، والآلوسيُّ في روح =

وقرأ الجمهور: «أَشَهِدوا» بهمزة الاستفهام داخلة على شهدوا ماضياً مبنيًّا للفاعل، أي: أَحَضَروا خَلْقَهم، وليس ذلك مِن شهادة تحمُّل المعاني التي تُطلَب أَنْ تُؤدَّى.

وقيل: سألهم الرسولُ عليه السلام: «ما يُدْرِيكم أنَّهم إناث»؟ قالوا: سَمعنا ذلك مِن آبائنا، ونحن نَشْهَد أنَّهم لم يَكْذبوا، فقال اللهُ تعالى: «ستكتب شهادتهم ويُسْأَلون» عنها، أي: في الآخِرَة[١].

وقرأ نافع: بهمزة داخلة على «أشهدوا» رُباعيًّا مبنيًّا للمفعول بلا مَدٍّ بين الهمزتين[٢]، والمسيَّبيّ عنه بمدَّة بينهما[٣]، وعليُّ بن أبي طالب وابنُ عباس ومجاهد، وفي رواية: أبو عَمرو ونافع: بتسهيل الثانية بلا مَدٍّ، وجماعةٌ كذلك بمدٍّ بينهما[٤].

وعن عليٍّ والمفضَّل عن عاصم: تحقيقهما بلا مَدٍّ[٥].

والزهريّ وناس: «أُشْهِدُوا» بغير استفهام مبنيًّا للمفعول رباعيًّا[٦]، فقيل:

= المعاني ٢٤/ ٣٥٧، مع الإشارة إلى أنَّه ورد في مصحف سعيد بن جبير: «عبد الرحمن» وقع ذلك في إحدى النسخ الخطية لتفسير القرطبي ١٩/ ٢١ بهامشه، وكذا ورد في مطبوعه القديم.

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢، وأورده أيضاً البغويُّ في تفسيره ٤/ ١٣٦ وعزاه للكلبي ومقاتل، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٠٧ وعزاه لمقاتل.

(٢) أي: «أأُشْهِدُوا». المحرر الوجيز ٥/ ٤٩-٥٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٢، وقراءة نافع في السبعة ص٥٨٥، والتيسير ص١٩٦، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر. النشر ١/ ٣٧٦ و٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٣) أي: «آأُشْهِدُوا». وهي من رواية ورش عنه، وسهَّلها قالون مع إدخال ألف بخلف عنه. وينظر التعليق السابق، والمسيَّبي هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المدني، قرأ على والده وأقرأ، وحدَّث عن سفيان بن عيينة، وعنه مسلم وأبو داود. توفي سنة (٢٣٦هـ). القراء الكبار ١/ ٤٣٠.

(٤) أي: «أوشْهِدوا». المحرر الوجيز ٥/ ٥٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٢، وذكر في السبعة ص٥٨٥ رواية المفضل عن عاصم مثل رواية نافع.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٢.

المعنى على الاستفهام حذفت الهمزة؛ لدلالة المعنى عليها، وقيل: الجملة صفةٌ للإناث، أي: إناثاً مُشْهَداً منهم خَلْقهم، وهم لم يَدّعوا أنَّهم شَهدوا خَلْقهم، لكن لمَّا ادَّعوا ـ لجراءتهم ـ أنَّهم إناث، صاروا كأنَّهم ادَّعوا ذلك وإشهادهم خَلْقهم.

وقرأ الجمهور: «إناثاً»، وزيد بنُ عليٍّ: «أُنُثاً» جَمْع الجَمْع[١]، قيل: ومعنى «وجعلوا»: سَمَّوا وقالوا، والأحسن أنْ يكون المعنى: وصَيَّروا في اعتقادهم الملائكةَ إناثاً، وهذا الاستفهام فيه تهكُّم بهم، والمعنى إظهار فسادِ عقولهم وأَنَّ دعاويهم مجرَّدة مِن الحُجَّة، وهذا نظير الآية الطاعنة على أهل التنجيم والطبائع: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

وقرأ الجمهور: «سَتُكْتَبُ» بالتاء مِن فوق مبنيًّا للمفعول «شَهَادَتُهم» بالرَّفْع مفرداً، والزهريّ كذلك إلَّا أنَّه بالياء[٢]، والحسن كذلك إلَّا أنَّه بالتاء، وجَمْع: «شهاداتهم»[٣]، وابنُ عباس وزيد بنُ عليٍّ وأبو جعفر وأبو حيوة وابنُ أبي عَبْلَة والجحدريُّ والأعرج: بالنون، مبنيًّا للفاعل، «شهادَتَهم» على الإفراد[٤].

وقرأت فرقة: «سَيَكْتُبُ» بالياء مبنيًّا للفاعل، أي: اللهُ «شهادتَهم» بفتح التاء[٥].

والمعنى: أنَّه «ستُكتَبُ شهادتهم» على الملائكة بأنوثتهم، «ويُسألون» وهذا وعيدٌ.

«وقالوا لو شاءَ الرحمنُ ما عَبَدْناهم» الضمير للملائكة، قاله قتادة ومقاتل في آخَرين، وقال مجاهد: للأوثان[٦].

علَّقوا انتفاءَ العبادة على المشيئة، لكن العبادة وُجِدَت فما انتفت المشيئةُ،

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٤٨٣، والدر المصون ٩/ ٥٧٩، وروح المعاني ٢٤/ ٣٥٧.
(٢) أي: «سَيُكْتَبُ شهادتُهم». القراءات الشاذة ص١٣٥.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠، والقراءات الشاذة ص١٣٥.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٠، وزاد المسير ٧/ ٣٠٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٢، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥ عن الأعرج.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٨٣، قال الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٤٠٧: ويجوز: «سيكتب» المعنى: سيكتب الله شهادتهم، ولا نعلم أحداً قرأ بها.
(٦) زاد المسير ٧/ ٣٠٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤١٠، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٠/ ٥٦٨.

فالمعنى أنَّه شاءَ العبادة ووقع ما شاءَ، وقد جَعَلوا إمهالَ الله لهم وإحسانَه إليهم وهم يَعبدون غيرَه دليلاً على أنَّه يَرْضى ذلك ديناً، وتقدَّم الكلامُ على مِثْلِ هذه الجملة في أواخِر «الأنعام»[١].

وفي الكلام حذفٌ، أي: فنحن لا نُؤاخَذ بذلك، إذ هو وَفْقَ مشيئةِ الله، ولهذا قال: «ما لهم بذلك مِن عِلْم» أي: بما ترتَّب على عبادتهم مِن العقاب «إنْ هم إلَّا يَخرُصون» أي: يَكْذِبون.

وقيل: الإشارة «بذلك» إلى ادِّعائهم أنَّ الملائكةَ إناثٌ.

وقال الزمخشريُّ: هما كفرتان مضمومتان إلى الكفراتِ الثلاث، وهما عبادتهم الملائكة مِن دونِ الله، وزَعْمهم أنَّ عبادتهم بمشيئة، كما يقول إخوانهم المجبِّرة[٢]. انتهى. جَعَلَ أهلَ السُّنَّةِ إخوانَ الكَفَرة عُبَّادِ الملائكة، ثم أورد سؤالاً وجواباً جارياً على ما اختاره مِن مذهبه الاعتزال يُوقَف على ذلك في كتابه[٣].

ولمَّا نَفَى عنهم عِلْم تَرْكِ عقابهم على عبادةِ غيرِ الله ـ أي: ليس يدلُّ على ذلك عقل ـ نفى أيضاً أنْ يدلَّ على ذلك سَمْعٌ، فقال: «أَمْ آتيناهم كتاباً» مِنْ قَبْلِ نزولِ القرآن، أو مِنْ قَبْلِ إنذارِ الرسول، يدلُّ على تجويز عبادتهم غير الله، وأنَّه لا يترتَّب على ذلك عقابٌ، إذ هو وَفْقَ المشيئة، «فهم به مستمسكون» في عبادة غير الله وانتفاء الإثم على ذلك.

ثم أخبر تعالى أنَّهم في ذلك مقلِّدون لآبائهم ولا دليلَ لهم مِن عقلٍ ولا نَقْلٍ.

ومعنى «على أمّة» أي: طريقٍ ودينٍ وعادةٍ، فقد سَلَكنا مَسْلَكهم، ونحن مهتدونَ في اتِّباع آثارِهم، ومنه قول قيس بن الخطيم:

كُنَّا على أُمَّةِ آبائِنا ويَقْتَدي بالأوَّلِ الآخِرُ[٤]

وقرأ الجمهور: «أُمَّة» بضمِّ الهمزة.

---

(١) عند تفسير الآية (١٤٨) منها.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٨٣.

(٣) ينظر المصدر السابق.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٢١، وتفسير القرطبيّ ١٩/ ٢٤، ولم نقف عليه عند غيرهما، وأورده أيضاً السمينُ في الدر المصون ٩/ ٥٨١، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٦١.

وقال مجاهد وقطرب: «على مِلَّة»[١]. وقال الجوهريُّ: والأُمَّة: الطريقة، والدِّين، يقال: فلانٌ لا أُمَّة له، أي: لا دينَ ولا نِحْلَة، قال الشاعر:

وهــل يَســتــوي ذُو أُمَّــةٍ وكَــفُــورُ[٢]

وتقدَّم الكلامُ في «أمّة» في قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والجحدريُّ: بكسر الهمزة[٣] - وهي الطريقةُ الحَسَنة ـ لغةٌ في «الأُمَّة» بالضَّمِّ، قاله الجوهريُّ[٤].

وقرأ ابنُ عباس: «أَمَّة» بفتح الهمزة[٥]، أي على قَصْدٍ وحَالٍ، والخلاف في الحرف الثاني كهو في الأوَّل.

وحكى مقاتل أنَّ الآية نزلت في الوليد بنِ المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة ابْنَي ربيعة مِن قريش، أي: كما قال هؤلاء قال مَن قَبْلَهم أيضاً[٦]، يُسَلِّي رسولَ الله ﷺ بذلكَ.

والمُتْرَف المُنعَّم، أَبطرتهم النِّعْمَة، فآثروا الشهواتِ وكرهوا مشاقَّ التكليف.

وقرأ الجمهور: «قُل» على الأَمْر، وابنُ عامر وحفص: «قال» على الخبر[٧].

وقرأ الجمهور: «جِئْتُكُم» بتاء المتكلِّم، وأُبَيّ وأبو جعفر وشيبة وابنُ مقسم والزعفرانيُّ وأبو شيخ الهُنَائيّ وخالد: «جِئْنَاكُم» بنون المتكلِّمين[٨].

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٠/ ٥٧٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤-٢٥، وكلام الجوهري في الصحاح (أمم)، ولم نقف على تمام البيت ولا على قائله، وهو هكذا في الصحاح واللسان (أمم)، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٥.

(٣) أي: «إِمَّة». المحرر الوجيز ٥/ ٥٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٤، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥ دون ذِكْر قتادة.

(٤) الصحاح (أمم).

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٥.

(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٢١.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥١، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦، وقراءة ابنِ عامر وحفص في السبعة ص٥٨٥، والتيسير ص١٩٦، والنشر ٢/ ٣٦٩.

(٨) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤١٠، والطبري =

والظاهر أنَّ الضميرَ في «قال» أو في «قل»: للرسول، أي: قُلْ يا محمَّد لقومِك: أَتَّبعونَ آباءَكم ولو جِئْتُكم بدينٍ أَهدى مِن الدِّين الذي وَجَدْتُم عليه آباءَكم؟! وهذا تجهيلٌ لهم حيث يُقلِّدون ولا يَنظرون في الدلائل.

«قالوا إنَّا بما أُرْسِلتم» أَنْتَ والرُّسُل قَبْلك، غلّب الخطاب على الغَيبةِ «فانتقمنا منهم» بالقَحْط والقَتْل والسَّبْي والجلاء «فانظر كيف كان عاقبة» مَن كذَّبك.

وقال ابنُ عطيَّة: في «قال» ضميرٌ يَعود على النذير، وباقي الآية يدلُّ على أنَّ «قُل» - في قراءة مَن قَرَأَها - ليست بأَمْرٍ لمحمَّد ﷺ، وإنَّما هي حكايةٌ لِمَا أمرَ به النذير، و«لو» في هذا الموضع، كأنَّها شَرْطيَّة بمعنى «إنْ»، كأنَّ معنى الآية: أو إنْ جِئْتُكم بأبينَ وأوضحَ ممَّا كان عليه آباؤكم يَصْحَبْكم[1] لجَاجُكم وتقليدكم؟! فأجاب الكفَّار حينئذٍ مِن الأمم المكذِّبة بأنبيائها، كما كذَّبت بمحمَّد ﷺ. انتهى. ولا يتعيَّن ما قاله، بل الظاهر هو ما قدَّمناه.

«وإذ قال إبراهيمُ لأبيه وقومه» وذَكِّرَ العربَ بحالِ جَدِّهم الأَعْلَى، ونَهْيه عن عبادة غيرِ الله وإفراده بالتوحيد والعِبادة؛ هَزًّا لهم، ليكون لهم رجوعٌ إلى دين جَدِّهم، إذ كان أشرفَ آبائهم والمُجمَع على محبَّته، وأنَّه ﷺ لم يقلِّد أباه في عبادةِ الأصنام، فينبغي أَنْ تَقتدوا به في تَرْكِ تقليد آبائِكم الأَقْرَبين، وتَرجعوا إلى النَّظَر واتِّباع الحقِّ.

وقرأ الجمهور: «بَرَاءٌ» وهو مصدرٌ يستوي فيه المُفرَد والمُذكَّر ومقابلهما، يقال: نحن البَرَاءُ مِنْكَ، وهي لغةُ العالية[2].

وقرأ الزعفرانيُّ والقورصي عن أبي جعفر، وابنُ المناذري[3] عن نافع: بضمِّ

= ٢٠/ ٥٧٤، وزاد المسير ٧/ ٣٠٨، وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع في النشر ٢/ ٣٦٩، وأبو شيخ الهنائي هو: حيوان بن خالد ـ وقيل: خيوان ـ البصري، وخالد هو: ابن إياس، أو: إلياس، وسلفا.

(١) في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٥١ والكلام منه: فيصحَ.

(٢) قال ابنُ سيده في المخصص ١٢/ ٤٨: العالية: ما فوقَ نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكَّة. قال سيبويه [في الكتاب ٣/ ٣٣٦]: النسب إليه: عُلْوِيّ، على غير قياس، وحكاه غيره على القياس. اهـ. وينظر معجم البلدان ٤/ ٧١ (العالية)، وفيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح للفاسي ٢/ ١١٥٩.

(٣) كذا في النُّسَخ، وكذا نَقَل عنه الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٦٧، ولعلَّه: ابن المنادي =

الباء[1]، والأعمش: «بَرِيْء»[2] وهي لغةُ نَجْدٍ، ويُثَنَّى ويُجمَع ويؤنَّث، وهذا نحو: طَويل وطُوال، وكَريم وكُرام.

وقرأ الأعمش: «إنِّي» بنون مشدَّدة[3] دونَ نونِ الوقاية، والجمهور: «إنَّني» بنونين الأولى مشدَّدة.

والظاهر أنَّ قوله: «إلَّا الذي فَطرني» استثناءٌ منقطع، إذ كانوا لا يعبدون اللهَ مع أصنامهم، وقيل: كانوا يُشركون أَصنامَهم معه تعالى في العبادة، فيكون استثناءً متَّصلاً، وعلى الوجهين فـ «الذي» في موضع نصب، وإذا كان استثناء متَّصلاً كانت «ما» شاملة مَن يعلم ومَن لا يعلم، وأجاز الزمخشريُّ أَنْ يكون «الذي» مجروراً بدلاً مِن المجرور بـ «من»، كأنَّه قال: إنَّني بَرَاء ممَّا تعبدون إلَّا مِن الذي، وأَنْ تكون «إلَّا» صفة بمعنى «غير»، على أنَّ «ما» في: ما تعبدون، نكرة موصوفة، تقديره: إنَّني بَرَاء مِن آلهةٍ تعبدونها غير الذي فَطَرني، فهو نظير قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[4] [الأنبياء: ٢٢]. انتهى.

ووجه البَدَل لا يَجوز؛ لأنَّه إنَّما يكون في غير الموجب مِن النفي والنهي والاستفهام، أَلَا ترى أنَّه يَصلُح ما بَعْدَ «إلا» لتفريغ العامل له، و«إنَّني بَرِيء» جُملة موجبة، فلا يَصلُح أَنْ يفرغَ العامل فيها للذي هو «بريء» لما بَعْدَ «إلَّا»، وغَرَّ الزمخشريَّ كون «بريء» فيه معنى الانتفاء، ومع ذلك فهو مُوجب لا يَجوز أَنْ يفرغ لما بَعْدَ «إلا».

وأمَّا تقديره «ما» نكرة موصوفة، فلم يُبْقِها موصولةً؛ لاعتقادِه أنَّ «إلَّا» لا تكون صفة إلَّا لنكرة، وهذه المسألة فيها خلافٌ[5]؛ مِن النحويين مَن قال: تُوصَف بها

= كما صرَّح به في الدر المصون ٩/ ٥٨٢، وابن المنادي هو: أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله، أبو الحسين البغدادي الحنبلي، الإمام المشهور، حافظ متقن ضابط. توفي سنة (٣٣٦هـ). طبقات القراء ١/ ٤٤، فلعلَّه ذَكَر القراءةَ ونسبها لنافع لا رواها عنه؛ لما بينهما من السنوات.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١، وعزاها لفرقة، والكشاف ٣/ ٤٨٤ ولم يَعزُها.

(٢) ينظر التعليق السابق، والقراءات الشاذة ص١٣٥.

(٣) التعليق السابق.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٨٤.

(٥) ينظر الكتاب ٢/ ٣٣١ وما بعدها، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٢٦ وما بعدها، ومغني اللبيب ص٩٩.

النكرة والمعرفة، فعلى هذا تبقى «ما» موصولة، ويكون «إلَّا» في موضع الصفة للمعرفة، وجَعْله «فَطَرني» في صِلَة «الذي» تنبيهٌ على أنَّه لا يُعبَد ولا يَستَحِقُّ العبادةَ إلَّا الخالق للعابد.

«فإنَّه سَيَهْدِينِ» أي: يُديم هدايتي، وفي مكان آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] فهو هاديه في المستقبل والحال.

والضمير في «جَعَلها» المرفوع عائدٌ على «إبراهيم» وقيل: على الله، والضمير المنصوب عائدٌ على كلمة التوحيد التي تكلّم بها، وهي قوله: «إنَّني بَرَاء ممَّا تعبدون إلَّا الذي فَطَرني». وقال قتادة ومجاهد والسُّدِّي هي: لا إلَهَ إلَّا الله، وإنْ لم يَجْرِ لها ذِكْر؛ لأنَّ اللفظَ يتضمَّنها، وقال ابنُ زيد: كلمة الإسلام؛ لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]. ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة: ١٣١]. ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] [الحج: ٧٨].

وقرأ حميد بنُ قيس: «كِلْمة» بكسر الكاف وسكون اللام[2]، وقُرئ: «في عَقْبه» بسكون القاف، أي: في ذرِّيّته، وقُرئ: «في عَاقِبه»[3] أي: مَن عَقَبَه، أي: خَلَفه، فلا يَزَال فيهم مَن يُوحِّد اللهَ ويَدعو إلى توحيده «لعلَّهم» أي: لعلَّ مَن أشركَ منهم يَرجع بدعاء مَن وَحَّدَ منهم.

وقرأ الجمهور: «بل مَتَّعْتُ» بتاء المتكلِّم، والإشارة بـ «هؤلاء» لقريش ومَن كان مِن عقبِ إبراهيم عليه السلام مِن العرب، لمَّا قال في «عَقِبه» قال تعالى: «لكن متَّعتُ هؤلاء» وأنعمتُ عليهم على كفرهم، فليسوا ممَّن بقيت كلمةُ التوحيد فيهم.

وقرأ قتادة والأعمش: «بل مَتَّعْتَ» بتاء الخطاب، ورواها يعقوب عن نافع[4]،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢، والآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٥٧٦-٥٧٧.

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٨٤-٤٨٥، وقُرئ: «كَلْمةً» على التخفيف، ولم يعزها، وجاءت القراءة في مطبوع القراءات الشاذة ص١٣٥. هكذا: وجعلها كلمةً باقيةً، حميد بن قيس.

(٣) القراءتان في الكشاف ٣/ ٤٨٥، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢، وأوردها الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٨٥ والقرطبي ١٩/ ٣٥ دون عزوٍ.

قال صاحب «اللوامح»: وهي مِن مناجاة إبراهيم عليه السلام ربَّه تعالى، والظاهر أنَّه مِن مناجاة محمَّد ﷺ، أي: قال: يا ربّ «بَلْ مَتَّعتَ»، وقرأ الأعمش: «مَتَّعْنا» بنونِ العظمة[١]، وهي تَعضُد قراءة الجمهور، «حتى جاءَهم الحقّ» وهو القرآن «ورسول مبين» هو محمَّد ﷺ.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: فما وَجْه مَن قَرَأ «بل متَّعتَ» بفتح التاء؟

قلت: كأنَّ اللهَ تعالى اعترضَ على ذاته في قوله: «وجَعَلها كلمةً باقيةً في عَقِبه لعلَّهم يرجعون»، فقال: بل متَّعتهم بما متَّعتهم به مِن طُول العُمُر والسَّعَة في الرزق حتى شَغَلهم ذلك عن كلمةِ التوحيد، وأرادَ بذلك الإطنابَ في تَعْييرهم؛ لأنَّه إذا متَّعهم بزيادة النِّعَم، وَجَبَ عليهم أنْ يَجعلوا ذلك سبباً في زيادة الشكر والثَّبَات على التوحيد والإيمان، لا أنْ يُشْرِكوا به ويَجعلوا له أنداداً، فمثاله: أنْ يَشكُو الرجلُ إساءةَ مَن أَحسنَ إليه، ثم يُقْبِلَ على نفسِه، فيقول: أنتَ السَّبَبُ في ذلك بمعروفِك وإحسانك، وغَرَضه بهذا الكلام توبيخُ المُسِيئ لا تقبيحُ فِعْلِه[٢].

فإن قلت: قد جعلَ مَجِيْءَ الحقِّ والرَّسول غايةَ التمتيع، ثم أَرْدَفه قولَه: «ولمَّا جاءَهم الحقّ قالوا هذا سحرٌ» فما طريقةُ هذا النَّظْم ومُؤدَّاه؟

قلت: المرادُ بالتمتيع ما هو سببٌ له، وهو اشتغالُهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته، فقال عَزَّ وعَلَا: «بل» اشْتَغلوا عن التوحيد حتى «جاءَهم الحقُّ ورسولٌ مبين» فخُيِّلَ بهذه الغاية أنَّهم تنبَّهوا عندها عن غَفْلتهم؛ لاقتضائها التنبُّه، ثم ابتدأ قصَّتهم عند مَجِيْءِ الحقّ، فقال: «ولمَّا جاءَهم الحقّ» جاؤوا بما هو شَرٌّ مِن غَفْلتهم التي كانوا عليها، وهو أنْ ضَمُّوا إلى شِرْكهم معاندةَ الحقّ، ومكابرةَ الرسول ومعاداته، والاستخفافَ بكتاب الله وشرائعه، والإصرارَ على أفعال الكَفَرة، والاحتكامَ على حكمة الله في تخيُّر محمَّد ﷺ مِن أهل زمانِه بقولهم: «لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ مِن القريتين عَظِيم» وهي الغاية في تَشْويه صورةِ أمرهم[٣]. انتهى. وهو حَسَنٌ لكن فيه إسهاب.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢، والكشاف ٣/ ٤٨٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٨٥، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق.

والضمير في «وقالوا» لقريش، كانوا قد استبعدوا أَنْ يُرسِلَ اللهُ مِن البَشَر رسولاً واستفاضَ عندهم أَمْرُ إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم مِن الرُّسُل صلى اللهُ عليهم وسلَّم، فلمَّا لم يَكن لهم في ذلك مَدْفَعٌ، ناقَضوا فيما يَخصّ محمَّداً ﷺ، فقالوا: لِمَ كان محمَّداً، ولم يَكن القرآنُ يَنزل على «رجلٍ مِن القريتين عظيم» أشاروا إلى مَنْ عَظُمَ قَدْرُهُ بالسِّنِّ والقِدَم والجَاه وكثرةِ المال.

وقرئ: «على رَجْل» بسكونِ الجيم[(١)].

«مِن القريتين» أي: مِن إحدى القريتين، وقيل: مِن رَجُلَي القريتين، وهما مكَّة والطائف، قال ابنُ عبّاس: والذي مِن مكّة: الوليد بن المغيرة المخزوميّ، ومِن الطائف: حبيب بنُ عَمرو بنِ عُمير الثَّقفيّ. وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة وكنانة بن عَبدياليل. وقال قتادة: الوليد بنُ المغيرة وعروة بنُ مسعود الثقفيُّ[(٢)].

قال قتادة: بَلَغنا أنَّه لم يَبْقَ فَخِذٌ مِن قريش إلَّا ادَّعاه[(٣)].

وكان الوليدُ بنُ المغيرة يُسمَّى: ريحانةَ قريش، وكان يقول: لو كان ما يقول محمَّد حقًّا لنزل عليَّ أو على أبي مسعود[(٤)] ـ يعني: عروةَ بنَ مسعود ـ وكان يكنى: أبا مسعود[(٥)].

«أهم يَقْسِمونَ رحمةَ رَبِّكَ» فيه توبيخٌ وتعجيبٌ مِن جهلهم، كأنَّه قيل: على اختيارهم وإرادتِهم تُقسَم الفضائلُ مِن النبوَّة وغيرها، ثمَّ في إضافته في قوله: «رحمة رَبِّك» تشريفٌ له ﷺ، وأنَّ هذه الرحمةَ التي حصلت لكَ ليست إلَّا مِن «رَبِّك» المُصْلِح لحالِكَ والمُرَبِّيك.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٦.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٤١١، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣، والكشاف ٣/ ٤٨٥، وزاد المسير ٧/ ٣١١، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٦، والآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٥٨٠-٥٨١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٨٢.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤١١.

(٥) بعدها في (ت): الثقفي قال.

ثم أَخبر تعالى أنَّه هو الذي قَسَم المعيشةَ بينهم، فلم يَحصل لأحدٍ إلَّا ما قَسَمه تعالى، وإذا كان تعالى هو الذي تولَّى ذلك وفاوَت بينهم - وذلك في الأَمْرِ الفاني - فكيف لا يتولَّى ذلك في الأَمْرِ الخطير، وهو إرسالُ مَن يشاء، وتَنْبيءُ مَن يشاء، فليس لكم أَنْ تتخيَّروا مَن يَصلُح لذلك، بل أَنتم عاجزون عن تدبيرِ أمورِكم.

وقرأ الجمهور: «مَعِيْشَتهم» على الإفراد، وعبد الله والأعمش وابنُ عباس وسفيان: «معائشهم» على الجَمْع[1].

والجمهور: «سُخْرِيّاً» بضمِّ السين، وعمرو بنُ ميمون وابنُ محيصن وابنُ أبي ليلى وأبو رجاء والوليد بنُ مسلم وابن عامر: بكسرِها[2]، وهو مِن التسخير بمعنى الاستعباد والاستخدام؛ ليَرتفق بعضُهم ببعضٍ ويَصلوا إلى منافعهم، ولو تولَّى كلُّ واحدٍ جميعَ أشغاله بنفسِه ما أَطاقَ ذلك وضَاعَ وهَلَكَ.

ويَبعُد أَنْ يكون «سخريًّا» هنا مِن الهُزْء[3]، وقد قاله بعضهم[4]، أي: يَهْزَأُ الغنيُّ بالفقير.

وفي قوله: «نحن قسمنا» تزهيدٌ في الإكباب على طَلَب الدنيا، وعونٌ على التوكُّل على الله.

وقال مقاتل: فاضَلنا بينهم فمِن رئيس ومَرْؤوس، قال قتادة: تَلْقَى ضعيفَ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٦ وعنده أنَّ القراءة أيضاً رويت عن مجاهد وابن محيصن في رواية، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥ عن ابن مسعود وابن عباس وسفيان، وفي تفسير الثعلبي ٥/ ٤١١ عن ابن عباس وابن يحيى.

(٢) أي: «سِخْرِيًّا». ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣، وزاد المسير ٧/ ٣١٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٧، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥ عن ابن محيصن وابن أبي ليلى وعمرو بن ميمون.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣.

(٤) قال أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٦٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠]: مكسورة الأولى، لأنه من قولهم: يسخر منه، وبعضهم بضمِّ أوله؛ لأنه يجعله من السُّخْرة والتسخير بهم. اهـ. وكذا أورده أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾من سورة ﴿صٓ﴾، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤١١، وتفسير القرطبي ٥/ ٩٤ و١٨/ ٢٣٥.

القوَّة قليلَ الحيلة عَييَّ اللسان وهو مبسوطٌ له، وتَلْقَى شديدَ الحِيْلَة بَسِيْطَ اللسان وهو مُقتَّرٌ عليه[١]. وقال الشافعيُّ:

ومِن الدليلِ على القضاءِ وكَونِه بُؤسُ اللبيب وطِيْبُ عَيْشِ الأحمقِ[٢]

«ورحمة ربك» قيل: النبوَّة، وقيل: الهداية والإيمان، وقال قتادة والسُّدِّيُّ: الجنَّة خيرٌ ممَّا يَجمع هؤلاء مِن حُطام الدنيا[٣]، وفي هذا اللفظ تحقيرٌ للدنيا وما جمعَ فيها مِن متاعها.

* * *

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

بيَّن تعالى أنَّ منافعَ الدنيا وطَيِّباتها حقيرةٌ خَسِيْسَة عندَ الله، أي: ولولا أَنْ يرغبَ الناسُ في الكفر إذا رَأَوا الكافرَ في سَعَةٍ ويَصيروا أمَّةً واحدةً في الكفر - قال ابنُ عباس والحسن وقتادة والسُّدِّيّ[٤] - لأعطيناهم مِن زينة الدنيا كذا وكذا، ولكنَّه

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٦، والنكت والعيون ٥/ ٢٢٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٥٨٤-٥٨٥.

(٢) ديوان الشافعي ص٨٩، وسلف.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤١١، وزاد المسير ٧/ ٣١٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٧، وقول قتادة والسدي عند الطبريّ ٢٠/ ٥٨٦.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٨، والآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٥٨٧-٥٨٨.

تعالى اقتضت حكمته أَنْ يُغنيَ ويُفقرَ الكافرَ والمؤمنَ.

قال ابنُ عطيَّة: واللام في «لِمَن يَكفُر» لامُ المِلْك، وفي «لبيوتهم» لامُ تَخصيص، كما تقول: هذا الكِساءُ لزيدٍ لدابَّته، أي: هو لدابَّته حِلْس[1]، ولزيدٍ مِلْك[2]. انتهى.

ولا يصحُّ ما قاله؛ لأنَّ «لبيوتهم» بدل اشتمال أُعيد معه العامل، فلا يمكن مِن حيث هو بَدَل أنْ تكون اللامُ الثانية إلَّا بمعنى اللام الأولى، أمَّا أنْ يَختلف المدلول فلا، واللام في كليهما للتخصيص.

وقال الزمخشريُّ: «لبيوتهم» بَدَل اشتمال مِن قوله: «لِمَن يَكفُر»، ويجوز أنْ يكونا بمنزلة اللَّامين في قولك: وهبتُ له ثوباً لقميصِه[3]. انتهى. ولا أدري ما أراد بقوله: ويجوز، إلى آخِره[4]؟

وقرأ الجمهور: «سُقُفاً» بضمَّتين، وأبو رجاء: بضَمٍّ وسكون[5]، وهما لغةُ تميم جَمْعُ: سَقْفٍ، كرَهْن ورُهُن ورُهْن، وابنُ كثير وأبو عمرو: بفتح السين والسكون على الإفراد[6].

وقال الفرَّاء: جمع: سَقِيْفَة[7]، وقرئ: بفتحتين[8]، كأنَّه لغةٌ في سَقف،

(١) الحِلْس للبعير: كساءٌ رقيق يكون تحت البرذعة. الصحاح (حلس).
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٨٧.
(٤) قال السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٨٤-٥٨٥: أراد بذلك أنَّ اللَّامين للعلة، أي: كانت الهبة لأجلك لأجل قميصك، فـ: لقميصك، بدل اشتمال بإعادة العامل بعينه، وقد نُقلَ أنَّ قولَه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الأنعام: ٨٤] أنها للعلَّة.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٨، عن مجاهد، وهي عنه في المحتسب ٢/ ٩، وهي في الكشاف ٣/ ٤٨٧ دون عزو.
(٦) أي: «سَقْفاً». تفسير القرطبي ١٩/ ٣٨، وأوردها أيضاً الثعلبيُّ في التفسير ٥/ ٤١١ وزاد نسبتها لأبي جعفر وحميد ويحيى بن وثاب، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص٥٨٥، والتيسير ص١٩٦، وهي عنهما وعن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦٩.
(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٢، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٣٨، والثعلبي ٥/ ٤١١.
(٨) الكشاف ٣/ ٤٨٧.

وقرئ: «وسُقُوفاً»[١] جَمْعاً على فُعُول، نحو: كَعْب وكُعُوب.

وقرأ الجمهور: «ومَعَارِجَ» جمع: مِعْرَج، وطلحة: «ومعارِيج» جَمْع: مِعْرَاج[٢]، وهي المصاعد إلى العَلَالي.

«عليها يَظْهَرون» أي: يَعْلونَ السُّطوح، كما قال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

وقرأ الجمهور: «وسُرُراً» بضمِّ الرَّاءِ، وقُرئ: بفتحها[٣]، وهي لغةٌ لبعض تميم وبعضِ كلب، وذلك في جمع: فَعيل، المضعَّف إذا كان اسماً باتِّفاقٍ، وصفةً نحو: ثوبٌ جديد وثيابٌ جُدَدٌ، باختلافٍ بين النُّحاة، وهذه الأسماء معاطيف على قوله: «سقفاً مِن فضَّة» فلا يتعيَّن أنْ تُوصَف المعاطيف بكونها مِن فضَّة.

وقال الزمخشريُّ: سقوفاً ومصاعدَ وأبواباً وسُرراً كلّها مِن فضَّة[٤]. انتهى. كأنَّه يرى اشتراكَ المعاطيف في وصف ما عطفت عليه.

و«زُخْرُفاً» قال الزمخشريُّ: وجَعَلنا لهم زُخْرُفاً، ويجوز أنْ يكون الأصلُ: سقفاً مِن فضَّةٍ وزُخْرُفٍ، يعني: بعضها مِن فضَّة وبعضها مِن ذهب، فنصب عطفاً على محلِّ «مِن فضَّة»[٥]. انتهى.

والزُّخْرُف: الذَّهَب هنا، قاله ابنُ عباس والحسن وقتادة والسُّدِّيُّ، وفي الحديث: «إيَّاكم والحُمْرَةَ؛ فإنَّها مِن أحبِّ الزِّيْنَة إلى الشيطان»[٦]، قال ابنُ عطيَّة:

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٢، والدر المصون ٩/ ٥٨٥، وروح المعاني ٢٤/ ٣٧٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤، وأوردها أيضاً القرطبيُّ ١٩/ ٣٩ وزاد نسبتها لطلحة بن مصرِّف، وهي عنه في القراءات الشاذة ص١٣٥.

(٣) أي: «سُرَراً». الكشاف ٣/ ٤٨٧، وينظر الدر المصون ٩/ ٥٨٥، وروح المعاني ٢٤/ ٣٧٥.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٨٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤، والآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٥٩٢-٥٩٣، والحديث المرفوع أخرجه ابنُ أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٨٩)، والحسن بن سفيان في مسنده كما في الإصابة ٤/ ٣٦٧، من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن راشد ﷺ، وهو حديث ضعيف؛ في إسناده: الحسن البصري، وهو مدلِّس وقد عنعنه، وسعيد بن بشير، وهو ضعيف، كما في الإصابة. وأخرجه أيضاً الطبرانيُّ في الأوسط (٧٧٠٨) من طريق ابن جريج، عن الحسن، عن رافع بن

الحُسْنُ أَحْمَرُ والشَّهوات تَتبعهُ. انتهى. وقال بعض شعرائنا[١]:

وصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِن دماءِ كُماتِهم لمَّا رأيتَ الحسنَ يُلْبَسُ أَحْمَرَا

وقال ابنُ زيد: الزُّخْرُف: أثاثُ البيت وما يُتَّخذ له مِن السُّرُر[٢] والنَّمارِق، وقال الحسن: النقوش[٣]، وقيل: التَّزاويق والنَّقْش[٤].

وقرأ الجمهور: «لَمَا» بفتح اللام وتخفيف الميم، فـ «إنْ» مخفَّفة مِن الثقيلة، واللام الفارقة بين الإيجاب والنفي، و«ما» زائدة، و«متاع» خبر «كلّ».

وقرأ الحسن وطلحة والأعمش وعيسى وعاصم وحمزة: «لمَّا» بتشديد الميم[٥] فـ: «إنْ» نافية، و«لمَّا» بمعنى «إلا».

وقرأ أبو رجاء، وفي «التحرير»: أبو حيوة: «لِمَا» بكسر اللام[٦]، وخرَّجوه على أنَّ «ما» موصولة والعائد محذوف، تقديره: للَّذي هو مَتَاع، كقوله: ﴿تَمَامًا عَلَى

= يزيد الثقفي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٣٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.
وأخرجه أيضاً الطبرانيُّ في الكبير ١٨/ (٣١٧) و(٣١٨) من حديث عمران بن حصين، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٣٠: رواه الطبرانيُّ بإسنادين؛ في أحدهما: يعقوب بن خالد بن نجيح البكري العبدي، ولم أعرفه، وفي الآخر: بكر بن محمد يروي، عن سعيد، عن شعبة، وبقيَّة رجاله ثقات.
وأخرجه الطبريُّ في تفسيره ٢٠/ ٥٩٢-٥٩٣ من طريق قتادة، عن النبيِّ ﷺ مرسلاً.

(١) جاء في هامش (د٢) ما نصه: أضاف هذا الشاعرَ لنفسه، لأنَّه ابنُ عمار أَحَدُ شعراء الأندلس. اهـ. والبيت من قصيدة طويلة يمدح بها أبو بكر محمدُ بنُ عمار المعتضدَ عبَّاداً والدَ المعتمد، كما ذكر ذلك أبو سعيد المغربيُّ في كتابه المُغرب في حُلَى المَغْرب ١/ ٣٩١، والتلمسانيُّ في كتابه نفح الطِّيب ١/ ٦٥٥-٦٥٦.
(٢) في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٥٤ والكلام منه: الستور. وقول ابن زيد عند الطبري ٢٠/ ٥٩٣، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٢٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٣.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٣، والنكت والعيون ٥/ ٢٢٥.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤.
(٥) المصدر السابق، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٣، وقراءة عاصم وحمزة ـ وهي أيضاً قراءةُ ابنِ عامرٍ في روايةٍ عنه ـ في السبعة ص٥٨٦، والتيسير ص١٩٦، والنشر ٢/ ٢٩١.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٣ عن أبي رجاء، وهي عنه في المحتسب ٢/ ٢٥٥، وهي في الكشاف ٣/ ٤٨٧ لكن دون عزوٍ.

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] في قراءة مَن رَفَعَ النونَ[١]، أي: على الذي هو أحسن. و«وإنْ» في هذا التخريج هي المخفَّفة مِن الثقيلة، و«كلّ» مبتدأ، وخبره في المجرور، أي: وإنْ كلّ ذلك لكائنٌ أو لمستقرٌّ لذي هو مَتَاع، ومِن حيث هي المخفَّفة مِن الثقيلة كان الإتيان باللام هو الوجه، فكان يكون التركيب: لكما متاع، لكنَّه قد تُحذَف هذه اللام إذا دلَّ المعنى على أنَّ «إنْ» هي المخفَّفة مِن الثقيلة، فلا يُضْطَرُّ إلى ذِكْر اللامِ الفارقة، ومِن ذلك قول الشاعر:

ونحن أُباةُ الضَّيْمِ مِن آلِ مالِكٍ وإنْ مالِكٌ كانت كرامَ المعادِنِ[٢]

يريد: لكانت، ولكنَّه حذف؛ لأنَّه لا يتوهَّم في «إنْ» أنْ تكونَ نافية؛ لأنَّ صدرَ البيت يدلُّ على المدح، وتعيّن «إنْ» لكونها المخفَّفة مِن الثقيلة.

«والآخِرَة عند ربِّك للمتقين» أي: ونعيم الآخِرَة، وفيه تحريضٌ على التقوى.

وقرأ الجمهور: «ومَن يَعْشُ» بضمِّ الشين، أي: يَتَعامَ ويَتَجاهل عن ذِكْره وهو يَعرف الحقَّ، وقيل: يقلّ نَظَره في شَرْعِ الله ويُغمِض جفونَه عن النَّظَر في ذِكْر الرَّحمن، والذِّكْر هنا يَجوز أَنْ يُراد به القرآن، واحتمل أَنْ يكون مصدراً أُضيف إلى المفعول، أي: يَعْشُ عن أَنْ يَذكُرَ الرَّحمنَ، وقال ابنُ عطيَّة: أي: فيما ذكرَ عبادَه، فالمصدر مضافٌ إلى الفاعل[٣]. انتهى. كأنَّه يُريد بالذِّكْر التَّذْكِيرَ.

وقرأ قتادة ويحيى بنُ سلَّام البَصْرِيُّ: «ومَن يَعْشَ» بفتح الشين[٤]، أي: يَعْمَ عن ذِكْرِ الرحمن وهو القرآن، كقوله: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ﴾ [البقرة: ١٨].

وقرأ زيد بنُ عليّ: «يَعْشُو» بالواو[٥]، قال الزمخشريُّ: على أنَّ «مَن» موصولة

---

(١) وهي قراءة يحيى بن يعمر، وقراءته في المحتسب ١/ ٢٣٤، وسلفت.

(٢) القائل: الطرمَّاح، والبيت في ديوانه ص٥١٢، وسلف عند تفسير الآية (٥١) من سورة الشعراء، وقال الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٧٧، إثر البيت: بل لا يجوز في البيت إدخال اللام كما لا يخفى على النحوي.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٥، وهي في تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٣، والبغوي ٤/ ١٣٩ عن ابن عباس، وزاد القرطبيُّ ١٩/ ٤٥ عكرمةَ.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٨٨ دون عزوٍ.

غيرُ مضمَّنة معنى الشَّرْط، وحقّ هذا القارئ أَنْ يرفعَ «نُقَيِّض»[(١)]. انتهى.

ولا يتعيَّن ما قاله؛ إذ تتخرَّج هذه القراءةُ على وجهين؛ أحدهما: أَنْ تكون «مَن» شرطيَّة، و«يَعْشُو» مجزوم بحَذْف الحركة تقديراً، وقد ذَكَر الأخفشُ أنَّ ذلك لغةٌ لبعضِ العرب، لا يَحذفون حروفَ العلَّة للجازم، والمشهور عند النُّحاة أَنَّ ذلك يكون في الشِّعْر لا في الكلام.

والوجه الثاني: أنْ تكون «مَن» موصولة، والجَزْمُ تشبيهاً للموصول باسم الشَّرْط، وإذا كان ذلك مسموعاً في «الذي» ـ وهو لم يكن اسمَ شَرْطٍ قطّ ـ فالأَولى أَنْ يكون فيما استعملَ موصولاً وشَرْطاً، قال الشاعر:

ولا تَحْفِرَنْ بئراً تُريد أخاً بها فإنَّكَ فيها أنتَ مِن دونه تَقَعْ
كذاكَ الذي يَبغي على الناس ظالماً تُصِبْه على رَغْمٍ عواقبُ ما صَنَعْ

أنشدهما ابنُ الأعرابيّ[(٢)]، وهو مذهب للكوفيِّين، وله وجهٌ مِن القياس، وهو أَنَّه كما شبَّه الموصول باسمِ الشَّرْط فدخلت الفاء في خبره، فكذلك يُشبّه به فيَنْجَزِم الخبر، إلّا أنَّ دخولَ الفاءِ منقاسٌ إذا كان الخبر مُسبَّباً عن الصِّلة بشروطِه المذكورة في عِلْم النحو، وهذا لا يَقيسه البَصْرِيُّون.

وقرأ الجمهور: «نُقَيِّض» بالنون، وعليّ، والسُّلَمي، والأعمش، ويعقوب، وأبو عمروٍ ـ بخلاف عنه ـ وحمَّاد عن عاصم، وعِصْمة عن الأعمشِ وعن عاصم، والعليميّ عن أبي بكر: بالياء[(٣)]، أي: «يُقَيِّض» الرَّحمنُ، وابنُ عباس:

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٨، قال الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٧٨: وتخريج الزمخشريّ مبنيٌّ على الفصيح المطَّرد المتبادر.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٤٥٦، والبيتان في أمالي الزجاجي ص١٨٥ منسوبان لسابق البربريّ.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٧، والكشاف ٣/ ٤٨٨، وقراءة السلميّ والأعمش في القراءات الشاذة ص١٣٥، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٦٩، ورواية عصمة ـ وهي عن أبي بكر، عن عاصم ـ في جامع البيان ٢/ ٤٠١، والنشر ٢/ ٣٦٩، والقراءات الشاذة ص١٣٥، مع الإشارة إلى أنَّ القراءة المشهورة عن أبي عمرو وعاصم هي كقراءة الجمهور.

«يُقَيَّض» مبنيًّا للمفعول «له شيطانٌ» بالرَّفْع[١]، أي: يُيَسَّر ويُعَدّ له، وهذا عقابٌ على الكفر بالخَتْم وعَدَم الفلاح، كما يقال: إنَّ اللهَ يُعاقِب على المعصية بالتَّزيُّد مِن السَّيِّئات.

وقال الزمخشريُّ: نَخْذُلُه ونُخَلِّ بينه وبينَ الشياطين، كقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [فصلت: ٢٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم: ٨٣]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزالِ.

والظاهر أنَّ ضميرَ النَّصْب في «وإنَّهم لَيَصُدُّونَهم» عائدٌ على «مَن» على المعنى، أعاد أوَّلاً على اللفظ في إفراد الضمير، ثم أعاد على المعنى، والضمير في: يصدُّونهم، عائدٌ على «شيطان» وإن كان مفرداً؛ لأنَّه مُبهَم في جنسه، ولكلِّ عَاشٍ[٢] شيطانٌ قرين، فجاز أَنْ يعودَ الضميرُ مجموعاً.

وقال ابنُ عطيَّة: والضمير في قوله: «وإنَّهم» عائدٌ على الشيطان، وفي «لَيَصُدُّونَهم» عائد على الكُفَّار[٣]. انتهى.

والأَولى ما ذَكَرناه؛ لتناسُقِ الضمائر في «وإنَّهم»، وفي «لَيَصُدُّونَهم» وفي «ويَحْسَبون» لمدلولٍ واحد، كأنَّ الكلامَ: وإنَّ العُشَاةَ لَيَصُدّنَّهم الشياطين «عن السبيل» أي: سبيل الهُدى والفَوز، «ويَحْسَبون» أي: الكُفَّار.

وقرأ أبو جعفر وشيبة وقتادة والزهريُّ والجحدريُّ وأبو بكر والحِرْميَّان: «حتى إذا جاءانا» على التَّثْنِيَة[٤]، أي: العَاشِي والقَرِين أعاد على لفظ «مَن» ولَفْظِ الشيطانِ القرين، وإنْ كان مِن حيث المعنى صالحاً للجَمْع.

وقرأ الأعمش والأعرج وعيسى وابنُ محيصن والأخوان وحفص: «جاءَنا»

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٧.
(٢) مأخوذٌ مَن: «يَعْشُ».
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٥.
(٤) المصدر السابق، وزاد: ابنَ عامر. وهو الصواب، وكذا زاده ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣١٦، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٤٨، والثعلبي ٥/ ٤١٣، وقراءة الحِرْمِيَّين ـ نافع وابن كثير ـ وابنِ عامر وعاصم في رواية أبي بكر شعبة ـ في السبعة ص٥٨٦، والتيسير ص١٩٦، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦٩.

على الإفراد[١]، والضمير عائدٌ على لفظ «مَن»، أعاد أوَّلاً على اللفظ، ثم جمع على المعنى، ثم أفرد على اللفظ، ونظير ذلك: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]. أفردَ أوّلاً ثم جمعَ في قوله: «خالدين»، ثم أفردَ في قوله: «له رزقاً».

رُويَ أنَّهما يُجعَلان يومَ البَعْثِ في سلسلة فلا يَفترقان حتى يصيِّرهما اللهُ إلى النار[٢].

«قال» أي: الكافرُ للشيطان: «يا ليتَ بيني وبينَك بُعْدَ المشرقين» تمنَّى لو كان ذلك في الدُّنيا حتى لا يصدَّه عن سبيل الله، أو تمنَّى ذلك في الآخِرَة، وهو الظاهر؛ لأنَّه جواب «إذا» التي للاستقبال، أي: مَشْرِقَي الشمس، مَشْرِقها في أقْصَر يومٍ مِن السَّنَة، ومَشْرِقها في أطول يومٍ، قاله ابنُ السائب[٣]، أو: بُعْدَ المشرق والمغرب، غلّب المَشْرِق فثنَّاهما، كما قالوا: العُمَران في: أبي بكر وعمر، والقَمَران في: الشمس والقمر، والمَوْصِلَان في: الجزيرة والمَوصِل، والزَّهْدَمان في: زَهْدَم وكَرْدَم، والعَجَّاجان في: رؤبة والعجاج، والأبَوان في: الأب والأم[٤]،

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٥ وزاد: أبا عمرو. وكذا زاده الماورديّ في النكت والعيون ٥/ ٢٢٦، تنظر المصادر الآنفة الذكر.

(٢) أورد الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٧٣ عن معمر، عن الجُريري سعيد بن إياس أنه قال: بلغنا أنَّ الكافر إذا بُعثَ يوم القيامة من قبره، أخذ بيده شيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار، فذلك حيث يقول: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾. والخبر عند عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٩٦، وينظر أيضاً تفسير البغوي ٤/ ١٣٩، والقرطبي ١٩/ ٤٨.

(٣) زاد المسير ٧/ ٣١٦ وعزاه أيضاً لمقاتل، وهو عنه في تفسير القرطبي ١٩/ ٤٨.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٣-٣٤، وإصلاح المنطق لابن السكيت ص٤٣٦ وما بعدها، والمثنَّى لأبي الطَّيِّب اللغوي ص٤ و٥ و٧ و١٠ و١٣ و١٥، وبهجة المجالس لابن عبد البرِّ ١/ ٩١-٩٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٨-٤٩، وورد عند بعضهم: الزهدمان: زَهْدَم وقَيْس أخوان من بني عبس بن بغيض، وهما اللذان أدركا حاجب بن زرارة يوم جَبَلَة ليأسراه، فغلبهما عليه مالكُ ذو الرُّقَيْبة القُشَيري. وينظر الصحاح وتاج العروس (زهدم)، وقول: إنَّما هما زهدم وكردم، عُزيَ لأبي عبيدة، وكلامه في كتابه مجاز القرآن ٢/ ١٧٣ ووصفهما بأنَّهما العبسيَّان الأخوان.

وهذا اختيارُ الفرَّاء والزجَّاج[١]، ولم يَذكُر الزمخشريُّ غيرَه، قال: فإنْ قلت: فما «بُعْد المَشْرِقين؟» قلت: تباعدهما، والأصل: بُعْد المشرق مِن المغرب، والمغرب مِن المشرق، فلما غلّب وجمعَ المفترقين بالتثنية أضاف البُعْدَ إليهما[٢]. انتهى.

وقيل: بُعْد المَشْرِقين مِن المغربين، فاكتفى بذِكْر المَشْرِقين، وكأنَّه في هذا القول يريد مَشْرِقَي الشمس والقمر ومغربَيهما.

«فبئسَ القرين» مبالغة منه في ذمِّ قرينِه؛ إذ كان سببَ إيراده النارَ، والمخصوص بالذَّمِّ محذوف، أي: «فبئسَ القرين» أنت.

«ولَنْ يَنْفَعكم اليومَ» حكايةُ حالٍ يُقالُ لهم يومَ القيامة، وهي مقالةٌ مُوحِشَة حرمتهم رَوْحَ التأسِّي؛ لأنه وَقَفهم بها على أنَّه لا يَنفعهم التأسِّي؛ لعِظَم المصيبة وطُول العذاب واستمرارِ مُدَّته، إذِ التأسي راحة كلِّ مُصابٍ في الدنيا في الأغلب، ألَا ترى إلى قولِ الخنساء:

ولولا كَثْرَةُ الباكينَ حَولي ... على إخوانهم لَقَتَلْتُ نفسي
وما يَبكون مِثْلَ أخي ولكن ... أُعزِّي النفسَ عنه بالتأسِّي[٣]

فهذا التأسِّي قد كفاها مُؤْنَةَ قَتْلِ النفس، فنفى اللهُ عنهم الانتفاعَ بالتأسِّي، وفي ذلك تعذيبٌ لهم ويَأْس مِن كلِّ خير، وهذا لا يكون إلَّا على تقدير أَنْ يكون الفاعل بـ: «ينفعكم»: «أنَّكم». ومعمولاها، أي: ولَن ينفعكم اشتراكُكم في العذاب، أي: لَن يُخفّف عنكم اشتراكُكم في العذاب، وإذا كان الفاعلُ غيرَ «أنَّ»، وهو ضميرٌ يَعود على ما يُفهَم مِن الكلام قَبْله، أي: تَمَنِّي مباعدة القَرِين والتَّبَرُّؤ منه، ويكون «أنَّكم» تعليلاً لاشتراككم في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه، وهو الكفر.

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٣، وللزجاج ٤/ ٤١٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٨٩.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٣، وللنحاس ٦/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٩-٥٠، والبيتان في ديوان الخنساء ص٨٤-٨٥، وسلفا.

وقال مقاتل: المعنى: ولَن يَنفعكم اليوم الاعتذارُ والنَّدَم؛ لأنَّكم وقرناءَكم مشتركونَ في العذاب كما اشْتَرَكتم في الكفر في الدنيا(١).

وعلى كون الفاعلِ غير «أنَّ» ـ وهي قراءةُ الجمهور ـ لا يتضمَّن الكلامُ نفيَ التأسِّي، وقرئ: «إنَّكم» بالكسر(٢)، فدلَّ على إضمار الفاعل، ويُقويِّه حَمْل «أنَّكم» بالفتح على التعليل(٣).

و«اليوم» و«إذ» ظرفانِ، فـ «اليوم» ظرف حال، و«إذ» ظرف ماضٍ، أمَّا ظرفُ الحال فقد يَعمل فيه المستقبل؛ لقُرْبه منه، أو لتجوُّزٍ، في المستقبل، كقوله: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾ [الجنّ: ٩]، وقولِ الشاعر:

سأسعى الآنَ إذْ بَلَغَتْ أَناها(٤)

وأمَّا «إذ» فماضٍ لا يَعمل فيه المستقبل، فقال الزمخشريُّ: و«إذ» بَدَل مِن «اليوم»(٥). انتهى. وحملَ «إذ ظلمتم» على معنى: إذ تبيَّن وصحَّ ظلمُكم ولم يَبْقَ لأحدٍ ولا لكم شُبْهة في أنَّكم كنتم ظالمين، ونظيره:

إذا ما انْتَسَبْنا لم تَلِدْني لَئيمَةٌ(٦)

أي: تبيَّن أنِّي وَلَدُ كريمةٍ. انتهى.

ولا يجوز فيه البَدَل على بقاء «إذ» على موضوعها مِن كونها ظرفاً لما مَضَى مِن الزمان، فإن جُعلَت لمُطلَق الوقت، جاز.

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٤، والبغوي ٤/ ١٤٠، والقرطبي ١٩/ ٥٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٩، وهي قراءة ابنِ عامر من رواية التغلبي، عن ابنِ ذكوان، ينظر السبعة ص٥٨٦، وجامع البيان للداني ٢/ ٤٠١، وقراءته المشهورة عنه بالفتح.

(٣) قال السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٥٩٠: ويؤيِّد إضمارَ الفاعل ـ لا أنَّه هو «أنَّكم» ـ قراءةُ «إنَّكم» بالكسر، فإنَّه استئناف مفيدٌ للتعليل.

(٤) وصدره: فإني لست خاذِلَكم ولكِن، والبيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٧٧، وأناها: منتهاها.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٨٩، وما بعده منه أيضاً.

(٦) المصدر السابق، وعجز البيت: ولم تَجِدِي من أن تُقِرِّي به بُدّا. وسلف.

وتخريجها على البَدَل أَخَذَهُ الزمخشريُّ مِن ابنِ جِنِّيّ، قال في مساءَلته أبا عليّ: رَاجَعْتُه فيها مِراراً، وآخِر ما حصّل منه: أنَّ الدنيا والآخِرَةَ متَّصلتان، وهما سواءٌ في حُكْم الله وعِلْمه، فتكون «إذ» بدلاً مِن «اليوم» حتى كأنَّها مُسْتَقبلة، أو كأنَّ اليوم ماضٍ[١].

وقيل: التقدير: بَعْدَ «إذ ظلمتم»، فحذف المضاف؛ للعِلْم به.

وقيل: «إذ» للتعليل حرفاً بمعنى «أنْ»[٢].

وقال الحوفيّ: «اليوم» ظرف متعلِّق بـ «ينفعكم»، ولا يَجوز تعلُّق «إذ» به؛ لأنَّهما ظرفا زمان ـ يعني ـ متغايران في المعنى تغايراً لا يُمكن أنْ يَجتمعا، قال: ولا يصحُّ أنْ يكون بَدَلاً مِن الآخَر، يعني لذلك التغاير مِن كون هذا ظرف حالٍ، وهذا ظرف مُضيّ، قال: ولكن تكون «إذ» متعلِّقة بما دلَّ عليه المعنى، كأنَّه قال: «ولَن يَنفعكم» اجتماعكم «إذ ظلمتم» ثمَّ قال: وفاعل «ينفعكم» الاشتراك. فناقَضَ؛ إذ جَعَل أوَّلاً فاعلَ «ينفعكم» اجتماعكم، ثمَّ قال: وفاعل «ينفعكم» الاشتراك.

وقيل: الفاعل محذوف، تقديره: ظُلْمكم أو: جَحْدكم، وهو العامل في «إذ»، لا ضمير الفاعل.

لمَّا ذَكَر تعالى حالَ الكفار وما يُقال لهم، وكانت قريش تَسمع ذلك فلا تَزداد إلَّا عُتُوًّا واعتراضاً، وكان هو ﷺ يَجتهد في تحصيلِ الإيمان لهم = خاطَبَه تعالى تسليةً له باستفهام تعجيب، أي إنَّ هؤلاء صُمٌّ، فلا يمكنك إسماعهم، عُمْيٌ حَيَارى فلا يمكن أنْ تَهديَهم، وإنَّما ذلك راجعٌ إليه تعالى.

ولـمَّا كانت حواسُّهم لم يَنتفعوا بها الانتفاعَ الذي يجدي خلاصَهم مِن عذاب الله، جُعِلوا صُمًّا عُمياً حَيَارى، ويريد بهم قريشاً، فهم جامِعُو الأوصاف الثلاثة، ولذلك عاد الضميرُ عليهم في قوله: «فإمَّا نذهبنَّ بكَ فإنَّا منهم منتقمون»

(١) الإملاء ٢/ ٢٢٨، وكلام ابنِ جنّيّ في كتابه الخصائص ٢/ ١٧٢، وينظر مغني اللبيب ص١١٤-١١٥.
(٢) الإملاء ٢/ ٢٢٨.

ولم يُجْرِ لهم ذِكراً إلّا في قوله: «أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ» الآية، والمعنى: إنْ قَبَضْنَاكَ قَبْلَ نَصْرِكَ عليهم «فإنَّا منهم منتقمون» في الآخِرَة، كقوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧].

«أو نُرِيَنَّك الذي وَعَدناهم» مِن العذاب النازلِ بهم، كيوم بدر «فإنَّا عليهم مقتدرونَ» أي: هم في قَبْضتنا لا يَفوتوننا، وهذا قولُ الجمهور، وقال الحسن وقتادة: المتوعّد هم الأُمَّة، أكرمَ تعالى نبيَّه عن أَنْ ينتقمَ منهم في حياته، كما انتقمَ مِن أُمَم الأنبياء في حياتهم، فوقعت النِّقْمة منهم بَعْدَ موته عليه السلام في الفِتَن الحادثة في صَدْرِ الإسلام مع الخوارج وغيرهم[(١)].

وقرئ: «نُرِيْنَكَ» بالنون الخفيفة[(٢)].

ولمَّا رَدَّد تعالى بين حياتِه وموتِه ﷺ، أَمَرَهُ بأَنْ يَستمسكَ بما أوحاه إليه، وقرأ الجمهور: «أُوحيَ» مبنيًّا للمفعول، وبعضُ قُرَّاء الشَّام: بإسكان الياء[(٣)]، والضحاكُ: مبنيًّا للفاعل[(٤)].

«وإنَّه» أي: وإنَّ ما أوحينا إليكَ «لذِكْرٌ لكَ ولقومِك» أي: شَرَفٌ حيث نَزَلَ عليهم وبلسانهم، وجعلَ سائرُ الناس تبعاً لهم، والقوم على هذا قريش ثم العَرَب، قاله ابنُ عباس ومجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ وابنُ زيد، كان عليه الصلاة والسَّلام يَعرِض نفسَه على القبائل، فإذا قالوا له: لِمَن يكون الأَمْرُ مِن بَعْدِك؟ سَكَت، حتى نزلت هذه الآية، فكان إذا سُئِلَ عن ذلك، قال: «لقريش» فكانت العربُ لا تَقبَلُ حتى قَبِلَته الأنصار[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٥٦، وقول الحسن وقتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٦٠٠-٦٠١.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٩٠، وهي قراءة رويس عن يعقوب، كما في النشر ٢/٢٤٦.

(٣) أي: «أُوحِيْ». القراءات الشاذَّة ص١٣٧.

(٤) أي: «أَوحَى». ولم نقف على القراءة عند غيره، ونقلها عنه السمينُ في الدر ٩/ ٥٩٣، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٨٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٧، وينظر تفسير الثعلبيّ ٥/ ٤١٤-٤١٥، والبغوي ٤/ ١٤٠، وزاد المسير ٧/ ٣١٨، والخبر المرفوع أخرجه الثعلبيُّ بإسناده إلى عليّ، وإلى الضحاك عن ابن عباس أيضاً، وينظر خبر معاوية عند البخاري (٣٥٠٠).

وقال الحسن: القوم هنا أُمَّته، والمعنى: وإنَّه لتذكرةٌ وموعظة[١].

قيل: وهذه الآية تدلُّ على أنَّ الإنسان يَرغَبُ في الثناء الحَسَن والذِّكْرِ الجميل، ولو لم يَكن ذلك مرغوباً فيه ما امتنَّ به تعالى على رسوله، فقال: «وإنَّه لذِكْرٌ لَكَ ولقومِك»، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] والذِّكْر الجميل قائمٌ مقامَ الحياة، بل هو أفضل مِن الحياة، لأنَّ أثَر الحياة لا يَحصُل إلَّا في الحيِّ، وأثَر الذِّكْر الجميل يَحصُل في كلِّ مكان وفي كلِّ زمانٍ[٢]. انتهى. وقال ابنُ دُرَيد:

وإنَّما المَرءُ حديثٌ بَعْدَهُ ... فكن حديثاً حَسَناً لِمَن وَعَى[٣]

وقال آخَرُ[٤]:

إنَّما الدُّنيا محاسنها ... طِيْبُ ما يَبقى مِن الخَبَرِ

وذُكرَ أنَّ هلاكو مَلِك التتار سَأَلَ أصحابَه: مَن المَلِك؟ فقالوا له: أنتَ الذي دوَّختَ البلادَ، ومَلَكْتَ الأرضَ، وطاعَت لكَ الملوك، فقال: لا المَلِك هذا ـ وكان المُؤذِّن إذ ذاكَ يُؤذِّن ـ هذا الذي له أَزْيَدُ مِن ستّ مئة سنة قد ماتَ وهو يُذكَر على المآذِن في كلِّ يومٍ خمسَ مرَّات. يريد محمداً رسولَ الله ﷺ[٥].

«وسوف تُسألون»، قال الحسن: عن شُكْر هذه النِّعْمَة[٦]، وقال مقاتل: المُراد مَن كذبَ به يُسْأَلُ سؤالَ توبيخ[٧].

«واسْأَل مَن أَرسلنا مَن قَبْلَك مِن رُسُلنا» قيل: هو على ظاهره، وأنَّ جبريلَ عليه السلام قال له ليلةَ الإسراء حين أَمَّ بالأنبياء: «واسْأَل مَن أرسلنا». فلم يَسْألهم؛ إذ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٧.
(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ٢١٥.
(٣) مقصورة ابن دريد بشرح التبريزي ص١٨٥، وسلف عند تفسير الآية (١٥٢) من سورة البقرة.
(٤) سلف في المكان المشار إليه آنفاً.
(٥) نَقَله عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٨٧، ولم نقف عليه عند غيره.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٧.
(٧) تفسير الرازي ٢٧/ ٢١٥.

كان أثبتَ يقيناً ولم يَكن في شَكٍّ، ورُويَ ذلك عن ابنِ عباس وابنِ جبير والزهريّ وابنِ زيد(١).

وفي الأَثَر: أنَّ مِيْكالَ قال لجبريلَ: هل سَأل محمَّد عن ذلك؟ فقال: هو أَعظمُ يقيناً وأوثقُ إيماناً مِن أنْ يَسألَ ذلك(٢).

وقال ابنُ عباس أيضاً والحسن ومجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ وعطاء: أَراد «واسْأَل» أَتْباع «مَن أرسلنا» وحَمَلَة شرائعهم(٣)، إذ يستحيلُ سؤالُ الرُّسلِ أنفسِهم، وليسوا مجتمعينَ في الدنيا.

قال الفرَّاء: هم إنَّما يُخبِرونه عن كُتب الرُّسُل، فإذا سَألهم فكأنَّه سَألَ الرُّسل(٤).

والسؤالُ الواقِعُ مجازاً عن النَّظر ـ حيث لا تصحُّ الحقيقةُ ـ كثيرٌ، منه مساءَلَةُ الشُّعَراءِ الدِّيارَ والأطلالَ، ومنه: سَلِ الأرضَ: مَن شَقَّ أنهارَكِ وغَرَسَ أشجارَكِ وجَنَى ثمارَكِ، فإنَّها إنْ لم تُجِبْكَ جوازاً، أَجابتكَ اعتباراً(٥)، فالسؤال هنا مجازٌ عن النَّظَر في أديانهم، هل جاءَت عبادةُ الأوثان قَطّ في مِلَّةٍ مِن مِلَلِ الأنبياء.

والذي يَظهر أنَّه خطابٌ للسَّامع الذي يُريد أَنْ يَفحصَ عن الدِّيانات، فقيل له: اسأل أيُّها الناظرُ أَتباعَ الرُّسُلِ: أَجاءَت رُسُلهم بعبادةِ غيرِ الله؟ فإنَّهم يُخبرونكَ أنَّ ذلك لم يَقَع ولا يُمكن أَنْ يَأْتوا به.

وأَبْعَدَ مَن ذَهَبَ إلى أنَّ المعنى: واسْأَلني، أو: اسْأَلْنا عَن مَن أَرْسَلنا، وعلّق

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٦، والنكت والعيون ٥/ ٢٢٧-٢٢٨، والوسيط للواحدي ٤/ ٧٥، والبغوي ٤/ ١٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٧، وزاد المسير ٧/ ٣١٩، والقرطبيّ ١٩/ ٥٤، وقول الزهريّ عند الثعلبي ٥/ ٤١٦، وقولُ ابنِ زيد عند الطبريّ ٢٠/ ٦٠٥.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٢٨، والقرطبي ١٩/ ٥٦، وأورد عن المصنِّف الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٨٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٧، وزاد المسير ٧/ ٣١٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ٥٥-٥٦، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٦٠٤-٦٠٥.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩٠، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٣٤.

(٥) تفسير الرازي ٢٧/ ٢١٦.

«واسْأَل» فارتفع «مَن» وهو اسمُ استفهامٍ على الابتداء، و«أرسلنا» خبره، والجملة في موضع نَصْب بـ «اسْأَل» بَعْدَ إسقاط الخافض، كأنَّ سؤالَه: مَن أَرسلتَ يا ربّ قَبْلِي مِن رُسُلك؟ أَجَعلت في رسالته آلهةً تُعبَد، ثمَّ ساقَ السؤالَ، فحكى[1] المعنى فردّ الخطابَ إلى محمَّد في قوله: «مِن قَبْلِك».

❋ ❋ ❋

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

مناسبة هذه الآيات لِمَا قَبْلَها مِن وجهين: أحدهما: أنَّه لمَّا تقدَّم طَعْنُ قريشٍ على الرَّسول واختيارهم أنْ يَنْزِلَ القرآنُ «على رجلٍ مِن القريتين عظيم» أي: في الجاهِ والمال، ذَكَر أنَّ مِثْلَ ذلك سَبَقَهم إليه فرعونُ في قوله: «أليسَ لي ملكُ مِصْر» إلى آخِر الآية، افتخر بالمُلْك والمال والجاه، ففرعون قُدْوتهم في ذلك، ومع ذلك فصار فرعون مقهوراً مع موسى مُنتقماً منه، فكذلك قريش.

والوجه الثاني: أنَّه لمَّا قال: «واسْأَل مَن أَرسلنا» الآية، ذَكَر قصَّة موسى وعيسى وهما أكبر أَتباعاً ممَّن سَبَقَهم مِن الأنبياء، وكلٌّ جاءَ بالدُّعاء إلى الله وإفراده بالعبادة، فلم يَكن فيما جاءَا به إباحةُ اتِّخاذِ آلهةً مِن دونِ الله، كما اتَّخذت قريش، فناسبَ ذِكْر قصَّتها للآية التي قَبْلَها.

وآيات موسى: هي المعجزات التي أتى بها، وخصَّ المَلأ بالذِّكْر وهم الأَشراف؛ لأنَّ غيرَهم مِن الناس تَبعٌ لهم.

(١) في المحرر الوجيز ٥/٥٧ والكلام منه: محكيّ.

«فلمَّا جاءَهم بآياتِنا» قَبْلَه كلامٌ محذوفٍ، تقديره: فطالَبوه بما يدلُّ على صحَّة دَعواهُ الرسالةَ مِن الله، «فلمَّا جاءهم بآياتنا» وهي انقلابُ العَصَا ثعباناً، وعَودُها عصاً، وإخراجُ اليَدِ بيضاءَ نيِّرةً وعَودُها إلى لونها الأوَّل.

«إذا هم منها يَضحكون» أي: فاجَأَهم الضَّحكُ بحيث لم يُفكِّروا ولم يتأمَّلوا، بل بنفسِ ما رَأَوا ذلك ضَحِكوا؛ سخريةً واستهزاءً، كما كانت قريش تَضْحَك.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف جازَ أَنْ يُجاب «لمَّا» بـ «إذا» المفاجأة؟

قلت: لأنَّ فِعْلَ المفاجأة معها مقدَّر وهو عاملُ النَّصْب في محلِّها، كأنَّه قيل: «فلمَّا جاءَهم بآياتِنا» فاجؤوا وقتَ ضَحِكهم[1]. انتهى.

ولا نَعْلَم نَحْويًّا ذَهَبَ إلى ما ذَهَبَ إليه هذا الرجلُ مِن أنَّ «إذا» الفجائيَّة تكون منصوبةً بفِعْلٍ مقدَّر، تقديره: فَاجَأ، بل المذاهبُ فيها ثلاثة: مذهب أنَّها حرفٌ فلا تحتاجُ إلى عامل، ومذهب أنَّها ظرفُ مكان، فإنْ صرَّح بَعْدَ الاسم بَعْدَها بخبرٍ له، كان ذلك الخبر عاملاً فيها، نحو: خرجت فإذا زيدٌ قائم، فـ: قائم، ناصبٌ لـ «إذا»، كأنَّ التقديرَ: خَرَجت ففي المكان الذي خَرَجت فيه زيدٌ قائمٌ، ومذهبٌ أنَّها ظرفُ زمانٍ، والعامل فيه الخبر أيضاً، كأنَّه قال: ففي الزمان الذي خَرَجت فيه زيدٌ قائم، وإن لم يُذكَر بَعْدَ الاسم خبرٌ، أو ذُكرَ اسمٌ منصوب على الحال، كانت «إذا» خبراً للمبتدأ، فإنْ كان المبتدأ جُثَّةً ـ وقلنا «إذا» ظَرْف مكان ـ كان الأَمْرُ واضحاً، وإنْ قلنا: ظرف زَمَان، كان الكلامُ على حذفٍ، أي: ففي الزمانِ حضورُ زيدٍ[2].

وما ادَّعاه الزمخشريُّ مِن إضمار فِعْل المفاجأة، لم ينطقْ به ولا في موضعٍ واحد، ثم المفاجأة التي ادَّعاها لا يدلُّ المعنى على أنَّها تكون مِن الكلام السابق، بل المعنى يدلُّ على أنَّ المفاجأة تكون مِن الكلام الذي فيه «إذا»، تقول: خرجت فإذا الأسد، فالمعنى: ففاجَأَني الأَسَدُ، وليس: ففاجَأْت الأَسَدَ.

«وما نُريهم مِن آيةٍ إلَّا هي أكبرُ من أختها» قال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: إذا

(١) الكشاف ٣/ ٤٩٠-٤٩١.

(٢) ينظر رصف المباني للمالقي ص٦١ وما بعدها، ومغني اللبيب ص١٢٠ وما بعدها، وارتشاف الضرب ٣/ ١١٢١ وما بعدها، وحاشية الشهاب الخفاجيّ ٧/ ٤٤٤.

جاءَتهم آيةٌ واحدةٌ مِن جُملة التِّسْع، فما أُختها التي فُضِّلَت عليها في الكِبَر مِن بقيَّة الآيات؟

قلت: أختها التي هي آيةٌ مِثْلُها، وهذه صفةُ كلِّ واحدةٍ منهما، فكان المعنى على أنَّها أكبرُ مِن بقيَّة الآيات، على سبيل التفضيل والاستقراء واحدةً بَعْدَ واحدةٍ، كما تقول: هو أفضلُ رجلٍ رأيته، تريد تفضيلَه على أُمَّة الرِّجال الذين رأيتهم إذ قَرَوتَهم[١] رجلاً رجلاً.

فإن قلت: فهو كلام متناقض؛ لأنَّ معناه: ما مِن آيةٍ مِن التِّسْع إلَّا وهي أكبرُ مِن كلِّ واحدةٍ منها، فتكون كلُّ واحدةٍ منها فاضِلَةً ومفضولةً في حالةٍ واحدة؟

قلت: الغَرَض بهذا الكلام أنَّهنَّ موصوفاتٌ بالكِبَر لا يَكَدْنَ يتفاوتنَ فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفَضْل وتَتَقارَبُ[٢] منازلهم فيه التقاربَ[٣] اليسير، أنْ تختلفَ آراءُ الناسِ في تفضيلها، فيُفضِّل بعضُهم هذا، وبعضُهم ذاك، فعلى هذا بَنَى الناسُ كلامَهم، فقالوا: رأيتُ رجالاً بعضُهم أفضلُ مِن بعض، وربَّما اختلفت آراءُ الرَّجُلِ الواحدِ فيها، فتارةً يُفضِّل هذا، وتارةً يُفضِّل ذاك، ومنه بيتُ الحماسة:

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدَهُم ... مثل النُّجومِ التي يَسري بها السَّارِي[٤]

وقد فاضَلَت الأنمارِيَّةُ بين الكَمَلَة مِن بَنِيْها، ثم قالت لمَّا أَبْصَرَتْ مراتِبَهم متدانِيَةً قليلةَ التفاوت: ثَكِلْتُهم إنْ كنتُ أَعْلَم أيُّهم أَفْضَل، هم كالحَلْقَة المُفْرَغة لا يُدرَى أينَ طَرَفاها[٥]. انتهى.

---

(١) في النسخ عدا (يه): قررتهم. والمثبت منها ومن مطبوع الكشاف ٣/ ٤٩١ ومخطوطه الورقة (٢٧٦)، وجاء بهامشه: أي: استقريتهم وتتبَّعتهم.

(٢) في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٩١: وتتفاوت. والمثبت من البحر ومن مخطوط الكشاف الورقة (٢٧٦).

(٣) في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٩١: التفاوت. والمثبت من المصدرين المشار إليهما آنفاً.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩١، والبيت لعبيد بن العَرَنْدَس، وهو في الحماسة البَصْريَّة ١/ ١٥١، وشرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ٤/ ١٥٩٥، وللتبريزي ٤/ ٧٢.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٩١، والأنمارية هي: فاطمة بنت الخُرْشُب إحدى المنجبات من أنمار بني بغيض بن ريث بن غطفان، وَلَدت الكَمَلَة من بني عبس، ولم يُوجد مثلهم غيرهم: ربيع

وهو كلامٌ طويل ملخَّصه أنَّ الوصفَ بالأكبريَّة مجازٌ، وأنَّ ذلك بالنسبة إلى الناظرين فيها.

وقال ابنُ عطيَّة: عبارةٌ عن شِدَّة موقعِها في نفوسِهم؛ لجِدَّة أَمْرِها وحُدُوثه، وذلك أنَّ [أوَّلَ] آية عَرَضها موسى هي: العصا واليد، وكانت أكبرَ آياته، ثم كلُّ آيةٍ بَعْدَ ذلك كانت تَقَعُ فيَعظم عندهم مجيئها ويكبر؛ لأنَّهم كانوا أُنْسوا التي قَبْلَها، فهذا كما قال الشاعر:

على أنَّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ ما يَمضي

وذهب الطبريُّ إلى أنَّ الآياتِ هنا هي الحجَجُ والبيِّناتُ(١). انتهى.

وقيل: كانت آياته مِن كبارِ الآيات، وكانت كلُّ واحدةٍ أَكبرَ مِن التي قَبْلَها، فعلى هذا يكون ثَمَّ صفة محذوفة، أي: مِن أُختها السابقة عليها، ولا يَبقى في الكلام تعارض، ولا يكون ذلك الحكم في الآية الأولى؛ لأنَّه لم يَسْبِقْها شيءٌ فتكون أكبرَ منه.

وقيل: الأُولى تقتضي عِلْماً، والثانية تقتضي عِلْماً مُنضمًّا إلى عِلْم الأُولى، فيَزداد الرُّجوع، ومعنى: «أختها»: مُناسِبَتُها، تقول: هذه الدُّرَّة أُخْتُ هذه، أي: مناسبتها.

«وأَخَذْناهُم بالعذاب» بالسِّنين ونقصٍ مِن الثمرات والطُّوفان والجَرَاد والقُمَّل والضَّفادع والدَّم، وذلك عقابٌ لهم، وآياتٌ لموسى.

«لعلَّهم يرجعون» عن كفرهم، قال الزمخشريُّ: «لعلَّهم يَرجعون» إرادةَ أَنْ يَرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

= الحفاظ، وعمارة الوهاب، وقيس الحفاظ، وأنس الفوارس. وخبرها في الديباج لأبي عبيدة ص٧٤، ومستقصى الأمثال للزمخشري ١/ ٣٨٣.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٨، وما سلف بين حاصرتين استدرك منه، والبيت لأبي خراش خُويلد بن مُرَّة الهُذَلِيّ، وهو في شرح ديوان الهذليين ٣/ ١٢٣٠، وأمالي القالي ١/ ٢٧١، والخصائص لابن جنِّيّ ٢/ ١٧٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٧، وخزانة الأدب ٥/ ٤٠٥، وتعفو: تذهب وتَبْرأ، والكلوم: الجروح، يعني: إنَّما نحزن على الأقرب فالأقرب، ومَن مضى نسيناه ولو عَظُمَ ما مضى. وكلام الطبري في تفسيره ٢٠/ ٦٠٧-٦٠٨.

فإنْ قلت: لو أراد رجوعَهم لكان؟

قلت: إرادته فِعْلَ غيرِه ليس إلَّا أنْ يَأْمُرَه به ويَطلبَ منه إيجادَه، فإن كان ذلك على سبيل القَسْر وُجِدَ، وإلَّا دَارَ بين أنْ يُوجَدَ وبينَ أنْ لا يُوجَد على اختيار المكلَّف، وإنَّما لم يَكن الرجوع[١]؛ لأنَّ الإرادةَ لم تكن قَسْراً ولم يَختاروه[٢]. انتهى. وهو على طريقِ الاعتزال.

وقال ابنُ عطيَّة: «لعلَّهم» تَرَجٍّ بحسَب معتقدِ البَشَر وظَنِّهم[٣].

«وقالوا يا أيُّه السَّاحِر ادْعُ لنا رَبَّكَ» أي: في كَشْف العذاب، قال الجمهور: وهو خطابُ تعظيم؛ لأنَّ السِّحْرَ كان عِلْمَ زمانِهم، أو لأنَّهم استَصْحبوا له ما كانوا يَدَّعُون به أوَّلاً، ويكون قولُهم: «بما عَهِدَ عندَك إنَّنا لمهتدون» إخبارَ مطابق مقصود[٤].

وقيل: بل خطابُ استهزاء وانتقاصٍ، ويكون قولُهم: «بما عَهِدَ عندَك» أي: على زَعْمِك وقولِكَ.

«وإنَّنا لمهتدون» إخبارٌ غيرُ مطابقٍ معلَّقٌ على شَرْط دعائِه وكَشْفِ العذاب، وعَهْدٌ معزومٌ على نَكْثِه، ألَا تَرَى «فلمَّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم يَنكثون».

وعلى القول الأوَّل يكون قوله: «فلمَّا كَشَفنا عنهم العذابَ إذا هم ينكثون» جارياً على عادة أكثرِ الناسِ؛ إذا مسَّه الضُّرُّ تَضرَّع ودَعَا، وإذا كُشِفَ عنه رَجَعَ إلى عادته الأُولى، كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢][٥].

وقوله: «بما عَهِدَ عندَك» محتمل أنْ يكون مِن أنَّ دَعْوتَكَ مستجابةٌ، أو مِن

---

(١) كذا في (ت) و(د٣) و(ع) و(يه)، وفي (د٢) ومطبوع البحر: الرجوح. وفي تفسير القرطبي ١٩/ ٥٧ والكلام منه: الوضوح. ولعلَّه الصواب.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٩١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٨.

(٤) كذا في النسخ، والأوجه: إخباراً مطابقاً مقصوداً.

(٥) من قوله: وعلى القول الأول... إلى هنا، ليست في (د٢) و(يه).

النبوَّة، أو مِن كَشْفِ العذاب عمَّن اهتدى، أو ممَّا وَفَّيتَ به، وهو الإيمان والطاعة[١]، وفي الكلام حَذْفٌ، أي: فدعا موسى فكشف «فلمَّا كَشَفنا».

وقرأ أبو حيوة: «يَنْكِثُونَ» بكسرِ الكاف[٢].

«ونادَى فرعونُ في قومه» جَعَلَ القومَ محلًّا للنِّداء، والظاهر أنَّه نادى[٣] عظماءَ القِبْط في محلِّه الذي ـ هو وهم ـ يَجتمعون فيه، فرفع صوتَه فيما بينهم لتَنتشر مقالتُه في جميع القِبْط، ويجوز أنْ يكون أَمرَ بالنِّداء فأُسندَ إليه.

وسَبَب ندائِهِ ذلك أنَّه لمَّا رَأى إجابةَ اللهِ دعوةَ موسى، ورفع العذاب، خاف مَيْلَ القوم إليه، فنادى: «قال يا قومِ أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ» أراد أن يُبيِّن فَضْلَه على موسى بملك مِصْر، وهي مِن إسْكَنْدَرِيَّة إلى أُسْوَان، «وهذه الأنهار» أي: الخُلْجَان التي تخرج مِن النِّيْل، وأعظمها: نهر الملِك، ونهر طُولون، ونهر دِمْيَاط، ونهر تِنِّيس[٤].

والواو في «وهذه الأنهار» واوُ الحال، و«تجري» خبرُ «وهذه»، و«الأنهار» صفة، أو عطفُ بيان، وجوّز أنْ تكون الواو عاطفةً على «ملك مصر»، و«تجري» حال.

«مِن تحتي» أي: مِن تحتِ قَهْرِي وملكي، وقال قتادة: كانت جناناً وأنهاراً تَجري مِن تحت قَصْرِهِ، وقيل: كان له سريرٌ عظيم، وقَطَعَ مِن نيل مِصْر قطعةً قَسمها أنهاراً تجري مِن تحت ذلك السرير[٥].

وأَبْعَدَ الضحاكُ في تفسيره الأنهارَ بالقُوَّاد والرُّؤساء الجبابرة يَسيرون تحت لوائه[٦]، ومَن فسَّرها بالأموال يُفرِّقها من تحت يَدِه، ومَن فسَّرها بالخيل، وقال:

---

(١) من قوله: أو من النبوة... إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه)، ولم ترد عند بقيَّة النسخ، والكلام من الكشاف ٣/ ٤٩٢.
(٢) القراءات الشاذة ص١٣٥.
(٣) هنا ينتهي السقط الواقع في (ز٢)، والمشار إليه عند تفسير الآية (٥) من هذه السورة.
(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٧-٤١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ٥٩.
(٥) ينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٠ والمصادر الآنفة الذكر، وينظر قولُ قتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٦١٠.
(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٥٩ نقلاً عن النكت والعيون ٥/ ٢٣٠.

كما يُسمَّى الفَرَسُ بَحْراً يُسمَّى نهراً، وهذه الأقوال الثلاثة تَقرُب مِن تفاسير الباطنيَّة.

«أفَلا تبصرون» عَظَمتي وقُدرتي وعَجْزَ موسى؟!

وقرأ فهد بنُ الصَّقر[(١)]: «يُبْصِرونَ» بياء الغيبة، ذَكَره في «الكامل» للهُذَليّ، والسَّاجيّ[(٢)] عن يعقوب، ذكره ابنُ خالويه[(٣)]، وكَسَرَ نونَ «تُبصِرون» عيسى.

قال الزمخشريُّ: وليتَ شِعْرِي، كيف ارتقت إلى دعوى الربوبيَّة همَّةُ مَن تعظَّم بمُلْكِ مِصْرَ وعَجَّبَ الناس مِن مَدَى عظمته، وأمَرَ فنُودي بها في أسواق مصر وأزِقَّتها؛ لئلا تَخفى تلك الأُبَّهةُ والجَلَالة على صغيرٍ ولا كبيرٍ، وحتى يَتَربَّع في صدورِ الدَّهْماء مقدارُ عِزَّته ومَلَكوته.

وعن الرَّشِيد أنَّه لمَّا قَرَأها قال: لَأُوَلِّيَنَّها أَخَسَّ عَبيدي، فولَّاها الخَصِيْبَ وكان على وَضُوئه، وعن عبد الله بنِ طاهر أنَّه وُلِّيَها، فخَرَجَ إليها، فلمَّا شارَفَها ووَقَع عليها بَصَره، قال: أهيَ القرية التي افتخرَ بها فرعونُ حتى قال: «أليسَ لي مُلْكُ مِصْرَ»، واللهِ لهيَ أقَلُّ عندي مِن أنْ أدخُلَها، فَثَنَى عِنَانَه[(٤)].

«أم أنا خيرٌ مِن هذا الذي هو مَهِين» الظاهر أنَّها «أم» المنقطعة المقدَّرة بـ «بل» والهمزة، أي: بل أأَنَا خيرٌ، وهو إذا استفهم أهو خير ممَّن هو ضعيف لا يَكاد يُفصِح عن مقصوده إذا تكلَّم وهو المَلِك المُتحكِّم فيهم، قالوا له بلا شَكٍّ: أنت خير. وقال السُّدِّيُّ وأبو عبيدة: «أم» بمعنى «بل»[(٥)]، فيكون انتقل مِن ذلك الكلام

---

(١) في مطبوع البحر المحيط: مهدي بن الصفير؟! وفهد بن الصقر من جُلَّة أصحاب يعقوب، روى القراءةَ عنه عرضاً وعن أيوب بن المتوكل، وروى القراءة عنه ابنُ أخته إبراهيم بن خالد. غاية النهاية ٢/ ١٣.

(٢) لعلَّه: أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي، مُحدِّث البصرة وشيخها ومفتيها، توفي سنة (٣٠٧هـ). السير ١٤/ ١٩٧-١٩٩، ولعلَّ القراءة رواها عن يعقوب بواسطة؛ لبُعد ما بينهما.

(٣) في كتابه القراءات الشاذة ص١٣٥، وما بعده منه أيضاً.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩٢، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٦٠، ولم نقف على الخبرين فيما بين أيدينا من مصادر، ونَقَلهما عن المصنِّف الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٣٩٦.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٠، وقول السدي عند الطبري ٢٠/ ٦٦١-٦٦٢، والماورديّ في النكت والعيون ٥/ ٢٣٠، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٤.

إلى إخباره بأنَّه خيرٌ ممَّن ذكرَ، كقول الشاعر:

بَدَت مِثْلَ قَرْنِ الشمسِ في رَونَقِ الضُّحَى وصورتِها أم أنتِ في العين أَمْلَحُ(١)

وقال سيبويه: «أم» هذه المعادِلة، أي: أم تبصرون الأمْرَ الذي هو حقيقٌ أنْ يُبصَر عنده، وهو أنَّه خيرٌ مِن موسى(٢).

وهذا القول بَدَأ به الزمخشريُّ، فقال: «أم» هذه متَّصلة؛ لأنَّ المعنى: أَفَلا تُبصرونَ أَمْ تُبصرون؟ إلَّا أنَّه وضعَ قوله: «أنا خيرٌ» موضع «تُبصِرون»؛ لأنَّهم إذا قالوا: أنت خيرٌ، فهم عنده بُصَراءُ، وهذا مِن إنزال السببِ منزلةَ المسبَّب(٣). انتهى.

وهذا القول متكلَّف جدًّا؛ إذِ المعادل إنَّما يكون مقابِلاً للسَّابِق؛ فإنْ كان السابق جملةً فعليَّةً، كان المعادِلُ جملةً فعلية، أو جملةً اسميَّةً يتقدَّر منها فعليَّة، كقوله: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] لأنَّ معناه: أم صَمَتُّم، وهنا لا يتقدَّر منها جملةٌ فعليَّة؛ لأنَّ قولَه: «أم أنا خيرٌ» ليس مقابِلاً لقوله: «أَفَلا تُبصرون» وإن كان السابِقُ اسماً، كان المعادِلُ اسماً أو جملةً فعليَّة يتقدَّر منها اسمٌ، نحو قوله:

أَمُخْدَجُ اليَدَينِ أم أُتِمَّتِ(٤)

فـ: أتمَّت، معادِلٌ للاسم، فالتقدير: أم مُتِمًّا، وقيل: حذف المعادِل بَعْدَ «أَم»؛ لدلالة المعنى عليه، إذ التقدير: أم: تُبصِرون، فحذف: تبصرون، وهذا لا يجوز إلَّا إذا كان بعد «أم»: «لا»، نحو: أيقوم زيدٌ أم لا؟ تقديره: أم لا يَقوم،

(١) البيت نُسبَ لذي الرّمَّة، وهو في ملحق ديوانه ٣/ ١٨٥٧، وسلف عند تفسير الآية (١٠٠) من سورة البقرة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩، وينظر الكتاب ٣/ ١٧٣، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٥.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩٢.

(٤) الرجز لجَحْدَر ربيعة بن ضُبَيْعَة ـ وجحدر هو الجعد القصير من الناس ـ وقبله: إذا الكُماة بالكماة التفَّتِ. وهو في حماسة أبي تمام ٢/ ٣٤ (بشرح التبريزي)، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٩٦، وهو بلا نسبة في ارتشاف الضرب ٤/ ٢٠٠٧، وورد عند الأوَّلَين هكذا: أَمُخْدَجٌ في الحرب أم أتمَّت، والمُخدَج: الولد يُولَد ناقصاً وإن تمَّت أيام حمله.

و: أَزَيدٌ عندَك أم لا؟ أي: أم لا هو عندك، فأمَّا حذفه دونَ «لا» فليس مِن كلامهم، وقد جاء حذف «أم» والمعادِل وهو قليل، قال:

دَعاني إليها القلبُ إنِّي لأَمْرِها سميعٌ فما أدري أَرُشْدٌ طِلابُها[1]

يريد: أم غَيٌّ، وحكى الفرَّاء عن بعض القرَّاء أنَّه قرأ: «أَمَا أَنَا خيرٌ»[2] دخلت الهمزة على «ما» النافية، فأفادت التقرير.

«ولا يَكادُ يُبين» الجمهور أنَّه كان بلسانه بعض شيءٍ مِن أَثَر الجَمْرة، ومَن ذهب إلى أنَّ الله كان أجابه في سؤاله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] فلم يَبْقَ لها أَثَرٌ، جَعَلَ انتفاءَ الإبانة بأنَّه لا يبين حجَّته الدَّالَّة على صِدْقه فيما يَدَّعي، لا أنَّه لا قدرةَ له على إيضاح المعنى لأَجْلِ كلامه، وقيل: عابَهُ بما كان عليه موسى مِن الحُبْسَة أيام كان عند فرعون، فنسبَ إلى ما عَهِدَه؛ مبالغةً في التعيير.

وقول فرعون: «ولا يكاد يبين» كذبٌ بَحْتٌ، أَلَا ترى إلى مناظرته له ورَدِّه عليه وإفحامِه بالحجَّة، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلُّهم بلغاء.

وقرأ الباقر: «يَبين» بفتح الياء[3]، مِن: بان: إذا ظَهَر.

«فلولا أُلقيَ عليه أَساوِرَةٌ[4] مِن ذهب» قال مجاهد: كانوا إذا سَوَّدُوا رَجُلاً، سَوَّروه بسوارَيْن، وطوَّقوه بطَوقٍ مِن ذهب؛ علامةً لسُودَدِه، فقال فرعون: هلَّا أَلْقَى ربُّ موسى عليه أساورةً مِن ذهب إنْ كان صادقاً[5]، فكان ذلك دليلاً على إلقاءِ مقاليدِ الملك إليه.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ٧١، وسلف.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ٦٢، وكلام الفرَّاء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٣٥ نَقْلاً ـ فيما ظنَّه ـ عن الكسائي، وأوردها عنه ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٧، والطبريُّ في تفسيره ٢٠/ ٦١٢ وقال: ولو كانت هذه القراءةُ قراءةً مستفيضةً في قَرَأَةِ الأمصار، لكانت صحيحة، وكان معناها حَسَناً، غير أنها خلافُ ما عليه قَرَأَةُ الأمصار، فلا أستجيز القراءة بها.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩.

(٤) كذا في النسخ، وهي قراءة الجمهور عدا حفص ويعقوب، وستأتي قريباً.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٣، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٨، والبغوي ٤/ ١٤٢، والرازي ٢٧/ ٢١٩، والسُّودَد والسُّؤدُد: السِّيادة. القاموس (سود).

لَمَّا وصفَ نفسَه بالعزَّة والملك، ووازَنَ ما بينَه وبينَ موسى عليه السلام، فوَصَفه بالضَّعْف وقلَّة الأَعْضَاد = اعترضَ، فقال: إنْ كان صادقاً فهلَّا مَلَّكَهُ ربُّه وسَوَّرَهُ وجَعَل الملائكةَ أنصارَه.

وقرأ الضَّحَّاك: «فلولا أَلْقَى» مبنيًّا للفاعل، أي: اللهُ «أساورةً» نَصْباً[(١)]، والجمهور: «أساوِرَةٌ» رفعاً[(٢)]، وأُبَيّ وعبد الله: «أساوِير»[(٣)]، والمفرد: إِسْوَار بمعنى: سِوَار، والهاء عِوَض مِن الياء، كهي في: زَنَادِقَة، هي عِوَضٌ مِن ياء: زَنَادِيق، المقابلة لياء: زِنْدِيق، وهذه مقابلة لألف: إسْوار.

وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والأعرج ومجاهد وأبو حيوة وحفص: «أَسْوِرَة» جمع: سِوَار[(٤)]، نحو: خِمار وأَخْمِرَة، وقرأ الأعمش: «أساوِرَ»[(٥)]، ورويت عن أُبَيّ وعن أبي عمرو[(٦)].

«أو جاءَ معه الملائكةُ مُقْتَرِنين» أي: يَحْمُونَه ويُقيمون حجَّته، قال ابنُ عباس: يُعينونه على مَن خالَفَه[(٧)]. وقال السديُّ: يُقارِن بعضُهم بعضاً، وقال مجاهد: يَمشُون معه، وقال قتادة: مُتتابعين[(٨)].

«فاستخفَّ قومَه» أي: اسْتَجهَلَهم؛ لخفَّة أحلامِهم، قاله ابنُ الأعرابيّ[(٩)]، وقال غيره: حَمَلهم على أَنْ يخفوا لما يريد منهم، فأَجابوه لفِسْقِهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩، وينظر الكشاف ٣/ ٤٩٣.

(٢) وهي قراءة الجمهور عدا حفصاً ويعقوب. والقراءة في السبعة ص٥٨٧، والتيسير ص١٩٧، والنشر ٢/ ٣٦٩.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٥ عن أُبَيّ أو عبد الله رحمهما الله تعالى، وص١٣٧ عن أُبَيّ، وينظر معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٧١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩، تنظر المصادر الآنفة الذكر في التعليق ما قبل السابق.

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٥.

(٦) قال ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٧: «أساوير من ذهب» أُبَيّ، قال أبو عمرو: أمَّا النحارير فقراءتهم: أساورة. انتهى. وأورد القراءة الثعلبيُّ في تفسيره ٥/ ٤١٨ وابنُ عطيَّة في المحرر الوجيز ٥/ ٥٩، والقرطبيُّ ١٩/ ٦٢ ونسبوها لأُبَيّ.

(٧) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٣.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٢٣١، والآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٦١٦.

(٩) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٣، وينظر ياقوتة الصراط لغلام ثعلب ص٤٦٠.

«فلمَّا آسَفُونا» منقولٌ بالهمزة مِن: أَسِفَ، إذا غَضِبَ، والمعنى: فلمَّا عَملوا الأعمالَ الخبيثةَ الموجِبَة لأن لا يحلمَ عنهم، وعن ابنِ عباس: أَحزنوا أولياءَنا المؤمنين، نحو: السَّحرة وبني إسرائيل، وعنه أيضاً: أَغْضَبُونا[١]، وعن عليٍّ: أَسْخَطُونا[٢]، وقيل: خالفوا، وقال القشيريُّ وغيره: الغَضَبُ مِن الله إمَّا إرادةُ العقوبة فهو مِن صفات الذات، أو العقوبةُ فيكون مِن صفات الفعل[٣].

وقرأ الجمهور: «سَلَفاً» قال ابنُ عباس وزيد بنُ أسلم وقتادة أي: متقدِّمين إلى النَّار[٤]، وهو مصدر: سَلَفَ يَسْلُف سَلَفاً، وسَلَفُ الرَّجُلِ: آباؤه المتقدِّمون، والجمع: أَسْلَاف وسُلَّاف، وقيل: هو جمع: سَالِف، كحارِس وحَرَس[٥]، وحقيقته أنَّه اسمُ جَمْعٍ؛ لأنَّ فَعَلاً ليس مِن أبنية الجمُوع المكسَّرة، وقال طُفَيْل الغَنَوي يرثي قومَه:

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السَّبِيلِ عليهمُ صُروفُ المنايا بالرِّجالِ تَقَلَّبُ[٦]

قال الفرَّاء والزجَّاج: سَلَفاً: ليتَّعظ بهمُ الكفار المعاصرونَ للرَّسول ﷺ[٧].

وقرأ أبو عبد الله وأصحابه وسعيد بن عياض والأعمش وطلحة والأعرج وحمزة والكسائيُّ: «وسُلُفاً» بضمِّ السين واللام[٨]، جَمع: سَلِيْف، وهو الفَرِيقُ، سمع

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٤، والنكت والعيون ٥/ ٢٣١، والخبر عند الطبري ٢٠/ ٦١٧.

(٢) ينظر التعليق السابق.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٤، والنكت والعيون ٥/ ٢٣١.

(٤) ينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٦٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٦٥، وخبر قتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٦٢٠.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٥، والصحاح (سلف).

(٦) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٢٠، وما بعده منه أيضاً، والبيت في المعاني الكبير ٣/ ١٢١٣، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٣/ ٦٧، والأغاني ١٥/ ٣٥٥، واللسان (سلف)، وورد عندهم: وصرف، وبدل: صروف، والمعنى: أنهم تقدَّمونا وقَصْدُ سبيلنا عليهم، أي: نموت كما ماتوا، فنكون سَلَفاً لمن بعدنا، كما كانوا سَلَفاً لنا.

(٧) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٢٠، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٤١٦، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٦.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٦٠، وزاد: ابنَ كثير، ولم يذكر الأعمش وطلحة، وذَكَرها عن الأعمش =

القاسمُ بنُ مَعْنٍ العربَ تقول: مضى سَلِيْفٌ مِن الناس(١).

وقرأ عليٌّ ومجاهد والأعرج أيضاً: «وسُلَفاً» بضمِّ السين وفَتْح اللام(٢)، جمع سُلْفَة، وهي الأُمَّة والقِطْعَة.

والسُّلَف في غيرِ هذا: وَلَد القَبْج، والجمع: سِلْفان(٣).

«ومَثَلاً للآخِرِين» أي: حديثاً عجيبَ الشأن سائراً مسيرَ المَثَل يحدّث به الآخرون مِن الكفار، يقال لهم: مَثَلُكم مَثَلُ قوم فِرعون(٤).

❊ ❊ ❊

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ
هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا
لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ
فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ
ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا

= ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي الثعلبيُّ ٥/ ٤١٨، وقراءة الأخيرين في السبعة ص٥٨٧، والتيسير ص١٩٧، والنشر ٢/ ٣٦٩.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦٠ نقلاً عن الطبريّ في تفسيره ٢٠/ ٦١٩، وهو نَقَله عن الفراء، وكلامه في كتابه معاني القرآن ٣/ ٣٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٠ دون ذكر مجاهد، وما بعده منه أيضاً، وتفسير القرطبي ١٩/ ٦٥ وزاد نسبتها لابن مسعود وعلقمة وأبي وائل والنخعي، ولم يذكر مجاهداً أيضاً، وذكرها عنه - وعن الأعرج - ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٢٢ وزاد: أبا هريرة وسعيد بن جبير، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥ عن مجاهد وحميد الأعرج.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٥، قال ابنُ دريد في جمهرة اللغة ٣/ ٣٨: والسِّلْفان: ضربٌ من الطير، الواحد: سُلَف، قال أبو حاتم: السُّلَف والسُّلَك واحد، وهو فرخ القَبْج. اهـ. والقَبج: الحَجَل، والقَبَجَة تقع على الذكر والأنثى. القاموس (قبج).

(٤) هنا ينتهي الجزء الخامس من النسخة الخطية (د٣)، ويأتي بعده الجزء السادس، ويبدأ بأوَّل سورة الدخان.

ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

لمَّا ذَكَر تعالى طَرَفاً مِن قصَّة موسى عليه السلام، ذَكَر طَرَفاً مِن قصَّة عيسى عليه السلام، وعن ابنِ عباس وغيرِه: لمَّا نَزَلَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] ونَزَلَ كيف خُلِقَ مِن غير فَحْلٍ، قالت قريش: ما أرادَ محمَّدٌ مِن ذِكْرِ عيسى إلَّا أنْ نَعْبُدَهُ كما عَبَدَت النصارى عيسى، فهذا كان صدودهم مِن ضَرْبه مَثَلاً[١].

وقيل: ضَرْبُ المَثَل بعيسى هو ما جَرَى بين ابن الزِّبعرى وبين الرَّسول عليه الصلاة والسلام في القصَّة المحكيَّة في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وقد ذُكرت في سورة «الأنبياء»[٢]، وفي آخِرِها: أنَّ ابنَ الزِّبَعْرى قال: فإذا كان هؤلاء ـ أي: عيسى وأمّه وعُزَيْر ـ في النَّار ـ فقد رَضِينا أنْ نكونَ نحن وآلهتنا معهم.

وقيل: المَثَل هو أنَّ الكفارَ لمَّا سمعوا أنَّ النصارى تَعْبُدُ عيسى، قالوا: آلهتنا خيرٌ مِن عيسى. قال ذلك منهم مَن كان يَعبُد الملائكةَ، و«ضُربَ» مبنيٌّ للمفعول، فاحتمل أَنْ يكونَ الفاعلُ ابنَ الزِّبَعْرَى ـ إنْ صحَّت قصَّته ـ وأن يكون الكفارَ.

وقرأ أبو جعفر والأعرج والنخعيُّ وأبو رجاء وابنُ وثَّاب وابنُ عامر ونافع والكسائيُّ: «يَصُدُّون» بضمِّ الصاد، أي: يُعْرِضونَ عن الحقِّ مِن أَجْلِ ضَرْبِ المَثَل، وقرأ ابنُ عباس وابنُ جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة: بكسرها[٣]، أي:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦٠، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٦٥، والثعلبيّ ٥/ ٤١٩، وقولُ ابن عباس عند الطبريّ ٢٠/ ٦٢٣، والواحديّ في أسباب النزول ص٣٩٧، وينظر أيضاً قول مجاهد وقتادة ٢٠/ ٦٢٢.

(٢) عند تفسير الآية (٩٨) منها، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٣١٥-٣١٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٠، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤١٩، وزاد المسير ٧/ ٣٢٤، والقرطبي =

يَضِجُّون وترتفع لهم جَلَبَةٌ[١]؛ فَرَحاً بضَرْبِ المَثَل.

ورُوِيَ: ضمُّ الصَّادِ عن عليٍّ، وأنكرها ابنُ عباس[٢]، ولا يكون إنكارُهُ إلَّا قَبْلَ بلوغه تواتُرُها.

وقال الكسائيُّ والفَرَّاء: هما لغتان بمعنًى واحد، مثل: «يَعْرُشون» و«يَعْرِشون»[٣].

«وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو» حَقَّقَ الكوفِيُّون الهمزتين، وسَهَّل باقي السبعة الثانيةَ بينَ بين[٤].

وقرأ ورش في رواية أبي الأزهر: بهمزةٍ واحدةٍ[٥]، على مثال الخبر، فاحتمل أَنْ تكون همزةُ الاستفهام محذوفةً؛ لدلالة «أم» عليها، واحتمل أَنْ يكون خبراً مَحْضاً، حَكَمُوا أَنَّ آلهتهم خيرٌ، ثم عَنَّ لهم أَنْ يَستفهموا على سبيل التنزُّل مِن الخبر إلى الاستفهام المقصود به الإفحام، وهذا الاستفهام يتضمَّن أنَّ آلهتهم خيرٌ مِن عيسى. «ما ضَرَبُوه لَكَ إلَّا جَدَلاً» أي: ما مثَّلوا هذا التمثيل إلَّا لأَجْلِ الجَدَل والغَلَبة والمغالطة، لا لتمييز الحقِّ واتِّباعه.

= ١٩/ ٦٦، وقراءة نافع وابنِ عامر والكسائي في السبعة ص٥٨٧، والتيسير ص١٩٧، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦٩، وهي أيضاً قراءة خلف، وهو من العشرة.

(١) الجَلَب والجَلَبة: الأصوات، تقول منه: جَلَّبوا، بالتشديد. الصحاح (جلب).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٠، وقراءة عليّ عند الثعلبيّ ٥/ ٤١٩، والرازيّ ٢٧/ ٢٢١، مع الإشارة إلى أنه ورد أنَّ ابنَ عباس لقي ابنَ أخي عبيد بن عمير، فقال: إنَّ عمَّك لعربيّ، فما له يَلْحَنُ في قوله سبحانه وتعالى: «إذا قومك منه يَصُدُّون» إنَّما هي: «يَصِدُّون»؟! والخبر عند الفرَّاء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٣٦-٣٧، والطبريّ ٢٠/ ٦٢٤، والثعلبي ٥/ ٤١٩.

(٣) ينظر قول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٣٦-٣٧، وقول الكسائي عند النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١١٥، وفي معاني القرآن أيضاً ٦/ ٣٧٦، والثعلبيّ ٥/ ٤١٩، والبغويّ ٤/ ١٤٣، وابنِ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦٠، والقرطبيّ ١٩/ ٦٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٨ وزاد: يعقوب، مع الكوفيِّين، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦١، والقراءة في السبعة ص٥٨٧، والتيسير ص١٩٧، وقراءة يعقوب من رواية روح كما في النشر ١/ ٣٦٤-٣٦٥، وينظر تفصيل هذه القراءة عندهم.

(٥) النشر ١/ ٣٦٩، وينظر السبعة ص٥٨٨.

وانتصب «جَدَلاً» على أنَّه مفعولٌ مِن أجله، وقيل: مصدر في موضع الحال.

وقرأ ابنُ مقسم: «إلَّا جِدالاً» بكسر الجيم وألفٍ[1].

«خَصِمُون» شَدِيدُو الخُصُومة واللَّجَاج، وفَعِل مِن أبنية المبالغة، نحو: حَذِر.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «أم هو» لعيسى، لتتناسَقَ الضمائرُ في قوله: «إنْ هو إلَّا عَبْدٌ»، وقال قتادة: يعود على النبيِّ ﷺ[2]؛ أنْعَمنا عليه بالنبوَّة وشرَّفناه بالرِّسالة، «وجَعَلناه مَثَلاً»، أي: عِبْرَة عجيبة، كالمَثَل لبني إسرائيل، إذ خُلقَ مِن غيرِ أبٍ، وجعلَ له مِن إحياء الموتى وإبْرَاء الأكْمَه والأبْرَص والأسقام كلّها ما لم يجعل لغيرِه في زمانه، وقيل: المُنعَم عليه هو محمَّد ﷺ.

«ولو نَشاءُ لجعلنا منكم ملائكةً في الأرض» قال بعضُ النحويين: «مِن» تكون للبَدَل، أي: لجعلنا بَدَلكم ملائكةً، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: ٣٨] أي: بَدَل الآخِرَة، وقول الشاعر:

أَخَذُوا المَخَاضَ مِن الفَصِيْلِ غُلُبَّةً ظُلْماً ويُكْتَبُ للأمير إفالا[3]

أي: بَدَل الفَصِيل، وأصحابنا لا يُثبتون لـ «مِن» معنى البَدَلِيَّة، ويتأوَّلون ما وَرَدَ ممَّا يُوهِم ذلك، قال ابنُ عطيَّة: «لجعلنا» بَدَلاً «منكم».

وقال الزمخشريُّ: «ولو نشاء» لقُدْرَتِنا على عجائبِ الأُمور وبَدَائع الفِطَر «لَجَعَلْنا مِنْكم» لوَلَّدْنا منكم يا رِجالُ «ملائكةً» يَخلفونكم «في الأرض» كما تَخلُفكم أولادُكم، كما وَلَّدْنا عيسى مِن أُنثى مِن غيرِ فحلٍ؛ لتَعرفوا تميُّزنا بالقُدْرة الباهرة، ولتَعْلَموا أَنَّ الملائكةَ أجسامٌ لا تتولَّد إلَّا مِن أجسامٍ، وذاتُ القديم متعاليةٌ عن ذلك[4]. انتهى. وهو تخريجٌ حَسَن.

---

(١) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عن المصنِّف السمين في الدر ٩/ ٦٠٢، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٤٠٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦١، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٤، والبغوي ٤/ ١٤٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٦٨.

(٣) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٢٤٢، وسلف عند تفسير الآية (١٠) من سورة آل عمران.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩٤.

ونحوٌ مِن هذا التخريج قولُ مَن قال: «لجعلنا» مِن الإنسِ «ملائكةً» وإنْ لم تَجْرِ العادةُ بذلك، وللجواهر جنسٌ واحد والاختلاف بالأوصاف[(١)].

«يَخلُفون» قال السُّدِّيُّ: يكونون خلفاءكم، وقال قتادة: يَخلُف بعضُهم بعضاً، وقال مجاهد: في عمارة الأرض، وقيل: في الرسالة بدلاً مِن رُسُلِكم[(٢)].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «وإنَّه لعِلْمٌ للسَّاعَة» يعود على عيسى، إذ الظاهر في الضمائر السابقة أنَّها عائدةٌ عليه، وقاله ابنُ عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسُّدِّيُّ والضحَّاك وابنُ زيد[(٣)]، أي: وإنَّ خروجَه «لعِلْمٌ للساعة» يدلُّ على قُرْب قيامها؛ إذ خروجه شَرْطٌ مِن أشراطها، وهو نُزوله مِن السماء في آخِر الزمان.

وقال الحسن ـ أيضاً ـ وقتادة ـ أيضاً ـ وابنُ جبير: يَعود على القرآن[(٤)]، على معنى أنَّه يدلُّ إنزالُه على قُرْبِ الساعة، أو أنَّه به تُعلَم الساعة وأهوالها.

وقالت فرقة: يَعود على النبيِّ ﷺ؛ إذ هو آخِرُ الأنبياءِ، تميَّزت الساعةُ به نوعاً وقَدْراً مِن التمييز، وبقي التحريرُ[(٥)] التامُّ الذي انفردَ الله تعالى بعِلْمه[(٦)].

وقرأ الجمهور: «لَعِلْم» مصدر: عَلِم، قال الزمخشريُّ: أي: شَرْطٌ مِن أشراطها تُعلَم به، فسمّى العِلْم شَرْطاً؛ لحصول العِلْم به[(٧)].

وقرأ ابنُ عباس وأبو هريرة وأبو مالك الغفاريُّ وزيد بنُ عليّ وقتادة ومجاهد

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٠، والنكت والعيون ٥/ ٢٣٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٦١.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٣٥، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٦٣٠-٦٣١.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦١، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٦٣١-٦٣٣، وقول ابن عباس عند أحمد (٢٩١٨).
(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٦٩، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٦١، وزاد المسير ٧/ ٣٢٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٠، وقول الحسن وقتادة عند الطبري ٢٠/ ٦٣٤.
(٥) في مطبوع البحر، ومطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٦٢ والكلام منه: التحديد.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٦٢.
(٧) الكشاف ٣/ ٤٩٤.

والضحاك ومالك بنُ دينار والأعمش والكلبيُّ، قال ابنُ عطيَّة: وأبو نضرة: «لَعَلَم» بفتح العين واللام، أي: لَعَلَامة[١].

وقرأ عكرمة ـ قال ابنُ خالويه ـ وأبو نضرة: «لَلْعَلَم» معرَّفاً بفتحتين[٢].

«فلا تَمتَرنَّ بها» أي: لا تَشُكُّنَّ فيها «واتَّبِعُونِ هذا» أي: هداي أو شرعي، وقيل: أي: قل لهم يا محمَّد: «واتبعونِ هذا» أي: الذي أَدعوكم له، أو «هذا» القرآن، إنْ كان الضميرُ في «وإنَّه» للقرآن، ثم حذَّرهم مِن إغواء الشيطان ونبَّه على عداوته.

«بالبيِّنات» أي: المعجزات، أو بآياتِ الإنجيل الواضحاتِ «بالحكمة» أي: بما تقتضيه الحكمة الإلهيَّة مِن الشرائع، قال السُّدِّيُّ: «بالحكمة»: النبوَّة[٣]، وقال أيضاً: قضايا يَحكُم بها العقل.

وذَكَر القشيريُّ والماورديُّ: الإنجيل[٤]، وقال الضَّحَّاك: الموعظة.

«ولأبَيِّنَ لكم بعضَ الذي تَختلفون فيه» وهو أَمْرُ الدِّيانات، لأنَّ اختلافهم يكون فيها وفي غيرها مِن الأمور التي لا تتعلّق بالدِّيانات، فأُمور الدِّيانات بعضُ ما يختلفون فيه، وقيل: «ولأُبيِّنَ لكم» في الإنجيل «بعض الذي تختلفون فيه»، وبيَّن لهم في غيرِه ما احتاجوا إليه، وقيل: بعض ما يختلفون فيه مِن أحكام التوراة[٥].

وقال أبو عبيدة: «بعض» بمعنى «كلّ» وردَّه الناسُ عليه[٦].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٠، وزاد المسير ٧/ ٣٢٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٧٠، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥-١٣٦.

(٢) القراءات الشاذة ص١٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٦١، وهي في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٠ بإسناده إليهما.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٢، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٦، وزاد المسير ٧/ ٣٢٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٧٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٦٣٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٧٣، والنكت والعيون ٥/ ٢٣٦، والقول أورده الطبريُّ ١٩/ ٦٣٥ وعزاه لقتادة.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٧٣، والنكت والعيون ٥/ ٢٣٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٦٢، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٧٤، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥، وينظر ردُّ الزجَّاج عليه في كتابه معاني القرآن ٤/ ٤١٧-٤١٨.

وقال مقاتل: هو كقوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] أُحِلَّ في الإنجيل لحمُ الإبل، والشَّحمُ مِن كلِّ حيوان، وصَيْدُ السَّمَك يومَ السبت[١].

وقال مجاهد: «بعض الذي تختلفون فيه» مِن تبديلِ التوراة. وقيل: ممَّا سألتم مِن أحكام التوراة[٢].

وقال قتادة: «ولأُبيِّن لكم» اختلافَ الفِرَق الذين تَحزَّبوا في أَمْرِ عيسى[٣].

والضمير في «مِن بينهم» عائدٌ على مَن خاطبهم عيسى في قوله: «قد جئتكم بالحكمة» وهم قومه المبعوث إليهم، أي: مِن تِلْقائهم ومِن أنفسِهم ثَارَ شرُّهم، ولم يَدخُل عليهم الاختلافُ مِن غيرهم، وتقدَّم الخلاف في اختلافهم في سورة «مريم» في قوله: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [الآية: ٣٧].

«هل يَنظُرون» الضمير لقريش «وأنَّ تأتيهم» بَدَل مِن «الساعة»، أي: إتيانها إيَّاهم.

«الأَخلَّاءُ يَومَئِذٍ» قيل: نزلت في أُبَيّ بنِ خَلَف وعُقْبَة بنُ أَبي مُعَيْط[٤].

والتنوين في «يَومَئِذٍ» عوضٌ مِن الجملة المحذوفة، أي: يوم إذْ تأتيهم الساعة، و«يومئذ» منصوب بـ «عدوّ»، والمعنى أنَّه تنقطع كلُّ خلَّة وتَنقلب عداوةً إلَّا خلَّة المتقين؛ فإنَّها لا تَزداد إلا قوَّةً.

وقيل: «إلَّا المتَّقين» إلَّا المُجتنبين أخلاءَ السُّوء، وذلك أنَّ أخلَّاء السُّوء كلٌّ منهم يَرَى أنَّ الضَّرَرَ دَخَلَ عليه مِن خليله، كما أنَّ المتقين يَرَى كلٌّ منهم النَّفْعَ دَخَلَ عليه مِن خليله.

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٧٤.

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٢٦، ونَسَب القولَ الثاني للطبريّ، وكلامه في تفسيره ٢٠/ ٦٣٦ وفيه أيضاً قول مجاهد.

(٣) الوسيط ٤/ ٨٠، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٧٤-٧٥.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩٥، والخبر أورده السمرقنديُّ في تفسيره ٣/ ٢١٢، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٢٧ ونسباه لمقاتل، وكذا أورده الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٢٣٨، والقرطبيُّ ١٩/ ٧٥ نقلاً عن النَّقَّاش، وورد في المصادر الثلاثة الأخيرة: أُمَيَّة بن خلف، بدل: أُبي بن خلف.

وقرئ: «يا عبادِي» بالياء، وهو الأصل، و«يا عبادِ» بحَذْفها، وهو الأكثر، وكلاهما في السَّبْعة(١).

وعن المعتمر بنِ سليمان [عن أبيه] سمعَ أنَّ الناسَ حين يُبعَثون ليس منهم أحدٌ إلَّا يَفزعُ، فينادي منادٍ: «يا عبادِي لا خوفٌ عليكم» الآية، فيَرجوها الناسُ كلُّهم، فيتبعها: «الذين آمنوا» الآية، قال: فيَيْأس منها الكُفَّار(٢).

وقرأ الجمهور: «لا خَوفٌ» مرفوع منوَّن، وابنُ محيصن بالرفع مِن غيرِ تنوين(٣)، والحسن والزهريُّ وابنُ أبي إسحاق وعيسى وابنُ يعمر ويعقوب: بفتحها مِن غير تنوين(٤).

و«الذين آمنوا» صفة لـ: «يا عبادِي».

«تُحبَرون» تُسَرُّونَ سروراً يَظهرُ حبارُه، أي: أَثَره على وجوهكم، كقوله تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

وقال الزجَّاج: يُكرَمون إكْرَاماً يُبالَغ فيه، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميلٍ(٥).

وأمالَ أبو الحارث عن الكسائيّ «بصحاف» ذكره ابنُ خالويه(٦).

---

(١) قرأ بالياء مع إسكانها نافع وأبو عمرو وابنُ عامر وأبو جعفر ورويس حالة الوصل والوقف، وقرأ شعبة بفتح الياء وصلاً وإسكانها وقفاً، وقرأ الباقون بحذف الياء. السبعة ص٥٨٨، والتيسير ص١٩٧، والنشر ٢/ ٣٧٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٣ نقلاً عن الطبريّ في تفسيره ٢٠/ ٦٤١، وأخرجه من طريقه أيضاً الثعلبيُّ في تفسيره ٥/ ٤٢١-٤٢٢، وما سلف بين حاصرتين استدرك منها، وأورده الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٨٠-٨١، والرازيُّ في تفسيره ٢٧/ ٢٢٥، والقرطبيُّ في تفسيره ١٩/ ٧٦-٧٧ ونسبوه لمقاتل، وأشار القرطبيُّ إلى أنَّه ورد من رواية المعتمر بن سليمان، عن أبيه، وينظر خبرُ ابنِ عباس عند النحاس في كتابه إعراب القرآن ٤/ ١١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٣.

(٤) المصدر السابق، وورد في مطبوعه: وعيسى بن عمر، بدل: وعيسى وابن يعمر. والقراءة نقلها الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٤١٤ نقلاً عن المصنِّف، ووردت فيه كما جاءت هنا، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٢١١.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٩، وينظر تفسير الرازي ٢٧/ ٢٢٥.

(٦) القراءات الشاذة ص١٣٧.

والضمير في «وفيها» عائدٌ على «الجنَّة».

«ما تشتهي[١] الأنفسُ وتلذُّ الأعين» هذا حَصْرٌ لأنواع النِّعَم؛ لأنَّها إمَّا مُشتهاة في القلوب وإمَّا مُستلذَّة في العيون.

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وابنُ عامر وحفص: «ما تشتهيه» بالضمير العائد على «ما»، والجمهور وباقي السَّبْعَة: بحذفها[٢]، وفي مصحف عبد الله: «ما تَشتهيه الأنفسُ وتَلذّه الأَعيُن» بالهاء فيهما[٣].

«وتلك الجنَّة» مبتدأ وخبر، و«التي أورثتموها» صفة، أو «الجنَّة» صفة، و«التي أورثتموها» أو: «بما كنتم تَعملون» الخبر، وما قَبْلَه صفتان، فإذا كان «بما» الخَبَر تَعلَّق بمحذوفٍ، وعلى القولين الأوَّلين يتعلَّق بـ «أُورثتموها».

وشبِّهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة، ولمَّا ذَكَر ما يتضمَّن الأَكْلَ والشُّرْب، ذَكَر الفاكهةَ «منها تأكلون» «مِن» للتبعيض؛ إذ لا تَأكلون إلَّا بعضَها، وما تَخلَّف المأكولَ باقٍ في شَجَره، كما جاء في الحديث[٤].

* * *

---

(١) كذا في النسخ، وهي قراءة الجمهور، وستأتي قريباً.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٣-٦٤، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٨٢، والقراءة في السبعة ص٥٨٨-٥٨٩، والتيسير ص١٩٧، والنشر ٢/ ٣٧٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٤، وأوردها السمين في الدر ٩/ ٦٠٦، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٤٢٠.

(٤) أخرج البزار (٣٥٣٠ ـ كشف الأستار)، والطبراني في الكبير(١٤٤٩)، والثعلبيُّ في تفسيره ٥/ ٤٢٣ عن ثوبان أنَّه سمعَ رسول الله ﷺ يقول: «لا يَنزع رجلٌ من أهل الجنَّة من ثمرها إلَّا أُعيد في مكانها مِثلَاها»، وأخرجه أيضاً البزار (٣٥٣١ ـ كشف الأستار) بنحوه.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٤: رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني وأَحَد إسنادَي البزار ثقات. اهـ. قلنا: في الإسناد: ريحان بن سعيد الناجي، قال عنه ابنُ معين: ما أرى به بأساً، وقال أبو حاتم: ليس بحجَّة. ميزان الاعتدال الترجمة (٢٦٩٢). وفيه أيضاً: عبَّاد بن منصور الناجي، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابنُ الجُنيد: متروك قدري. ميزان الاعتدال الترجمة (٣٩٣٨).

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا
ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾
لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا
لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟
وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

لمَّا ذَكَر تعالى حالَ أهلِ الجنَّة وما يُقال لهم مِن لَذِيذ البشارة، أعقب ذلك بذِكْر حالِ الكَفَرة وما يُجاوَبون به عند سؤالِهم.

وقرأ عبد الله: «وهم فيها»[١] أي: في جهنَّم، والجمهور: «فيه» أي: في العذاب.

وعن الضَّحَّاك: يُجعَل المُجرِم في تابوت مِن نارٍ، ثم يُردَم عليه، فيَبقى فيه خالداً لا يَرَى ولا يُرَى[٢].

«لا يُفتَّر عنهم» أي: لا يخفَّف ولا يُنقَص، مِن قولهم: فَتَرت عنه الحُمَّى: إذا سَكَنت قليلاً ونَقَصَ حرُّها.

والمُبْلِس: الساكت اليائس مِن الخير.

«وما ظلمناهم» أي: ما وَضَعنا العذابَ فيمَن لا يستحقّه «ولكن كانوا هم الظالمين» أي: الواضعينَ الكفرَ مكانَ الإيمان، فظَلَموا بذلك أنفسَهم.

وقرأ الجمهور: «الظالمين» على أنَّ «هم» فَصْل، وقرأ عبد الله وأبو زيد

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٧، ونقلها عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٠، وأوردها الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٩٦ ولم ينسبها.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٩٦، وتفسير الرازي ٢٧/ ٢٢٦.

النَّحْوِيّ[١]: «الظالمون» بالرَّفع على أنَّه خبر «هم»، و«هم» مبتدأ.

وذكر أبو عُمر الجَرْميُّ أنَّ لغةَ تميم جَعْلُ ما هو فَصْلٌ ـ عندَ غيرهم ـ مبتدأ، ويَرفعون ما بَعْدَه على الخَبَر.

وقال أبو زيدٌ: سمعتهم يقرؤون: «تَجِدُوهُ عندَ اللهِ هو خيرٌ وأعظمُ أجراً» يعني: برَفْع «خير» و«أعظم»[٢].

وقال قيس بنُ ذُرَيح:

تَحِنُّ إلى ليلى وأنتَ تركتَها وكنتَ عليها بالمَلا أنتَ أَقْدَرُ[٣]

وقال سيبويه: بَلَغَنا أنَّ رُؤْبَةَ كان يقول: أَظنُّ زيداً هو خيرٌ منك، يعني بالرَّفع[٤].

«ونَادَوا يا مَالِكُ» تقدَّم أنَّهم «مُبْلِسون» أي: ساكتون، وهذه أحوال لهم في أزمان مُتطاوِلة، فلا تعارضَ بين سكوتهم وندائِهم.

وقرأ الجمهور: «يا مالِكُ»، وقرأ عبد الله وعليّ وابنُ وثَّاب والأعمش: «يا مَالِ» بالترخيم[٥]، على لغة مَن ينتظر الحرف.

---

(١) في النسخ عدا (يه): النحويان، وفي (يه): النحويين، والمثبت من القراءات الشاذة ص١٣٦، وقراءة عبد الله وهو: ابن مسعود في المحرر الوجيز ٥/ ٦٤، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢١، قال الزجَّاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٤٢٠: لا تقرأنَّ بها؛ لأنَّها تخالف رسم المصحف. اهـ.
مع الإشارة إلى أنَّه ورد في الدر المصون ٩/ ٦٠٦: وقرأ عبد الله وأبو زيد النحويَّان... إلى آخره. فذكر محقِّقه في الهامش: ولعلَّ الأول: عبد الله بن أبي إسحاق، والثاني أبو زيد الأنصاري. اهـ. قلنا: وهذا يُعارضه ما صرَّح به ابن عطية في المحرر الوجيز وغيره بأن عبد الله هو ابن مسعود.

(٢) أي من الآية (٢٠) من سورة المزمل، وقرأ بها أبو السمال وابنُ السميفع، وهي عن الأوَّل عند ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٤، وستأتي في مكانها، وينظر تفسير الطبري ١١/ ١٤٦-١٤٧.

(٣) كتاب سيبويه ٢/ ٣٩٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٢، وسلف عند تفسير الآية (٣٢) من سورة الأنفال، وينظر الاختلاف بالرواية ثمَّة.

(٤) الكتاب ٢/ ٣٩٢.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٦٤، وينظر الكشاف ٣/ ٤٩٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨٤، والقراءة في

وقرأ أبو السِّرَار الغَنَويُّ: «يا مَالُ» بالبناء على الضَّمِّ[(١)]، جَعَله اسماً على حِياله.

واللام في «لِيَقْضِ» لامُ الطَّلَب والرَّغْبَة، والمعنى: لِيُمِتْنَا مرَّةً حتى لا يتكرَّر عذابُنا، كقوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] أي: أماتَهُ، «قال» أي: مالك: «إنَّكم مَاكثونَ» أي: مقيمون في النَّار لا تَبرحون.

وقال ابنُ عبَّاس: يُجيبهم بَعْدَ مُضِيِّ ألف سنة، وقال نوف: بَعْدَ مئة، وقيل: ثمانين، وقال عبد الله بن عمرو: أربعين[(٢)].

«لقد جئناكم بالحقِّ» يَظهر أنَّه مِن كلامِ الله تعالى، وقيل: مِن كلامِ بعض الملائكة، كما يقول أَحَدُ خَدَمِ الرئيس: أَعْلَمناكم وفَعَلْنا بكم، قيل: ويَحتمل أنْ يكون «لقد جئناكم» مِن قولِ الله لقريش بعقب حكايةِ أَمْرِ الكفَّار مع مالك، وفي هذا توعُّد وتخويف، بمعنى: انظروا كيف يكون حالُكم[(٣)]؟!.

«أم أبْرَموا» الضمير لقريش، أي: بل أحكموا أَمْراً مِن كيدِهم للرَّسول ومَكْرِهم «فإنَّا مُبرِمون» كَيْداً، كما أبرموا كيدَهم، كقوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢] وكانوا يَتَناجَون ويتسارُّون في أَمْرِ الرسول، فقال تعالى: «أَمْ

= القراءات الشاذة ص١٣٦، والمحتسب ٢/ ٢٥٧، وزاد ابنُ خالويه القراءةَ عن النبيِّ ﷺ، وهي في جزء قراءات النبيِّ ﷺ، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٤، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفي إسناده مَقال، ينظر ما قاله أبو بكر الأنباري في تفسير القرطبي ١٩/ ٨٥-٨٦ حول هذا الحديث وهذه القراءة، وأخرج البخاري (٣٢٣٠)، ومسلم (٨٧١)، وهو عند أحمد (١٧٩٦١) من حديث يعلى أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ بإثبات الكاف.

(١) القراءات الشاذة ص١٣٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر الكشاف ٣/ ٤٩٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢١، والدر المصون ٩/ ٦٠٧، وروح المعاني ٢٤/ ٤٢٥، وورد عند الأخيرين: أبو السَّوَّار، بدل: أبي السِّرار، وسلف الكلام عليه عند تفسير الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٤-٦٥، والنكت والعيون ٥/ ٢٤٠، وينظر زاد المسير ٧/ ٣٣٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨٦-٨٧، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٦٤٨-٦٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٥، وفيه: ويحتمل أن يكون من قول مالك لأهل النار. . . إلى آخره، أي: بدل من كلام بعض الملائكة.

يَحسَبُون أنَّا لا نَسمعُ سِرَّهم» وهو ما يُحدِّث به الرجلُ نفسَه أو غيرَه في مكانٍ خالٍ «ونَجْواهُم» وهي ما تكلَّموا به فيما بينهم، «بلى» أي: نَسمعها «ورسلنا» وهم الحَفَظة.

«قُلْ إنْ كانَ للرَّحمن وَلَدٌ فأنا أوَّلُ العابدين»، قال قتادة: والسدي والطبري: المعنى: قل لهم: «إن كان للرحمن ولد» كما تقولون «فأنَا أوَّل» مَن يَعبُده على ذلك، ولكن ليس له شيء مِن ذلك[١].

وأَخَذَ الزمخشريُّ هذا القولَ وحسَّنه بفصاحته، فقال: «إن كان للرحمن وَلَدٌ» وصحَّ ذلك وثَبَت ببرهانٍ صحيح تُوردونه وحجَّة واضحة تُدْلُون «فأنا أوَّل» مَن يُعظِّم ذلك الوَلَد، وأَسْبَقُكم إلى طاعته والانقياد له، كما يُعظِّم الرَّجُلُ وَلَدَ المَلِك؛ لتعظيم أبيه، وهذا كلام واردٌ على سبيل الفرض والتمثيل لغَرَضٍ، وهو المبالغةُ في نَفْي الوَلَد والإطنابُ فيه، وأَنْ لا يترك الناطق به شُبْهةً إلَّا مُضْمَحِلَّةً مع الترجمة عن نفسِه بثَبَات القَدَم في باب التوحيد، وذلك أنَّه علَّق العبادة بكينونَةِ الوَلَد، وهي محالٌ في نفسِها، فكان المُعَلَّق بها محالاً مِثْلَها فهو في صورة إثباتِ الكينونة والعبادة، وفي معنى نَفْيهما على أبلغ الوجوه وأقواها[٢].

ثم قال الزمخشريُّ: ونظيره أَنْ يقولَ العَدْليُّ للمُجْبِر. ثمَّ ذَكَر كلاماً كان يَستحقُّ عليه التأديبَ بل السَّيْف، نَزَّهتُ كتابي عن ذِكْره[٣]، ثم قال: وقد تمحَّل الناسُ بما أَخرجوه به مِن هذا الأسلوب الشريف المَلِيء بالنُّكَت والفوائد، المُستقلّ بإثبات التوحيد على أَبلغ وجوهِه، فقيل: «إنْ كان للرَّحمن وَلَدٌ» في زَعْمِكم «فأنا أوَّل العابدين» الموحِّدين لله، المكذِّبين قولَكم بإضافة الوَلَد إليه، وقيل: «إنْ كان للرَّحمن وَلَد» فأَنَا أوَّل الآنفِين مِن أَنْ يكون له وَلَدٌ، مِن: عَبِدَ يَعْبَدُ: إذا اشتَدَّ[٤] أَنَفُه[٥]، فهو: عَبِدٌ وعابدٌ.

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٥، والنكت والعيون ٥/ ٢٤٠-٢٤١، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨٨-٨٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٦٥٤-٦٥٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٩٧.
(٣) ينظر المصدر السابق.
(٤) في (ز٢) ومخطوطة الكشاف (الورقة ٢٧٩): استدّ.
(٥) يقال: حَمِيَ أَنَفُه: إذا اشتدّ غضبه وغيظه. تاج العروس (أنف)، وفي الصحاح (عبد): العَبَد، بالتحريك: الغضب والأَنَف، والاسم: العَبَدَة، مثل الأَنَفَة، وقد عَبِدَ: أي: أَنِفَ.

وقرأ بعضهم: «عَبِدِيْنَ»[١]، وقيل: هي «إنْ» النافِيَة[٢]، أي: ما كان للرَّحمن وَلَدٌ، فأنَا أوَّل مَن قال بذلك وعبَدَ وَوَحَّدَ، ورُوِيَ أنَّ النَّضْرَ بنَ عبدِ الدَّار بنِ قُصَي، قال: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله. فنزلت، فقال النَّضْر: ألَا تَرَونَ أنَّه قد صَدَّقني. فقال له الوليد بنُ المغيرة: ما صَدَّقكَ. ولكن قال: ما كان للرَّحمن وَلَد فأَنَا أوَّل الموحِّدين مِن أهلِ مكَّة أنْ لا وَلَدَ له[٣]. انتهى.

أمَّا القول: «إنْ كان لله وَلَد» في زَعْمكم، فهو قول مجاهد[٤]، وأمَّا القول: «فأَنَا أوَّل» الآنِفين، فهو قولُ جماعةٍ حكاهُ عنهم أبو حاتم ولم يُسَمِّ أحداً منهم[٥]، ويدلُّ عليه قراءةُ السُّلَمي واليماني: «العَبِدين»[٦]، وقراءةٌ ذَكَرها الخليل بنُ أحمد في «العين»: «العَبْدِين» بسكون الباء، تخفيف: العَبِدين، بكسرِها[٧]، وذكر صاحبُ «اللوامح» أنَّه جاء عن ابنِ عباس في معنى العابدين أنَّه الآنِفِين[٨]. انتهى.

وقال ابنُ عرفة: يقال: عَبِدَ يَعْبَدُ، فهو عَبِد، وقلَّما يقال: عابدٌ، والقرآن لا يأتي بالقليل مِن اللغة ولا الشاذِّ، ثم قالَ كقولِ مجاهد[٩]. وقال الفرزدق:

---

(١) كذا في النسخ، ومطبوع الكشاف ٣/ ٤٩٧، ومخطوطه (الورقة ٢٧٩) بدون «أل» التعريف، وستأتي قريباً: «العَبِدين» فلتنظر ثَمَّة.

(٢) ينظر ما سيقوله المصنِّف حول هذا الكلام قريباً.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩٧، وينظر تفسير السمرقندي ٣/ ٢١٣، وقول النضر سلف عند تفسير الآية (٣) من سورة الحجّ.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٦٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٦٥، وينظر زاد المسير ٧/ ٣٣١.

(٥) نُسب القولُ في زاد المسير ٧/ ٣٣١ لابن السائب الكلبيّ، وأبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٦، ولابنِ الأعرابي كما في ياقوتة الصراط ص٤٦١-٤٦٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٠.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٩٧، وهي عنهما في تفسير القرطبي ١٩/ ٨٩، والقراءات الشاذة ص١٣٧، والمحتسب ٢/ ٢٥٧، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ عن السلمي، مع الإشارة إلى أنه وقع في مطبوع القراءات الشاذة: أبو عبد الله واليماني. والصواب: أبو عبد الرحمن - يعني: السُّلَمي - واليماني.

(٧) الكشاف ٣/ ٤٩٧، والذي في مطبوع العين للخليل ٢/ ٥٠ (عبد): ويُقرأ: «العَبِدِينَ» مقصورة، على: عَبِدَ يَعْبَدُ. اهـ. ولم نقف على قراءة سكون العين في مطبوع عينه.

(٨) الكشاف ٣/ ٤٩٧.

(٩) تفسير القرطبي ١٩/ ٩٠.

أولَئِكَ آبائي فجِئْنِي بمِثْلِهِم وأَعْبَدُ أَنْ أَهجُو كُلَيباً بدارِمِ(١)

أي: آنَفُ وأَسْتَنكِفُ، وقال آخَر:

متى ما يَشَأ ذو الوُدِّ يَصْرِمْ خليلَه ويَعْبَدْ عليه لا محالةَ ظالما(٢)

وأمَّا القولُ بأنَّ «إنْ» نافية؛ فمرويٌّ عن ابنِ عباس والحسن والسُّدِّيّ وقتادة وابنِ زيد وزهير بن محمد(٣).

وقال مكِّيّ: لا يَجوز أنْ تكون «إنْ» بمعنى «ما» النافية؛ لأنَّه يُوهِم أنَّكَ إنَّما نفيت عن الله الوَلَدَ فيما مضى دونَ ما هو آتٍ، وهذا محالٌ(٤). انتهى.

ولا يَلزم منه محالٌ؛ لأنَّ «كان» قد تستعمل فيما يدوم ولا يزول، كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] أي: لم يزل، فالمعنى: ما كان وما يَكون.

وقال أبو حاتم: العَبِد، بكسر الباء: الشديد الغضب. وقال أبو عبيدة: معناه: أوَّل الجاحدين، والعرب تقول: عَبَدَني حَقِّي، أي: جَحَدني(٥).

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨٩-٩٠، والبيت في إصلاح المنطق لابن السّكّيت ص٥٩، وفي شرح أبياته للسيرافي ص١٥٥، وفصل المقال للبكري ص٣٨١، وورد عندهم: أحلاسي، بدل: آبائي، ووقع عند البكري: عَبيداً، بدل: كليباً، قال السيرافيُّ: يعني: عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناةَ، وقال أيضاً: ويُروى: أولئك أخوالي، و: أولئك قومٌ أطمئنُّ إليهم، والأحلاس: الذين لا يفارقهم.
وورد البيت أيضاً عند أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٦، والعسكريّ في جمهرة الأمثال ١/ ٥١٢، والقرطبيّ ١٩/ ٩٠، ورواية صدره: أولئك قوم إن هجوني هجوتهم.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٦٥٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٦٥، والبيت للمرقِّش الأصغر، وهو في المفضليات ص٢٤٦، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢١٥، والحماسة البصرية ٢/ ٣٣، وورد عند ابن قتيبة: ويغضب، بدل: ويَعْبَد، وكلاهما بمعنًى.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٨٨، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٥، والطبري ٢٠/ ٦٥٥-٦٥٦.

(٤) وكذا نَقَل عنه السمينُ في الدر المصون ٩/ ٦٠٩، والذي في مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٥١ أنَّ «إنْ» بمعنى «ما»، وقيل: «إنْ» للشرط. ولم نقف على كلامه المذكور أعلاه في كتابه الهداية أيضاً. وانظر كتابه مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥٣.

(٥) المحرر الوجيز٥/ ٦٦، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٨٩-٩٠، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٧.

وقرأ الجمهور: «وَلَد» بفتحتين، وعبد الله وابنُ وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائيّ: بضمِّ الواو وسكون اللام[١].

ثم قال: «سبحانَ ربِّ السماواتِ والأرضِ ربِّ العَرْشِ عمَّا يَصِفُونَ» أي: من نِسبة الوَلَد إليه، والمعنى أنَّ إلَهَ العالَم يجب أنْ يكون واجبَ الوجود، وما كان كذلك فهو فَردٌ مُطلَق لا يَقبل التَّجَزِّي، والوَلَد عبارة عن أنْ يَنفصلَ عن الشيء جزءٌ مِن أجزائه، فيتولَّد منه شخصٌ مِثْله، ولا يكون إلَّا فيما هو قابلٌ ذاته للتَّجَزِّي، وهذا محالٌ في حقِّه تعالى، فامتنعَ إثباتُ الوَلَد[٢].

ولـمَّا ذَكَر هذا البرهانَ القاطع، قال: «فَذَرْهُم يَخوضوا» أي: في باطلهم «ويَلْعَبوا» أي: في دنياهم، وظاهرُ هذَيْن الأَمْرين مهادنةٌ وتَرْك، وذلك ممَّا نُسِخَ بآية السيف.

وقرأ الجمهور: «حتى يُلاقوا»، وأبو جعفر وابنُ محيصن وعبيد بنُ عقيل عن أبي عَمرو: «يَلْقَوا»[٣] مضارع: لَقِي.

«يومهم الذي يوعدون» يوم القيامة، وقال عكرمة وغيره: يوم بدر[٤]، وأضاف اليومَ إليهم، لأنَّه الذي فيه هَلَاكهم وعَذَابهم.

وقرأ الجمهور: «إِلَه» فيهما، وقرأ عُمر وعبد الله وأُبَيّ وعليٌّ والحكم بنُ أبي العالي[٥]

---

(١) أي: «وُلْد»، ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩١، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٤١٢، والتيسير ص١٤٩-١٥٠، والنشر ٢/ ٣١٩.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٣١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ عن أبي جعفر وابن محيصن، وزاد في زاد المسير ٧/ ٣٣٢: أبا المتوكل وأبا الجوزاء، وزاد في تفسير القرطبي ١٩/ ٩١: مجاهداً وحميداً وابنَ السميفع، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٧٠، وقراءة ابنِ محيصن في القراءات الشاذة ص١٣٧، ولم نقف على قراءة عبيد بن عقيل.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٦٦، والقول الأول عند الطبريّ ٢٠/ ٦٥٩ وأخرجه عن السديّ.

(٥) كذا في النسخ عدا (يه) ـ ففيها: الحكم بن أبي العال ـ وكذا نَقل عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٤٣٢، والصواب كما في المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ والكلام منه: الحكم بن أبي العاصي.

=

وبلال بنُ أبي بُردة وابنُ يَعمَر وجابر وابنُ زيد[(١)] وعُمر بن عبد العزيز وأبو شيخ الهُنائي وحميد وابنُ مقسم وابنُ السَّمَيْفَع: «الله» فيهما.

ومعنى «إله» معبود، وبه يتعلَّق الجارُّ والمجرور، والمعنى أنَّه هو معبودٌ في السماء، ومعبودٌ في الأرض، والعائد على الموصول محذوفٌ، تقديره: وهو إلَهٌ، كما حذفَ في قولهم: ما أَنَا بالذي قائلٌ لك شيئاً، وحَسَّنه طولُه بالعطف عليه، كما حَسَّنَ في: قائل لكَ شيئاً، طولُه بالمعمول.

ومَن قَرَأَ «الله» ضمَّنه أيضاً معنى المعبود، كما ضمّن العَلَم في نحو قولهم: هو حاتمٌ في طَيِّئ، أي: جواد في طَيِّئ.

ويجوز أَنْ تكون الصِّلَةُ الجارَّ والمجرورَ، والمعنى أنَّه فيهما بألوهيَّته وربوبيَّته، إذ يستحيل حَمْلُه على الاستقرار.

وفي قوله: «وفي الأرض» نفيٌ لآلهتهم التي كانت تُعبَد في الأرض، «وعندَه عِلْمُ الساعة» أي: عِلْم تعيين وقتِ قيامها، وهو الذي استأثَرَ به تعالى.

وقرأ الجمهور: «يُرجَعون» بياء الغيبة، ونافع وعاصم والعربيَّان: بتاء الخطاب[(٢)]، وهو في كلتا القراءتين مبنيّ للمفعول، وقُرِئَ: بفتح تاء الخطاب مبنيًّا للفاعل[(٣)].

= والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٦ عن عليّ وابن مسعود ويحيى بن يعمر واليماني، وينظر زاد المسير ٧/ ٣٣٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩١-٩٢.

(١) كذا في النسخ وفي روح المعاني ٢٤/ ٤٣٢، والذي في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ والكلام منه: وجابر بن زيد.

(٢) أي: «تُرجَعون»، والعربيَّان: ابن عامر وأبو عمرو، وقراءة التاء في المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ عن نافع وأبي عمرو، ولم يَذكُر: عاصماً وابنَ عامر، وقراءة الياء عن ابن كثير وحمزة والكسائي كما في تفسير القرطبي ١٩/ ٩٢، والقراءة في السبعة ص٥٨٩، والتيسير ص١٩٧، وقراءة الياء أيضاً قراءة خَلَف، ينظر النشر ٢/ ٣٧٠.

(٣) أي: «تَرْجعون» والقراءة ذكرها القرطبيُّ ١٩/ ٩٢ وعزاها لابن محيصن وحميد ويعقوب وابن أبي إسحاق، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٧٠، وهي بالتاء من رواية روح، وبالياء من رواية رويس.

وقرأ الجمهور: «يَدْعُون» بياء الغيبة، والسُّلَميُّ وابنُ وثَّاب: بتاء الخطاب[١]، والأسود بن يزيد: بياء الغيبة وشدِّ الدال[٢]، وعنه: بتاء الخطاب وشدِّ الدال[٣].

والمعنى: ولا يَملك آلهتُهم التي يَدَّعون الشفاعةَ عندَ الله، قال قتادة: استُثني ممَّن عبدَ مِن دونِ الله: عيسى وعُزَير والملائكة؛ فإنَّهم يَملكون شفاعةً، بأنْ يُملِّكها اللهُ إيَّاهم، إذ هم ممَّن شهدَ بالحقِّ وهم يعلمونه في كُلِّ أحوالهم، فالاستثناء على هذا متَّصل[٤].

وقال مجاهد وغيره: مَن المشفوع فيهم، فكأنَّه قال: لا يَشفع هؤلاء ـ الملائكة وعُزَير وعيسى ـ إلَّا فيمَن شَهِدَ بالحقِّ وهو يَعلمه، أي: بالتوحيد، قالوا: فالاستثناء على هذا منفصل، كأنَّه قال: لكن مَن شَهِدَ بالحقِّ يَشْفَع فيهم هؤلاء[٥].

وهذا التقدير الذي قدَّروه يَجوز أنْ يكون فيه الاستثناء متَّصلاً؛ لأنَّه يكون المستثنى منه محذوفاً، كأنَّه قال: ولا يَملك الذين يَدعون مِن دونِهِ الشفاعةَ في أحَدٍ إلَّا فيمَن شَهَد بالحقِّ، فهو استثناء مِن المفعول المحذوف، كما قال الشاعر:

نَجَا سَالِم والنَّفْسُ منه بشِدْقِهِ ... ولم يَنْجُ إلَّا جَفْنَ سيفٍ ومِئْزَرا[٦]

أي: ولم يَنْجُ إلَّا جَفْن سيف، فهو استثناءٌ مِن المشفوع فيهم الجائز فيه الحذف، وهو متَّصل، فإنْ جعلته مستثنى مِن الذين «يَدعون»، فيكون منفصلاً، والمعنى: ولا يَملك آلهتُهم ـ ويعني بهم الأصنامَ والأوثانَ ـ الشفاعةَ، كما زَعموا أنَّهم شفعاؤهم عندَ الله، ولكن مَن شَهِدَ بالحقِّ ـ وهو توحيد الله ـ وهو يعلم ما شَهِدَ به، هو الذي يَملك الشفاعةَ، وإنْ أدرجت الملائكة في «الذين يدعون» كان استثناءً متَّصلاً.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦٧ عن ابن وثَّاب، وهي في القراءات الشاذَّة ص١٣٦ عن عليّ والسُّلَمي، وفي الكشاف ٣/ ٤٩٨ دون نسبة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٣٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩٨ دون نسبة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٦٦٢.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٩٣-٩٤، وقول مجاهد عند الطبري ٢٠/ ٦٦١.

(٦) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ٢٢، ومجالس ثعلب ص٤٥٦، وسلف.

وقرأ الجمهور: «فأنَّى يُؤفَكون» بياء الغيبة؛ مناسباً لقوله: «ولئن سألتهم» أي: كيف يصرفونَ عن عبادة مَن أقرُّوا أنَّه مُوجِد العالَم، وعبد الوارث عن أبي عَمرو: بتاء الخطاب[1].

وقرأ الجمهور: «وقيلَهُ» بالنَّصْبِ، فعن الأخفش أنَّه معطوفٌ على «سرِّهم ونَجواهم»، وعنه أيضاً: على: وقال قِيلَهُ[2]، وعن الزجَّاج على محلِّ الساعة في قوله: «وعندَه عِلْم الساعة»[3].

وقيل: معطوف على مفعول «يكتبون» المحذوف، أي: يكتبون أقوالَهم وأفعالهم وقيلَهُ.

وقيل: معطوف على مفعول «يعلمون» أي: يَعلمونَ الحقّ، وقيلَه: يا ربّ، وهو قولٌ لا يكاد يُعقَل.

وقيل: منصوب على إضمار فِعْل، أي: ويَعلم قيلَه.

وقرأ السُّلَميّ وابنُ وثَّاب وعاصم والأعمش وحمزة، «وقِيْلِه» بالخفض[4]، وخرّج على أنَّه عطف على «الساعة»، أو على أنَّها واو القَسَم، والجواب محذوف، أي: لَتُنصَرنَّ، أو لأفعلنَّ بهم ما أشاء.

وقرأ الأَعرج وأبو قِلابة ومجاهد والحسن وقتادة ومسلم بنُ جُنْدُب: «وقيلُهُ»[5] بالرفع، وخرّج على أنَّه معطوفٌ على «علم الساعة» على حذف مضاف، أي: وعِلْمُ

---

(١) القراءات الشاذة ص١٣٦-١٣٧.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢١، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣، والنكت والعيون ٥/ ٢٤٢-٢٤٣، والكشاف ٣/ ٤٩٨، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢١، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وقراءة عاصم وحمزة في السبعة ص٥٨٩، والتيسير ص١٩٧، والنشر ٢/ ٣٧٠، وذكر ابنُ مجاهد في السبعة أنَّ عاصماً قرأ بالنصب في رواية المفضَّل.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وزاد المسير ٧/ ٣٣٤-٣٣٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٥، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٦ عن أبي قلابة والحسن وقتادة، وفي المحتسب ٢/ ٢٥٨ عن الأعرج وأبي قلابة ومجاهد.

قِيْلِه، حذفَ وأُقيم المضاف إليه مقامه، رُويَ هذا عن الكسائيِّ، وعلى الابتداء، وخبرُه: «يا ربّ» إلى «لا يؤمنون» أو على أنَّ الخبر محذوف، تقديره: مسموعٌ أو مُتَقَبَّلٌ، فجملة النِّداء وما بَعْدَه في موضع نصبٍ بـ «وقِيْله»[1].

وقرأ أبو قِلابة: «يا ربَّ» بفتح الباء[2]، أَراد: يا رَبَّا، كما تقول: يا غلاما، ويتخرَّج على جواز الأخفش: «يا قَومَ» بالفتح، وحذف الألف، والاجتزاء بالفتحة عنها.

وقال الزمخشريُّ: والذي قالوه ـ يعني مِن العطف ـ ليس بقوي في المعنى مع وقوعِ الفَصْل بين المعطوفِ والمعطوف عليه بما لا يَحسُن اعتراضاً ومع تَنافُر النَّظْم، وأقوى من ذلك وأوجه أَنْ يكون الجرُّ والنصبُ على إضمارِ حرف القَسَم وحذفِه، والرَّفْعُ على قولهم: أيمنُ الله، و: أمانةُ الله، و: يمينُ الله، و: لعَمْرُك، ويكون قوله: «إنَّ هؤلاء قومٌ لا يؤمنون» جوابَ القَسَم، كأنَّه قال: وأُقسِم بقِيْله ـ أو: وقِيْله ـ يا ربّ قَسَمي: «إنَّ هؤلاء قومٌ لا يُؤمنون»، وإِقْسَامُ اللهِ بقِيْلِه رَفْعٌ منه وتعظيمٌ لدعائه والتجائه إليه[3]. انتهى.

وهو مخالفٌ لظاهرِ الكلام؛ إذ يظهر أن قوله: «يا ربّ» إلى «لا يؤمنون» متعلِّق بـ «قيله» ومِن كلامه عليه السلام، وإذا كان «إنَّ هؤلاء» جوابَ القَسَم، كان مِن إخبارِ اللهِ عنهم وكلامِه.

والضمير في: «وقيله» للرَّسول، وهو المخاطَب بقوله «فاصْفَح عنهم» أي: أَعْرِض عنهم وتَارِكهم، «وقُل سَلَامٌ» أي: الأَمْرُ سَلَام «فسوف يعلمون» وعيدٌ لهم وتهديدٌ وموادعة، وهي منسوخةٌ بآيةِ السيف[4].

---

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣-١٢٤، والإملاء ٢/ ٢٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٦٧، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٥٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٥-٩٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٧، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٥٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩٨-٤٩٩.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٧، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٦٢٤.

وقرأ الجمهور: «يَعلمون» بياء الغيبة، كما في «فاصفح عنهم»، وقرأ أبو جعفر والحسن والأعرج ونافع وهشام: بتاء الخطاب[١].

وقال السُّدِّيُّ: «وقُل سَلَام» أي: خيراً بدلاً مِن شَرِّهم، وقال مقاتل: أُرْدُد عليهم معروفاً، وحكى الماورديُّ[٢]: قُلْ ما تَسْلَم به مِن شرِّهم.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦٧، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٩٧، وقراءة نافع وابن عامر - في رواية هشام - في السبعة ص٥٨٩، والتيسير ص١٩٧، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٧٠.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٤٣ عن ابن عيسى، وقول السدي السالف منه، وقول مقاتل في زاد المسير ٧/ ٣٣٥.

مفردات سورة الدخان

الدُّخَان معروف، وقال أبو عبيدة: والدُّخان: الجَدْب، قال القتبيُّ: سُمِّي دخاناً؛ ليُبسِ الأرضِ منه حتى يرتفعَ منها كالدُّخان[1].

وقياس جمعه في القلَّة: أَدْخِنَة، وفي الكثرة: دِخْنان، نحو: غُراب وأَغْرِبة وغِرْبان، وشَذُّوا في جَمْعِه على: فواعل، فقالوا: دَواخِن، كأنَّه جمع: داخِنةٍ، تقديراً، كما شَذُّوا في: عُثَان[2]، فقالوا: عَواثِن.

رَهَا البَحْرُ يَرْهُو رَهْواً: سَكَنَ، يقال: جاءَت الخيلُ رَهْواً، أي: ساكنةً[3]، قال:

والخيلَ تمزَعُ رَهْواً في أَعنَّتها ... كالطير ينجو مِن الشُّؤبُوب ذي البَرَدِ[4]

ويقال: افْعَل ذلك رَهْواً، أي: ساكناً على هِينَتِك، وقال ابنُ الأعرابيّ: رَهَا في السَّيْر: رَفَقَ، قال القَطاميّ في نعت الرِّكَاب:

يَمْشِيْنَ رَهْواً فلا الأَعجازُ خاذِلةٌ ... ولا الصُّدُور على الأعجازِ تَتَّكِلُ[5]

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٠٨، والنكت والعيون ٥/٢٤٧، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/٢٠٨، وقول القتبي في كتابه تفسير غريب القرآن ص٤٠٢.

(٢) العُثان: الدُّخان، وكذلك: العَثَن، ولا يعرف لهما نظير. الصحاح (عثن)، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/١٢٧.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٩/١١٥-١١٦، والصحاح (رها).

(٤) تفسير القرطبي ١٩/١١٥، والبيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٤، وفيه: غَرْباً، بدل: رهواً، وهو برواية المصنِّف في معاني القرآن للنحاس ٦/٤٠٣، وغَرْب الفرس: حدَّته وأوّل جريه، وتمزع: تُسرع، ـ وورد في بعض المصادر: تنزع، كما في الصحاح (غرب) ـ والشُّؤبُوب: الدّفعة من المطر.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/١١٥-١١٦، وينظر المحرر الوجيز ٥/٧٢ والصحاح (رها) وتهذيب =

وقال الليث: عيشٌ رَاهٍ: وَادِعٌ خافض[(١)].

وقال غيره: الرَّهْو والرَّهْوَة: المكان المُرتفع والمُنْخَفِض يَجتمع فيه الماءُ، وهو مِن الأضداد[(٢)]، والجمع: رُهَاء.

والرَّهْوُ: المرأةُ الواسعةُ الهَنِ، حكاه النَّضر بنُ شُمَيل، والرَّهْو: ضَرْبٌ مِن الطير، ويقال: هو الكُرْكِيُّ[(٣)].

وقال أبو عبيدة: رَهَا الرَّجُلُ يَرهُو رَهْواً: فَتَح بين رِجْلَيْه[(٤)].

المُهْل: دُرْدِيّ الزيتِ وعَكَرُه[(٥)].

عَتَلَهُ: سَاقَهُ بعُنْفٍ ودَفْعٍ وإهانَةٍ، والعُتُلُّ: الجافي الغليظ.

* * *

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا
يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ⑥ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ⑦ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ⑧ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ⑨ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى
ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ⑩ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑪ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا

= اللغة ٦/ ٤٠٣ (رها)، والبيت في ديوان القطامي ص٢٦.

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٧، وينظر الصحاح واللسان (رها).

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٦، والكلام من الصحاح (رها)، وينظر الأضداد للأنباري ص١٤٨، ولأبي الطيب اللغوي ١/ ٢٨٤ وما بعدها.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٦، والكلام من الصحاح (رها)، والهَنُ: الفَرْج. القاموس (هنَّ).

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٥، والكلام من الصحاح (رها)، وينظر اللسان (رها).

(٥) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٥١، وأورده أيضاً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٧٦ وعزاه لابن عباس وابنِ عمر، وأخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٥٥ و٥٧.

مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا
كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ
فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾
وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

التفسير هذه السورة مكِّيَّة، قيل: إلَّا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾[١] [الآية: ١٥].

ومناسبة هذه السورة أنَّه ذكرَ في أواخِر ما قَبْلَها: «فذَرْهم يَخوضوا ويَلعبوا حتى يُلاقوا يومَهم الذي يوعدون» فذكرَ يوماً غيرَ معيَّن ولا موصوفٍ، فبيَّن في أوائلِ هذه السورة ذلك اليومَ بوَصْفِ وَصفه، فقال: «فارْتَقِب يومَ تأتي السماءُ بدخانٍ مبين»، وأنَّ العذابَ يَأتيهم مِن قِبَلِكَ، ويَحلّ بهم مِن الجَدْب والقَحْط، ويكون العذاب في الدُّنيا، وإنْ كان العذابُ في الآخِرَة فيكون يَومهم الذي يُوعدون يومَ القيامة.

والظاهر أنَّ «الكتابَ المبين»: هو القرآنُ، أَقْسَمَ تعالى به، ويكون الضمير في «أنزلناه» عائداً عليه.

قيل: ويَجوز أَنْ يُراد به الكُتُب الإلهيَّة المنزلة، وأن يُراد به اللوح المحفوظ.

وجوابُ القَسَم، قال الزمخشريُّ وغيره[٢]: قوله: «إنَّا أنزلناه» على أنَّ «الكتابَ» هو القرآن، ويكون قد عظَّمه تعالى بالإقْسَام به.

وقال ابنُ عطيَّة: لا يَحسُن وقوعُ القَسَم عليه، ـ أي: على «إنَّا أنزلناه» ـ وهو

(١) الكشاف ٣/ ٤٩٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٨، وذَكَر ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦٨، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٣٦ أنَّ السورة كلها مكِّيَّة.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٩٩، وزاد المسير ٧/ ٣٣٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٩.

اعتراضٌ يتضمَّن تفخيمَ الكتاب، ويكون الذي وقع عليه القَسَم: «إنَّا كُنَّا مُنذِرين»[(١)]. انتهى.

قال قتادة وابنُ زيد والحسن: الليلةُ المباركة ليلةُ القَدْرِ[(٢)]، وقالوا: كُتُبُ اللهِ كلُّها إنَّما نَزَلت في رمضان؛ التوراة في أوَّله، والإنجيل في وَسطه، والزَّبور في نحو ذلك، والقرآن في آخِرِه في ليلة القَدْر، ويعني ابتداء نُزُوله كان في ليلة القَدْر، وقيل: أُنزلَ جملةً ليلةَ القَدْر إلى البيت المعمور، ومن هناك كان جبريل يتلقَّاه، وقال عكرمة وغيره: هي ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبان[(٣)]، وقد أَوردوا فيها أحاديثَ، وقال الحافظ أبو بكر بنُ العربيّ: لا يصحُّ فيها شيء ولا في نَسْخ الآجالِ فيها[(٤)].
«إنَّا كُنَّا مُنذِرين» أي: مُخوِّفين.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: «إنَّا كنا مُنذِرين» «فيها يُفرَق كلُّ أمرٍ حكيم» ما مَوقِع هاتَين الجملتين؟

قلت: هما جُملتان مُستَأنفتان مَلْفوفتان، فُسِّرَ بهما جوابُ القَسَم الذي هو قوله تعالى: «إنَّا أَنزلناه في ليلة مباركة»، كأنَّه قيل: أنزلناه؛ لأنَّ مِن شَأْنِنا الإنذارَ والتحذيرَ مِن العقاب، وكان إنزالُنا إيَّاه في هذه الليلة خُصوصاً؛ لأنَّ إنزالَ القرآن مِن الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مَفْرق كلِّ أَمْرٍ حكيم، والمباركة: الكثيرةُ الخَيْرِ؛ لِمَا يُنتج[(٥)] اللهُ فيها مِنَ الأُمور التي تتعلَّق بها منافعُ العِباد في دِينهم ودنياهم، ولو لم يُوجَد فيها إلَّا إنزال القرآن وَحْدَهُ، لكَفَى به بركةً. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦٨.
(٢) المصدر السابق، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٨، وقول قتادة وابنِ زيد عند الطبريّ ٢١/ ٥-٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٦٨، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٤٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٩-١٠٠، وقول عكرمة عند الطبريّ ٢١/ ٩.
(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٧٨، وتنظر الأحاديث والآثار الواردة في ذلك عند الطبري ٢١/ ٩-١٠، والثعلبي ٥/ ٤٢٨، والقرطبي ١٩/ ١٠٠-١٠٢، وتنظر أحاديث الباب عند أحمد (٦٦٤٢ بهامشه).
(٥) كذا في النسخ عدا (ت)، وفيها: يفتح. وفي مطبوع الكشاف ٣/ ٥٠٠ ومخطوطِه الورقة (٢٨٠): يتيح.

وقرأ الحسن والأعرج والأعمش: «يَفرُق» بفتح الياء وضمِّ الرَّاء، «كلَّ» بالنصب، أي: يَفرُق اللهُ[١].

وقرأ زيد بن عليّ ـ فيما ذَكر الزمخشريُّ عنه ـ: «نفرق» بالنون «كلّ» بالنَّصْب[٢]، وفيما ذَكَر أبو عليٍّ الأهوازيُّ عنه: بفتح الياء وكسر الراء، ونَصْب «كلّ» ورفع «حكيمٌ» على أنَّه الفاعِل بـ «نفرق»[٣].

وقرأ الحسن وزائدة عن الأعمش: بالتشديد، مبنيًّا للمفعول[٤].

ومعنى «يفرق»: يُفصَل مِن غيره ويُخَلَّص، ووصف «أَمْر» بـ «حكيم» أي: أَمْر ذي حِكْمة، وقد أبهمَ تعالى هذا الأَمْرَ، وقال ابنُ عباس والحسن وقتادة ومجاهد: في ليلة القَدْر يُفصَّل كلُّ ما في العام المُقبِل مِن الأَقْدَار والأرزاق والآجال وغيرِ ذلك، ويكتب لهم ذلك إلى مِثْلها مِن العامِ المُقبل.

وقال هلال بن يساف: كان يقال: انتظروا القضاءَ في رمضان.

وقال عكرمة: تُفصَّل الملائكةُ في ليلة النصف مِن شعبان[٥].

وجوَّزوا في «أَمْراً» أنْ يكون مفعولاً به بـ «منذرين» كقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢].

أو على الاختصاص، جَعَلَ كلَّ أَمْرٍ جَزْلاً فَخِماً، بأَنْ وَصَفه بالحكيم، ثم زَادَهُ جزالةً وكَسبَهُ فخامةً بأنْ قال: أَعني بهذا الأَمْرِ أَمْراً حاصلاً مِن عندنا، كائناً مِن لَدُنَّا، وكما اقتضاهُ عِلْمُنا وتدبيرُنا. كذا قال الزمخشريُّ[٦].

(١) المحرر الوجيز ٥/٦٩، وينظر تفسير القرطبي ١٩/١٠٣، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٧ عن الحسن.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٠، ونَقَلها عنه الرازيُّ ٢٧/ ٢٤٠، والقرطبيُّ ١٩/ ١٠٣.
(٣) أوردها أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٣٧-٣٣٨ وعزاها لأبي المتوكل وأبي نهيك ومعاذ القارئ، ولم يَنصّ على رفع لفظة: «حكيم».
(٤) الكشاف ٣/ ٥٠٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٠٣ دون عزوٍ، ولم يُذكَر البناء للمفعول.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٦٨-٦٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٨، والنكت والعيون ٥/ ٢٤٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٠٠-١٠٢، وتنظر الآثار عند الطبري ٢١/ ٧-١٠.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٠٠.

وقال: وفي قراءة زيد بنِ عليٍّ: «أَمْرٌ مِن عندنا» على: هو أَمْرٌ، وهي تَنْصُرُ انتصابه على الاختصاص[١].

ومفعولاً له، والعامل: «أنزلناه» أو «منذرين» أو «يُفرَق».

ومصدراً مِن معنى «يُفرَق» أي: فَرْقاً «مِن عندنا».

أو مِن: أَمَرْنا، محذوفاً.

وحالاً، قيل: مِن «كُلّ»، والذي تَلَقَّفْناهُ مِن أشياخنا أنَّه حالٌ مِن «أَمْر» لأنَّه وصف بـ «حكيم»، فحسنت الحالُ منه، إلَّا أنَّ الحالَ فيه مِن المضاف إليه، وهو ليس في موضع رَفْع ولا نَصْب، فلا يجوز.

وقيل: مِن ضمير الفاعل في «أنزلناه» أي: آمِرين.

وقيل: مِن ضمير المفعول في «أنزلناه»، أي: في حال كونه أَمْراً مِن عندنا بما يَجب أنْ يُفعَل.

والظاهر أنَّ «مِن عندنا» صفة لـ «أَمْراً» وقيل: يتعلَّق بـ «يُفرَق».

«إنَّا كُنَّا مُرْسِلين» لمَّا ذَكَر إنزالَ القرآن، ذَكَر المُرسَل، أي: مُرْسِلين الأنبياءَ بالكُتُب للعباد، فالجملة المؤكِّدة مُستأنفة، وقيل: يَجوز أن يكون بدلاً مِن «إنَّا كُنَّا منذرين».

وجوَّزوا في «رحمة» أَنْ يكون مصدراً، أي: رَحِمْنا رحمةً، وأَنْ يكون مفعولاً له لـ «أنزلناه»، أو لـ«يُفرَق» أو لـ «أَمْراً مِن عندنا»، وأن يكون مفعولاً بـ «مُرْسِلين».

والرحمة تُوصَف بالإرسال، كما وُصفت به في قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢] والمعنى على هذا: إنَّا نفصلُ في هذه الليلة كلَّ أمرٍ، أو تَصدُر الأوامر «مِن عندنا» لأنَّ مِن عادتنا أنْ نُرسِلَ رحمتنا.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ والحسن: «رحمةٌ» بالرفع[٢]، أي: تلك رحمةٌ مِن ربِّك، التفاتاً مِن مُضمر إلى ظاهر، إذ لو رُوعيَ ما قَبْلَه لكان: رحمةً منَّا، لكنَّه وضعَ الظاهر موضعَ المضمر؛ إيذاناً بأنَّ الربوبيَّة تقتضي الرحمةَ على المَرْبُوبين.

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٥٠١، وقراءة زيد بن عليّ نقلها عنه القرطبيُّ ١٩/ ١٠٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٠١، ونقلها عنه القرطبيُّ ١٩/ ١٠٤.

وقرأ ابنُ محيصن والأعمش وأبو حيوة والكوفِيُّون: «ربِّ السماوات» بالخفض بدلاً «مِن ربِّك»، وباقي السبعة والأعرج وابنُ أبي إسحاق وأبو جعفر وشيبة: بالرَّفع، على القَطْع، أي: هو ربُّ[١].

وقرأ الجمهور: «ربُّكم وربُّ» برفعهما، وابنُ أبي إسحاق وابنُ محيصن وأبو حيوة والزعفرانيُّ وابنُ مقسم والحسن، وأبو موسى عيسى بنُ سليمان[٢] وصالح النَّاقِط[٣] كلاهما عن الكسائيِّ: بالجرِّ[٤]، وأحمد بن جُبَيْر الأنطاكي: «ربَّكم وربَّ» بالنصب على المدح[٥]، وهم يُخالفون بين الإعراب ـ الرَّفْع والنَّصْب ـ إذا طالت النُّعُوت.

وقوله: «إنْ كنتم مُوقنين» تحريكٌ لهم، بأنَّكم تقرُّون بأنَّه تعالى خَالِقُ العالَم، وأنَّه أَنزل الكُتُب، وأرسل الرُّسُلَ؛ «رحمةً» منه، وأنَّ ذلك منكم مِن غير عِلْم وإيقان، ولذلك جاء «بل هم في شَكٍّ يَلعبون» أي: في شَكٍّ لا يَزالون فيه يَلعبون، فإقرارُهم ليس عن جدٍّ ولا تيقُّن.

«فارْتَقِب يومَ تأتي السماءُ بدُخَان مبين» قال عليّ بن أبي طالب وابنُ عمر وابنُ عباس وأبو سعيد الخدريُّ وزيد بنُ عليٍّ والحسن: هو دخان يَجيءُ يومَ القيامة يُصيب المؤمنَ منه مِثْلُ الزُّكام، ويُنضِج رؤوسَ الكافرين والمنافقين حتى تكون كأنَّها مَصْلِيَّة حَنِيْذَة[٦].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٠٤، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦، والقراءة في السبعة ص٥٩٢، والتيسير ص١٩٨، والنشر ٢/ ٣٧١.

(٢) وهو: الحجازي الشَّيْزري، أخذ القراءة عن الكسائي، وسلفت ترجمته.

(٣) هو: صالح بن عاصم الناقط، روى الحروف عن الكسائيّ، روى القراءة عنه محمد بن يحيى بن أبي مسعود. غاية النهاية ١/ ٣٣٣.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٠٤، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٤، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦، والقراءة بالكسر في القراءات الشاذة ص١٣٧ عن ابن أبي إسحاق وابن محيصن، والكسائي في رواية الحجازي.

(٥) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٩/ ٦١٨، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٤٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٦٩، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٩-٤٣٠، والنكت =

وقال ابنُ مسعود وأبو العالية والنخعيُّ: هو الدُّخان الذي رَأَتْه قريش[١]، قيل لعبد الله: إنَّ قاصًّا عند أبواب كِنْدَة يقول: إنَّه دخانٌ يأتي يومَ القيامة فيَأخذ بأنفاسِ الناسِ، فقال: مَن عَلِمَ عِلْماً فليقُل به، ومَن لم يَعْلَم فليقُل: اللهُ أعلم، أَلَا وسَأُحدِّثكم أنَّ قريشاً لمَّا استَعْصَت على رسولِ الله ﷺ دَعَا عليهم، فقال: «اللَّهمَّ اشْدُد وَطْأَتَكَ على مُضَر، واجْعَلْها عليهم سنين كَسِني يُوسف»، فأصابهم الجهدُ حتى أكلوا الجِيَف والعِلْهِز.

والعِلْهِز: الصُّوف يَقَعُ فيه القُراد فيُشوى الصُّوف بدَمِ القُراد ويؤكل.

وفيه أيضاً: حتى أَكَلُوا العظامَ، وكان الرجلُ يَرَى بين السماءِ والأرض الدخانَ، وكان يُحدِّث الرَّجُل فيسمع الكلامَ ولا يرى المحدّث مِن الدخان، فمشى إليه أبو سفيان ونَفَرَ معه، وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ، وواعَدُوه إنْ دَعَا لهم وكَشَفَ عنهم أنْ يُؤمنوا، فلمَّا كشفَ عنهم رَجَعوا إلى شِرْكهم[٢].

وفيه: فَرَحِمَهم النبيُّ ﷺ وبَعَثَ إليهم بصدقةٍ ومالٍ، وفيه: فلمَّا أصابتهم الرفاهية عَادُوا إلى حالهم، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قال: يعني: يوم بدر[٣].

= والعيون ٥/٢٤٧، وزاد المسير ٧/٣٣٩، وتفسير القرطبي ١٩/١٠٦-١٠٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢١/١٨-٢٠، والمصليَّة: المشوية. الصحاح (صلا).

(١) المحرر الوجيز ٥/٦٩، وينظر النكت والعيون ٥/٢٤٧، وزاد المسير ٧/ ٣٤٠، وتفسير القرطبي ١٩/١٠٧.

(٢) الكشاف ٣/٥٠١-٥٠٢، وينظر تفسير الثعلبي ٥/٤٢٩، والنكت والعيون ٥/٢٤٧، والقرطبيّ ١٩/١٠٧، والخبر عند البخاري (٤٧٧٤) و(٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨) (٣٩) و(٤٠)، وأحمد (٣٦١٣)، دون قوله: الجيف والعِلْهِز. وورد ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف ص١٤٨ ـ عند النسائي في الكبرى (١١٢٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٠٣٨) عن ابنِ عباس أنَّه قال: جاء أبو سفيان إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا محمد، أنشُدك اللهَ والرحمَ، فقد أكلنا العِلْهِز ـ يعني: الوَبَر والدَّمَ ـ فأنزل اللهُ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]. انتهى. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٧٣: فيه: علي بن الحسين بن واقد، وثَّقه النسائي وغيره، وضعَّفه أبو حاتم. اهـ. وللفظة: العلهز، ينظر النهاية لابن الأثير (علهز)، و: عند أبواب كندة: هو باب الكوفة.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/١٠٧، وهو تتمة الخبر الآنف الذِّكر.

وقال عبد الله: خمسٌ قد مَضَيْنَ: الدُّخَان، واللِّزام، والبَطْشة، والقَمَر، والرُّوم[١].

وقال عبد الرحمن الأعرج: «يوم تأتي السماء» هو يوم فتح مكَّة، لمَّا حَجَبت السماءَ الغَبَرَةُ[٢].

وفي حديث حذيفة: «أوَّل الآيات: خروجُ الدَّجَّال، والدُّخان، ونزول عيسى ابنُ مريم، ونارٌ تَخرُج مِن قَعْرِ عَدَن»، وفيه: قلت: يا نبيَّ الله، وما الدُّخان؟ قال: «هذه الآية»: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾. وذكرَ بقيَّةَ الحديث، واختَصَرْناه[٣].

«بدُخانٍ مبينٍ» أي: ظاهرٍ لا يُشَكُّ أنَّه دخان «يَغْشَى الناسَ» يَشملهم؛ فإنْ كان هو الذي رَأَتْه قريش فـ «الناس» خاصٌّ بالكفَّار مِن أهل مكَّة، وقد مضى كما قال ابنُ مسعود، وإن كان مِن أشراط الساعة، أو يوم القيامة، فـ «الناس» عامٌّ فيمَن أدركه وقتَ الأشْراط، وعامٌّ بالناس يوم القيامة.

«هذا عذاب» إلى «مؤمنون» في موضع نَصْب بفِعْلِ القولِ محذوفاً، وهو في موضع الحال، أي: يقولون، ويَجوز أنْ يكون إخباراً مِن الله، كأنَّه تعجَّب منه، كما قال في قصَّة الذبيح: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦٩، وهو تتمة الخبر الآنف الذكر، كما في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢٩، وتنظر المصادر الآنفة الذكر، واللِّزام: المراد به قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي: يكون عذابهم لازماً، قالوا: وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهي البطشة الكبيرة، وآية الروم: المراد به قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٢-٣].

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١٠٨ نقلاً عن النكت والعيون ٥/ ٢٤٧، والخبر عند ابنِ أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٨٧ (١٨٥٣٢)، وقال ابنُ كثير عند تفسير هذه الآية: هذا القول غريب جدًّا، بل منكر.

(٣) تفسير القرطبيّ ١٩/ ١٠٧ نقلاً عن الثعلبيّ، وهو عنده في تفسيره ٥/ ٤٣٠ من طريق الطبري بإسناده إلى حذيفة ﷺ، وهو عند الطبريّ في التفسير ٢١/ ١٩-٢٠، ومن طريقه أيضاً البغوي في تفسيره ٤/ ١٥٠.

«إنَّا مؤمنون» وَعْدٌ بالإيمان إنْ كشفَ عنهم العذاب، والإيمانُ واجبٌ، كُشِفَ العذابُ أو لم يُكشَف.

«أنَّى لهم الذِّكرى» أي: كيف يذَّكرون ويتَّعظون ويَفُون بما وَعَدُوه[١] مِن الإيمان عند كَشْفِ العذاب، وقد جاءَهم ما هو أعظمُ وأدخَلُ في باب الادِّكار مِن كَشْفِ الدُّخان، وهو ما ظَهَرَ على رسولِ الله ﷺ مِن الآيات والبيِّنات؛ مِن الكتاب المُعجِز وغيرِه مِن المعجزات، فلم يَذَّكَّروا وتَولَّوا عنه، وبَهَتُوه بأَنَّ عَدَّاساً ـ غُلاماً أعجميًّا لبعضِ ثَقِيْفٍ[٢] ـ هو الذي عَلَّمه ونَسَبوه إلى الجُنُون.

وقرأ زر بنُ حبيش: «مُعَلِّمٌ» بكسرِ اللام[٣].

«إنَّا كاشفوا العذاب قليلاً» إخبارٌ عن إقامة الحجَّة عليهم، ومبالغةٌ في الإملاء لهم، ثم أخبرَ أنَّهم «عائدون» إلى الكفر، وقال قتادة: هو توعُّد بمَعَاد الآخِرَة[٤]، وإذا كان الخطاب لقريش حين حلَّ بهم الجدب، كان ظاهراً، وإن كان الدخان قَبْلَ يوم القيامة؛ فإذا أَتَت السماءُ بالعذاب تَضَوَّروا ـ منافِقُوهم وكافرُوهم ـ وقالوا: «ربَّنا اكشف عنَّا العذاب إنَّا مؤمنون»، فيكشفه عنهم، قيل: بَعْدَ أربعينَ يوماً، فحين يَكشفه عنهم يَرتدون، و«يوم البَطْشَة الكبرى» على هذا هو يوم القيامة، كقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤] وكونه يوم القيامة هو قولُ ابنِ عباس والحسن

(١) جاء بهامش مخطوط الكشاف الورقة (٢٨٠) والكلام منه: الصواب: يعدون. والكلام في مطبوعه ٣/ ٥٠٢.

(٢) هو: عَدَّاس مولى شيبة بن ربيعة، كان نصرانيًّا من أهل نِيْنَوى ـ قرية من قرى الموصل ـ ولقي النبيَّ ﷺ بالطائف في قصَّة ذكرها ابنُ إسحاق في السيرة. الإصابة ٦/ ٣٩٨-٤٠٠، وخبره في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢١ من رواية ابنِ إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وفي دلائل النبوة لأبي نُعيم ١/ ٣٩١-٣٩٢ من رواية ابنِ لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير، وللبيهقي ٢/ ٤١٤-٤١٦ من رواية موسى بن عقبة، عن ابنِ شهاب الزهري مرسلاً. قلنا: فرواية الخبر مرسلة، كما أنها من رواية ابن لهيعة، وربَّما كانت بعد احتراق كتبه.

(٣) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمينُ في الدر ٩/ ٦١٩ لكن عزاها لزيد بن عليّ، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٤٦٠ وعزاها لزرّ بن حبيش.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٧٠.

وعكرمة وقتادة، وكونه يوم بدر هو قولُ عبد الله وأُبَيّ وابن عباس أيضاً ومجاهد[١].

وانتصب «يومَ نَبْطِش» قيل: بـ: ذكّرهم، وقيل: بـ: ينتقم، الدّالّ عليه «منتقمون»، وضعّف بأنّه لا يفسّر إلّا ما يعمل، وقيل: بـ «منتقمون»، ورُدَّ بأنَّ ما بعد «إنَّ» لا يَعمل فيما قَبْلَها.

وقرأ الجمهور: «نَبْطِش» بفتح النون وكسر الطاء، والحسن وأبو جعفر: بضمّها[٢]، والحسن أيضاً وأبو رجاء وطلحة: بضمِّ النون وكَسْر الطاء[٣]، بمعنى: نُسلِّط عليهم مَن يَبطِش بهم، والبَطْشَة على هذه القراءة ليس منصوباً بـ «نبطش»، بل بمقدَّر، أي: فنبطش ذلك المسلّط البَطْشَةَ، أو تكون البَطْشَة في معنى الإبطاشة، فينتصب بـ «نبطش».

«ولقد فَتنَّا قَبْلَهم قومَ فرعون» هذا كالمثال لقريش، ذكرت قصَّة مَن أُرسلَ إليهم موسى عليه السلام، فكذَّبوه فأهلكهم اللهُ.

وقُرِئَ: «فَتَّنّا» بتشديد التاء[٤]؛ للمبالغة في الفِعْل، أو لتكثير متعلَّقه.

«وجاءَهم رسولٌ كريم» أي: كريمٌ عند الله وعندَ المؤمنين، قاله الفرَّاء، أو كريم في نفسِه؛ لأنَّ الأنبياءَ إنَّما يُبعثون مِن سَرَواتِ الناس، قاله أبو سليمان، أو «كريم» حَسَن الخُلُق، قاله مقاتل[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٠، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٠، والنكت والعيون ٥/ ٢٤٨، وزاد المسير ٧/ ٣٤٢، والقرطبي ١٩/ ١١٠، والآثار عند الطبريّ ٢١/ ٢٥-٢٧.

(٢) أي: «نَبْطُش». والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٧٠، والكشاف ٣/ ٥٠٢ عن الحسن، وهي عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٧٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٧٠، وهي في المحتسب ٢/ ٢٦٠، مع الإشارة إلى أنَّ القراءةَ هنا وردت في مطبوع القراءات الشاذة ص١٣٧ هكذا: «يوم يُبْطِش» الحسن وأبو رجاء والأشهب، «يوم يَبْطُش» بالضَّمِّ: أبو جعفر والحسن. اهـ. ولعلَّ هذه الأخيرة هي السَّالفة آنفاً ـ كما أشار إلى ذلك محقِّقه ـ لكنها بالنون، بدل: الياء، والله تعالى أعلم.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٠٢.

(٥) زاد المسير ٧/ ٣٤٢-٣٤٣، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٤٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١١.

«أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عبادَ الله» يَحتمل أَنْ تكون «أَنْ» تفسيريَّة؛ لأَنَّه تقدَّم ما يدلُّ على معنى القول، وهو «رسول كريم»، وأَنْ تكون «أَنْ» مخفَّفة مِن الثقيلة، والناصبة للمضارع، فإنَّها تُوصَل بالأَمْرِ.

قال ابنُ عبَّاس: «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ» الطاعةَ يا «عبادَ الله» أي: اتَّبِعوني على ما أَدعوكُم إليه مِن الإيمان، وقال مجاهد وقتادة وابنُ زيد: طلبَ منهم أَنْ يُؤَدُّوا إليه بني إسرائيل، كما قال: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾[1] [طه: ٤٧].

فعلى قولِ ابنِ عباس «عباد الله» منادى، ومفعول «أَدُّوا» محذوف، وعلى قول مجاهد ومَن ذُكِرَ معه «عباد الله» مفعول «أَدُّوا».

«إِنِّي لكم رسولٌ أمينٌ» أي: غيرُ متَّهم قد ائْتَمَنَنِي اللهُ على وَحْيه ورسالته، و«أَنْ لا تَعلُوا على الله» أي: لا تَستكبروا على عبادة[2] الله، قاله يحيى بنُ سلام، وقال ابنُ جُرَيج: لاتَعْظُمُوا على الله، قيل: والفَرْق بينهما: أنَّ التعظيمَ تطاولُ المُقتَدِر، والاستكبار تَرفُّع المُحتَقِر، ذكره الماورديُّ.

و«أَنْ» هنا كـ: «أَنْ» السابقة في أوجهها الثلاثة.

«إِنِّي آتيكُم بسُلطان مبين» أي: بحجَّة واضحة في نفسها، أو مُوضحة صِدْقَ دعواي.

وقرأ الجمهور: «إِنِّي» بكسر الهمزة على سبيل الإخبار، وقرأت فرقة: بفتح الهمزة[3]، والمعنى: لا تَعلُوا على الله؛ مِن أجل أَنِّي آتيكُم، فهذا توبيخٌ لهم، كما تقول: أَتَغْضَب أَنْ قيل لك الحَقّ.

«وإِنِّي عُذْتُ» أي: استجرتُ «بربِّي وربِّكم أَنْ تَرْجُمونِ» كانوا قد توعَّدوه بالقَتْل فاستعاذ مِن ذلك.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٠، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٤٩، وزاد المسير ٧/ ٣٤٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١١-١١٢، والآثار عند الطبريّ ٢١/ ٢٩-٣٠.
(٢) كذا في النسخ وفي تفسير القرطبي ١٩/ ١١٢، والذي في مطبوع النكت والعيون ٥/ ٢٤٩ والكلام منه: عباد.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٧١.

وقرئ: «عذتُّ» بالإدغام[(١)].

قال قتادة وغيره: الرَّجْم هنا بالحجارة، وقال ابنُ عباس وأبو صالح: بالشَّتْم[(٢)]، وقول قتادة أظهر؛ لأنَّه قد وَقَعَ منهم في حقِّه ألفاظ لا تُناسِب، وهذه المعاذَةُ كانت قَبْلَ أَنْ يُخبره تعالى بقوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: ٣٥].

«وإنْ لم تُؤمِنوا لي» أي: تُصَدِّقوا «فاعتزلونِ» أي: كونوا بمعزلٍ، وهذه متاركة حسنة.

«فدعا ربَّه» أي: فأَصَرُّوا على الكفر، ورَأى أنَّهم لا يَرْعَوُون، فالْتَجَأَ إلى الله بالدُّعاء، وهي طريقةُ الأنبياء، كما قال[(٣)]: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

«أنَّ هؤلاء» لفظ تحقير لهم، وقرأ الجمهور: «أنَّ هؤلاء» بفتح الهمزة، أي: بأنَّ هؤلاء، وقرأ ابنُ أبي إسحاق وعيسى والحسن في روايةٍ وزيد بن عليٍّ بكسرها[(٤)].

«فأَسْرِ بعبادي» في الكلام حَذْفٌ، أي: فانتقم منهم، فقال له اللهُ: أَسْرِ بعبادي. وهم بنو إسرائيل ومَن آمَنَ به مِن القبْط.

وقال الزمخشريُّ: فيه وجهان: إضمارُ القول بعد الفاء، فقال: أَسْرِ بعبادي، وأَنْ يكون جوابَ شَرْطٍ محذوف، كأنَّه قيل: قال: إنْ كان الأَمْرُ كما تقول: «فأَسْرِ بعبادي»[(٥)]. انتهى.

وكثيراً ما يُجِيز هذا الرَّجُل حذفَ الشَّرْط وإبقاءَ جوابه، وهو لا يَجوز إلَّا لدليل واضح، كأَنْ يَتقدَّمه الأَمْر وما أَشبهه ممَّا ذكرَ في النحو على خلافٍ في ذلك.

«إنَّكم مُتَّبعون» أي: يتَّبعكم فرعونُ وجنودُه، فتَنْجَون ويَغرَق المتَّبِعون.

---

(١) قرأ بالإظهار: نافع وابن كثير وابنُ عامر وعاصم ويعقوب، وقرأ الباقون بالإدغام. تفسير القرطبي ١٩/ ١١٢-١١٣، والقراءة في السبعة ص٥٧٠، والتيسير ص٤٤، والنشر ٢/ ١٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣١، والنكت والعيون ٥/ ٢٥٠، وزاد المسير ٧/ ٣٤٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١٢، والآثار عند الطبري ٢١/ ٣١-٣٢.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾... إلى هنا، ليست في المطبوع.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٧١ دون ذِكْر: زيد بن عليّ، وهي كذا في القراءات الشاذة ص١٣٧.

(٥) الكشاف ٣/ ٥٠٣.

«واتْرُكِ البحرَ رَهْواً» قال ابنُ عباس: ساكناً، كما جُزْتَه، وقال مجاهد وعكرمة: يَبَساً، مِن قوله: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]. وقال الضحَّاك: دَمِثاً لَيِّناً، وقال عكرمة: جدداً، وقال ابنُ زيد: سَهْلاً، وقال مجاهد أيضاً: مُنْفَرِجاً، قال قتادة: أراد موسى أنْ يَضرب البَحْرَ بعصاهُ ـ لمَّا قَطَعه ـ حتى يلتئمَ، وخاف أنْ يَتبعه فرعونُ، فقيل له هذا[١].

«إنَّهم جُنْدٌ مُغرَقُون» أي: فيه؛ لأنَّهم إذا رَأَوهُ ساكناً على حالته ـ حين دخلَ فيه موسى وبنو إسرائيل ـ أو مفتوحاً طريقاً يَبَساً، دَخَلوا فيه فيُطبِقه اللهُ عليهم.

«كم تَرَكوا» أي: كثيراً «تَرَكوا مِن جنَّات وعيون» تقدَّم تفسيرهما في «الشعراء»[٢].

وقرأ الجمهور: «ومَقَام» بفتح الميم، قال ابنُ عباس ومجاهد وابنُ جبير: أراد المنابر[٣]، وقرأ ابنُ هرمز وقتادة وابنُ السَّمَيْفَع ونافع ـ في رواية خارجة ـ بضمِّها[٤].

قال قتادة: أرادَ المواضع الحِسَان مِن المجالس والمَسَاكن وغيرها.

«ونَعْمَة» بفتح النون: غضارة العَيْش ولذاذة الحياة، وقرأ أبو رجاء: «ونعمةً» بالنصب، عطفاً على «كم»[٥].

«كانوا فيها فاكهين» قرأ الجمهور: بألف، أي: طَيِّبي الأنفس، أو أصحاب فاكهة، كلابِن وتامِر، وأبو رجاء والحسن: بغير ألف[٦]، والفَكِهُ يُستعمل كثيراً في

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٧٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٣١، والنكت والعيون ٥/ ٢٥٠، وزاد المسير ٧/ ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١٥-١١٦، والآثار عند الطبري ٢١/ ٣٤-٣٧، وقول مجاهد: يَبَساً، علَّقه أيضاً البخاريُّ في صحيحه قبل الحديث (٤٨٢٠).

(٢) عند تفسير الآية (٥٧) منها.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٧٢، والنكت والعيون ٥/ ٢٥١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٢، وقول مجاهد وابنِ جبير عند الطبريّ ٢١/ ٣٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٧٢ دون ذِكْر ابنِ هرمز.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٧٣ وزاد ابنَ القعقاع، وكذا زاده القرطبيُّ ١٩/ ١١٨، وزاد أيضاً: =

المستخفّ المُستهزِئ، فكأنَّهم كانوا مستخفِّين بشُكر النّعمة التي كانوا فيها.

وقال الجوهريُّ: فَكِهَ الرَّجُلُ بالكسر، فهو فَكِهٌ: إذا كان مزَّاحاً، والفَكِهُ أيضاً: الأَشِرُ، وقال القُشَيريُّ: «فاكهينَ» لاهينَ[1].

«كذلك» قال الزجَّاج: المعنى: الأَمْرُ «كذلك»، فيُوقَف على «كذلك»، فالكاف في موضع رَفْعٍ، خبر مبتدأ محذوف، وقيل: الكاف في موضع نصب، أي: نفعل فِعْلاً «كذلك» لِمَن نُريد إهلاكه[2].

وقال الكلبيُّ: «كذلك» أفعلُ بمَن عصاني[3]. وقال الحوفي: أَهلكنا إهلاكاً وانتقمنا انتقاماً «كذلك».

وقال الزمخشريُّ: الكاف منصوبة على معنى: مِثْل ذلك الإخراج أخرجناهم منها «وأورثناها قوماً آخَرين» ليسوا منهم وهم بَنُو إسرائيل كانوا مُستعبَدِين في يَدِ القِبْط، فأَهلك اللهُ تعالى القِبْط على أيديهم وأورثهم مُلْكهم[4]. وقاله قتادة.

وقال الحسن: إنَّ بني إسرائيل رَجَعوا إلى مصر بَعْدَ هلاك فرعون، وضعّف قولُ قتادة بأنَّه لم يُرْوَ في مشهور التواريخ أنَّ بني إسرائيل رَجَعوا إلى مصر في شيء مِن ذلك الزمان ولا مَلكوها قَطّ، إلَّا أنْ يُريد قتادة أنَّهم وَرِثوا نوعَها في بلاد الشام[5]. انتهى.

ولا اعتبارَ بالتواريخ، فالكذب فيها كثيرٌ، وكلامُ اللهِ صِدْقٌ، قال تعالى في سورة «الشعراء»: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

وقيل: «قوماً آخَرين» مَن مَلَكَ مصرَ بَعْدَ القِبْط مِن غيرِ بني إسرائيل.

= أبا الأشهب وشيبة، وهي عند الطبريّ ٢١/ ٣٩ عن أبي رجاء والحسن وأبي جعفر، وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع في النشر ٢/ ٣٥٤-٣٥٥.

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٨، وكلام الجوهريّ في الصحاح (فكه).

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٨، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٤٢٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٨، وينظر الوسيط ٤/ ٨٩، والبغوي ٤/ ١٥٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٠٣-٥٠٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٧٣ مع قول قتادة السابق، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢١/ ٤٠.

«فما بَكَت عليهم السماء والأرض» استعارةٌ لتحقيرِ أَمْرِهم وأنَّه لم يتغيَّر عن هلاكهم شيءٌ، ويقال في التعظيم: بَكَت عليه السماءُ والأرضُ، وبَكَتْهُ الرِّيح، وأظلمت له الشَّمْسُ، وقال يزيد بنُ مُفرِّغ:

الرِّيْحُ تَبكي شَجْوَهُ والبَرقُ يَلمعُ في غَمَامِه[1]

وقال الفرزدق:

فالشمسُ طالعة ليست بكاسفةٍ تبكي عليكَ نجومَ الليلِ والقَمَرا[2]

وقال النابغة:

بَكَى حارثُ الجولانِ مِن فَقْدِ رَبِّه وحورانُ منه خاشعٌ متضائلُ[3]

حارث الجولان وحوران: بَلَدان[4].

وقال جرير:

لمَّا أَتَى خبرُ الزُّبَيْر تواضَعَت سُوُرُ المدينة والجِبالُ الخُشَّعُ[5]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١٩، والبيت في ديوان يزيد ص١٤٣، برواية:

فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامه

وهو برواية المصنِّف في الصاحبي لابن فارس ص٢٣٧، وخزانة الأدب ٦/ ٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧٤، وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٩/ ١١٩ ولم ينسبه، وورد في الكشاف ٣/ ٥٠٤ ومطبوع البحر المحيط: جرير، والبيت له يرثي فيه عمرَ بنَ عبد العزيز، وهو في ديوانه ٢/ ٧٣٦، وجاء الشطر الأول فيه هكذا: فالشمس كاسفة ليست بطالعة... وهو برواية المصنِّف في الكامل للمبرِّد ٢/ ٨٣٣، والعقد لابن عبد ربِّه ١/ ٩٦، ونُصبت: نجوم، بـ: كاسفة، يعني أنها تكسف نجومَ الليل والقَمرَ بإفراط ضيائها، ولكنَّها الآن مظلمة فلا تكسف. ولم نقف على البيت في ديوان الفرزدق.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٩١، وفيه: موحش، بدل: خاشع، وسلف عند تفسير الآية (٨٩) من سورة مريم.

(٤) جاء بعدها في (يه): وقال بعض أدبائنا يرثي. اهـ. وحارث الجولان وحوران سلف عند بيت النابغة الآنف الذِّكر.

(٥) ديوان جرير ٢/ ٩١٣، وسلف.

ويقول في التحقير: مات فلانٌ فمَا خَشَعت الجبالُ، ونسبةُ هذه الأشياء لِمَا لا يَعقل ـ ولا يصير ذلك منه حقيقةً ـ عبارة عن تأثُّر الناس له، أو عن عَدَمه.

وقيل: هو على حَذْفِ مضاف، أي: فما بَكَى عليهم أهلُ السماء ـ وهم الملائكة ـ وأهلُ الأرض ـ وهم المؤمنون ـ بل كانوا بهلاكهم مسرورينَ، رُوِيَ ذلك عن الحسن[(١)].

وما رُوِيَ عن عليٍّ وابنِ عباس ومجاهد وابنِ جبير: إنَّ المؤمنَ إذا مات بَكَى عليه مِن الأرض موضعُ عبادته أربعينَ صباحاً، وبكى عليه في السماء موضعُ صُعُود عَمَله، قالوا: فلم يكن في قوم فرعون مَن هذه حاله[(٢)]، تمثيلٌ.

«وما كانوا منظرين» أي: مُؤخَّرين عن العذاب لما حانَ وقتُ هلاكهم، بل عجَّل اللهُ لهم ذلك في الدنيا.

❋ ❋ ❋

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ
﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ أَهْلَكْنَٰهُمْۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٩-١٢٠، والنكت والعيون ٥/ ٢٥٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧٣، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٥٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٢٠، والآثار عند الطبريّ ٢١/ ٤١-٤٥.

﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ
وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

لمَّا ذَكَر تعالى إهلاكَ فرعون وقومه، ذَكَر إحسانَه لبني إسرائيل؛ فبَدَأَ بدَفْع الضَّرَر عنهم وهو نَجاتهم ممَّا كانوا فيه مِن العذاب، ثم ذَكَر إيصالَ النَّفْع لهم مِن اختيارهم على العالمين وإيتائهم الآيات، و«العذاب المُهِين» قَتْلُ أبنائهم واستخدامُهم في الأعمال الشاقَّة.

وقرأ عبد الله: «مِن عذابِ المهين»[1] وهو مِن إضافة الموصوف إلى صفته، كبَقْلَةِ الحمقاء. و«مِن فرعون» بَدَل مِن «العذاب» على حَذْفِ مضاف، أي: مِن عذابِ فرعون، أو لا حَذْف، جعلَ فرعونَ نفسَه هو العذابَ، مبالغةً، وقيل: يتعلَّق بمحذوف، أي: كائناً وصادراً مِن فرعون.

وقرأ ابنُ عباس: «مَن فرعونُ»[2]، «مَن» استفهام مبتدأ، و«فرعون» خبرُه، لما وصفَ فرعون بالشِّدَّة والفظاعة، قال: «مَن فرعون» على معنى: هل تعرفونه مَن هو في عُتُوِّه وشيطنته؟ ثم عَرَّف حالَه في ذلك بقوله: «إنَّه كان عالياً مِن المسرفين» أي: مرتفعاً على العالَم، أو متكبراً مُسْرِفاً «مِن المُسْرِفين».

«ولقد اخترناهم» أي: اصْطَفَيناهم وشرَّفناهم «على عِلْم» عِلْم مصدرٌ لم يُذكَر فاعلُه، فقيل: على عِلْم منهم، وفَضْلٍ فيهم، فاخترناهم للنبوَّات والرِّسالات.

وقيل: «على عِلْم» منَّا، أي: عالمينَ بمكان الخِيرَة، وبأنَّهم أحقَّاء بأنْ يُختاروا، وقيل: «على علمٍ» منَّا بما يَصدُر مِن العَدْل والإحسان والعِلْم والإيمان.

وقيل: «على عِلْم» مِنَّا بأنَّهم يَزِيغون وتَفرُط منهم الهَنَاتُ في بعض الأحوال. وقيل: اخترناهم بهذا الإنجاء، وهذه النِّعَم على سابقِ عِلْمٍ لنا فيهم، وخَصصناهم بذلكَ دونَ العالَم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٤، وينظر الكشاف ٣/ ٥٠٤، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٨.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧٤، والكشاف ٣/ ٥٠٤.

«على العالمين» أي: عالمَي زمانِهم؛ لأنَّ أمَّة محمَّدٍ ﷺ مُفضَّلة عليهم، وقيل: «على العالمين» عامٌّ؛ لكثرة الأنبياء فيهم، وهذا خاصٌّ بهم ليس لغيرهم، فكان الاختيار مِن هذه الجهة، لأنَّ أمَّة محمَّد أفضلُ.

و«على» في قوله: «على عِلْم» ليس معناها معنى «على» في قوله: «على العالَمين»، ولذلك تعلَّقا بفعلٍ واحد؛ لمَّا اختلف المدلولُ، كقوله:

ويوماً على ظَهْرِ الكَثِيب تعذَّرت عليَّ وآلَتْ حَلْفَةً لم تَحلَّلِ[1]

فـ: «على عِلْم» حالٌ؛ إمَّا مِن الفاعل، أو مِن المفعول، و: على ظَهْر، حالٌ مِن الفاعل في تعذَّرت، والعامل في ذي الحال هو العامل في الحال.

«وآتيناهم مِن الآياتِ» أي: المُعجزات الظاهرة في قوم فرعون وما ابْتُلُوا به، وفي بني إسرائيل ممَّا أنعمَ به عليهم، مِن تظليل الغَمام والمَنِّ والسَّلْوى وغير ذلك، ممَّا لم يُظهِرها لغيرهم، «ما فيه بلاءٌ» أي: اختبارٌ بالنِّعَم ظاهرٌ، والابتلاء بالنِّعَم والابتلاء بالنِّقَم كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

«إنَّ هؤلاء» يعني: قريشاً، وفي اسم الإشارة تحقيرٌ لهم «ليقولون إنْ هيَ إلَّا موتتنا» أي: ما الموتة إلَّا محصورة في «موتتنا الأولى»، وكان قد قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فذكَر موتَتَين أُولى وثانيةً، فأنكروا هم أنْ يكون لهم موتة ثانية، والمعنى: ما آخِر أَمْرنا ومنتهى وجودنا إلَّا عند موتتنا، فتضمَّن قولُهم هذا إنكارَ البعث، ثم صرَّحوا بما تضمَّنه قولهم، فقَالوا: «وما نحن بمُنْشَرين» أي: بمبعوثين بحياةٍ ثانية يقع فيها حسابٌ وثواب وعقابٌ، وكان قولهم ذلك في معنى قولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

«فَأْتُوا بآبائِنا» خطابٌ لرسولِ الله ﷺ وللمؤمنين الذين كانوا يَعِدُونَهم بالبَعْث، أي: إنْ صَدَقتم فيما تقولون، فأَحْيُوا لنا مَن مات مِن آبائنا بسؤالكم ربّكم، حتى يكونَ ذلك دليلاً على البَعْثِ في الآخِرَة.

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو من معلقته، وهو في ديوانه ص١٢، والكثيب: رمل مرتفع، وتعذَّرت: تصعَّبت، ولم تَحلَّل: لم تستثنِ من يمينها.

قيل: طَلَبُوا مِن الرَّسول أَنْ يَدْعُوَ اللهَ فيُحيي لهم قصيَّ بنَ كلاب؛ ليُشاوِرُوه في صحَّة النبوَّة والبعث؛ إذ كان كبيرَهم ومشاوَرَهم في النَّوازل.

«أهم» أي: أقريش «خيرٌ أَمْ قَومُ تُبَّعٍ» الظاهر أنَّ تُبَّعاً هو شخصٌ معروفٌ وَقَعَ التفاضُلُ بين قومِه وقومِ الرَّسول عليه الصلاة والسلام، وإنْ كان لفظ تُبَّع يُطلَق على كلِّ مَن مَلَكَ العربَ، كما يُطلَق كسرى على مَن مَلَكَ الفُرْسَ، وقَيْصَر لمَن مَلَكَ الرُّوم.

قيل: واسمه: أَسعدُ الحِمْيَري، وكُنِيَ: أبا كَرِب[(١)]، وذَكَر أبو حاتم عن الرِّياشي أنَّه آمَنَ بالنبيِّ ﷺ قَبْلَ أنْ يُبعَث بسبع مئة سنة[(٢)]، ورُويَ أنَّه لمَّا آمَنَ بالمدينة كتب كتاباً ونَظَم شِعْراً؛ أمَّا الشِّعْر فهو:

شَهِدْتُ على أَحْمَدٍ أنَّه رسولٌ مِن اللهِ باري النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمري إلى عُمْرِهِ لكُنتُ وزيراً لهُ وابنَ عَمْ[(٣)]

وأمَّا الكتاب فروى ابنُ إسحاق وغيرُه أنَّه كان فيه: أمَّا بعد، فإنِّي آمنتُ بِكَ وبكتابِكَ الذي أُنزلَ عليكَ، وأنا على دينِك وسُنَّتك، وآمنتُ بربِّك وربِّ كلِّ شيء، وآمنتُ بكلِّ ما جاءَ مِن ربِّك مِن شرائع الإسلام، فإن أَدْرَكتُكَ فَبِها ونِعْمَت، وإن لم أُدرِكْكَ فاشْفَع لي ولا تَنْسَني يوم القيامة؛ فإنِّي مِن أمَّتك الأوَّلين وتابعيك قَبْلَ مجيئك، وأَنَا على مِلَّتكَ وملَّة أبيكَ إبراهيم عليه السلام. ثم خَتَم الكتاب ونَقَشَ عليه: لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ ومِن بَعْد، وكتبَ عنوانه: إلى محمَّد بنِ عبد الله نبيِّ اللهِ ورسولِه خاتمِ النَّبيِّين ورسولِ ربِّ العالمين ﷺ مِن تُبَّع الأوَّل[(٤)].

---

(١) تنظر أخباره في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٣، والنكت والعيون ٥/ ٢٥٥-٢٥٦، وتفسير البغوي ٤/ ١٥٢-١٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٧٥، والتعريف والإعلام للسهيلي ص١٥٣-١٥٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٢٦-١٢٩.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣، وتفسير البغوي ٤/ ١٥٣، وينظر المعارف لابن قتيبة ص٦٠، والعُمدة لابن رشيق ٢/ ٢٢٦، وذكر ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٢٩٨ عن ابن إسحاق أنَّ المدَّة كانت ألف سنة.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٧، والتعريف والإعلام للسهيلي ص١٥٤، وهما في التيجان لابن هشام ص٣٠٨، والعُمدة لابن رشيق ٢/ ٢٢٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٧-١٢٨، وقد ذكرَ أنَّ أوَّل الخبر وبقيَّته في «اللُّمع اللؤلؤية في شرحِ

ويقال: كان الكتاب والشِّعْر عند أبي أيوب خالد بنِ زيد، فلم يَزَل عنده حتى بُعِثَ النبيُّ ﷺ، وكانوا يَتوارثونَه كابراً عن كابرٍ حتى أدَّوه للنبيِّ ﷺ.

وعن ابنِ عباسٍ: كان تُبَّع نبيًّا[1]، وعنه: لمَّا أقبل تُبَّع مِن الشرق بَعْدَ أَنْ حَيَّرَ الحِيْرَةَ[2] وبنى سمرقند قَصَدَ المدينة وقد كان خلَّف بها حين سافر ابناً، فقُتلَ غِيْلَةً، فأجمع على خرابها واستئصالِ أهلها، فجمع له الأنصار وخَرجوا لقتاله، وكانوا يُقاتِلونه بالنهار، ويُقرونه بالليل، فأعجبَه ذلك، وقال: إنَّ هؤلاء لكِرامٌ. إذ جاءَه كعبٌ وأسدٌ ـ ابنا عَمٍّ مِن قريظة حِبْران ـ وأخبراه أنَّه يُحال بينَك وبينَ ما تُريد؛ فإنَّها مُهاجَر نبيٍّ مِن قريش اسمه: محمَّد، مولده بمكَّة، فثَنَاهُ قولُهما عمَّا كان يُريد، ثم دَعَواهُ إلى دينهما فاتَّبَعهما وأكرمهما، فانصرفوا عن المدينة ومعهم نفرٌ مِن اليهود، فقال له في الطريق نَفَرٌ مِن هُذَيل: نَدُلُّكَ على بيتٍ فيه كنزٌ مِن لُؤلؤ وزَبَرْجَد وفضَّة بمكَّة، وأرادت هُذَيل هلاكَه؛ لأنَّهم عرفوا أنَّه ما أرادَه أَحَدٌ بسُوءٍ إلَّا هَلَكَ، فذكرَ ذلك للحِبْرَين، فقالوا: ما نَعْلَم لله بيتاً في الأرض غيرَ هذا فاتَّخِذْه مسجداً، وانْسُك عندَه، واحْلِق رأسَك، وما أراد القومُ إلَّا هلاكَك، فأكرمه وكَسَاهُ، وهو أوَّل مَن كسا البيتَ، وقَطَعَ أيدي أولئك النَّفَر مِن هُذَيل وأرجُلَهم وسَمَلَ[3] أعينَهم وصَلَبهم[4].

وقال قوم: ليس المراد بتُبَّع رجلاً واحداً إنمَّا المرادُ ملوكُ اليمن، وكانوا

= العشر بيِّنات النبوية» للفارابي، والخبر عن ابن إسحاق عند ابنِ عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١١/ ١٠-١٤، وعند ابنِ منظور في مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٢٩٥-٢٩٨، وأورد الخبرَ أيضاً القلقشنديّ في صبح الأعشى ٤/ ٢٨٦ ـ و٢٨٧ و٦/ ٤٦٨-٤٦٩ نقلاً عن الهناء الدائم بمولد أبي القاسم.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٢٨، قال الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ٤٨٣: وحكاية نبوَّته عن ابن عباس لا تصحُّ.

(٢) أي: بناها ونظم أمرها. روح المعاني ٢٤/ ٤٧٧.

(٣) سَمْلُ العينِ: فَقْؤُها بحديدة مُحْماة. مختار الصحاح (سمل).

(٤) الخبر في التيجان لابن هشام ص٣٠٥-٣٠٧، وينظر خبر أُبيّ بن كعب عند ابن سعد ١/ ١٥٨-١٥٩، وابن عساكر ١١/ ١٤، وأورد ابنُ قتيبة في المعارف ص ٥٥٩ أن الحميريَّ هو أوَّل من كسا البيت الأنطاع والبُرُود اليمانية. وينظر النهاية لابن الأثير (خصف) و(وصل).

يُسمّون: التَّبابِعة، والذي يَظهر أنَّه أَراد واحداً مِن هؤلاء تعرفه العرب بهذا الاسم أكثر مِن معرفةِ غيرِه به، وفي الحديث: «لا تَسُبُّوا تُبَّعاً؛ فإنَّه كان مُؤمناً» فهذا يدلُّ على أنَّه واحدٌ بعينه[١].

قال الجوهريُّ: التَّبابِعة: ملوكُ اليمن، والتُّبَّع: الظِّلُّ، والتُّبَّع ضَرْبٌ مِن الطير[٢].

وقال أبو القاسم السُّهَيْليُّ: تُبَّع اسمٌ لكلِّ مَلِكٍ مَلَكَ اليمنَ والشِّحْرَ وحَضرَمَوت، ومَلِكُ اليمنِ وَحْدَه لا يُسمَّى تُبَّعاً، قاله المسعوديُّ[٣].

والخيريَّة الواقعة فيها التفاضل ـ وكلا الصِّنْفَين لا خيرَ فيهم ـ هي بالنسبة للقوَّة والمَنَعة، كما قال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] بعد ذِكْرِ آلِ فرعون.

وفي تفسير ابنِ عباس: أهم أشدُّ أم قومُ تُبَّع[٤]. وإضافةُ «قوم» إلى «تُبَّع» دليلٌ على أنَّه لم يكن على مذهبهم.

«أهلكناهم إنَّهم كانوا مُجْرِمين» إخبارٌ بما فَعَلَ تعالى بهم، وتنبيهٌ على أنَّ عِلَّةَ الإهلاك هي الإجرام، وفي ذلك وعيدٌ لقريش وتهديدٌ أَنْ يفعلَ بهم ما كان فعلَ بقوم

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٢٦-١٢٧، وما بعده منه أيضاً، والحديث أخرجه أحمد (٢٢٨٨٠)، والطبراني في الكبير (٦٠١٣)، وابنُ شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٦٦٠) من طريق ابن لهيعة، عن عمرو بن جابر، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.
قال ابنُ حجر في الكافي الشافي ص١٤٨: فيه ابن لهيعة، عن عمرو بن جابر، وهما ضعيفان.
وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (١١٧٩٠)، وفي الأوسط (١٤٤١)، والخطيب في تاريخ بغداد ٤/٣٣٦، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف؛ فيه: أحمد بن محمد بن أبي بَزّة صاحب مناكير كما في اللسان، ومُؤمَّل بن إسماعيل، وهو صدوق سيِّئ الحفظ، وفيه: سماك بن حرب، عن عكرمة، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغيَّر بأَخَرة، فكان ربَّما تَلَقَّن. قاله ابن حجر في التقريب.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/١٢٦، وما بعده منه أيضاً، وكلام الجوهري في الصحاح (تبع).
(٣) تفسير القرطبي ١٩/١٢٦، وكلام السهيلي في كتابه التعريف والإعلام ص١٥٣، والشِّحْر: صُقْع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. معجم البلدان (شحر)، وقول المسعودي في كتابه مروج الذهب ٣/٢٢٥.
(٤) الكشاف ٣/٥٠٥.

تُبَّع ومن قَبْلهم مِن مكذِّبي الرُّسُل؛ لإجرامهم.

ثمَّ ذَكَر الدليلَ القاطع على صحَّة القول بالبَعْث؛ وهو خَلْق العالَم بالحقِّ.

وقرأ الجمهور: «وما بينهما» أي: مِن الجنسين، وعبيد بنُ عمير: «وما بَينهنَّ»[١].

«لاعبينَ» قال مقاتل: عابِثين «ما خلقناهما إلَّا بالحقِّ» أي: بالعدل، يُجازي المحسن والمُسِيئ بما أراد تعالى مِن ثواب وعقاب، «ولكنَّ أكثرهم لا يَعلمون» أنَّه تعالى خَلَق ذلك لذلك، فهم لا يَخافون عقاباً ولا يَرجون ثواباً.

وقرئ: «ميقاتَهم» بالنصب[٢]، على أنَّه اسم «إنَّ»، والخبر «يوم الفَصْل» أي: إنَّ في يوم الفَصْل ميعادَهم وجزاءَهم.

«يوم لا يُغني مولًى عن مولًى شيئاً» تَعمُّ جميعَ الموالي مِن القَرَابة والعَتاقة والصِّلَة «شيئاً» مِن إغناء، أي: قليلاً منه. «ولا هم ينصرون» جَمْع؛ لأنَّ «عن مولًى» في سياق النَّفْي فتعمّ، فعاد على المعنى لا على اللفظ.

«إلَّا مَن رحمَ اللهُ» قال الكسائيُّ: «مَن رَحِمَ» منصوب على الاستثناء المنقطع، أي: لكن مَن رَحِمَه اللهُ لا يَنالهم ما يَحتاجون فيه إلى مَن يغنيهم مِن المخلوقين[٣].

قيل: ويجوز أنْ يكون الاستثناءُ متَّصلاً، أي: لا يُغني قريبٌ عن قريب إلَّا المؤمنين فإنَّه يُؤذَن لهم في شفاعة بعضِهم لبعض.

وقال الحوفيُّ: ويجوز أنْ يكون بدلاً مِن «مَولى» المرفوع، ويكون «يغني» بمعنى: ينفع.

وقال الزمخشريُّ: «مَن رَحِمَ الله» في محلِّ الرَّفْع على البَدَل مِن الواو في «يُنصَرون» أي: لا يُمنَع مِن العذاب إلَّا مَن رحمه اللهُ. وقاله الحوفيُّ قَبْلَه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٥-٥٠٦ وعزاها لعبيد بن عمير، وما بعده منه أيضاً، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٣، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٥٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٣١.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ١٣١-١٣٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٤، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٥٧.

«إنَّه هو العزيز» لا يَنصُر مَن عَصاهُ، «الرحيم» لمَن أطاعه ومَن عَفَا عنه.

«إنَّ شجرةَ الزَّقوم» قرئ: بكسر الشين[١]، وتقدَّم الكلام فيها في سورة «الصافات»[٢].

«طعام الأثيم» «الأثيم» صفة مبالغة، وهو الكثيرُ الآثام، ويقال: أَثُوم، صفة مبالغة أيضاً، وفُسِّر بالمُشْرِك.

وقال يحيى بنُ سلام: المكتسب للإثم، وعن ابنِ زيد أنَّ الأثيمَ هنا هو أبو جهل، وقيل: الوليد[٣].

«كالمُهْلِ» هو دُرْدِيُّ الزيت، أو مُذَاب الفضَّة، أو مذابُ النحاس، أو عَكَرُ القَطِران، أو الصَّدِيد، أقوالٌ؛ أوَّلها لابنِ عمر وابنِ عباس، وثانيها لابنِ عباس[٤].

وقرأ الحسن: «كالمَهْل» بفتح الميم[٥]، لغة فيه، وعن ابنِ مسعود وابنِ عباس أيضاً: المهل ما أُذيب مِن ذهب أو فضَّة أو حديد أو رصاص[٦].

وقرأ مجاهد وقتادة والحسن والابنان[٧] وحفص: «يَغلي» بالياء، أي: الطعام، وعمرو بنُ ميمون وأبو رزين والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابنُ محيصن وطلحة والحسن في رواية وباقي السبعة: «تغلي» بالتاء[٨]، أي: الشجرة «كغلي الحميم»

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٠٦، ونَقَلها عنه الرازيُّ ٢٧/ ٢٥١.
(٢) عند تفسير الآية (٦٢) منها.
(٣) قول يحيى في النكت والعيون ٥/ ٢٥٧، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢١/ ٥٤، وقول ابن زيد في المحرر الوجيز ٥/ ٧٦.
(٤) وهو أيضاً قول ابن مسعود. المحرر الوجيز ٥/ ٧٦، وتنظر الآثار عند الطبري ٢١/ ٥٥-٥٧.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٠٦ دون عزوٍ، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٧.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٧٦، وينظر التعليق ما قبل السابق.
(٧) كذا في النسخ نقلاً عن المحرر الوجيز ٥/ ٧٦، وكذا وردت في الحجة ٦/ ١٦٦، وزاد المسير ٧/ ٣٤٩، حيث صرَّحوا بهما ـ أي: بابن كثير وابن عامر ـ والقراءة بالياء عن ابن كثير وحفص عن عاصم، دون ابنِ عامر؛ فقراءته بالتاء مع باقي السبعة، ينظر التعليق الآتي.
(٨) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٧٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٤، والقرطبي ١٩/ ١٣٣، وقراءة ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء في السبعة ص٥٩٢، والتيسير ص١٩٨، وهي أيضاً قراءة رويس =

وهو الماء السَّخِن الذي يَتطاير مِن غليانه.

«خُذُوه فاعْتِلُوه» يقال للزبانية: «خُذُوه فاعْتِلُوه»، أي: سُوقُوه بعنفٍ وجَذْب، وقال الأعمش: معنى: اعْتِلوه: اقْصِفُوه، كما يُقصَف الحَطَب «إلى سواء الجحيم» قال ابنُ عبَّاس: وَسطها، وقال الحسن: معظمها[1].

وقرأ الجمهور: «فاعْتِلُوه» بكسر التاء، وزيد بن عليٍّ، والابنان ونافع: بضمِّها، والخلاف عن الحسن وقتادة والأعرج وأبي عَمرو[2].

«ثم صُبُّوا فوقَ رأسِهِ من عذاب الحميم» وفي «الحجّ»: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الآية: ١٩] والمَصبوب في الحقيقة هو الحميم، فتارةً اعتبرت الحقيقة، وتارةً اعتبرت الاستعارة؛ لأنَّه إذا صُبَّ مِن الحميم، فقد صُبّ ما تولَّد عنه مِن الآلام والعذاب، فعبّر بالمسبّب عن السبب؛ لأنَّ العذابَ هو المسبَّب عن الحميم، ولفظة: «العذاب» أهول وأهيب.

«ذق» أي: العذاب «إنَّكَ أنتَ العزيز الكريم» وهذا على سبيل التهكّم والهُزء بمَن كان يتعزَّز ويتكرَّم على قومه.

وعن قتادة: أنَّه لمَّا نزلت: «إنَّ شجرةَ الزقوم طعامُ الأثيم»، قال أبو جهل: أَيتهدَّدني محمد؟! وإنَّ ما بينَ لابَتَيْها أَعَزّ منِّي ولا أكرم. فنزلت هذه الآية، وفي آخِرِها: «ذُق إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم» أي: على قولك، وهذا كما قال جرير:

أَلَم تكن في وُسُوم ـ قد وَسَمتُ بها مَن كان ـ موعظةٌ يا زُهْرةَ اليَمَنِ

يقولها لشاعرٍ سمَّى نفسَه به، في قوله:

= عن يعقوب. النشر ٢/ ٣٧١. مع الإشارة إلى أنَّ القراءة بالياء جاءت على الصواب عند الثعلبي والقرطبي؛ حيث لم يَذكُرا: ابنَ عامر، وذَكَرا: ابنَ كثير وحفصاً عن عاصم.

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٥٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧٧ دون ذِكْر: زيد بن عليّ، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٥، والقرطبي ١٩/ ١٣٤-١٣٥، والقراءة في السبعة ص٥٩٢-٥٩٣، والتيسير ص١٩٨، وقراءة ضَمِّ التاء هي أيضاً قراءة يعقوب. النشر ٢/ ٣٧١، والخلاف عن أبي عمرو؛ هو أنه قرأ بالضم وبالكسر في رواية عبيد عنه، وقرأ بالكسر فقط في رواية عبيد، عن هارون، عنه. ينظر السبعة ص٥٩٣.

أَبْلِغ كُلَيباً وأَبْلِغ عنكَ شاعرَها أنِّي الأعَزُّ وأنِّي زُهْرَةُ اليمنِ

فجاء به جرير على جهة الهُزء[١]. وقرأ الجمهور: «إِنَّكَ» بكسر الهمزة، وقرأ الحسن بنُ عليِّ بنِ أبي طالب على المِنْبر والكسائيّ: بفتحها[٢].

«إنَّ هذا» أي: الأمر أو العذاب «ما كنتم به تَمترون» أي: تَشكُّون.

ولمَّا ذَكَر حالَ الكفار أعقبَ بحالِ المؤمنين، فقال: «إنَّ المتقين في مقامٍ أَمين»، وقرأ عبد الله بنُ عمر وزيد بن عليّ وأبو جعفر وشيبة والأعرج والحسن وقتادة ونافع وابنُ عامر في: «مُقام» بضمِّ الميم، وأبو رجاء وعيسى ويحيى والأعمش وباقي السَّبْعة: بفتحها[٣].

ووصف المقام بالأمين، أي: يُؤمَن فيه مِن الغير، فكأنَّه فعيلٌ بمعنى مفعول، أي: مأمون فيه، قاله ابنُ عطية[٤].

وقال الزمخشريُّ: الأمين مِن قولك: أَمِنَ الرَّجُلُ أمانةً، فهو أَمين، وهو ضدُّ الخائن، فوصف به المكان استعارة؛ لأنَّ المكانَ المخيفَ، كأنَّه يُخوِّن صاحبَه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٧، وقول قتادة عند الطبري ٢١/ ٦١، والبيتان في الخصائص ٢/ ٤٦١، وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّيّ ١/ ٤٠٥، والصاحبي لابن فارس ص١٨٤، والمسائل العسكريات ص٣١، والحجة للفارسي ٦/ ١٦٧، باختلاف يسير بينها؛ حيث ورد عند الصاحبي: وأبلغ من يُبَلِّغه، بدل: وأبلغ عنك شاعرها، وورد في المصادر: من حان، بدل: من كان، وفي المحرر الوجيز: من خان، وفي (يه): من كل.
وبيت جرير في ديوانه ٢/ ٧٤٦، وفيه: يا حارث، بدل: يا زهرة، وحان: هلك، والوسوم: جمع: وَسْم، وهو أَثَر الكي، ويريد به هنا أَثَر هجائه.

(٢) وعبارة المحرر الوجيز ٥/ ٧٧ والكلام منه: وبالفتح قرأها على المنبر الحسين بن عليّ بنِ أبي طالب، أسنده إليه الكسائيُّ واتَّبعه. اهـ. وينظر معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤١٤، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٨٨٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٣٥، وقراءة الكسائي في السبعة ص٥٩٣، والتيسير ص١٩٨، والنشر ٢/ ٣٧١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٧٧ دون ذكر زيد بن عليّ، وقراءة نافع وابنِ عامر في السبعة ص٥٩٣، والتيسير ص١٩٨، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٧١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٧٧.

بما يلقى فيه مِن المَكارِه[١]. انتهى. وتقدَّم شَرْح السُّنْدُس والإِسْتَبرق[٢].

وقَرَأَهُ ابنُ محيصن: «واسْتَبْرَقَ» جَعَله فعلاً ماضياً[٣].

«مُتقابِلين» وصف لمجالس أهلِ الجنَّة؛ لا يَستدبر بعضُهم بعضاً في المجالس، «كذلك» أي: الأَمْر كذلك.

وقرأ الجمهور: «بحُورٍ» منوَّناً، وعكرمة: بغير تنوين[٤]؛ لأنَّ العِيْنَ ينقَسِمْنَ إلى حُورٍ وغيرِ حُور، فهؤلاء مِن حُور العِيْن لا مِن شَهْلِهِنَّ مثلاً[٥].

«يَدْعُونَ فيها» أي: الخدم والمتصرِّفين عليهم «بكلِّ فاكهة» أَرادوا إحضارَها لديهم «آمِنِين» من الأمراض والتُّخَم.

«لا يَذوقون فيها الموتَ» وقرأ عبيد بن عمير: «لا يُذَاقونَ» مبنيًّا للمفعول «إلَّا الموتَةَ الأولى» هذا استثناءٌ منقطع، أي: لَكِن الموتةُ الأُولى ذاقُوها في الدُّنيا، وفي ذلك تنبيهٌ على ما أنعمَ به عليهم مِن الخلود السَّرْمَدِيّ، وتذكيرٌ لهم بمفارقة الدنيا الفَانِية إلى هذه الدار الباقية.

وقال الزمخشريُّ: كيف استُثْنِيت الموتةُ الأُولى المذوقةُ قَبْلَ دخولِ الجنة مِن الموت المنفي ذوقُه فيها؟

قلت: أُريد أَنْ يُقال: «لا يَذوقون فيها الموت» البتَّةَ، فوضع قوله «إلَّا الموتة الأولى» موضعَ ذلك، لأنَّ الموتةَ الماضيةَ مُحالٌ ذَوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمُحال، كأنَّه قيل: إنْ كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل، فإنَّهم يذوقونها[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٠٧.
(٢) عند تفسير الآية (٣١) من سورة الكهف.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٧٨.
(٤) أي: «بحُورِ عينٍ». المحرر الوجيز ٥/ ٧٨، والكشاف ٣/ ٥٠٧، والمحتسب ٢/ ٢٦١.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٠٧، والشُّهْلَةُ في العَين: أَنْ يَشُوبَ سوادَها زُرْقَةٌ، وعَينٌ شَهلاء، ورجلٌ أشهلُ العَين: بَيِّن الشَّهَل. الصحاح (شهل).
(٦) الكشاف ٣/ ٥٠٧.

وقال ابنُ عطيَّة: قدَّر قومٌ «إلَّا» بـ «سوى» وضعَّف ذلك الطبريُّ، وقدَّرها بـ «بعد»، وليس تضعيفُه بصحيح، بل يصحُّ المعنى بـ «سوى» ويتَّسق، وأمَّا معنى الآية فبيَّن أنَّه نَفَى عنهم ذوقَ الموت، وأنَّه لا يَنالهم مِن ذلك غيرُ ما تقدَّم في الدُّنيا(١).

وقرأ أبو حيوة: «ووقَّاهم» مشدَّد القاف(٢).

والضمير في «يَسَّرناه» عائدٌ على القرآن، و«بلسانك» بلُغَتِكَ، وهي لغةُ العرب.

«فارْتَقِب» النَّصْرَ الذي وَعَدْناكَ «إنَّهم مُرْتَقِبون» فيما يَظنُّون الدَّوائر عليك، وفيها وَعْدٌ له عليه الصلاة والسلام، ووعيدٌ لهم، ومتاركة منسوخةٌ بآية السَّيْف.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٨، وكلام الطبريّ في تفسيره ٢١/ ٦٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٧ دون عزو، ونَقَلها عنه الرازيُّ ٢٧/ ٢٥٤.

سورة الجاثية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ
لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ
أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ
وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ
لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ
لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ
فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، قال ابنُ عطيَّة: بلا خلافٍ[١]، وذكَر الماورديُّ: إلَّا «قل

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٩.

للذين آمنوا يَغفروا» الآية [١٤]، فمدنيَّة، نزلت في عمر بنِ الخطاب، قاله ابنُ عباس وقتادة[١].

وقال النَّحَّاس والمهدويُّ عن ابنِ عباس: نزلت في عُمر؛ شَتَمه مُشْرِك بمكَّة قَبْلَ الهجرة، فأَراد أَنْ يَبطشَ به، فنزلت[٢].

ومناسبة أوَّلها لآخِرِ ما قَبْلَها في غاية الوضوح، قال: «فإنَّما يَسَّرناهُ بلسانك» وقال: «حم تنزيل الكتاب»، وتقدَّم الكلامُ على «تنزيل الكتاب مِن الله العزيز الحكيم» أوَّل «الزُّمَر»[٣].

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: وقوله: «العزيز الحكيم» يَجوز جَعْله صفةً «لله»، فيكون ذلك حقيقةً، وإنْ جَعَلناه صفةً للكتاب، كان ذلك مجازاً، والحقيقة أَولى مِن المجاز، مع أنَّ زيادةَ القُرْب تُوجِب الرّجحان[٤]. انتهى.

وهذا الذي ردّد في قوله: وإنْ جَعَلْناه صفةً للكتاب، لا يجوز؛ لو كان صفةً للكتاب لوَلِيَه، فكان يكون التركيب: تنزيلُ الكتابِ العزيزِ الحكيم مِنَ الله؛ لأنَّ «مِن الله» إمَّا أَنْ يكون متعلِّقاً بـ «تنزيل»، و«تنزيل» خبر لـ «حم»، أو لمبتدأ محذوف، فلا يَجوز الفَصْلُ به بين الصفةِ والموصوف، لا يَجوز: أَعجبني ضَرْبُ زيدٍ بسوطِ الفاضِلِ، أو في موضع الخبر، و«تنزيل» مبتدأ، فلا يَجوز الفَصْلُ بين الصفة والموصوف أيضاً، لا يجوز: ضَرْبُ زيدٍ شديدٌ الفاضلِ، والتركيب الصحيح في نحو هذا أَنْ تليَ الصفةُ موصوفَها.

«إنَّ في السماوات والأرض» احتمل أَنْ يريد: في خَلْق السماوات؛ لقوله: «وفي خلقكم» والظاهر أنَّه لا يُراد التخصيص بالخَلْق، بل «في السماوات

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٦٠، ونَقَله عنه القرطبيُّ ١٩/ ١٤٣.
(٢) تفسير القرطبيّ ١٩/ ١٤٣، وكلام النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٥، والخبر فيه بإسناده إلى ابن عباس، قال ابنُ العربي في كتابه أحكام القرآن ٤/ ١٦٨١: وهذا لم يصحّ. اهـ. قال محقِّق الناسخ: شيخ النحاس هو: عُلَيل بن أحمد بن سليمان ـ ويقال له: علّان ـ وعُلَيْل ثقة كثير الحديث، وعاصم بن سليمان أبو شعيب الكوزي، وهو وجويبر ضعيفان جدًّا، والضحاك لم يَلْقَ ابنَ عباس.
(٣) عند تفسير الآية الأولى منها.
(٤) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٥٦-٢٥٧.

والأرض» على الإطلاق والعموم، أي: في أيِّ شيءٍ نظرتَ منهما مِن خَلْقٍ وغيرِه مِن تسخيرٍ وتنويرٍ وغيرهما «لآيات» لم يأتِ بالآياتِ مفصَّلةً، بل أتَى بها مجملةً؛ إحالة على غوامض يُثيرها الفِكْرُ، ويُخبر بكثيرٍ منها الشَّرْعُ، وجَعَلها «للمؤمنين» إذ في ضمن الإيمان العقل والتصديق.

«وما يَبُثُّ مِن دابَّة» أي: في غيرِ جنسكم، وهو معطوف على «وفي خلقكم»، ومن أَجاز العطف على الضمير المخفوض مِن غير إعادة الخافض، أجاز في «وما يَبُثُّ» أَنْ يكون معطوفاً على الضمير «في خَلَقكم» وهو مذهب الكوفيِّين، ويونس، والأخفش، وهو الصحيح، واختارَهُ الأستاذ أبو عليٍّ الشَّلُوبين[١].

وقال الزمخشريُّ: يَقبُح العطفُ عليه ـ وهذا تفريعٌ على مذهب سيبويه، وجمهورِ البَصْريِّين ـ قال: وكذلك إنْ أَكَّدوه كَرهوا أَنْ يقولوا: مَرَرْتُ بكَ أنتَ وزيدٍ[٢]. انتهى.

وهذا يُجيزه الجَرْميُّ والزِّياديّ[٣] في الكلام، وقال: «لقومٍ يُوقنون» وهم الذين لهم نَظَرٌ يُؤدِّيهم إلى اليقين[٤].

«واختلاف الليل والنهار» تقدَّم الكلام على نظيره في سورة «البقرة»[٥].

وقرأ الجمهور: «آيات» جمعاً بالرَّفْع فيهما، والأعمش والجحدريُّ وحمزة والكسائيُّ ويعقوب: بالنصب فيهما[٦]، وزيد بن عليٍّ: برفعهما، على التوحيد[٧]،

---

(١) ينظر الإنصاف ٢/ ٤٦٣ وما بعدها، وسلفت المسألة عند تفسير الآية (٢١٧) من سورة البقرة.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٨، وينظر الكتاب ٢/ ٣٨١-٣٨٢، والإنصاف ٢/ ٤٦٣.
(٣) هو: إبراهيم بن سفيان بن سليمان الزِّيادي أبو إسحاق، قرأ على الأصمعي وغيره، له: شرح نكت سيبويه، وكتاب الأمثال، مات سنة (٢٤٩هـ). بغية الوعاة ١/ ٤١٤.
(٤) والكلام نَقَله عنهما عن المصنِّف الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٥/ ٨.
(٥) عند تفسير الآية (١٦٤) منها.
(٦) المحرر الوجيز٥/ ٨٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٤ عن حمزة والكسائي، وزاد الثعلبيُّ ٥/ ٤٣٨: يعقوب، والقراءة عنهما في السبعة ص٥٩٤، والتيسيرص١٩٨، وعن يعقوب في النشر ٢/ ٣٧١، وعن الأعمش في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٩.
(٧) الكشاف ٣/ ٥٠٩ دون عزو.

وقرأ أُبيّ وعبد الله: «لآياتٍ» فيهما، كالأولى[(١)].

فأمَّا «آيات لقومٍ يَعقلون» رفعاً ونصباً، فاستدلَّ به وشِبْهه ـ ممَّا جاءَ في كلام العرب ـ الأخفشُ ومَن أَخَذَ بمذهبه على عطف معمولَين على معمولَي عاملين بالواو، وهي مسألة فيها أربعةُ مذاهب ذَكَرناها في كتاب «التذييل والتكميل لشرح التسهيل» فأمَّا ما يخصُّ هذه الآية؛ فمَن نَصَبَ «آيات» بالواو قالوا: وعطفت «واختلاف» على المجرور بـ «في» قَبْلَه، وهو «وفي خلقكم وما يَبُثُّ»، وعطفت «آيات» على «آيات»، ومَن رَفَع فكذلك، والعاملان أولاهما «إنَّ» و«في»، وثانياً الابتداء و«في»[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: أُقيمت الواو مقامَهما؛ فعملت الجَرَّ في «واختلاف الليل والنهار»، والنَّصْبَ في «آيات»، وإذا رفعت فالعاملان الابتداء و«في» عَملت الرَّفْعَ في «آيات»، والجرَّ في «واختلاف»[(٣)]. انتهى. ونسبةُ عَمَلِ الجرّ والنصب، والجرّ والرفع للواو ليس بصحيح؛ لأنَّ الصحيحَ مِن المذاهب أَنَّ حرفَ العطف لا يَعمل[(٤)].

ومَن مَنَعَ العطفَ على مذهب الأخفش أَضمر حرفَ الجرّ، فقدّر: وفي اختلاف، فالعمل للحَرف مضمراً، ونَابت الواو منابَ عاملٍ واحد، ويدلُّ على أنَّ «في» مقدَّرة قراءةُ عبد الله: «وفي اختلاف»[(٥)] مُصرِّحاً بـ «في»، وحسَّن حَذْفَ «في» تَقَدُّمُها في قوله: «وفي خَلْقِكم».

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٠، والقراءات الشاذة ص١٣٩، والقراءة عن ابن مسعود في المصاحف لابن أبي داود ١/ ٣٣٥، وعن أُبيّ في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٠، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥.

(٢) لم نقف على الكلام في القسم المطبوع من التذييل والتكميل، وينظر التسهيل ص١٧٨، وشرحه لابن مالك ٣/ ٢٧٠، وشرح كافية ابن الحاجب للرضي ٢/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٠٨.

(٤) قال السمين في الدر ٩/ ٦٤٠: وقد ناقشه الشيخ شهاب الدين أبو شامة أيضاً، فقال: فمنهم من يقول: هو على هذه القراءة أيضاً ـ يعني قراءة الرفع ـ عطف على عاملين، وهما حرفُ «في» والابتداء المقتضي للرفع، ومنهم من لا يُطلق هذه العبارة في هذه القراءة؛ لأنَّ الابتداء ليس بعاملٍ لفظيّ. اهـ.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٨٠، والكشاف ٣/ ٥٠٩، والقراءات الشاذة ص١٣٨.

وخرّج أيضاً النّصب في «آيات» على التوكيد «لآيات» المتقدِّمة، ولإضمار حرف «في» «واختلاف»، والرَّفْع على خبر مبتدأ محذوف، أي: هي آياتٌ، ولإضمار حرفٍ أيضاً.

وقرئ: «واختلاف الليل والنهار آية» بالرَّفْع في «اختلاف» وفي «آية» موحَّدة وكذلك «وما يَبُثُّ مِن دابةٍ آيةٌ»[1].

وقرأ زيد بنُ عليّ وطلحة وعيسى: «وتصريف الرِّيح»[2].

وقال الزمخشريُّ: والمعنى أنَّ المُنْصِفين مِن العِباد إذا نظروا في السماوات والأرض النَّظَر الصحيح عَلموا أنَّها مصنوعةٌ وأنَّه لا بُدَّ لها مِن صانع، فآمَنُوا بالله وأقرّوا، فإذا نظروا في خَلْقِ أنفسهم وتَنَقُّلها مِن حالٍ إلى حالٍ، وهيئةٍ إلى هيئة، وفي خَلْق ما على ظهر الأرض مِن صنوف الحيوان، ازدادوا إيماناً وأيقنوا وانتفى عنهم اللَّبْس، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدَّد في كلِّ وقت، كاختلافِ الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها «وتصريف الرياح» جنوباً وشمالاً وقَبولاً ودَبُوراً، عَقلوا واستحكَمَ عِلْمهم وخَلص يقينهُم[3].

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: ذكر في «البقرة»[4] ثمانية دلائل، وهنا ستَّة؛ لم يَذكَر الفُلْك والسَّحَاب، والسَّبَب في ذلك أنَّ مدارَ الحركة للفُلْك والسَّحَاب على الرِّياح المختلفة، فذَكَر الرِّياحَ، وهناك جَعَل مقطعَ الثمانيةِ واحداً، وهنا رتَّبها على مقاطِع ثلاثة «يُؤْمنون» «يُوقِنون» «يَعقلون».

قال: وأظنُّ سببَ هذا الترتيب: إنْ كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدَّلائل، فإن لم تكونوا مؤمنين وأنتم مِن طُلَّاب الحزم واليقين، فافهموا هذه الدلائل، وإن لم تكونوا مؤمنين ولا مُوقِنين، فلا أَقلّ أَنْ تكونوا مِن العَاقِلين، فاجتهدوا، وقال هناك

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٠٩، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤١، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٠ دون ذِكْر: زيد بن عليّ، والكشاف ٣/ ٥٠٩، وهي أيضاً قراءة حمزة والكسائي وخلف. السبعة ص١٧٢-١٧٣، والتيسير ص١٩٨، والنشر ٢/ ٢٢٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٠٩.

(٤) عند الآية (١٦٤) منها.

«إنَّ في خلق السماوات»، وهنا «في السماوات» فدلَّ على أنَّ الخَلْقَ غيرُ[1] المخلوق، وهو الصحيح عند أصحابنا، ولا تفاوتَ بين أنْ يُقال: في السماوات، و: في خَلْق السماوات. انتهى. وفيه تلخيصٌ وتقديم وتأخير.

«تلك آياتُ الله» أي: تلك الآيات ـ وهي الدَّلائل المذكورة ـ «نَتْلُوها» أي: **نَسرُدُها عليكَ مُلْتَبِسة بالحقِّ.**

و«نَتْلُوها» في موضع الحال، أي: مَتْلُوَّة، قال الزمخشريُّ: والعامل ما دلَّ عليه «تلك» مِن معنى الإشارة، ونَحوُه ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[2] [هود: ٧٢]. انتهى.

وليس نحوَه؛ لأنَّ في «هذا» حرفَ تَنْبِيه، وقيل: العامل في الحال ما دلَّ عليه حرفُ التنبيه، أي: تَنَبَّه، وأمَّا «تلك» فليس فيها حرفُ تنبيه، فإذا كان حرفُ التنبيه عاملاً بما فيه مِن معنى التنبيه ـ لأنَّ الحرف قد يَعمل في الحال ـ فالمعنى: تَنبَّه لزيدٍ في حال شيخه، وفي حالِ قيامه.

وقيل: العاملُ في مِثْلِ هذا التركيب فِعْلٌ محذوفٌ يدلُّ عليه المعنى، أي: انْظُر إليه في حالِ شيخه، فلا يكون اسمُ الإشارة عاملاً، ولا حرفُ التَّنْبِيه إنْ كان هناك.

وقال ابنُ عطيَّة: «نتلوها» فيه حذفُ مضاف، أي: نَتْلُو شَأْنَها وشَرْحَ العِبْرة بها، ويَحتمل أنْ يُريد بـ «آيات الله» القرآنَ المنزلَ في هذه المعاني، فلا يكون في «نتلوها» حذفُ مضاف[3]. انتهى. و«نَتْلُوها» معناه: يَأْمُر الملك أَنْ نَتْلُوها.

وقرئ: «يَتْلُوها» بياء الغيبة[4]، عائداً على «الله». و«بالحقِّ» بالصدق إذ صحَّتها معلومةٌ بالدَّلائل العقليَّة.

«فبأيِّ حديثٍ» الآية، فيه تقريع وتوبيخٌ وتهديد «بَعْدَ الله» أي: بَعْدَ حديثِ الله، وهو كتابه وكلامه، كقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]

---

(١) كذا في النُّسَخ، والذي في مطبوع تفسير الرازي ٢٧/ ٢٥٩ والكلام منه: عين. وقال في كتابه الآخَر المحصول ١/ ٢٥٠: والدليل على أنَّ الخَلْقَ عينُ المخلوق، أنَّه لو كان غيرَه لكان إن كان قديماً، لزم قِدَم العالَم، وإن كان مُحدَثاً لزم التسلسل.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٠.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٠٩.

وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] أي: بَعْدَ حديثِ اللهِ وكلامِه، وقال الضَّحَّاك: بَعْدَ توحيدِ الله.

وقال الزمخشريُّ: «بَعْدَ اللهِ وآياته» أي: بَعْدَ آياتِ الله، كقولهم: أعجبني زيدٌ وكرَمُه، يريدون: أعجبني كَرَمُ زيدٍ[١]. انتهى.

وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ فيه مِن حيث المعنى إقحام الأسماء مِن غيرِ ضرورةٍ، والعطف والمراد غير العطف مِن إخراجه إلى بابِ البَدَل؛ لأنَّ تقديرَ: كَرَم زيد، إنَّما يكون في: أعجبني زيدٌ كَرَمه، بغيرِ واوٍ على البَدَل، وهذا قلبٌ لحقائقِ النحو، وإنَّما المعنى في: أعجبني زيدٌ وكرمُه؛ أنَّ ذاتَ زيدٍ أعجبته وأعجبه كَرَمه، فهما إعجابان لا إعجابٌ واحد، وقد رَدَدنا عليه مِثْلَ قولِه هذا فيما تقدَّم[٢].

وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وقتادة والحِرْميَّان وأبو عمرو وعاصم في رواية: «يؤمنون» بالياء مِن تحت، والأعمش وباقي السبعة: بتاء الخطاب[٣]، وطلحة: «توقنون» بالتاء مِن فوق والقاف[٤]، من الإيقان.

«ويلٌ لكلِّ أفَّاكٍ أثيم» قيل: نزلت في أبي جهل ـ وقيل: في النَّضْرِ بنِ الحارث ـ وما كان يَشتري مِن أحاديثِ الأعَاجِم ويَشْغَلُ بها الناسَ عن استماعِ القرآن[٥]، والآية عامَّة فيمَن كان مُضَارًّا لدِيْنِ اللهِ و«أفَّاك أثِيم» صفتا مبالغة، وألفاظ هذه الآية تقدَّم الكلامُ عليها.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٠٩.
(٢) عند تفسير الآية (٩) من سورة البقرة.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٠، والقراءة في السبعة ص٩٤، والتيسير ص١٩٨، والنشر ٢/ ٣٧١-٣٧٢، مع الإشارة إلى أنَّ عاصماً قرأ بالياء برواية حفص، وبالتاء برواية شعبة.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٨٠.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٨١، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٢٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٨، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٢، وزاد المسير ٧/ ٣٥٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٦، مع الإشارة إلى أنَّه ورد عن ابنِ عباس كما في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٢ أنَّها نزلت في النَّضر بن كَلَدة، وكذا وقع عند القرطبي ١٩/ ١٤٦ لكن سمَّاه: الحارث بن كَلَدة.

وقرأ الجمهور: «عَلِمَ»، وقتادة ومَطَرٌ الورَّاق: بضَمِّ العين وشَدِّ اللام مبنيًّا للمفعول[١]، أي: عُرِّفَ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما معنى «ثُمَّ» في قوله: «ثُمَّ يُصِرُّ مُستكبراً»؟

قلت: كمعناه في قولِ القائل:

يَــرَى غَــمَـراتِ الــمــوتِ ثُــمَّ يَــزُورُهــا[٢]

وذلك أنَّ غَمَراتِ الموتِ حقيقةٌ؛ بأنْ يَنْجُوَ رَائِيها بنفسِه ويَطْلُب الفِرارَ عنها، وأمَّا زيارتها والإقدامُ على مزاولتها فأَمْرٌ مُستَبعد، فمعنى «ثُمَّ» الإيذانُ بأنَّ فِعْل المُقدِمِ عليها بَعْدَ ما رآها وعايَنَها شيءٌ يُستَبْعَد في العادات والطِّباع، وكذلك آياتُ الله الواضحةُ النَّاطِقة بالحقِّ، مَن تُلِيَت عليه وسَمِعَها كان مُسْتَبْعَداً في العقول إصرارُه على الضلالة عندها، واستكبارُه عن الإيمان بها[٣].

«اتَّخذها هُزُواً» ولم يقل: اتَّخذه؛ إشعاراً بأنَّه إذا أَحَسَّ بشيء مِن الكلام أنَّه مِن جملة الآيات التي أنزلَها اللهُ على محمَّد ﷺ خَاضَ في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يَقتصر على الاستهزاء بما بَلَغَهُ.

وقال الزمخشريُّ: ويَحتمل «وإذا عَلِمَ مِن آياتنا شيئاً» يُمكن أنْ يَتَشبَّثَ به المعاندُ ويَجِدَ له مَحملاً يتسلَّق به على الطَّعْن والغَمِيزة افتَرَصَه[٤] - واتَّخذ آياتِ الله هُزُواً - نحوَ اعتراضِ[٥] ابنِ الزِّبَعْرَى[٦] قوله عزَّ وعَلَا: «إنَّكم وما تعبدونَ مِن دونِ اللهِ حَصَبُ جهنَّم» ومغالَطَته رسولَ الله ﷺ وقوله: خَصَمْتُكَ، ويَجوز أنْ يرجع

(١) أي: «عُلِّمَ». المحرر الوجيز ٥/ ٨١، والقراءات الشاذة ص١٣٨، وهي في زاد المسير ٧/ ٣٥٦ لكن عن ابن مسعود، وفي الكشاف ٣/ ٥١٠ دون نسبة.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٩، وصدر البيت: لا يكشف الغماء إلا ابن حُرَّة، وسلف عند تفسير الآية (٢٢) من سورة السجدة.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٠٩، وما بعده منه أيضاً.

(٤) في (ح) و(ز٢) و(ع): اقترصه، وفي (يه): افترضه.

(٥) في مطبوعي البحر والكشاف ٣/ ٥١٠: افترص.

(٦) جاء بهامش مخطوط الكشاف (الورقة ٢٨٣) ما نصّه: وفي بعض النسخ: نحو اعتراض النضر، وفي الحواشي عن المصنِّف: يمكن أن يكون كلّ واحدٍ منهما قالا ذلك، فلا منافاة.

الضمير إلى شيء؛ لأنَّه في معنى الآية، كقول أبي العَتَاهية:

نفسي بشيءٍ مِن الدُّنيا معلَّقةٌ   اللهُ والقائِمُ المَهْدِيُّ يَكْفِيها

حيث أراد عتبة[1]. انتهى. وعُتبة جاريةٌ كان أبو العتاهية يَهواها ويتشبَّب بها[2].

والإشارة بـ «أولئك» إلى كلِّ أَفَّاك؛ لشمولِه الأفَّاكين، حمل أوَّلاً على لفظ «كلّ» فأفردَ، ثمَّ على المعنى فجمعَ، كقوله: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

«مِن وَرَائهم جهنَّم» أي: مِن قدَّامهم، والوراءُ: ما توارى مِن خَلْفٍ وأمام «ولا يُغني عنهم ما كسبوا» مِن الأموال في متاجرهم. «ولا ما اتَّخذوا مِن دونِ اللهِ» مِن الأوثان.

«هذا» أي: القرآن «هدى» أي: بالغٌ في الهداية، كقولك: هذا رجلٌ، أي: كاملٌ في الرُّجوليَّة.

وقرأ طلحة وابنُ محيصن وأهلُ مكَّة وابنُ كثير وحفص: «أليم» بالرَّفْع، نعتاً لـ «عذاب»، والحسن وأبو جعفر وشيبة وعيسى والأعمش وباقي السبعة: بالجَرِّ، نعتاً لـ «رجز»[3].

«اللهُ الذي سخَّر» الآيةُ آيةُ اعتبارٍ في تسخيرِ هذا المخلوق العظيم والسُّفُنِ الجارِيةِ فيه لهذا المخلوق الحقير وهو الإنسان «بأَمْرِه»، أي: بقدرته، أَنابَ الأَمْرَ منابَ القُدرة، كأنَّه يَأْمُر السُّفُنَ أَنْ تَجريَ مِن فَضْله بالتجارة وبالغَوْص على اللُّؤلؤ والمَرْجان واستخراجِ اللَّحْمِ الطَّرِيّ.

«ما في السماوات» مِن الشمس والقَمَر والنُّجوم والسَّحاب والرِّياح والهواء والأملاك المَوكَّلة بهذا كلّه «وما في الأرض» مِن البهائم والمياه والجبال والنَّبات.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١٠، والبيت في ديوان أبي العتاهية ص٦٦٨، ومعاهد التنصيص ٢/ ٢٩٥.

(٢) أي: يُنسَب بها. تاج العروس (شبب).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٢، وينظر زاد المسير ٧/ ٣٥٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٩، والقراءة عن ابن كثير وعن عاصم في رواية حفص في السبعة ص٥٩٤، والتيسير ص١٨٠، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٤٩.

وقرأ الجمهور: «مِنْهُ»، وابنُ عباس: «مِنَّةً» بكسرِ الميم وشَدِّ النون ونَصْبِ التاء على المصدر، قال أبو حاتم: سَنَد هذه القراءة إلى ابنِ عباس مُظلِم، وحكاها أبو الفتح عن ابنِ عباس وعبد الله بن عَمرو والجحدريّ وعبد الله بن عبيد بن عمير، وحكاها أيضاً عن هؤلاء الأربعة صاحب «اللوَامح»، وحكاها ابنُ خالويه عن ابنِ عباس وعبيد بن عمير[1].

وقرأ مَسْلَمة بنُ محارب كذلك إلَّا أنَّه ضَمَّ التاءَ، أي: هو «مِنَّةٌ»[2]، وعنه أيضاً: فَتْح الميم وشَدّ النون وهاء الكناية عائدة على الله[3]، وهو فاعل: يسخّر، على الإسناد المجازيّ، أو على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك، أو هو «مَنُّهُ».

والمعنى على قراءةِ الجمهور أنَّه سَخَّر هذه الأشياء كائنةً منه، وحاصلةً مِن عنده؛ إذ هو مُوجِدها بقُدْرته وحكمته، ثم مُسَخِّرها لخَلْقه.

وقال الزمخشريُّ[4]: ويجوز أَنْ يكون ـ يعني: «منه» ـ خبرَ مبتدأ محذوف، تقديره: هي «جميعاً مِنْه»، وأَنْ يكون «وما في الأرض» مبتدأ، و«منه» خبره. انتهى.

ولا يجوز هذان الوجهان إلَّا على قول الأخفش؛ لأنَّ «جميعاً» إذ ذاك حال، والعامل فيها معنويّ، وهو الجارُّ والمجرور، فهو نظير: زيدٌ قائماً في الدَّار، ولا يجوز على مذهب الجمهور.

«قل للذين آمنوا يَغفروا» نزلت في صَدْرِ الإسلام؛ أَمَرَ المؤمنينَ أَنْ يتجاوزوا عن الكفَّار، وأَنْ لا يُعاقبوهم بذنبٍ، بل يَصبرون لهم، قاله السُّدِّيُّ ومحمد بنُ كعب، قيل: وهي مُحكَمة، والأكثر على أنَّها منسوخة بآيةِ السيف[5].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٨٢، وزاد المسير ٧/ ٣٥٦، والكشاف ٣/ ، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٩، والقراءات الشاذة ص١٣٨، وحكاها أيضاً عن الأربعة المذكورين أعلاه ابنُ جنّيّ في المحتسب ٢/ ٢٦٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٢، وينظر إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٩٠-٨٩١.

(٣) أي: «مَنُّهُ». المحرر الوجيز ٥/ ٨٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٩، والكشاف ٣/ ٥١٠، والقرطبي ١٩/ ١٤٩-١٥٠، والقراءات الشاذة ص١٣٨، والمحتسب ٢/ ٢٦٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٥١٠ وما قبله منه أيضاً.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٨٢، وينظر تفسير البغوي ٤/ ١٥٨، وزاد المسير ٧/ ٣٥٨، =

«يَغفروا» في جزمه أوجهٌ للنُّحاة تقدَّمت في ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في سورة «إبراهيم»[(١)].

«لا يرجون أيَّام الله» أي: وقائعَه بأعدائه ونِقْمَته منهم، قاله مجاهد، وقيل: «أيَّام» إنعامه ونَصْرِه وتنعيمه في الجنَّة وغير ذلك[(٢)].

وقيل: لا يَأْملون الأوقاتِ التي وقَّتها اللهُ لثواب المؤمنين ووَعَدهم الفوز، قيل: نزلت قَبْلَ آيةِ القتال، ثم نسخَ حكمها، وتقدَّم قولُ ابنِ عباس أنَّها نزلت في عمر بنِ الخطاب، قيل: شتمه رَجُلٌ مِن غِفَار، فَهَمَّ أنْ يَبطشَ به[(٣)].

وقرأ الجمهور: «لِيَجْزِي» بالياء، أي: مبنيًّا للفاعل، أي: «لِيَجْزِيَ» الله، وزيد بن عليّ وأبو عبد الرحمن والأعمش وأبو خُليد[(٤)] وابنُ عامر وحمزة والكسائيُّ: بالنون[(٥)]، وشيبة وأبو جعفر ـ بخلاف عنه ـ بالياء مبنيًّا للمفعول، وقد رُوِيَ ذلك عن عاصم[(٦)]، وفيه حجَّة لمَن أجاز بناءَ الفعل للمفعول على أنْ يُقام المجرور ـ وهو «بما» ـ وينصب المفعول به الصريح وهو «قوماً»[(٧)]، ونظيره: ضُرِبَ

= والقرطبي ١٩/ ١٥١، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١/ ٢٩٢ و٢/ ٦٢٥-٦٢٦، وتفسير الطبري ٢١/ ٨٠-٨١.

(١) عند تفسير الآية (٣١) منها.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٣، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣٩، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٢، وتفسير القرطبيّ ١٩/ ١٥١، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢١/ ٨٠-٨١.

(٣) الكشاف ٣/ ٥١٠-٥١١، وقول عمر سلف عند تفسير أوَّلِ هذه السورة.

(٤) هو: عتبة بن حماد الحكمي الدمشقي البلاطي، روى القراءة عن نافع، وروى عنه هشام بن عمار وغيره. غاية النهاية ١/ ٤٩٨.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٨٣، وتفسير الثعلبيّ ٥/ ٤٤٠، وزاد المسير ٧/ ٣٥٩، والقرطبي ١٩/ ١٥١-١٥٢، وقراءة حمزة والكسائي وابنِ عامر في السبعة ص٥٩٥، والتيسير ص١٩٨ ـ ووقع في مطبوعه: أبو عمرو، بدل: ابن عامر، وهو خطأ ـ وهي أيضاً قراءة خلف وأبي جعفر. النشر ٢/ ٣٧٢.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٨٣، وتفسير الثعلبيّ ٥/ ٤٤٠، عن أبي جعفر بخلاف عنه، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٥٢ عن أبي جعفر والأعرج وشيبة، والقراءة عنهم ثلاثتهم في النشر ٢/ ٣٧٢.
قال أبو عمرو: وهذا لحنٌ ظاهر. وقال الكسائيُّ: معناه: ليُجزَى الجزاءُ قوماً. تفسير البغوي ٤/ ١٥٨، ونقله عنه القرطبيُّ ١٩/ ١٥٢.

(٧) كما ذَهَبَ إليه الكوفيُّون وغيرهم. النشر ٢/ ٣٧٢.

بسوطٍ زيداً، ولا يُجيز ذلك الجمهور، وخرّجت هذه القراءة على أنْ يكون بُنيَ الفعل للمصدر، أي: وليُجزَى الجزاءُ قوماً، وهذا أيضاً لا يَجوز عند الجمهور، لكن يتأوَّل على أنْ ينصبَ «قوماً» بفعلٍ محذوف، تقديره: يجزي قوماً، فيكون جملتان؛ إحداهما: ليُجزَى الجزاءُ، والأخرى: يجزيه قوماً.

و«قوماً» هنا يعني به الغافرين، ونكَّره على معنى التعظيم لشأنهم، كأنَّه قيل: «قوماً» أي: قومٌ مِن شَأْنهم التَّجاوز عن السَّيِّئات والصَّفْحُ عن المؤذِيات وتحمُّل الوَحشة.

وقيل: هم الذين «لا يَرجون أيَّام الله» أي: بما كانوا يَكسبون مِن الإثم، كأنَّه قيل: لم تكافئوهم أنتم حتى نكافِئَهم نحن.

«مَن عمل صالحاً» كهؤلاء الغَافِرين، «ومَن أساءَ» كهؤلاء الكفار، وأتى باللام في «فلنفسه» لأنَّ المَحَابَّ والحظوظَ تُستعمَل فيها اللامُ التي تستعمل للملك، وبـ «على» في «فعليها»؛ لأنَّ الأمورَ الشاقَّةَ تستعمل فيها «على» الدَّالَّة على العُلوِّ والقَهْر، كما تقول: الأُمور لزيدٍ مُتَأتِّيةٌ، وعلى عَمرٍو مُسْتَصعَبةٌ.

و«الكتاب»: التوراة، و«الحُكم»: القَضاء وفَصْل الأمور، لأنَّ المُلْكَ كان فيها، قيل: و«الحُكم»: الفقه، ويقال: لم يَتَّسِع فِقْهُ الأحكامِ على نَبيٍّ ما اتَّسَعَ على لسانِ موسى[١].

«مِن الطَّيِّبات»: المُستلذَّات الحلال، وبذلك تتمُّ النِّعمة؛ وذلك المَنُّ والسَّلوى وطَيِّبات الشام، إذ هي الأرضُ المباركة.

«بيِّنات» أي: دلائِل واضحة «مِن الأَمْرِ» أي: مِن الوَحْي الذي فُصِّلَت به الأمور.

وعن ابنِ عباس: «مِن الأَمْرِ» أي: مِن أَمْرِ النبيِّ ﷺ وأنَّه يُهاجِر مِن تِهامة إلى يثرب[٢]، وقيل: معجزات موسى.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٣، والرازي ٢٧/ ٢٦٥.

«فما اختلفوا إلَّا مِن بَعْدِ ما جاءَهم العِلْمُ بغياً بينهم» تقدَّم تفسيره في «الشورى»[(١)].

❁ ❁ ❁

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن
نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ
ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ
بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم
بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟
بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

لمَّا ذَكَر تعالى إنعامَه على بني إسرائيل واختلافَهم بَعْدَ ذلك، ذَكَر حالَ نبيِّه عليه الصلاة والسلام وما مَنَّ به عليه مِن اصطفائه، فقال: «ثمَّ جَعلناكَ على شريعةٍ مِن الأَمْرِ» قال قتادة: الشريعة: الأَمْرُ والنهي والحدود والفرائض، وقال مقاتل: البيِّنة؛ لأنَّها طريقٌ إلى الحقِّ، وقال الكلبيُّ: السُّنَّة؛ لأنَّه كان يَسْتَنُّ بطريقةِ مَن قَبْلَه مِن الأنبياء. وقال ابنُ زيد: الدِّين؛ لأنَّه طريق إلى النجاة[(٢)].

والشريعة في كلام العرب: المَوضِعُ الذي يَرِدُ فيه الناسُ في الأنهار والمياه، ومنه قول الشاعر:

وفي الشرائع مِن جَيْلانَ مُقْتَنِصٌ رَثُّ الثيابِ خَفِيُّ الشخص مُنْسَرِبُ

(١) عند تفسير الآية (١٤) منها.
(٢) تفسير القرطبيّ ١٩/ ١٥٤، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٤، وينظر الهداية لمكّيّ ١٠/ ٦٧٨٠، وأثَر قتادة وابنِ زيد عند الطبري ٢١/ ٨٥-٨٦، وخبر هؤلاء المذكورين جميعاً يوم بدر عند المبارزة، وهو عند أحمد (٩٤٨) عن عليّ ﷺ.

فشريعةُ الدِّين مِن ذلك؛ مِن حيث يُريدُ الناسُ أَمْرَ الله ورحمتَه والقُرْبَ منه[١].

«من الأَمْرِ» مِن الأمور التي مِن دِيْن اللهِ الذي بَثَّهُ في عباده في الزمان السَّالِف، أو يكون مصدر: أَمَرَ، أي: مِن الأَمْر والنَّهي، وسمّى النهي أمْراً.

«أهواءَ الذين لا يَعلمون» قيل: جُهَّال قريظة والنَّضِير، وقيل: رؤساء قريش حين قالوا: ارْجع إلى دِينِ آبائك.

«هذا بصائر» أي: هذا القرآنُ، جعلَ ما فيه مِن معالِم الدِّين «بصائر» للقلوب، كما جعل روحاً وحياةً.

وقرئ: «هذي» أي: هذه الآيات[٢].

«أم حَسِبَ» «أم» منقطعة تتقدَّر بـ «بل» والهمزة، وهو استفهام إنكار.

قال الكلبيُّ: نزلت في عليٍّ وحمزة وعُبَيْدَة بنِ الحارث، وفي عُتْبَة وشَيْبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: واللهِ ما أنتم على شيء، ولَئِن كان ما تقولونَ حقًّا لحالنا أفضلُ مِن حالكم في الآخِرَة، كما هو أفضل في الدنيا[٣].

و«اجترحوا»: اكتسبوا، و«السَّيِّئات» هنا سيِّئات الكفر، و«نَجْعَلَهم» نُصيِّرهم، والمفعول الثاني هو «كالذين»، وبه تمامُ المعنى.

وقرأ الجمهور: «سَواءٌ» بالرَّفع، و«مماتهم» بالرَّفع أيضاً، وأعربوا «سواء»

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٤، والبيت السالف لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ١/ ٦٤، وروايته فيه هكذا:

وبالشمائل من جِلَّان مُقتنِصٌ رَذْلُ الثياب خَفِيُّ الشخص مُنْزَرِبُ

وبالشمائل: يريد: ذات الشِّمال، ومقتنص: صائد، وجِلَّان: قبيلة من عَنَزَة، وخفيّ الشخص: صغير الخَلْق، والزَّرْب: حفيرة يجعل فيها الراعي الجِداء، ورَذْل الثياب: خَلَق الثياب.

مع الإشارة إلى أنَّ البيتَ ورد بنحو رواية المصنِّف في غريب الحديث للحربي ١/ ١٦٦، والعين للخليل ١/ ٢٥٢ (شرع)، وفيهما: جِلَّان، بدل: جيلان، و: منزرب، بدل: منسرب.

(٢) تفسير القرطبيّ ١٩/ ١٥٥، والكشاف ٣/ ٥١١.

(٣) ينظر تفسير القرطبيّ ١٩/ ١٥٦، والثعلبيّ ٥/ ٤٤٠، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٤.

مبتدأ، خبره ما بَعْدَه[١]، ولا مسوِّغ لجواز الابتداء به، بل هو خبرٌ مقدَّم، وما بَعْدَه المبتدأ، والجملة خبرُ مستأنَف.

واحتمل الضمير في «محياهم ومماتهم» أنْ يعودَ على «الذين اجترحوا» أخبرَ أنَّ حالَهم في الزمانين سواء، وأنْ يعود على المجترحين والصَّالحين، يعني أنَّ محيا المؤمنين ومماتهم سواء في الكرامة عند الله، ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في إهانتهم عند الله وعَدَمِ كرامتهم عليه، ويكون اللفظُ قد لَفَّ هذا المعنى، وذِهْنُ السامع يُفرِّقه، إذ قد تقدَّم إبعادِ الله أنْ يَجعل هؤلاء كهؤلاء.

قال أبو الدَّرداء: يُبعَث الناسُ على ما ماتوا عليه، وقال مجاهد: المؤمن يَموت مؤمناً ويُبعَث مؤمناً، والكافر يموت كافراً ويُبعَث كافراً[٢].

قال ابنُ عطيَّة: مقتضى هذا الكلام أنَّ لفظَ الآية خبرٌ، ويَظهر لي أنَّ قوله: «سواء محياهم ومماتهم» داخلٌ في المَحْسَبَة المُنكرة السَّيِّئة، وهذا احتمال حَسَن والأوَّل أيضاً جيِّد[٣]. انتهى. ولم يُبيِّن كيفيَّة تشبث الجملة بما قَبْلَها حتى يَدخُلَ في المَحْسَبَة.

وقال الزمخشريُّ: والجملة التي هي «سواء مَحياهم ومَماتهم» بَدَل مِن الكاف؛ لأنَّ الجملة تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حُكْم المُفرَد، ألَا تراك لو قلت: أنْ نَجعلهم سواءٌ مَحياهم ومَمَاتُهم، كان سديداً، كما تقول: ظَنَنْتُ زيداً أبوهُ مُنطَلِقٌ[٤]. انتهى.

وهذا الذي ذهب إليه الزمخشريُّ مِن إبدالِ الجملة مِن المفرَد قد أجازه أبو الفتح[٥]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٦، وقراءة غير الجمهور ستأتي قريباً.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٦، والهداية لمكِّيّ ١٠/ ٦٧٨٢، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٨٥، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢١/ ٨٨.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥.
(٤) الكشاف ٣/ ٥١١-٥١٢.
(٥) يعني: ابنَ جِنِّيّ، ونَقَلَ كلامه أيضاً ابنُ مالك في شرح التسهيل ٣/ ٢٢٨، وابنُ هشام في مغني اللبيب ص٢٧٣ و٥٥٦ مستدلاً بقول الفرزدق:

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً ... وبالشام أخرى كيف يلتقيان

=

واختاره ابنُ مالك[١] وأَورد على ذلك شواهدَ على زَعْمه ولا يتعيَّن فيه البَدَل.

وقال بعضُ أصحابنا ـ وهو الإمام العالِم ضياءُ الدين أبو عبد الله محمَّد بنُ عبد الله الإشبيليّ، ويعرف بابنِ العِلْج، وكان ممَّن أقام باليَمَن وصنَّف بها[٢]، قال في كتابه «البسيط» في النحو: ولا يصحُّ أَنْ تكون جملةٌ معمولة للأوَّل في موضع البَدَل، كما كان في النعت؛ لأنَّها تقدَّر تقدير المشتقّ، ويُقدَّر المشتقُّ تقدير الجامد، فيكون بَدَلاً فيجتمع فيه تَجوُّزان، ولأنَّ البَدَل يَعمل فيه العاملُ الأوَّل، فيصحّ أَنْ يكون فاعلاً، والجملة لا تكون في موضع الفاعل بغير سابك؛ لأنَّها لا تُضمَر، فإنْ كانت غيرَ معمولة، فهل تكون جملةً بدلاً مِن جملةٍ؟ لا، لا يَبعُد عندي جوازُها، كما يتبع في العطف الجملة للجملة، وكتأكيد الجملة التأكيد اللفظي. انتهى.

وتبيَّن مِن كلام هذا الإمام أنَّه لا يَجوز أَنْ تكون الجملة بَدَلاً مِن المفرد.

وأمَّا تجويز الزمخشريّ: أَنْ نَجعلهم سواء مَحياهم ومَماتهم، فيَظهر لي أنَّه لا يجوز؛ لأنَّها بمعنى التصيير، لا يَجوز: صَيَّرتُ زيداً أبوه قائمٌ، ولا: صيَّرتُ زيداً غلامُه مُنْطَلِقٌ؛ لأنَّ التصيير انتقالٌ مِن ذات إلى ذات، أو مِن وصف في الذات إلى وصف فيها، وتلك الجملة الواقعة بَعْدَ مفعولِ صيَّرت، المقدَّرة مفعولاً ثانياً ليس فيها انتقالٌ ممَّا ذَكَرنا، فلا يَجوز[٣].

والذي يظهر لي أنَّه إذا قلنا بتشبُّث هذه الجملة بما قَبْلها، أَنْ تكون الجملةُ في موضع الحال، والتقدير: أم حَسِبَ الكفار أَنْ نصيِّرَهم مِثْلَ المؤمنين في حالِ

= فجملة الاستفهام: كيف يلتقيان، بدلٌ من: حاجة، و: أخرى، أي: إلى الله أشكو حاجتين تعذَّر التقائهما. اهـ. ولم نقف على البيت في ديوان الفرزدق، وينظر أيضاً أوضح المسالك ص٥١٣-٥١٤.

(١) التسهيل ص١٧٣، وشرحه لابن مالك ٣/ ٢٢٨-٢٢٩، ناقلاً كلامَ ابنِ جنِّي، كما أشرنا إليه آنفاً.

(٢) ذكره السيوطي في ملحق بغية الوعاة ٢/ ٣٧٠ ـ باب: الكنى والألقاب والنسب والإضافات ـ بقوله: أكثر أبو حيان وأتباعه من النقل عنه، ولم أقف له على ترجمة.

(٣) ينظر ما قاله السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٦٥٠ حول هذا الكلام.

استواءِ مَحياهم ومَماتهم، ليسوا كذلك، بل هم مُفْتَرِقون أيّ افتراقٍ في الحالتين، وتكون هذه الحالُ مُبيِّنةً ما انبهمَ في المِثْليَّة، الدَّالّ عليها الكاف التي هي في موضع المفعول الثاني.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ وحمزة والكسائيُّ وحفص: «سواءً» بالنصب، وما بَعْدَه مرفوع على الفاعليَّة[1]، أجرى «سواء» مجرى: مستوياً، كما قالوا: مَررتُ برجلٍ سواء هو والعَدَم، وجوّز في انتصاب سواء وجهين: أحدهما: أَنْ يكون منصوباً على الحال، و«كالذين» المفعول الثاني، والعكس.

وقرأ الأعمش: «سواءً» بالنصب «محياهم ومماتَهم» بالنصب أيضاً[2]، وخرّج على أَنْ يكون «محياهم ومماتهم» ظَرْفَي زمان، والعامل إمَّا «أَنْ نجعلهم» وإمَّا «سواء»، وانتصبا على البَدَل مِن مفعول «نَجْعلهم»، والمفعول الثاني «سواء» أي: أنْ يَجعلَ محياهم ومماتَهم سواءً.

وقال الزمخشريُّ: ومَن قرأ «ومماتَهم» بالنَّصْب، جَعَلَ «محياهم ومماتهم» ظَرْفَين، كمَقْدَمِ الحَاجِّ، وخُفُوقِ النَّجْم، أي: سواء في مَحياهم وفي مماتهم، والمعنى: إنكار أَنْ يستويَ المُسِيْؤون والمحسنون مَحياً، وأَنْ يَستووا مماتاً؛ لافتراقِ أحوالهم[3].

وتمثيله بقوله: وخُفُوق النَّجْم، ليس بجيِّد؛ لأنَّ: خُفُوقَ، مصدرٌ ليس على مَفْعَل، فهو في الحقيقة على حَذْفِ مضاف، أي: وقتَ خُفُوقِ النَّجْم، بخلاف:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥وفيه ذِكْر الأعمش، بدل: زيد بن عليّ، وتفسير البغوي ٤/ ١٥٩، وزاد المسير ٧/ ٣٦١ ولم يذكرا: زيد بن عليّ أيضاً، وذكرا مكانه: زيد عن يعقوب، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٥٧ عن حمزة والكسائي والأعمش، والقراءة عن حمزة والكسائي وحفص عن عاصم في السبعة ص٥٩٥، والتيسير ص١٩٨، وهي قراءة خلف كما في النشر ٢/ ٣٧٢، وأما قراءة الأعمش فهي في القراءات الشاذة ص١٣٨، وسلفت قراءة الجمهور بالرفع قريباً، مع الإشارة إلى أنَّ في عبارة المحرر الوجيز خَلْطاً واضطراباً بذكر هذه القراءة مع ذِكْر قراءة الأعمش ـ أيضاً ـ الثانية التي سترد الآن، وسيُشير المصنِّف إلى ذلك قريباً.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٧ وزاد معه: عيسى بن عمر، والكشاف ٣/ ٥١٢ دون عزوٍ، وقراءة الأعمش في القراءات الشاذة ص١٣٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٤٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٥١٢.

مَحيا، ومَمات، ومَقْدَم، فإنَّها تُستَعمل بالوَضْع مصدراً واسمَ زمانٍ واسمَ مكانٍ، فإذا استُعملت اسمَ مكانٍ أو اسمَ زمانٍ، لم يَكن ذلك على حَذْفِ مضاف قامت هذه مقامه؛ لأنَّها موضوعةٌ للزَّمان وللمكان، كما وُضعت للمصدر، فهي مُشتركة بين هذه المَدْلُولات الثلاثة، بخلاف: خُفُوقِ النجم، فإنَّه موضوعٌ للمصدر فقط.

وقد خَلَّط ابنُ عطيَّة في نَقْل القراءات، وله بعضُ عذرٍ، فإنه لم يَكُن مُعْرِباً، فقال: وقرأ طلحة بنُ مصرّف وعيسى ـ بخلاف عنه ـ «سواء» بالنصب «محياهم ومماتهم» بالرَّفع، وقرأ حمزة والكسائيُّ وحفص والأعمش: «سواء» بالنصب «محياهم ومماتهم» بالنصب[1].

ووَجَّه كلًّا مِن القراءتين على ما تَقتضيه صنعةُ الإعراب، وتَبِعه على هذا الوَهم صاحبُ «التحرير»[2]، وهو معذورٌ، لأنَّه ناسخٌ مِن كتابٍ إلى كتاب، والصواب هو ما نَسبناه مِن القراءات لمَن ذكرنا.

ويُستنبط مِن هذه الآية تبايُنُ حالِ المؤمن العاصي مِن حالِ الطائع، وإن كانت في الكفَّار، وتسمَّى: مبكاة العابدين[3].

وعن تميم الدَّارِي ﷺ أنَّه كان يُصلِّي ذاتَ ليلةٍ عند المَقام، فبلغَ هذه الآية، فجعل يَبكي ويُردِّد إلى الصباح: «سَاءَ ما يَحكمُون».

وعن الرَّبِيْع بن خُثَيْم أنَّه كان يُردِّدها لَيْلَهُ أَجْمَع، وكذلك الفُضَيل بنُ عياض، وكان يقول لنفسه: ليتَ شِعْري مِن أيِّ الفريقين أنتَ[4]؟!.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥، وأشرنا إلى هذا الخلط والاضطراب قريباً.
(٢) يريد بذلك: التحرير والتحبير لابن النقيب، والله تعالى أعلم.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥ نقلاً عن الثعلبي، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٨.
(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٤٠-٤٤١ ـ والخبران عنده بإسناده إليهما ـ والمحرر الوجيز ٥/ ٨٥، والكشاف ٣/ ٥١٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٥٧-١٥٨.
وخبر تميم الداري أخرجه ابنُ المبارك في كتابه الزهد (٦٤)، والطبراني في الكبير (١٢٥٠). قال ابن حجر في الإصابة ١/ ٣٠٥: رواه البغوي في الجعديات بإسناد صحيح إلى مسروق.
وخبر الربيع بن خثيم عند ابن أبي شيبة (٨٤٥٧) و(٣٥٩٩٣).

وقال ابنُ عطيَّة: وأمَّا لفظها فيُعطي أنَّه اجتراحُ الكفر؛ بدليلِ معادلته بالإيمان، ويَحتمل أنْ تكون المعادَلةُ هي الاجتراحَ وعَمَلَ الصالحات، ويكون الإيمان في الفريقين، ولهذا بكى الخائفونَ[1].

«ساءَ ما يَحكمون» هو كقوله: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾ وتقدَّم إعرابه في «البقرة»[2].

وقال ابنُ عطيَّة: هنا «ما» مصدريَّة، والتقدير: ساءَ الحُكْم حُكْمهم، «بالحقِّ» بأنَّ خَلْقها حقٌّ واجِب؛ لما فيه مِن فيضِ الخيرات، ولتدلّ عليه دلالةَ الصَّنْعَة على الصانع، «ولتُجْزَى» هي لام «كي» معطوفة على «بالحقِّ»؛ لأنَّ كلًّا مِن التاء واللام يكونان للتعليل، فكان الخَلْق معلَّلاً بالجزاء[3].

وقال الزمخشريُّ: أو على معلّل محذوف، تقديره: ليدلَّ بها على قُدرته «ولتُجْزَى كُلُّ نفسٍ»[4].

وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أنْ تكون لامَ الصيرورة، أي: وصار الأَمْرُ منها ـ مِن حيث اهتدى بها قومٌ وضَلَّ عنها آخرون ـ لَأنْ يُجازَى كلُّ واحدٍ بعمله وبما اكتسبَ مِن خيرٍ أو شرٍّ[5]. انتهى.

«أفَرَأيْتَ» الآية، قال مقاتل: نزلت في الحارث بنِ قيس السهميّ[6].

و«أفَرَأيت» هي بمعنى: أَخْبِرْني، والمفعول الأوَّل هو «مَن اتَّخذ»، والثاني محذوف، تقديره بَعْدَ الضَّلَات التي لـ «مَن» أي: أيهتدي، يدلُّ عليه قولُه بَعْدُ: «فمَن يَهْدِيه مِنْ بَعْدِ الله» أي: لا أَحَدَ يَهديه مِن بَعْدِ إضلالِ اللهِ إيَّاه.

«مَن اتَّخذ إلَهَهُ هَواهُ» أي: هو مِطواعٌ لهَوَى نفسِه، يَتبع ما تَدعوه إليه، فكأنَّه يَعْبُدُه، كما يَعبُد الرَّجُلُ إلَهَه.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥.
(٢) عند تفسير الآية (٩٠) منها.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٦.
(٤) الكشاف ٣/ ٥١٢.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٨٦.
(٦) زاد المسير ٧/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٥٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٤٢.

قال ابنُ جبير: إشارة إلى الأصنام؛ إذ كانوا يَعبدُون ما يَهْوَون مِن الحجارة، وقال قتادة: لا يَهوى شيئاً إلَّا رَكِبَه، لا يخاف اللهَ[1]، فلهذا يقال: الهوى إلهٌ مَعبودٌ.

وقرأ الأعرج وأبو جعفر: «إلهةً» بتاء التأنيث بَدَلَ هاء الضمير[2]، وعن الأعرج أنَّه قرأ: «آلهةً» على الجَمْع، قال ابنُ خالويه: ومعناه أنَّ أحدهم كان يَهوى الحَجَر فيَعبُدُه، ثم يَرَى غيرَه فيَهواه، فيُلقي الأوَّل، فذلك قولُه: «آلهةً هَواهُ»[3].

وهذه الآية وإنْ نَزَلت في هَوى الكفر، فهي متناولةٌ جميعَ هوى النَّفْسِ الأمَّارة، قال ابنُ عباس: ما ذَكَرَ اللهُ هوًى إلَّا ذَمَّهُ[4].

وقال وهب: إذا شَككتَ في خيرِ أَمْرَين؛ فانظُر أبعدَهما مِن هواكَ فَأْتِهِ[5].

وقال سهل التُّسْتَرِيُّ: هَواكَ دَاؤُك، فإنْ خالفْتَه فَدَواؤكَ[6].

وفي الحديث: «والعاجز مَن أَتْبَعَ نفسَه هواها وتَمنَّى على الله»[7]، ومِن حِكْمَة الشِّعْرِ قولُ عنترة، وهو جاهليٌّ:

إنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجِدٌ   لا أُتبِعُ النَّفْسَ اللَّجوجَ هَواهَا[8]

وقال أبو عمران موسى بنُ عمران الإشبيليُّ الزاهد:

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٨، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٤، وتفسير البغوي ٤/ ١٥٩، وقول قتادة عند عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢١٢، والطبريّ ٢١/ ٩٣، وفيه أيضاً قولُ ابنِ جبير.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٦ عن الأعرج وابنِ جبير، وقراءة أبي جعفر - وهي غير المشهورة عنه - في القراءات الشاذة ص١٣٨.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٨، وشُكِلت القراءةُ فيه هكذا: «إِلَهَهُ»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٨٦، وتفسير القرطبيّ ١٩/ ١٥٩، وأخرجه عنه الثعلبيُّ ٥/ ٤٤٢.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ١٦١، والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٨٦ لكن نسب لسهل، وأخرجه عنه الثعلبي ٥/ ٤٤٣.

(٦) ينظر المصدران السابقان.

(٧) جزء من حديث شداد بن أوس، وهو عند أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابنِ ماجه (٤٢٦٠)، قال الترمذي: حديث حسن.

(٨) ديوان عنترة ص٧٦.

فخالف هواها واعْصِها إنَّ من يُطِعْ هَوَى نفسِه ينزِعْ به شرَّ مَنزِعِ
ومَن يُطع النفسَ اللَّجُوجَةَ تُرْدِه وتَرْمِ به في مصرعٍ أيِّ مصرعِ[١]

«وأضلَّه اللهُ على عِلْم» أي: مِن الله تعالى سَابِقٍ، أو «على عِلْم» مِن هذا الضَّالِّ بأنَّ الحقَّ هو الدِّين، ويُعرِض عنه؛ عناداً، فيكون كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وقال الزمخشريُّ: تركه عن الهداية واللُّطفِ وخَذَلَه «على عِلْم» عالماً بأنَّ ذلك لا يُجدي عليه، وأنَّه ممَّن لا لطفَ له، أو مع عِلْمه بوجوه الهداية، وإحاطته بأنواعِ الألطافِ المُحصِّلة والمُقرِّبة. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وقرأ الجمهور: «غِشاوةً» بكسر الغين، وعبد الله والأعمش: بفتحها، وهي لغةُ ربيعة[٢]، والحسن وعكرمة وعبد الله أيضاً: بضمِّها[٣]، وهي لغة عُكْلِيَّة، والأعمش وطلحة وأبو حنيفة ومسعود بنُ صالح وحمزة والكسائيُّ: «غَشْوةً» بفتح الغين وسكونِ الشين[٤]، وابنُ مصرّف والأعمش أيضاً كذلك إلَّا أنَّهما كسرا الغين[٥]، وتقدَّم تفسير الجملتين في أوَّل «البقرة»[٦].

وقرأ الجمهور: «تَذَّكَّرون»، بشدِّ الذَّالِ، والجَحْدَريّ يُخفِّفها[٧]، والأعمش: بتاءَين[٨].

---

(١) لم نقف عليهما عند غيره، وأوردهما عنه الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٥/ ٣٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧ عن عبد الله بن مسعود، والكشاف ٣/ ٥١٢ دون عزوٍ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٨ عن ابن مسعود.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧ دون ذِكر ابن مسعود، وهي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٨ عن عكرمة، وفي الكشاف ٣/ ٥١٢ دون عزوٍ.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٦٢، عن حمزة والكسائي، وزاد الثعلبيُّ خَلَفاً في تفسيره ٥/ ٤٤٤، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٥٩٥، والتيسير ص١٩٩، وقراءتهما وقراءة خلف في النشر ٢/ ٣٧٢.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧، والقراءات الشاذة ص١٣٨.
(٦) عند تفسير الآية (٧) منها.
(٧) أي: «تَذَكَّرون». المحرر الوجيز ٥/ ٨٧ عن عاصم الجحدري.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧.

«وقالوا ما هيَ» أي: ما الحياة «إلَّا حياتنا الدنيا» هي مقالةُ بعضِ قريش إنكاراً للبعث، والظاهر أنَّ قولَهم: «نموت ونحيا» حكمٌ على النوع بجُملته مِن غير اعتبارِ تقديم وتأخير، أي: تموت طائفةٌ وتحيا طائفةٌ، وأنَّ المراد بالموت مفارقةُ الرُّوح للجَسَد، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، أي: نَحيا ونَموت، وقيل: «نَموت» عبارة عن كونهم نُطَفاً، ثمَّ يَحيونَ بالأرواح، وقيل: «نموت» عبارة عن كونهم لم يُوجدوا «ونَحيا» أي: في وقت وجودنا، وهذا قريبٌ مِن الأوَّل قَبْلَه، ولا ذِكْر للموت الذي هو مفارقة الرُّوح في هذين القولين، وقيل: تموت الآباء وتَحيا الأبناء.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «ونُحْيَا» بضمِّ النون[١].

«وما يُهْلِكنا إلَّا الدَّهر» أي: طُول الزمان؛ لأنَّ الآفاتِ تستوي فيه كمالاتها، هذا إنْ كان قائلو هذا مُعترفينَ بالله، فنسبوا الآفات إلى الدَّهر؛ بجَهْلهم أنَّها مقدّرة مِن عند الله، وإنْ كانوا لا يَعرفون اللهَ ولا يُقِرُّون به وهم الدَّهرِيَّة فنسبوا ذلك إلى الدَّهر.

وقرأ عبد الله: «إلَّا دَهْرٌ»[٢]، وتأويله: إلَّا دَهْرٌ يمرُّ، كانوا يُضيفون كلَّ حادثةٍ إلى الدَّهر، وأشعارهم ناطقةٌ بشَكْوى الدَّهرِ حتى يوجدَ ذلك في أشعار المسلمين، قال ابنُ دريد:

يـا دَهْـرُ إنْ لـم تَـكُ عُـتْـبـى فـاتَّـئِـد ... فــإنَّ إرْوَادَكَ والـعُـتْـبـى سَـوا[٣]

«وما كان حجَّتهم» ليست حجَّة حقيقة، أي: حجَّتهم عندهم، أو لأنَّهم أدْلَوا بها كما يُدلي المحتجُّ بحجَّته، وساقُوها مساقها، فسمِّيت حجَّةً على سبيل التَّهَكُّم، أو لأنَّه في نحو قولهم:

تـحـيـةُ بـيـنـهـم ضَـرْبٌ وَجـيـعُ[٤]

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٦٤ دون عزوٍ.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٨٧، والقراءة فيهما هكذا: «وما يُهلِكنا إلَّا دَهْرٌ يَمُرُّ»، وقال ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٩: «يهلكنا إلَّا دهراً». ابن مسعود، تأويله: إلَّا دهراً يمرُّ.

(٣) مقصورة ابن دريد، ومعنى: إروادك: من قولهم: الدَّهْرُ أَرْوَدَ ذو غِيَرٍ، أي: يعمل عمله في سكونٍ لا يُشْعَر به. الصحاح (رود).

(٤) الكشاف ٣/ ٥١٣، وعجز بيت لعمرو بن معدي كرب، وسلف مراراً.

أي: ما كان حجَّتهم إلّا ما ليس بحُجَّة، والمراد نفي أن يكون لهم حجَّة البتَّة.

وقرأ الجمهور: «حُجَّتَهم» بالنصب، والحسن وعمرو بنُ عبيد وزيد بنُ عليٍّ وعبيد بنُ عمير وابنُ عامر ـ فيما روى عنه عبد الحميد ـ وعاصم فيما روى هارون وحسين عن أبي بكر عنه: «حجَّتُهم» بالرفع[1]، وجواب «إذا» «ما كان حجتَّهم»، أي: ما تكون حجَّتهم؛ لأنَّ «إذا» للاستقبال، وخالفت أدواتِ الشَّرْطِ بأنَّ جوابها إذا كان منفيًّا بـ «ما» لم تدخل الفاء، بخلاف أدواتِ الشَّرْط فلا بُدَّ مِن الفاء، تقول: إنْ تَزُرنا فَمَا جفوتنا، أي: فما تجفونا، وفي كون الجواب منفيًّا بـ «ما» دليلٌ على ما اخترناه مِن أنَّ جوابَ «إذا» لا يَعمل فيها؛ لأنَّ ما بَعْدَ «ما» النافية لا يَعمل فيما قَبْلَها.

«ائتوا» يَظهر أنَّه خطابٌ للرَّسول والمؤمنين، إذ هم قائلونَ بمقالته، أو هو خطابٌ له ولمَن جاء بالبَعْث وهم الأنبياء، وغلّب الخطاب على الغيبة.

وقال ابنُ عطيَّة: «ائتوا» مِن حيث المخاطبةُ له، والمراد هو وإلهه، والمُلْك الوسيط الذي ذَكَره هو لهم، فجاء مِن ذلك جملة، قيل لها: «ائتوا» و«إن كنتم»[2]. انتهى.

ولمَّا اعترفوا بأنَّهم ما يُهلكهم إلَّا الدَّهر، وأنَّهم استدلُّوا على إنكار البَعْث بما لا دليلَ لهم فيه مِن سؤالِ إحياءِ آبائهم، رَدَّ اللهُ تعالى عليهم بأنَّه تعالى هو المحيي وهو المُميت لا الدَّهْر، وضمّ إلى ذلك أنَّه جامِعُهم للحساب يومَ البَعْث، وهذا واجبُ الاعتراف به إنْ أنصفوا، ومن قَدَرَ على هذا قَدَرَ على الإتيان بآبائهم.

❁ ❁ ❁

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧، وينظر النشر ٢/ ٣٧٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٧.

رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

العامل في «ويوم تقوم»: «يخسر»، و«يومَئِذ» بَدَل مِن «يوم تقوم»، قاله الزمخشريُّ وحكاه ابنُ عطيَّة عن فرقة[1]، والتنوين في «يَومئذٍ» تنوينُ العِوَض من جملة، ولم تتقدَّم جملةٌ إلَّا قوله: «ويوم تقومُ الساعة» فيصير التقدير: ويوم تقوم الساعةُ يوم إذ تقوم الساعة يَخْسَرُ، ولا مزيدَ فائدة في قوله: يوم إذ تقوم الساعة؛ لأنَّ ذلك مستفادٌ مِن «ويوم تقوم الساعة» فإنْ كان بَدَلاً توكيديًّا ـ وهو قليلٌ ـ جاز ذلك، وإلا فلا يجوز أن يكون بَدَلاً.

وقالت فرقة: العامل في «ويوم تقوم» ما يدلُّ عليه المُلْك، قالوا: وذلك أنَّ يوم القيامة حالٌ ثالثة ليست بالسماء ولا بالأرض؛ لأنَّ ذلك يتبدَّل، فكأنَّه قال: ولله مُلْك السماوات والأرض، والملك يوم القيامة، فحذفه لدلالةِ ما قَبْلَه عليه، و«يومئذ» منصوب بـ «يخسر»، وهي جملة فيها استئناف وإنْ كان لها تعلُّق بما قَبْلَها مِن جهة تنوينِ العِوَض.

والمُبْطِلون: الدَّاخلون في الباطل «جاثيةً» باركةً على الرُّكَب مُسْتَوفِزَة وهي هيئة المُذنِب الخائف.

وقُرِئ: «جاذية» بالذَّال[2]، والجَذْوُ أشدُّ استيفازاً مِن الجَثْوِ؛ لأنَّ الجاذِي هو الذي يَجلس على أطراف أصابعه، وعن ابنِ عباس: «جاثية» مجتمعة، وعن قتادة: جماعات مِن الجثوة، وهي الجماعة، يُجمَع على جُثًى[3]، قال الشاعر:

(١) الكشاف ٣/ ٥١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٨٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٥١٣.

(٣) المصدر السابق، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٦٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٤٤، والقرطبي ١٩/ ١٦٩.

ترى جُثْوَتَيْنِ مِن ترابٍ عليهما صفائحُ صُمٌّ مِن صفيحٍ مُنَضَّدِ[(١)]

وعن مُؤرِّج السَّدُوسي: «جاثية» خاضعة بلغة قريش، وعن عكرمة: «جاثية»: متميزة[(٢)].

وقرأ يعقوب «كُلَّ أُمَّة تُدْعَى» بنصب «كلّ» على البَدَل[(٣)]، بَدَل النكرة الموصوفة مِن النكرة، والظاهر عموم كلّ أمّة مِن مُؤمن وكافر.

قال الضَّحَّاك: وذلك عند الحساب[(٤)].

وقال يحيى بنُ سلَّام: ذلك خاصّ بالكفار[(٥)] «تُدْعى إلى كتابها» المُنزل عليها فتحاكم إليه؛ هل وافَقَتْه أو خالفته، أو الذي كَتَبَتْه الحَفَظَة وهو صحائفُ أعمالها، أو اللَّوح المحفوظ، والمعنى إلى ما سبق لها فيه أو إلى حسابها، أقوالٌ، وأفرد كتابها؛ اكتفاءً باسم الجنس، كقوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: ٤٩].

«اليوم تجزون» أي: يقال لهم: «اليوم تجزون»، «هذا كتابُنا» هو الذي دُعيت إليه كلّ أُمَّة، وصحَّت إضافته إليه تعالى؛ لأنَّه مالكه والآمِرُ بكَتْبه، وإليهم؛ لأنَّ أعمالهم مُثبتَة فيه، والإضافة تكون بأدنى ملابسة، فلذلك صحَّت إضافته إليهم وإليه تعالى.

«يَنطِقُ عليكم» يَشهدُ بالحقِّ مِن غير زيادةٍ ولا نقصان «إنَّا كنَّا نستنسخ» أي: الملائكة، أي: نَجْعلها تَنْسخ، أي: تَكتب، وحقيقة النَّسْخ نَقْلُ خطٍّ مِن أصلٍ ينظرُ فيه، فأعمال العباد كأنَّها الأصلُ.

وقال الحسن: هو كتبُ الحَفَظة على بني آدم، وعن ابنِ عباس: يَجعلُ اللهُ الحَفَظَةَ تَنسخُ مِن اللوح المحفوظ كلَّ ما يَفعل العِباد، ثم يُمسِكونه عندهم، فتأتي

(١) القائل: طرفة بن العبد، والبيت في ديوانه ص٣٣.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٦٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٦٩.
(٣) ينظر مجمع البيان ٢٥/ ١٣٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٧٠، والقراءة في النشر ٢/ ٣٧٢، والمحتسب ٢/ ٢٦٢.
(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٩، وأخرجه الطبريُّ ٢١/ ١٠١.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٩، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٧.

أفعالُ العباد على نحو ذلك فتقيَّد أيضاً، فذلك هو الاستنساخ، وكان يقول ابنُ عباس: ألستُم عَرَباً، وهل يكون الاستنساخ إلَّا مِن أصلٍ[(١)]؟

ثمَّ بايَنَ بين حالِ المؤمن بأنَّه يُدخِله في رحمته، وهو الثواب الذي أُعِدَّ له، وأنَّ ذلك هو الظَّفَر بالبُغْية، وبين الكافر بأنَّه يُوبَّخ، ويقال له: «أفَلم تكن آياتي تُتْلَى عليكم فاستكبرتم» عن اتِّباعها والإيمانِ بها «وكنتم» أصحابَ جرائم.

والفاء في «أفَلَم» ينوى بها التقديم، وإنَّما قدّمت الهمزة؛ لأنَّ الاستفهامَ له صَدر الكلام، والتقدير: فيقال لهم: ألَم.

وقال الزمخشريُّ: والمعنى: ألَم يَأْتِكم رسلٌ، فلم تكن آياتي تُتْلَى عليكم، فحذف المعطوف عليه[(٢)]. انتهى. وقد تقدَّم الكلام معه في زَعْمه أنَّ بينَ الفاءِ والواو إذا تقدَّمتها همزةُ الاستفهام معطوفاً عليه محذوفاً، ورَدَدْنا عليه ذلك.

وقرأ الأعرج وعمرو بنُ فائد: «وإذا قِيْلَ أنَّ وَعْدَ الله» بفتح الهمزة[(٣)]، وذلك على لغة سُلَيم، والجمهور: «إنَّ» بكسرها.

وقرأ الجمهور: «والسَّاعةُ» بالرَّفع على الابتداء، ومَن زَعَم أنَّ لاسم «إنَّ» موضعاً جوَّز العطفَ عليه هنا، أو زَعَم أنَّ لـ «إنَّ» واسمها موضعاً جوَّز العطفَ عليه، وبالعطف على الموضع لـ «إنَّ» واسمِها هنا قال أبو عليٍّ - ذكره في «الحُجَّة» وتَبِعَه الزمخشريُّ - فقال: وبالرَّفع عطفاً على محلِّ «إنَّ» واسمها[(٤)]. والصحيح المَنْع.

وحمزة: بالنَّصْب[(٥)]، عطفاً على «وَعْد الله» وهي مرويَّةٌ عن الأعمش وأبي عَمرو وعيسى وأبي حَيوة والعبسيّ والمفضَّل.

«إنْ نَظنُّ إلَّا ظَنًّا» تقول: ضَرَبت ضَرْباً، فإنْ نَفيتَ لم تُدخِل «إلَّا»، إذ لا يفرغ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨٩، وخبرُ ابنِ عباس عند الطبريّ ٢١/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٥١٣.

(٣) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمينُ في الدر المصون ٩/ ٦٥٥.

(٤) الكشاف ٣/ ٥١٣، وينظر الحجَّة للفارسي ٦/ ١٧٩-١٨٠.

(٥) السبعة ص٥٩٥، والتيسير ص١٩٩، وينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٨٩.

العامل للمصدر المؤكّد، فلا تقول: ما ضَربتُ إلَّا ضرباً، ولا: ما قمتُ إلَّا قياماً، فأمَّا الآية فتُؤوَّل على حذفِ وصفٍ للمصدر حتى يصيرَ مختصًّا لا مؤكّداً، وتقديره: إلَّا ظَنًّا ضعيفاً، أو على تضمين: نظنّ معنى: نَعتقد، ويكون «ظنًّا» مفعولاً به، وقد تأوّل ذلك بعضُهم على وضع «إلَّا» غير موضعها، وقال: التقدير: إنْ نحن إلَّا نظنُّ ظنًّا، وحُكي هذا عن المبرِّد قال: ونظيرُه ما حكاه أبو عمرو بنُ العلاء وسيبويه مِن قول العرب ليس الطِّيْبُ إلَّا المِسْكُ. قال المبرِّد: تقديره: ليس إلَّا الطِّيْبُ المِسْكُ[١]. انتهى.

واحتاج إلى هذا التقدير كون المِسْك مرفوعاً بعد «إلَّا»، وأنت إذا قلت: ما كان زيدٌ إلَّا فاضلاً، نصبت، فلمَّا وقع بعد «إلَّا» ما يظهر أنَّه خبر «ليس» احتاج أَنْ يُزَحْزح «إلَّا» عن موضعها ويجعل في «ليس» ضمير الشأن، ويرفع «إلَّا الطِّيْبُ المِسْكُ» على الابتداء والخبر، فيصير المقدَّر كالملفوظ به في نحو: ما كان إلَّا زيدٌ قائمٌ، ولم يَعرف المبرِّد أنَّ «ليس» في مِثْلِ هذا التركيب عامَلَتْها بنو تميم معاملة «مَا» فلم يُعملوها، فـ «إلَّا» باقية مكانها، و«ليس» غيرَ عاملة، وليس في الأرض حجازيّ إلَّا وهو يَنصِب في نحو: ليس الطِّيْب إلَّا المِسْك، ولا تميميّ إلَّا وهو يَرفع، وفي ذلك حكاية جَرَت بين عيسى بنِ عُمر وأبي عَمرو بنِ العلاء ذَكَرناها فيما كَتبناه مِن عِلْم النَّحو، ونظير: «إنْ نظنُّ إلَّا ظَنًّا» قولُ الأعشى:

وحَلَّ به الشَّيْبُ أثقالَه ... وما اغْترَّهُ الشَّيْبُ إلَّا اغترارا[٢]

أي: اغترارا بيِّناً.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما معنى: «إنْ نَظنُّ إلَّا ظَنًّا»؟

قلت: أصله: نَظُنُّ ظَنًّا، ومعناه إثباتُ الظَّنِّ [٣]فحسب، وأدخل حرفا النفي والاستثناء ليُفاد إثبات الظَّنِّ[٣] مع نفي ما سِواه، وزِيْدَ نفيُ ما سوى الظَّنِّ توكيداً بقوله: «وما نحن بمُسْتَيقنين»[٤]. انتهى. وهذا كلامُ مَن لا شعورَ له بالقاعدة

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٦٣.
(٢) ديوان الأعشى ص٤٥، ووقع فيه: وما اعترَّه... اعترارا.
(٣-٣) ليست في المطبوع.
(٤) الكشاف ٣/ ٥١٣.

النَّحْوِيَّة مِن أنَّ التفريغَ يكون في جميع المعمولات مِن فاعلٍ ومفعولٍ وغيره إلَّا المصدر المؤكّد، فإنَّه لا يكون فيه.

وقدَّره بعضهم: إنْ نظنُّ إلَّا أنَّكم تظنُّون ظنًّا، قال: وإنَّما احتيجَ إلى هذا التقدير؛ لأنَّه لا يجوز في الكلام: ما ضَربتُ إلَّا ضرباً، فاهتدى إلى هذه القاعدة النحويَّة، وأخطأ في التخريج (١لأنَّه حذف «إنَّ» واسمها وخبرها وأبقى المصدر، وذلك لا يجوز، وهذا التخريج١) محكيّ عن المبرِّد، ولعلَّه لا يصحُّ.

وقولهم: «إنَّ نظنُّ» دليلٌ على أنَّ الكفَّارَ قد أخبروا بأنَّهم ظنُّوا البَعْثَ واقعاً، ودلَّ قولهم قَبْلُ: «إنْ هيَ إلَّا حياتنا الدنيا» على أنَّهم منكرونَ البَعْثَ، فهم ـ والله أعلم ـ فرقتان واضْطَربوا، فتارة أنكروا وتارةً ظنُّوا، أو قالوا: إنْ نظنُّ إلَّا ظنًّا على سبيل الهُزْء.

«وبَدَا لهم سيئاتُ ما عَملوا» أي: قبائحُ أعمالهم، أو عقوباتُ أعمالهم السَّيِّئات، وأطلق على العقوبة سيِّئة، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]. «وحَاقَ بهم» أي: أحاط، ولا يُستعمل حاق إلَّا في المكروه.

«نَنْسَاكم» نَتْرُككم في العذاب، أو نجعلكم كالشيء المَنْسِيّ الملقى غير المبالَى به «كما نَسيتم لقاءَ يومكم» أي: لقاءَ جزاءِ اللهِ على أعمالكم، ولم تخطروه على بَالٍ بَعْدَ ما ذكرتم به وتقدَّم إليكم بوقوعه، وأضاف اللقاء لليوم؛ توسُّعاً، كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣].

وقرأ الجمهور: «لا يُخرَجون» مبنيًّا للمفعول، والحسن وابنُ وثَّاب وحمزة والكسائيُّ: مبنيًّا للفاعل(٢)، «منها» أي: مِن النار، «ولا هم يُستعتبون» أي: بطلب منهم مُراجعة إلى عملٍ صالح، وتقدَّم الكلام في الاستعتاب.

وقرأ الجمهور: «رَبّ» بالجرِّ في الثلاثة على الصفة، وابنُ محيصن بالرَّفع فيهما على إضمار «هو»(٣).

(١-١) ليست في المطبوع.

(٢) أي: «لا يَخْرجون». السبعة ص٥٩٥، والتيسير ص١٧٥؛ وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٩٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٧٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٩٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٧٤.

مفردات سورة الأحقاف

الحِقْفُ: رملٌ مستطيل مرتفِعٌ فيه اعوجاجٌ وانحِناءٌ، ومنه احقَوْقَفَ الشيءُ: اعوَجَّ(١). قال امرؤ القيس:

فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتَحى بِنا بطنُ حِقْفٍ ذي رُكامٍ عَقَنْقَلِ(٢)

عَيِيَ بالأمر: إذا لم يَعْرِف جهتَه(٣). ويجوز فيه الإدغام، فتقول: عَيَّ، كما قلتَ في حَيِيَ: حَيَّ. قال الشاعر:

عَيُّوا بأمرِهِمُ كما عَيَّتْ ببيضَتِها الحمامَهْ(٤)

* * *

سورة الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٣.

(٢) ديوان امرئ القيس ص١٥. والعَقَنْقَل: العظيم الكثيب المتداخل الرمل. اللسان (عقل).

(٣) زاد المسير ٧/ ٣٩١ نقلاً عن الزجاج.

(٤) البيت لعبيد بن الأبرص كما في أدب الكاتب لابن قتيبة ص٦٧-٦٨، والصحاح (عيي)، وزهر الأكم ٢/ ١٩٠، وهو في ديوان عبيد ص١٣٨ بلفظ:

بَرِمَتْ بنو أسدٍ كما بَرِمَتْ ببيضتِها الحمامَهْ

ونُسب لسلامة بن جندل، وهو في ديوانه ص٢٤٨.

والكلام بنحوه في تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣١-٢٣٢.

بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية، وعن ابن عباس وقتادة أنَّ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ و﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ﴾ الآيتين [١٠ و٣٥] مدنيتان[١].

ومناسبة أوَّلها لما قبلها أنَّ في آخر ما قبلها ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾، وقلتُم: إنَّه عليه الصلاة والسلام اختلقَها، فقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ وهاتان الصفتان هما آخِرُ تلك، وهما أول هذه.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: موعدٍ لفساد هذه البِنْية[٢]. قال ابن عباس: هو القيامة. وقال غيره: أي: أجل كلِّ مخلوق[٣].

﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، وأن تكون بمعنى الذي[٤].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٧٠، وزاد المسير ٧/ ٣٦٨ لكن فيهما قول ابن عباس وقتادة: فيها آية مدنية، وهي: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. ثم قال ابن الجوزي: وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين... فذكرهما. وذكر الماوردي عن الكلبي بأن الآية المدنية هي قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الآية: ١٠]. قلت: هما آية واحدة. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٩١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٩١.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٧١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٩١.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ معناه: أخبِروني عن الذين تَدْعون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام توبيخ، ومفعول «أرأيتم» الأول هو «ما تدعون»، و«ماذا خلقوا» جملة استفهامية يطلبها «أرأيتم»؛ لأنَّ مفعولَها الثاني يكون استفهاماً، ويطلبها «أروني» على سبيل التعليق، فهذا من باب الإعمال؛ أعمل الثاني، وحذفَ مفعولَ «أرأيتم» الثاني، ويمكن أن يكون «أروني» توكيداً لـ«أرأيتم»، لأنَّ «أرأيتم» بمعنى أخبِروني، وأروني أخبروني، كأنَّهما بمعنى واحد.

وقال ابن عطية[1]: يحتمل «أرأيتم» وجهين؛ أحدهما أن تكون متعدِّية و«ما» مفعولة بها، ويحتمل أن تكون «أرأيتُم» منبهة لا تتعدَّى، وتكون «ما» استفهاماً على معنى التوبيخ، و«تَدْعون» معناه: تعبدون. انتهى.

وكونُ «أرأيتُم» لا تتعدَّى وأنَّها منبهةٌ، شيءٌ قاله الأخفش في قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣]. والذي يظهر أنَّ «ما تدعون» مفعول «أرأيتم» كما هو في قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ في سورة فاطر [الآية: ٤١] وتقدَّم الكلامُ على نظير هذه الجملة فيها، وقد أمعَنَّا الكلامَ في «أرأيتم» في سورة الأنعام[2] فيُطالَعُ هناك.

و ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تفسيرٌ للمبهَم في ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ والظاهر أنَّه يريدُ من أجزاء الأرض، أي: خَلْقُ ذلك إنَّما هو لله، أو يكون على حذف مضاف، أي: من العالي على الأرض، أي: على وجهها من حيوان أو غيره.

ثمَّ وقفهم على غباوتهم فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: بل ألهم شرك في السماوات.

﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: من قبل هذا الكتاب وهو القرآن، يعني أنَّ هذا القرآنَ ناطقٌ بالتوحيد وبإبطال الشِّرك، وكلُّ كتُبِ اللهِ المُنزَلَة ناطقةٌ بذلك، فطلب منهم أن يأتوا بكتابٍ واحدٍ يشهدُ بصحَّة ما هم عليه من عبادة غير الله ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقيةٍ من علم، أي: من علوم الأولين، من قولهم: سَمِنَتِ الناقةُ على أثارةٍ من شَحْم، أي: على بقيَّة شحمٍ كانت بها من شحمٍ ذاهب[3].

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٩١.
(٢) الآية (٤٦) منها.
(٣) الكشاف ٣/ ٣١٥.

و«الأثارة» تُستعمل في بقية الشرف؛ يقال: لبني فلانٍ أَثارةٌ من شرف، إذا كانت عندهم شواهدُ قديمةٌ، وفي غير ذلك قال الراعي:

وذاتِ أثارةٍ أكلَتْ عليها[(١)] نباتاً في أكِمَّتِهِ قِفارا[(٢)]

أي: بقية من شحم.

وقرأ الجمهور: «أو أثارة»، وهو مصدر كالشجاعة والسماحة[(٣)]، وهي البقية من الشيء كأنها أثَره. وقال الحسن: المعنى: من علم استخرجتموه فتثيرونه[(٤)]. وقال مجاهد: المعنى: هَلْ مِنْ أحدٍ يأثر علماً في ذلك. وقال القُرَظي[(٥)]: هو الإسناد. ومنه قول الأعشى:

إنَّ الذي فيه تمارَيْتُما بُيِّنَ للسَّامع والآثِرِ[(٦)]

أي: وللمسنِد عن[(٧)] غيره، ومنه قول عمر ﷺ: فما حلَفْتُ به ذَاكراً ولا آثِراً[(٨)].

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن وقَتادة: المعنى: أو خاصَّةٍ من علم[(٩)].

---

(١) المثبت من (د٣) وهو الموافق لما في المصادر سوى المحرر الوجيز ٥/ ٩٢ ـ والكلام فيه ـ ففيه: عليه. وفي باقي النسخ: علينا.

(٢) ديوان الراعي النميري ص١٤١، وهو في النكت والعيون ٥/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٨٠، والخزانة ١٠/ ١٤١.
ونُسب البيت أيضاً للشماخ، وهو في ديوانه ص٤٤٥، وتاج العروس واللسان (أثر) والأكِمَّة. جمع كِمّ: وهو غطاء النَّور وغلافه. قِفاراً: خالياً من الناس.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٥٠.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٣٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٥٠، والنكت والعيون ٥/ ٢٧١، وزاد المسير ٧/ ٣٦٩. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢١٥، والطبري ٢١/ ١١٤. وقول مجاهد الآتي في هذه المصادر ـ سوى تفسير عبد الرزاق ـ بنحوه.

(٥) تحرفت في (ع) و(يه) والمطبوع إلى: القرطبي. والقرظي: هو محمد بن كعب، وقوله في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٥٠.

(٦) ديوان الأعشى ص١٩١، والخزانة ٣/ ٤٠٠.

(٧) المثبت من (يه)، وفي (د٢) و(ع) والمطبوع: وللمسند عين، وفي (ز٢): وللمستند عين، وفي (د٣): وللسند من، وفي المحرر الوجيز: وللسند عن.

(٨) أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦)، وأحمد (٤٥٤٨).

(٩) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٥٠، وهو عن قتادة في معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٠، والنكت والعيون

فاشتقاقُها من الأَثَرة، فكأنَّها قد آثَرَ اللهُ بها مَن هي عنده.

وقال ابن عباس: المراد بالأثارة الخطُّ في التراب[١]، وذلك شيء كانت العرب تفعلُه وتتكهَّن به وتَزْجُر.

وتفسير الأثارة بالخطِّ[٢] يقتضي تقويةَ أمر الخطِّ في التراب، وأنَّه شيءٌ له وجه إذا وُفِّقَ أحدٌ إليه.

وقيل: إنْ صحَّ تفسيرُ ابن عباس الأثارةَ بالخطِّ في التراب، كان ذلك من باب التهكُّم بهم وبأقوالهم ودلائلهم.

وقرأ عليٌّ وابن عباس بخلافٍ عنهما، وزيد بن علي، وعكرمة، وقَتادة، والحسن، والسُّلَمي، والأعمش، وعَمرو بن ميمون: «أو أَثَرةٍ» بغير ألف[٣]، وهي واحدة، جَمْعُها أَثَر، كقَتَرة وقَتَر. وعليٌّ، والسُّلَمي، وقتادة أيضاً بإسكانِ الثاء[٤]، وهي الفَعْلة الواحدة ممَّا يؤثَر، أي: قد قنعتُ لكم بخبرٍ واحدٍ أو أثرٍ واحدٍ يشهد بصحةِ قولكم.

وعن الكسائي ضمُّ الهمزة وإسكان الثاء. وقال ابن خالويه[٥]: وقال الكسائي على لغة أخرى: إِثْرَة وأُثْرَة، يعني بكسر الهمزة وضمِّها.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ استفهام تَوبيخ لعبدة الأصنام، أي: لا أَحَدَ أضلُّ ـ أي: أبلغُ في الضلال ـ ممَّن يعبد الأصنام وهي جمادٌ لا قدرةَ لها على استجابة دعائهم ما دامتِ

= ٥/ ٢٧١، وزاد المسير ٧/ ٣٦٩. وأخرجه عنه عبد الرزاق ٢/ ٢١٥، والطبري ٢١/ ١١٤.

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ١١٣، والحاكم ٢/ ٤٥٤ موقوفاً عليه. وأخرجه أحمد (١٩٩٢)، والنحاس في معاني القرآن ٦/ ٤٣٩، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٤٥٠، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٧٢٥) عنه مرفوعاً.

(٢) يعني في حديثٍ ذكره ابن عطية في المحرر ٥/ ٩٢ (والكلام منه) ولم يرد في النسخ الخطيَّة.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٩، والمحتسب ٢/ ٢٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٢.

(٤) القراءات الشاذة ص١٣٩، وزاد المسير ٧/ ٣٦٩ عن السلمي وقتادة، والمحتسب ٢/ ٢٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٢ عن علي والسلمي.

(٥) في القراءات الشاذة ص١٣٩.

الدنيا، أي: لا يستجيبون لهم أبداً؛ ولذلك غَيَّا انتفاءَ استجابتهم بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ومع ذلك لا شعورَ لهم بعبادتهم إيَّاهم، «وهم» في الآخرة أعداءٌ لهم، فليس لهم في الدنيا بهم نفعٌ، وهم عليهم في الآخرة ضررٌ، كما قال تعالى: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

وجاء «مَن لا يستجيب»؛ لأنَّهم يُسنِدون إليهم ما يُسنَد لأُولي العلم من الاستجابة والغفلة، أو كأن «مَنْ لا يستجيب» يُرادُ به مَنْ عُبِد من دون الله من إنسٍ وجِنٍّ وغيرِهما، وغَلَّبَ مَنْ يعقل، وحَمَلَ أولاً على لفظ «من لا يستجيب»، ثمَّ على المعنى في «وهم» من ما بعدَه.

والظاهر عَوْدُ الضمير أولاً على لفظ «من لا يستجيب»، ثمَّ على المعنى في «وهم» على معنى «مَن» في «مَنْ لا يستجيب» كما فسَّرناه. وقيل: يعود على معنى «مَنْ» في «ومَنْ أضَلُّ» أي: والكفار عن ضلالهم بأنَّهم يَدْعون مَنْ لا يستجيبُ غافلون لا يتأمَّلون ما عليهم في دعائهم مَنْ هذه صفته.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ جمع بَيِّنة، وهي الحُجَّة الواضحة، واللام في «للحقِّ» لام العِلَّة، أي: لأجل الحقِّ، وأتى بالظاهِرَين بدلَ المُضمَرَين في «قال الذين كفروا للحقِّ»، ولم يأتِ التركيبُ: قالوا لها؛ تنبيهاً على الوصفين، وصْفِ المتلوِّ عليهم بالكفر، ووصْفِ المتلوِّ عليهم بالحق[1]. ولو جاء بهما مُضْمَرَين[2] لم يكن في ذلك دليلٌ على الوصْفَين من حيث اللفظ، وإنْ كان مَنْ سمَّى الآياتِ سحراً هو كافرٌ، والآيات في نفسِها حقٌّ، ففي ذِكْرِهما ظاهِرَين يستحيل على القائلين بالكفر وعلى المتلوِّ بالحقِّ.

وفي قوله: ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ تنبيهٌ على أنَّهم لم يتأمَّلوا ما يُتلى عليهم، بل بادهوه أوَّلَ سماعِه إلى نسبتِه إلى السحر؛ عناداً وظُلْماً، ووصفوه بـ «مُبين»، أي: ظاهرٌ أنَّه سِحْرٌ لا شُبهةَ فيه[3].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١٦ بنحوه.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: الوصفين.

(٣) الكشاف ٣/ ٥١٦ بنحوه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: بل أيقولون اختَلَقَه[١]، انتقلوا من قولهم: «هذا سحر» إلى هذه المقالة الأخرى.

والضمير في «افتراه» عائدٌ إلى الحق، والمراد به الآيات[٢].

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ على سبيل الفَرْض فاللهُ حسبي في ذلك، وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه ولا يُمهلني، فلا تملكون لي من رَدِّ عقوبةِ الله لي شيئاً، فكيف أفتريه وأتعرَّضُ لعقابه؟ يقال: فلانٌ لا يَمْلِك إذا غَضِب، ولا يملك عِنانَه إذا صمَّمَ، ومثله: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١]، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا أمْلِكُ لكم من الله شيئاً»[٣]، ثمَّ استسلم إلى الله واستنصرَ به، فقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تندفِعون فيه من الباطل ومرادَّةِ الحقِّ وتسميتِه تارةً سحراً وتارةً فِرْيةً.

والضمير في «فيه» يحتمل أن يعود على «ما» أو على القرآن، و«به» في موضع الفاعل بـ «كفى» على أصحِّ الأقوال[٤].

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: شهيداً لي بالتبليغ والدعاء إليه، وشهيداً عليكم بالتكذيب ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ عِدَةٌ لهم بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر، وإشعارٌ بحلمه تعالى عليهم إذ لم يُعاجِلْهم بالعقاب إذ كان ما تقدَّم تهديداً لهم في أن يُعاجِلَهم على كفرهم[٥].

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي: جاء قبلي غيري. قاله ابن عباس والحسن وقَتادة. والبِدْعُ والبديعُ من الأشياء: ما لم يُرَ مثلُه، ومنه قول عَديِّ بن زيد أنشده قُطْرُب:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٥١٦.
(٣) هو قطعة من حديث عائشة ﵂ أخرجه مسلم (٢٠٥)، وأحمد (٢٥٠٤٤). والكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٥١٦-٥١٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣ بنحوه. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٥٩.
(٥) الكشاف ٣/ ٥١٧ ببعضه.

فما أنا بِدْعٌ من حوادثَ تَعْتَري رجالاً عَرَتْ من بعد بؤسَى فأَسْعُدِ[١]

والبِدْعُ والبَديعُ، كالخِفِّ والخفيف[٢]. والبِدْعةُ: ما اختُرِعَ ممَّا لم يكُنْ موجوداً[٣]. وأبدَعَ الشاعرُ: جاء بالبديع، وشيءٌ بِدْعٌ ـ بالكسر ـ أي: مُبْتَدَعٌ، وفلانٌ بِدْعٌ في هذا الأمر، أي: بديعٌ، وقومٌ أبداعٌ عن الأخفش[٤].

وقرأ عكرمةُ، وأبو حَيْوة، وابن أبي عَبْلة بفتحِ الدال[٥]، جمع بِدْعة، وهو على حذف مضافٍ، أي: ذا بِدَعٍ. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون صفةً على فِعَلٍ، كقولهم: دِينٌ قِيَمٌ، ولحمٌ زِيَمٌ[٦]. انتهى. وهذا الذي أجازه إن لم يُنقَلِ استعمالُه عن العرب لم نُجِزْه؛ لأنَّ «فِعَلاً» في الصفات لم يَحفَظْ منه سيبويه إلَّا عِدًى. قال سيبويه: ولا نعلمه جاء صفةً إلَّا في حرف مُعتَلٍّ يوصَفُ به الجمع، وهو: قومٌ عِدًى[٧]. وقد استَدْرَكَ[٨] واستدراكُه صحيح، وأمَّا «قِيَمٌ» فأصلُه قيام، وقِيَمٌ مقصورٌ منه؛ ولذلك اعتلَّتِ الواوُ فيه، إذ لو لم يكن مقصوراً لصَحَّتْ كما صَحَّتْ في حِوَل وعِوَض.

وأمَّا قولُ العرب: مكانٌ سِوًى، وماءٌ رِوًى، ورجلٌ رِضًى، وماءٌ صِرًى، وسِبًى طيِّبة، فمتأوَّلَةٌ عند التَّصريفيِّين[٩]، لا يُثبِتون بها «فِعَلاً» في الصفات.

وعن مجاهد وأبي حَيْوة: «بَدِعاً» بفتح الباء وكسر الدال كحَذِرٍ.

﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ أي: فيما يُستقبَلُ من الزمان، أي: لا عِلْمَ لي

---

(١) ديوان عدي بن زيد ص١٠٤، وهو في تفسير الطبري ٢١/ ١١٩، والنكت والعيون ٥/ ٢٧٢، والحماسة البصرية ٢/ ٤٩، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٥٠٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٨٤. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٩٣. ووقع في بعض المصادر: «غدَتْ» أو «أتَتْ» بدل «عَرَتْ»، و«بأسعدِ» بدل «فأسعُدِ».

(٢) الكشاف ٣/ ٥١٧.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٤. وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩٣.

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٩، والمحتسب ٢/ ٢٦٤. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٩٣.

(٦) الكشاف ٣/ ٥١٧. والزِّيَم: المُتفرِّق. ينظر روح المعاني ٢٥/ ٦٤.

(٧) الكتاب ٤/ ٢٤٤.

(٨) يعني الزمخشري صفة زِيَم، انظر روح المعاني ٢٥/ ٦٤، والدر اللقيط ٨/ ٥٦ (بهامش البحر).

(٩) تحرفت في (ز٢) و(ع) والمطبوع إلى: البصريين. وينظر الدر المصون ٩/ ٦٦٣.

بالغيب[١]، فأفعالُه تعالى وما يُقدِّره لي ولكم من قضاياه لا أعلَمُها. وعن الحسن وجماعةٍ: وما أدري ما يصيرُ إليه أمري وأمرُكم في الدنيا، ومَن الغالبُ مِنَّا والمغلوب. وعن الكلبي: قال له أصحابُه وقد ضجروا من أذى المشركين: حتَّى متى نكونُ على هذا؟ فقال: «ما أدري ما يُفعَلُ بي ولا بِكُم، أأُتْرَكُ بمكة أم أُومَرُ بالخروج إلى أرضٍ قد رُفِعَتْ لي ورأيتُها ـ يعني في منامِه ـ ذاتِ نخلٍ وشجر»[٢].

وقال ابن عباس وأنس بن مالك وقَتادة والحسن وعكرمة: معناه: في الآخرة، وكان هذا في صدر الإسلام، ثمَّ بعد ذلك عرَّفَه الله تعالى أنَّه قد غفرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخَّرَ، وأنَّ المؤمنين لهم من الله فضلٌ كبيرٌ وهو الجنة، وبأنَّ الكافرين في نار جهنَّم. وهذا القول ليس بظاهر، بل قد أعلَم سبحانه مِنْ أوَّلِ الرسالة حالَ الكافر وحالَ المؤمن. وقيل: ﴿مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ من الأوامر والنواهي وما يلزم الشريعة. وقيل: نزلت في أمرٍ كان النبيُّ ﷺ ينتظِرُه من الله في غيرِ الثواب والعقاب.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ استسلامٌ وتبرُّؤٌ من علم المُغيَّبات، ووقوفٌ مع النِّذارة[٣] من عذاب الله.

وقرأ الجمهور: «ما يُفعَلُ» بضم الياء مبنيًا للمفعول. وزيد بن عليّ وابنُ أبي عبلة بفتحها.

والظاهر أنَّ «ما» استفهامية و«أدري» مُعلَّقةٌ، فجملة الاستفهام في موضع المفعول، و«ما» مبتدأة، و«يَفْعَلُ» الخبر. وقال الزمخشري: ويجوز أن تكون موصولةً منصوبة[٤]. انتهى.

والفصيحُ المشهورُ أنَّ «أدري» يتعدَّى بالباء؛ ولذلك حين عُدِّي بهمزة النقل تعدَّى بالباء، نحو قوله: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦]، فجَعْلُ «ما» استفهاميةً هو الأولى والأَجْوَد، وكثيراً ما عُلِّقَتْ في القرآن نحو ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]،

(١) العبارة في المطبوع: لا أعلم مالي. والكلام في الكشاف ٣/ ٥١٧.
(٢) أخرجه بنحوه الواحدي في أسباب النزول ص٤٠١ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ. وإسناده ضعيف جداً؛ الكلبي ـ وهو محمد بن السائب ـ متروك. وأبو صالح ـ وهو باذام مولى أم هانئ ـ ضعيف يرسل.
(٣) بعدها في المطبوع زيادة كلمة: إلَّا. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٩٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٥١٨. ومن قوله: في موضع المفعول... إلى هنا ليس في المطبوع.

و«يُفْعَل» مثبَتٌ غيرُ منفيٍّ، لكنَّه قد انسحب عليه النفيُ؛ لاشتماله على «ما» و«يفعل»؛ فلذلك قال: «ولا بِكُم»، ولولا اعتبارُ النفيِ لكان التركيبُ: ما يُفْعَلُ بي وبِكُم، ألا ترى زيادةَ «مِن» في قوله: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٥] لانسحاب قولِه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على «يوَدُّ» وعلى مُتعلِّق «يَوَدُّ»، وهو «أنْ يُنزِّلَ» فإذا انتفَتْ ودادةُ التنزيل انتفى التنزيل.

وقرأ ابن عُمير: «ما يُوحِي» بكسر الحاء، أي: اللهُ عزَّ وجلَّ[١].

«قل أرأيتُم» مفعولا «أرأيتُم» محذوفان؛ لدلالة المعنى عليهما، والتقدير: أرأيتُم حالَكم إن كان كذا، ألستم ظالمين؟ فالأول: حالَكم، والثاني: ألستُم ظالمين؟ وجواب الشَّرط محذوف، أي: فقد ظلمتُم؛ ولذلك جاء فعلُ الشَّرط ماضياً.

وقال الزمخشري: جواب الشرط محذوف تقديره: إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتُم به ألستُم ظالمين؟ ويدلُّ على هذا المحذوف قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]. انتهى. وجملةُ الاستفهام لا تكون جواباً للشرط إلَّا بالفاء، فإنْ كانت الأداةُ الهمزةَ تقدَّمتِ الفاءَ، نحو: إنْ تَزُرْنا أَفَما نُحْسِنُ إليك؟ أو غيرَها تقدَّمتِ الفاءُ، نحو: إنْ تَزُرْنا فهَلْ ترى إلَّا خيراً؟ فقول الزمخشري: ألستُم ظالمين؟ بغير فاء؛ لا يجوز أن يكون جوابَ الشَّرط.

وقال ابن عطية: و«أرأيتُم» يحتمل أن تكون مُنبِّهة، فهي لفظٌ موضوعٌ للسؤال لا يقتضي مفعولاً، ويحتمل أن تكون الجملة «كان» وما عمِلَتْ فيه تسُدُّ مَسَدَّ مفعولَيها[٣]. انتهى. وهذا خلافُ ما قرَّره مُحقِّقو النُّحاة في «أرأيتُم». وقيل: جواب الشَّرط «فآمَن واستكبرتُم» أي: فقد آمنَ محمدٌ به أو الشاهد، واستكبرتم أنتم عن الإيمان. وقال الحسن: تقديره: فمَنْ أضَلُّ منكم؟ وقيل: فمَنِ المُحِقُّ منَّا ومِنْكم ومَنِ المُبْطِل؟ وقيل: أفما تهلكون؟[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٨ دون نسبة القراءة.

(٢) الكشاف ٣/ ٥١٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٩٤.

(٤) هذه الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٧/ ٣٧٤، ونقل القول الثاني عن الثعلبي، وهو في تفسيره =

والضمير في «به» عائدٌ على ما عاد عليه اسم «كان»، وهو القرآن. وقال الشَّعبي: يعود على الرسول[(١)].

و«الشاهد» عبد الله بن سلام. قاله الجمهور وابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن سيرين[(٢)]، والآية مدنية[(٣)].

وعن عبد الله بن سلام: نزلت فيَّ آياتٌ من كتاب الله، نُزلت فيَّ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾[(٤)].

وقال مسروق: «الشاهد» موسى عليه السلام لا ابن سلام؛ لأنَّه أسلم بالمدينة، والسورة مكية، والخطاب في ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ لقريش[(٥)].

وقال الشَّعبي: الشاهد مَنْ آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة؛ لأنَّ ابنَ سلام أسلَم قبل وفاة النبيِّ ﷺ بعامين، والسورة مكية[(٦)]. وقال سعد بن أبي وقاص ومجاهد وفرقةٌ: الآية مكية، والشاهد عبد الله بن سلام، وهي من الآيات التي تضمَّنت غيباً أبرزَه الوجود[(٧)].

وإسلامُ عبد الله بن سلام مذكورٌ في الصحيح[(٨)]، وفيه بَهْتُ اليهود له لعنهم الله.

ومِنْ كَذِبِ اليهود وجهلِهم بالتاريخ ما يعتقدونه في عبد الله بن سلام أنَّه ﷺ حين سافر إلى الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها اجتمع بأحبار اليهود، وقصَّ عليهم

= ٥/ ٤٥٤، والقول الثالث عن الماوردي، ولم أجده في النكت والعيون.
(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٨، والكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٣٧٢.
(٢) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٥٤، والنكت والعيون ٥/ ٢٧٣، وتفسير السمعاني ٥/ ١٥١، وزاد المسير ٧/ ٣٧٣. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢١٥ عن قتادة، والطبري ١٩/ ١٢٨-١٢٩. عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٩٤ عن الحسن ومجاهد وابن سيرين.
(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦) و(٣٨٠٣). وفي إسناده ابن أخي عبد الله بن سلام، وهو مجهول.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٨.
(٦) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٤. وينظر هذا القول في النكت والعيون ٣/ ٢٧٣، وأخرجه بنحوه الطبري ٢١/ ١٢٥-١٢٦.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٩٤.
(٨) صحيح البخاري (٣٣٢٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أحلامَه، فعلِموا أنَّه صاحبُ دولة وعَمُوا، فأصحَبوه عبدَ الله بن سلام، فقرأ عليه علومَ التوراة وفِقْهَها مدَّةً، زعموا وأفرطوا في كذبهم إلى أن نسبوا الفصاحةَ المعجزةَ التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام، وعبد الله هذا لم تُعلَمْ له إقامةٌ بمكة ولا تردَّدَ إليها، فما أكذبَ اليهودَ وأبْهَتَهم لعنهم الله! وناهيكَ من طائفةٍ ما ذُمَّ في القرآن طائفةٌ مِثْلُها.

❁ ❁ ❁

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

قال قتادة: هي مقالة كفار قريش[١].

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: لأجل الذين آمنوا[٢]. واللام للتبليغ.

ثمَّ انتقلوا إلى الغَيبة في قولهم: «ما سبقونا إليه»، ولو لم ينتقلوا لكان الكلام: ما سبقتُم إليه. أو: لمَّا سمعوا أنَّ جماعةً آمنوا خاطبوا جماعةً من المؤمنين، أي:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٩٥. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢١٦، والطبري ٢١/ ١٣٢-١٣٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٥١٩.

قالوا للذين آمنوا: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، أولئك الذين بلَغَنا إيمانُهم[١]. يريدون عماراً وصُهيباً وبلالاً ونحوَهم ممَّن أسلَمَ وآمَنَ بالنبيِّ ﷺ[٢].

وقال الكلبي والزجَّاج: هي مقالةُ كنانةَ وعامرٍ وسائرِ قبائل العرب المجاورة، قالت ذلك حين أسلمَتْ غفار ومُزَينة وجُهينة[٣]، أي: لو كان هذا الدِّينُ خيراً ما سبَقَنا إليه الرُّعاة. وقال الثعلبي: هي مقالة اليهود حين أسلمَ ابنُ سلام وغيرُه منهم[٤]. وقال أبو المتوكِّل: أسلم أبو ذرٍّ، ثم أسلمَتْ غفار، فقالت قريش ذلك[٥]. وقيل: أسلمَتْ أَمَةٌ لعمر، فكان يضرِبُها حتى يفتُرَ، ويقول: لولا أنِّي فتَرْتُ لزِدْتُكِ ضرباً. فقال كفار قريش: لو كان ما يدعو إليه محمدٌ حقًّا ما سبقَتْنا إليه فلانة[٦].

والظاهرُ أنَّ اسمَ «كان» هو القرآنُ، وعليه يعودُ «به»، ويُؤيِّده «ومِنْ قبلِهِ كتابُ موسى». وقيل: «بِهِ» عائدٌ على الرسول، والعامل في «إذْ» محذوفٌ، أي: وإذْ لم يهتدوا به ظهرَ عِنادُهم. وقوله: «فسيقولون» مُسبَّبٌ عن ذلك الجواب المحذوف؛ لأنَّ هذا القول هو ناشئٌ عن العِناد، ويمتنعُ أن يعمل في «إذْ» «فسيقولون»؛ لحيلولة الفاء، ولتَعانُدِ زمان «إذْ» وزمانِ ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ كما قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]. وقدَّمه بمرور الأعصار عليه.

ولمَّا طعنوا في صِحَّة القرآن قيل لهم: إنَّه أنزلَ اللهُ من قبلِه التوراةَ على موسى، وأنتم لا تُنازِعون في ذلك، فلا يُنازَعُ في إنزال القرآن.

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ١١ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٩٥، والكلام الآتي منه.
(٣) قول الكلبي نقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٧٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٥، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٤٤٠.
(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٥٤ بنحوه.
(٥) هو في النكت والعيون ٥/ ٢٧٤، وزاد المسير ٧/ ٣٧٥.
(٦) هو بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٢٧٤ عن عروة بن الزبير، وفي زاد المسير ٧/ ٣٧٥ عن أبي الزناد.

﴿إِمَامًا﴾ أي: يُهتَدى به؛ إذْ فيه البشارةُ بمبعَثِ رسول الله ﷺ وإرسالِه، فيلزَمُ اتّباعُه والإيمانُ به[١].

وانتصب «إماماً» على الحال[٢]، والعاملُ فيه العاملُ في «ومِنْ قبلِه» أي: وكتاب موسى كائنٌ من قبلِ القرآن في حالِ كَوْنِه إماماً.

وقرأ الكلبي: «كتابَ موسى» نصبَ «كتاب»[٣]، وفتَحَ ميمَ «مَن» على أنَّها موصولة، تقديره: وآتينا الذي قبلَه كتابَ موسى[٤].

وقيل: انتصب «إماماً» بمحذوف، أي: أنزلناه إماماً[٥]، أي: قدوةً يؤتَمُّ به، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمن عمِلَ به.

﴿وَهَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ له، أي: لكتاب موسى؛ وهي التوراة التي تضمَّنت خبرَه وخبرَ مَنْ جاء به وهو الرسول، فجاء هو مصدِّقاً تلك الأخبار، أو مصدِّقاً للكتب الإلهية[٦].

و﴿لِّسَانًا﴾ حال من الضمير في «مصدِّقٌ»، والعامل فيه «مُصدِّقٌ»، أو من «كتاب»؛ إذ قد وصفَ العاملَ فيه اسمُ الإشارة[٧]، أو «لساناً» توطئة، والحال في الحقيقة هو «عربيّاً»، أو على حذفٍ، أي: ذا لسانٍ عربيٍّ[٨]، فيكون مفعولاً بـ «مُصدِّقٌ» أي: هذا القرآنُ مصدِّقٌ مَنْ جاء به وهو الرسول، وذلك بإعجازِه وأحوالِه البارعة[٩]. وقيل: انتصب على إسقاط الخافض، أي: بلسانٍ عربي[١٠].

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ١٢ بنحوه.
(٢) الكشاف ٣/ ٥١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٥، وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٣٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٩٥.
(٤) الكشاف ٣/ ٥١٩.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٢.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٩٥ بنحوه.
(٧) الكشاف ٣/ ٥٢٠.
(٨) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٦.
(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٩٥-٩٦.
(١٠) تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٢.

وقرأ أبو رجاء، وشيبة، والأعرج، وأبو جعفر، وابن عامر، ونافع، وابن كثير في رواية: «لِتُنْذِرَ» بتاء الخطاب للرسول. والأعمش وابنُ كثير أيضاً، وباقي السبعة بياء الغَيبة، أي: ليُنذِر القرآنُ[(١)].

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: الكفارُ عُبَّاد الأصنام، حيث وضعوا العبادة في غيرِ مَنْ تستحِقُّه.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾ قيل: معطوف على «مُصدِّق» فهو في موضع رفع[(٢)]، أو على إضمار «هو»[(٣)]. وقيل: منصوب بفعلٍ محذوفٍ معطوفٍ على «ليُنذِرَ»، أي: ويُبَشِّر بشرى[(٤)]. وقيل: منصوبٌ على إسقاط الخافض، أي: ولبشرى[(٥)].

وقال الزمخشريُّ[(٦)] وتبعه أبو البقاء[(٧)]: «وبُشرى» في محلِّ النصب، معطوفٌ على محلِّ «ليُنذِر»؛ لأنَّه مفعولٌ له. انتهى. وهذا لا يجوز على الصحيح من مذهب النَّحْويين؛ لأنَّهم يشترطون في الحمل على المحلِّ أن يكون المحلُّ بحقِّ الأصالة، وأن يكون للموضع مُحْرِزاً، والمحلُّ هنا ليس بحقِّ الأصالة؛ لأنَّ الأصلَ هو الجرُّ في المفعول له، وإنَّما النَّصبُ ناشئٌ عن إسقاط الخافض، لكنَّه لمَّا كثُرَ بالشروط المذكورة في النَّحو وصلَ إليه الفِعْلُ فنصبَه.

ولمَّا عبَّرَ عن الكفار بالذين ظلموا، عَبَّر عن المؤمنين بالمحسنين؛ ليُقابِلَ بلفظ الإحسان لفظَ الظلم[(٨)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ تقدَّم الكلامُ على نظير هذه الآية في سورة فُصِّلت[(٩)].

---

(١) ينظر السبعة ص٥٩٦، والتيسير ص١٩٩. وقرأ ـ أيضاً ـ «لتُنْذِر» يعقوب، وهو من العشرة، وقراءتهُ وقراءةُ أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٧٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٩٦.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٩٦.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.
(٦) في الكشاف ٣/ ٥٢٠.
(٧) في الإملاء ٢/ ٢٣٤.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٩٦.
(٩) عند الآية (٣٠) منها.

ولـمَّـا ذكـرَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ قـال: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ إذْ كـان بِرُّ الـوالـديـن ثانـيَ أفضلِ الأعمال؛ إذ في الصحيح: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ فقال: «الصلاةُ على ميقاتها» قال: ثمَّ أيّ؟ قال: «ثُمَّ برُّ الوالدين»[1]، وإذْ كان عقوقُهما ثانيَ أكبرِ الكبائر؛ إذ قال عليه الصلاة والسلام: «ألا أُنبِّئُكم بأكبرِ الكبائر؟ الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين»[2] والواردُ في برِّهما كثير.

وقرأ الجمهور: «حُسْناً» بضمِّ الحاء وإسكان السين[3]. وعليٌّ، والسُّلَميُّ، وعيسى بفتحهما[4]. وعن عيسى بضَمِّهما[5]. والكوفيون: «إحساناً».

فقيل: ضمَّنَ «ووصَّينا» معنى ألزمنا، فيتعدَّى لاثنين، فانتصب «حُسْناً» و«إحساناً» على المفعول الثاني لـ «وَصَّينا». وقيل: التقدير: إيصاءً ذا حُسْنٍ، أو ذا إحسانٍ. ويجوز أن يكون «حُسْناً» بمعنى إحسانٍ، فيكون مفعولاً له، أي: ووصَّيناه بهما لإحسانِنا إليهما، فيكون الإحسانُ من الله تعالى[6].

وقيل: النصب على المصدر على تضمين «وصَّينا» معنى: أحْسَنَّا بالوصية للإنسان بوالديه إحساناً[7].

وقال ابن عطية: ونُصِبَ هذا ـ يعني «إحساناً» ـ على المصدرِ الصريح والمفعولِ الثاني في المجرور، والباء متعلِّقةٌ بـ «وصَّينا»، أو بقوله: «إحساناً»[8]. انتهى.

ولا يصحُّ أن يتعلَّق بـ «إحساناً»؛ لأنَّه مصدرٌ مُقَدَّرٌ بحرفٍ مصدريٍّ والفعل، فلا يتقدَّم معمولُه عليه، ولأنَّ «أحسَنَ» لا يتعدَّى بالباء، إنَّما يتعدَّى باللام، تقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥)، وأحمد (٣٨٩٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، وأحمد (٢٠٣٨٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(٣) السبعة ص٥٩٦، والتيسير ص١٩٩.
(٤) المحتسب ٢/ ٢٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٦. وهي في القراءات الشاذة ص١٣٩ عن علي، وفي إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٦٣ عن عيسى بن عمر.
(٥) القراءات الشاذة ص١٣٩.
(٦) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٤.
(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٢.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٩٦.

أحسنتُ لزيدٍ، ولا تقول: أحسنتُ بزيدٍ، على معنى أنَّ الإحسانَ يصِلُ إليه.

وتقدَّم الكلامُ على ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ في سورة العنكبوت[١]، والجَرُّ هنا بالكلام على ذلك مزيدٌ للفائدة.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ ليس الكُرْه في أوَّل عُلوقها، بل في ثاني استمرار الحَمْل حين تتوقع حوادثه. ويحتمل أن يُراد في وقت الحمل؛ إذ لا تدبيرَ لها في حملِه ولا تركِه[٢]. انتهى. ولا يلحقُها كُرْهٌ إذ ذاك، فهذا احتمال بعيد. وقال مجاهد والحسن وقَتادة: المعنى: حملَتْه مشقَّةً، ووضعَتْه مشقَّةً[٣].

وقرأ الجمهور بضمِّ الكاف. وشيبة، وأبو جعفر، والأعرج، والحِرْميان، وأبو عمرو بالفتح[٤]. وبهما معاً أبو رجاء، ومجاهد، وعيسى. والضمُّ والفتحُ لغتان بمعنًى واحد، كالفُقْر والفَقْر. وقالت فرقة: بالضمِّ: المَشقة، وبالفتح: الغلَبة والقهر. وضعَّفوا قراءةَ الفتح. وقال بعضهم: لو كان بالفتح لرمَتْ به عن نفسها، إذ معناه القهرُ والغلَبة. انتهى. وهذا ليس بشيء؛ إذ قراءةُ الفتح في السبعة المتواترة.

وقال أبو حاتم: القراءة بفتح الكاف لا تَحْسُن؛ لأنَّ الكَرْهَ ـ بالفتح ـ الغَضْبُ والغَلَبة[٥]. انتهى. وكان أبو حاتم يطعن في بعض القراءات بما لا عِلْمَ له به؛ جسارةً منه عفا الله عنه.

وانتصابهما على الحال من ضمير الفاعل، أي: حملَتْه ذاتَ كُرْهٍ، أو على أنَّه نعتٌ لمصدرٍ محذوف، أي: حملاً ذا كُرْهٍ.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: ومُدَّةُ حَمْلِه وفصاله[٦]. وهذا لا يكون إلَّا بأن يكونَ أحدُ الطرفين ناقصاً، إمَّا بأنْ تلِدَ المرأةُ لستةِ أشهر وتُرْضِعَ عامين، وإمَّا

---

(١) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٩٧. ومن قوله: استمرار الحمل... إلى: وقت الحمل؛ ليس في المطبوع.

(٣) أخرجه عنهم الطبري ٢١/ ١٣٧، وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٤٤٢، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٧٦.

(٤) وقرأ بها ـ أيضاً ـ ابن عامر في رواية هشام عنه. ينظر السبعة ص٥٩٦، والتيسير ص١٩٩، والنشر ٢/ ٢٤٨. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٩٧ بنحوه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٦٤.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٢٠، وما قبله منه.

أنْ تلِدَ لتسعةٍ على العُرْف وترضعَ عامين غيرَ رُبْع عام، فإنْ زادَتْ مدةُ الحمل نقصَتْ مدةُ الرَّضاع، وبالعكس، فيترتَّبُ من هذا أنَّ أقلَّ مدَّةٍ ستةُ أشهر، وأقلَّ مدَّةِ الرَّضاعِ عامٌ وتسعةُ أشهر، وإكمالُ العامين لمن أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضاعة[١].

وقد كشفتِ التجربةُ أنَّ أقلَّ مدَّةِ الحمل ستَّةُ أشهر كنصِّ القرآن. وقال جالينوس: كنتُ شديدَ الفَحْصِ عن مقدار زمن الحمل، فرأيتُ امرأةً ولَدَتْ لمئةٍ وأربعٍ وثمانينَ ليلةً. وزعم ابنُ سينا[٢] أنَّه شاهدَ ذلك. وأمَّا أكثرُ الحمل فليس في القرآن ما يدلُّ عليه. قال ابن سينا في «الشفاء»: بلغني من جهةِ مَنْ أثِقُ به كلَّ الثِّقة أنَّ امرأةً وضعَتْ بعد الرابع من سِنيِّ الحمل ولداً نبتَتْ أسنانُه. وحُكِيَ عن أرسطاطاليس أنَّه قال: إنَّ أزمنة[٣] الحمل لكلِّ الحيوان مضبوطةٌ سوى الإنسان، فرُبما وضعَتْ لسبعة أشهر ولثمانية، وقلَّما يعيش الولدُ في الثامن إلَّا في بلادٍ مُعيَّنة مثل مصر. انتهى.

وعبَّرَ عن مدَّة الرَّضاع بالفصال لَمَّا كان الرَّضاعُ يلي الفِصال ويُلابِسُه؛ لأنَّه ينتهي به ويتِمُّ سُمِّي به[٤].

وقرأ الجمهور: «وفِصالُه»، وهو مصدر فاصل، كأنَّه من اثنين، فاصَلَ أمَّه وفاصلَتْه.

وقرأ أبو رجاء، والحسن، وقتادة، والجَحْدري: «وفَصْلُه»[٥]. قيل: والفَصْلُ والفِصالُ مصدران كالفَطْمِ والفِطام.

وهنا لطيفةٌ؛ ذكَرَ تعالى الأمَّ في أربعةِ مراتب، في قوله: «بوالديه»، وحملِه ووَضْعِه وإرضاعِه المعبَّرِ عنه بالفِصال. وذكرَ الوالدَ في واحدةٍ في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، فناسبَ ما قال الرسولُ مِنْ جَعْلِ ثلاثةِ أرباعِ البِرِّ للأمِّ والربعِ للأبِ في قول الرجل: يا رسولَ الله، مَنْ أبَرُّ؟ قال: «أمَّك» قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أمَّك» قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أمَّك» قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أباك»[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩٧. ومن قوله: وبالعكس... إلى مدة الرضاع، ليس في المطبوع.

(٢) من هنا يبدأ سقط في (ز٢) ينتهي ص٢٠٨.

(٣) في (ع) والمطبوع: مدة، والمثبت من (يه) و(د٣) وتفسير الرازي ٢٨/ ١٥، والكلام منه.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٢١.

(٥) وهي قراءة يعقوب من العشرة. ينظر النشر ٢/ ٣٧٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٩٧.

(٦) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٢٠٠٢٨)، وأبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧) من حديث =

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ في الكلام حذفٌ تكونُ «حتَّى» غايةً له، تقديره: فعاش بعد ذلك، أو استمرَّتْ حياتُه.

وتقدَّم الكلامُ في «بلَغَ أَشُدَّه» في سورة يوسف[1].

والظاهرُ ضَعْفُ قولِ من قال: بلوغُ الأَشُدِّ أربعون؛ لعطف «وبلَغَ أربعين سنة»، والعطف يقتضي التغاير، إلَّا إنِ ادُّعيَ أنَّ ذلك توكيدٌ لبلوغ الأَشُدِّ فيمكن، والتأسيس أولى من التأكيد، وبلوغُ الأربعين اكتمالُ العقل وظهورُ الفَلاح. قيل: ولم يُبعَثْ نبيٌّ إلَّا بعد الأربعين[2]. وفي الحديث: «إنَّ الشيطانَ يجرُّ يدَه على وجهِ مَنْ زاد على الأربعينَ ولم يتُبْ، ويقول: بأبي وجهٌ لا يُفلِح»[3].

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ تقدَّم الكلامُ على هذا في سورة النمل[4].

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ سألَ ربَّه[5] أن يجعلَ ذُرِّيته موقعاً للصَّلاح ومَظِنَّةً له، كأنَّه قال: هَبْ لي الصَّلاح في ذُرِّيتي، وأوقِعْه فيهم[6]. أو ضمَّن «وأصلِحْ لي» معنى والطُفْ بي في ذريتي؛ لأنَّ «أَصْلَحَ» يتعدَّى بنفسه؛ لقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠] فلذلك احتيجَ قولُه: «في ذرِّيتي» إلى التأويل.

قيل: نزلَتْ في أبي بكرٍ ﷺ، وتتناولُ مَنْ بعدَه، وهو مشكلٌ؛ لأنَّها نزلت

= معاوية بن حيدة ﷺ، وفيه أنه هو الذي سأل رسولَ الله ﷺ. وأخرجه بنحوه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، وأحمد (٨٣٤٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٩٧.

(١) عند تفسير الآية (٢٢) منها.
(٢) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي ص١٢٦: لم أجده. وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص٣٧٢ وقال: قال ابن الجوزي: إنه موضوع؛ لأن عيسى عليه السلام نُبِّئ ورُفع إلى السماء وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة، فاشتراط الأربعين في حقِّ الأنبياء ليس بشيء.
(٣) لم أجد من أخرجه، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩٧.
(٤) عند تفسير الآية (١٩) منها.
(٥) كلمة «ربّه» من (د٣).
(٦) الكشاف ٣/ ٥٢١.

بمكة، وأبوه أسلم عام الفتح[١]، ولقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ فلم يُقصَدْ بذلك أبو بكر ولا غيرُه، والمراد بالإنسان الجنس؛ ولذلك أشار بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ جمعاً[٢].

وقرأ الجمهور: «يُتَقَبَّلُ» مبنيًّا للمفعول «أحسَنُ» رفعاً، وكذا «ويُتجاوَزُ». وزيد بن علي، وابن وثَّاب، وطلحة، وأبو جعفر، والأعمش بخلافٍ عنه، وحمزة، والكسائي، وحفص: «نَتقبَّلُ» «أحسنَ» نصباً، و«نَتجاوز» بالنون فيهما[٣]. والحسن، والأعمش، وعيسى بالياء فيهما مفتوحةً ونَصْبِ «أحسنَ»[٤].

﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ قيل: «في» بمعنى «مع»[٥]. وقيل: هو نحوُ قولِك: أكرَمَني الأميرُ في ناسٍ من أصحابه، تريد: في جملةِ مَنْ أكرَمَ منهم، ومحلُّه النصب على الحال على معنى: كائنين في أصحاب الجنة[٦].

وانتصب «وعدَ الصِّدقِ» على أنَّه مصدرٌ مُؤكِّدٌ لمضمون الجملة السابقة، لأنَّ قوله: «أولئك الذين يتقبَّلُ» وعدٌ منه تعالى بالتقبُّل والتجاوز.

ولمَّا ذكر تعالى الإنسانَ البارَّ بوالديه وما آلَ إليه من الخير، ذكرَ العاقَّ لوالديه وما آلَ إليه من الشر، والمراد بـ «الذي» الجنس؛ ولذلك جاء الخبرُ مجموعاً في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾. وقال الحسن: هو الكافرُ العاقُّ بوالديه المنكرُ البعثَ[٧].

وقول مروان بن الحكم وتبِعَه قَتادة أنَّها نزلَتْ في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، قولٌ خطأٌ ناشئٌ عن جَوْرٍ حين دعا مروانُ ـ وهو أميرُ المدينة ـ إلى مبايعة

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩٨ بنحوه.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٢١ بنحوه.
(٣) ينظر السبعة ص٥٩٧، والتيسير ص١٩٩، والنشر ٢/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٨.
(٤) القراءات الشاذة ص١٣٩ عن عيسى والأعمش، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٨ عن الحسن.
(٥) زاد المسير ٧/ ٣٧٩.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٢١، وما بعده منه. وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٦٧٠ وجهاً ثالثاً فقال: والثالث: أنَّها خبر مبتدأٍ مضمَرٍ، أي: هم في أصحاب الجنة.
(٧) أخرجه الطبري ٢١/ ١٤٥.

يزيد، فقال عبد الرحمن: جعلتُموها هِرَقليَّة، كلَّما ماتَ هِرَقلُ وليَ ابنُه، وكلَّما مات قيصرُ وليَ ابنُه؟! فقال مروان: خذوه، فدخلَ بيتَ أخته عائشة ﵂. وقد أنكرَتْ ذلك عائشةُ وقالت وهي الصدوقة: لم ينزِلْ في آلِ أبي بكرٍ من القرآن غيرُ براءتي[(١)]، وقالت: واللهِ ما هو بهِ، ولو شئتُ أن أُسمِّيَه لسمَّيْتُه. وصدَّت مروانَ وقالت: ولكِنَّ اللهَ لعنَ أباكَ وأنتَ في صُلْبِهِ، فأنتَ فَضَضٌ من لعنةِ الله[(٢)].

ويدلُّ على فساد هذا القول أنَّه قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ وهذه صفاتُ الكفارِ أهلِ النار، وكان عبد الرحمن من أفاضلِ الصحابة وسَرَواتِهم وأبطالِهم، وممَّن له في الإسلام غَناء يوم اليمامة وغيره.

﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ تقدَّم[(٣)] الكلامُ على «أُفٍّ» مدلولاً ولغاتٍ وقراءةً في سورة الإسراء[(٤)] [آية: ٢٣].

واللام في «لكُما» للبيان، أي: لكما أعني التَّأفيف[(٥)].

وقرأ الجمهور: «أتعِدانِني» بنونين الأولى مكسورة. والحسن، وعاصم، وأبو عمرو في رواية، وهشام بإدغام نون الرفع في نون الوقاية[(٦)]. وقرأ نافع في رواية، وجماعةٌ بنون واحدة[(٧)]. وقرأ الحسن، وشيبة، وأبو جعفر بخلافٍ عنه،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩٩. وأخرج البخاري في صحيحه (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك... فقالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أنَّ الله أنزل عذري.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٢٧)، والحاكم ٤/ ٤٨١ من طريق محمد بن زياد الجمحي... فذكره دون قوله: لم ينزل في آل أبي بكر غير براءتي. قال الذهبي: فيه انقطاع؛ محمد لم يسمع من عائشة. والكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٥٢٢. وقوله: جعلتموها هرقلية. أراد أن البيعة لأولاد الملوك سنة ملوك الروم والعجم. وهرقل: اسم ملِك الروم. وقولها: فأنت فَضَضٌ من لعنة الله؛ أراد قطعةً وطائفةً منها. النهاية (هرقل) و(فضض).

(٣) هنا ينتهي السقط في (ز٢) المشار إليه في ص٢٠٥.

(٤) عند تفسير الآية (٢٣) منها.

(٥) الكشاف ٣/ ٥٢٢.

(٦) القراءات الشاذة ص١٣٩، لكن قراءة هشام - يعني عن ابن عامر - في التيسير ص١٩٩. وهي غير مشهورة عن عاصم وأبي عمرو، فالمشهور عنهما كقراءة الجمهور.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٩٩، والمشهور عن نافع كقراءة الجمهور، لكن بفتح الياء. ووافقه عليها ابن كثير من السبعة، وأبو جعفر من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٧٣.

وعبد الوارث عن أبي عمرو، وهارون بن موسى عن الجَحْدري، وبسام[١] عن هشام بفتح النون الأولى[٢]، كأنَّهم فرُّوا من الكسرتين والياء إلى الفتح؛ طلباً للتخفيف ففتحوا، كما فَرَّ مَنْ أدغمَ ومَنْ حذف. وقال أبو حاتم: فتح النون باطل غلط[٣].

﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أخرج من قبري للبعث والحساب[٤].

وقرأ الجمهور: «أن أُخرجَ» مبنيًّا للمفعول. والحسن، وابن يَعْمَر، والأعمش، وابن مُصَرِّف، والضحَّاك مبنيًّا للفاعل[٥].

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ أي: مضَتْ ولم يخرج منهم أحدٌ ولا بُعِثَ. وقال أبو سليمان الدمشقي: وقد خلَتِ القرونُ من قبلي مُكذِّبةً بالبعث[٦].

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾يقال: استغثْتُ اللهَ واستغثْتُ بالله، والاستعمالان في لسان العرب. وقد ردَدْنا على ابن مالك إنكارَ تعديته بالباء، وذكرنا شواهد على ذلك في الأنفال[٧]. أي: يقولان: الغِياثُ باللهِ منكَ ومن قولك، وهو استعظامٌ لقوله.

﴿وَيْلَكَ﴾ دعاءٌ عليه بالثُّبور، والمراد به الحثُّ والتحريض على الإيمان، لا حقيقةُ الهلاك[٨]. وقيل: «وَيْلَك» لمن يُحَفِّز ويُحرِّك لأمرٍ يستعجل إليه[٩].

وقرأ الأعرج، وعمرو بن فائد: «أنَّ وعدَ الله» بفتح الهمزة[١٠]، أي: آمِنْ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ. والجمهور بكسرها.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعله محمد بن محمد بن بسام البسامي، فقد روى القراءة عن هشام فيما ذكر ابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ٢٣٩.

(٢) القراءات الشاذة ص١٣٩ عن عبد الوارث عن أبي عمرو، والمشهور عن أبي عمرو وهشام - يعني عن ابن عامر - كقراءة الجمهور، وكذلك هي عن أبي جعفر، لكن بفتح الياء.

(٣) وهو قول النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦٥.

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٤٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٥٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٩٩، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٩ عن الحسن.

(٦) زاد المسير ٧/ ٣٨١، ونسب القول الأول لمقاتل.

(٧) عند تفسير الآية (٩) منها.

(٨) الكشاف ٣/ ٥٢٢.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٩٩.

(١٠) القراءات الشاذة ص١٣٩ عن عمرو بن فائد، والمحرر الوجيز ٥/ ٩٩ عن الأعرج.

﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾أي: ما هذا الذي يقولان من الوعد بالبعث من القبور إلَّا شيءٌ سطَّره الأولون في كتبهم ولا حقيقةَ له. قال ابن عطية: وظاهرُ ألفاظ هذه الآية أنَّها نزلَتْ في مُشارٍ إليه قال وقيل له، فنفى اللهُ أقوالَه تحذيراً من الوقوع في مثلِها.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ظاهرُه أنَّه إشارةٌ إلى جنسٍ يتضمَّنه قولُه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾، ويَحتمِلُ أن تكون الآيةُ في مُشارٍ إليه، ويكون قولُه في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بمعنى: صِنْفُ هذا المذكور وجنسُه هم الذين حَقَّ عليهم القول، أي: قولُ الله أنَّه يُعذِّبهم.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: في جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يقتضي أنَّ الجنَّ يموتون قرناً بعد قرنٍ كالإنس. وقال الحسن في بعض مجالسه: الجن لا يموتون، فاعترضَه قَتادة بهذه الآية، فسكت[(١)].

وقرأ العباس عن أبي عمرو: «أنَّهم كانوا» بفتح الهمزة[(٢)]، والجمهور بالكسر.

﴿وَلِكُلٍّ﴾أي: من المُحْسِن والمُسيء ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ غلَّب درجات؛ إذِ الجنةُ درجات، والنارُ درَكات، والمعنى: منازل ومراتب من جزاءِ ما عملوا من الخير والشرِّ، أو من أجل ما عملوا منهما[(٣)].

قال ابن زيد: درجات المحسنين تذهب عُلْواً، ودرجاتُ المسيئين تذهب سُفْلاً[(٤)]. انتهى.

والمعلَّلُ محذوفٌ تقديره: وليوفِّيَهم أعمالَهم قَدْرَ جزائِهم، فجعل الثوابَ درجاتٍ، والعقابَ دركاتٍ[(٥)].

وقرأ الجمهور: «وليُوفِّيَهم» بالياء، أي: الله تعالى. والأعمش، والأعرج، وطلحة[(٦)]، وشيبة، وأبو جعفر، والأخوان، وابن ذَكْوان، ونافع بخلافٍ عنه

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩٩-١٠٠.
(٢) القراءات الشاذة ص١٣٩.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٢.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٠، وأخرجه الطبري ٢١/ ١٤٦.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٢٣.
(٦) قوله: «وطلحة» من (يه) و(د٣).

بالنون[١]. والسُّلَميُّ بالتاء من فوق[٢]، أي: ولتُوَفِّيهم الدَّرجات، أسندَ التَّوفيةَ إليها مجازاً.

* * *

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ أي: يُعذَّب بالنار، كما يُقال: عُرِضَ على السيف؛ إذا قُتِلَ به. والعَرْضُ: المُباشَرَة، كما تقول: عرضتُ العودَ على النار، أي: باشرتُ به النار[٣].

وقال الزمخشري: ويجوز أن يُرادَ عرضُ النار عليهم؛ من قولهم: عرضْتُ الناقةَ على الحَوْض، يريدون عَرْضَ الحوضِ عليها، فقلَبوا. ويدلُّ عليه تفسيرُ ابن عباس: يُجاء بهم إليها فيُكشَفُ لهم عنها[٤]. انتهى.

ولا ينبغي حملُ القرآن على القلب؛ إذِ الصحيحُ في القلب أنَّه مما يُضطَرُّ إليه في الشعر، وإذا كان المعنى صحيحاً واضحاً مع عدم القلب فأيُّ ضرورةٍ تدعو

---

(١) ينظر السبعة ص٥٩٨، والتيسير ص١٩٩، والنشر ٢/ ٣٧٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٢٣.

إليه؟! وليس في قولهم: عرضتُ الناقةَ على الحوض، ولا في تفسير ابن عباس ما يدلُّ على القلب؛ لأنَّ عَرْضَ الناقة على الحوض وعَرْضَ الحوضِ على الناقة كلٌّ منهما صحيح؛ إذِ العرضُ أمرٌ نِسْبِيٌّ يصحُّ إسنادُه لكلٍّ واحدٍ من الناقة والحوض.

وقرأ الجمهور: «أذهبْتُم» على الخبر، أي: فيقال لهم: أذهبتُم؛ ولذلك حسُنَتِ الفاءُ في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾.

وقرأ قتادة، ومجاهد، وابن وثَّاب، وأبو جعفر، والحسن، والأعرج، وابن كثير بهمزةٍ بعدَها مَدَّة مُطَوَّلة. وابنُ عامر بهمزتين حقَّقَهما ابنُ ذكوان، وليَّنَ الثانيةَ هشام وابنُ كثير في رواية. وعن هشام الفصلُ بين المحقَّقة والمُلَيَّنة بألف[1].

وهذا الاستفهام هو على معنى التوبيخ والتقرير[2]، فهو خبر في المعنى؛ فلذلك حَسُنَتِ الفاءُ، ولو كان استفهاماً محضاً لم تدخُلِ الفاء.

و«الطَّيِّبات» هنا: المُسْتَلَذَّات من المآكلِ والمشاربِ والملابسِ والمفارشِ والمراكبِ والمواطئِ وغيرِ ذلك مما يتنعَّم به أهلُ الرفاهية. وهذه الآيةُ مُحرِّضةٌ على التقلُّلِ من الدنيا، وتركِ التنعُّمِ فيها، والأخذِ بالتقشُّفِ وما يَجتزئ به رمَقَ الحياة.

وعن رسولِ الله ﷺ في ذلك ما يقتضي التأسِّي به، وعن عمر في ذلك أخبارٌ تدلُّ على معرفته بأنواع الملاذِّ وعزوفِ نفسه الفاضلة عنها: أتظنُّون أنَّا لا نعرِفُ خَفْضَ العَيْشِ؟ ولو شئتُ لجعلتُ أكباداً وصِلاءً وصِناباً وصَلائِقَ، ولكنِّي أستبقي حسناتي، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ وصفَ أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[3]، والصِّلاء: الشِّواء. والصِّناب: المتَّخذ من الخَرْدَل والزَّبيب. والصَّلائق: الخبز الرِّقاق العريض. قال ابن عباس: وهذا من باب الزهد. وإلَّا فالآيةُ نزلَتْ في كفار قريش. والمعنى: أنَّه كانت تكون لكم طيبات الآخرة لو

---

(١) ينظر السبعة ص٥٩٨، والتيسير ص١٩٩، والنشر ١/٣٦٦.
(٢) معاني القرآن للنحاس ٦/٤٥١، وإعراب القرآن له أيضاً ٤/١٦٧.
(٣) النكت والعيون ٥/٢٨١. وأخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٥٧) من طريق الحسن بن دينار، عن الأحنف بن قيس، عن عمر رضي الله عنه.
وأخرجه بنحوه ابن المبارك في الزهد (٥٧٩)، وابن سعد في الطبقات ٣/٢٧٩، وأبو نعيم في الحلية ١/٤٩ من طريق جرير بن حازم، عن الحسن البصري، عن عمر رضي الله عنه.

آمنتُم، لكنَّكم لم تؤمنوا، فاستعجلتُم طيباتِكم في الحياة الدنيا. فهذه كنايةٌ عن عدم الإيمان؛ ولذلك نزلَتْ عليه: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾، ولو أُريدَ الظاهرُ ولم يكن كنايةً عمَّا ذكرنا لم يترتَّبْ عليه الجزاءُ بالعذاب.

وقُرِئ: «الهوان» وهو والهُوْن بمعنًى واحد[١].

ثمَّ بيَّنَ تلك الكناية بقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾أي: تترفَّعون عن الإيمان ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾أي: بمعاصي الجوارح، وقدَّم ذنبَ القلب وهو الاستكبار على ذنب الجوارح؛ إذْ أعمالُ الجوارح ناشئةٌ عن مُراد القلب[٢].

ولمَّا كان أهلُ مكة مستغرِقين في لذَّات الدنيا، مُعرِضين عن الإيمان وما جاء به الرسول ذكَّرهم بما جرى للعرب الأُولى وهم قومُ عاد، وكانوا أكثرَ أموالاً، وأشدَّ قوةً، وأعظمَ جاهاً منهم، فسلَّط عليهم العذابَ بسبب كفرهم.

وبِضَرْبِ الأمثال وقصص مَنْ تقدَّم تعرِفُ تقبيحَ الشيء وتحسينَه، فقال لرسوله ﷺ: «واذكُر» لقومك أهلِ مكة هوداً عليه السلام «إذ أنذرَ قومَه» عاداً عذابَ اللهِ «بالأحقاف» قال ابن عباس: وادٍ بين عُمان ومَهَرة. وقال ابن إسحاق: من عُمان إلى حَضْرَموت. وقال ابن زيد: رمال مُشرِفةٌ بالشِّحْر[٣] من اليمن. وقيل: بين مَهَرة وعَدَن. وقال قَتادة: هي بلاد الشِّحْر المواصلة للبحر اليماني. وقال ابن عباس أيضاً: هي جبلٌ بالشام. قال ابن عطية: والصحيح أنَّ بلادَ عادٍ كانت باليمن، ولهم كانت إرَمُ ذات العماد[٤].

وفي ذكر هذه القصة اعتبارٌ لقريش وتسليةٌ للرسول إذ كذَّبه قومُه كما كذَّبت عادٌ هوداً عليه السلام[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٣.

(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٥ بنحوه.

(٣) الشِّحْر: ساحل اليمن، وهو ممتدٌّ بينها وبين عُمان. معجم ما استعجم للبكري ٤/ ٧٨٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠١ دون قول ابن زيد، والنكت والعيون ٥/ ٣٨٢ بالأقوال الثلاثة الأولى، وزاد المسير ٧/ ٣٨٣-٣٨٤ بقول ابن إسحاق وقتادة وابن عباس الأخير. وأخرجها - دون القول الرابع وقول ابن عباس الأخير - الطبري ٢١/ ١٥١-١٥٣.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٩ بنحوه.

والجملة من قوله: «وقد خلتِ النُّذُر» وهو جمع نذير «من بين يديه ومن خلفه» يحتمل أن تكون حالاً من الفاعل في «أنذَرَ» «مِنْ بينِ يدَيه» وهم الرسل الذين تقدَّموا زمانَه «ومِنْ خلفِه» الرسلُ الذين كانوا في زمانه، ويكون على هذا معنى «ومِنْ خلفِه» أي: من بعد إنذارِه. ويحتمل أن يكون اعتراضاً بين «أنذَرَ قومَه» و«أن لا تعبدوا»، والمعنى: وقد أنذَرَ مَنْ تقدَّمَه من الرسل، ومَنْ تأخَّرَ عنه مثلَ ذلك، فاذكُرْهم(١).

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾ استفهامُ تقريرٍ وتوبيخٍ وتعجيزٍ له فيما أنذره إيَّاهم من العذاب العظيم على ترك إفراد الله بالعبادة.

﴿لِتَأۡفِكَنَا﴾ لتصرِفَنا. قاله الضحَّاك. أو: لتُزيلَنا عن آلهتنا بالإفك وهو الكذب، أي: عن عبادة آلهتنا(٢).

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ استعجالٌ منهم بحلول ما وعدَهم به من العذاب، ألا ترى إلى قوله: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ﴾(٣).

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: عِلْمُ وقتِ حُلولِه وليس تعيينُ وقتِه إليَّ، وإنَّما أنا مُبَلِّغٌ ما أرسلني به اللهُ إليكم(٤).

ولمَّا تحقَّقَ عندَه وعدُ اللهِ وأنَّه حالٌّ بهم وهم في غفلةٍ من ذلك وتكذيبٍ قال: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾ أي: عاقبةَ أمركم لا شعورَ لكم بها، وذلك واقعٌ لا محالة.

وكانت عاد قد حبسَ اللهُ عنها المطرَ أياماً، فساقَ اللهُ إليهم سحابةً سوداء خرجَتْ عليهم من وادٍ يُقال له: المغيث، فاستبشروا(٥).

والضمير في «رأَوْه» الظاهرُ أنَّه عائدٌ على ما في قوله: «بما تَعِدُنا» وهو العذاب(٦).

---

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٥٢٣-٥٢٤.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٨٣. والقول الثاني أخرجه الطبري ٢١/ ١٥٥ عن ابن زيد.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٤.
(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٥٥.
(٥) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢.

وانتصب «عارضاً» على الحال من المفعول[١].

وقال ابن عطية[٢]: ويحتمل أن يعود على الشيء المرئيِّ الطالعِ عليهم الذي فسَّرَه قولُه: «عارضاً».

وقال الزمخشري: «فلمَّا رأَوْه» في الضمير وجهان؛ أن يرجع إلى «ما تَعِدُنا» وأن يكون مُبهماً قد وضحَ أمرُه بقوله: «عارضاً» إمَّا تمييزاً وإمَّا حالاً، وهذا الوجه أعرَبُ وأفصَحُ[٣]. انتهى.

وهذا الذي ذكر أنَّه أعرَبُ وأفصَحُ ليس جارياً على ما ذكره النُّحاةُ؛ لأنَّ المُبهَمَ الذي يُفسِّره ويوضحه التمييز لا يكون إلَّا في باب «رُبَّ»، نحو: رُبَّ رجلاً لقيتُه، وفي باب «نِعْمَ» و«بِئْسَ» على مذهب البصريين، نحو: نِعْمَ رجلاً زيدٌ، وبِئْسَ غلاماً عمرٌو. وأمَّا أنَّ الحالَ يُوضحُ المُبهمَ ويُفسِّره فلا نعلم أحداً ذهب إليه، وقد حصر النُّحاةُ المُضْمَرَ الذي يُفسِّره ما بعدَه، فلم يذكروا فيه مفعولَ «رأى» إذا كان ضميراً، ولا أنَّ الحالَ يُفسِّر الضميرَ ويُوضحه.

والعارضُ: المُعترض في الجوِّ من السحابِ المُمْطر[٤]. ومنه قول الشاعر:

يا مَنْ رأى عارضاً أرِقْتُ لهُ ... بينَ ذِراعَيْ وجبهةِ الأسدِ[٥]

وقال الأعشى:

يا مَنْ رأى عارضاً قد بِتُّ أرمُقُهُ ... كأنَّما البرقُ في حافاتِهِ الشُّعَلُ[٦]

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ هو جمع وادٍ، وأفْعِلَة في جمع فاعل الاسم شاذٌّ، نحو:

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٤.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٤.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢.
(٥) البيت للفرزدق كما في الكتاب ١/ ١٨٠، والمقتضب ٤/ ٢٢٩، والحُلل في شرح أبيات الجُمل للبطليوسي ص٢١٣، والخزانة ٢/ ٣١٩. ولم أجده في ديوانه. ووقع في الكتاب والخزانة: أُسَرُّ به، بدل: أرِقْتُ لهُ. قال صاحب الخزانة: الذراعان والجبهة من منازل القمر الثمانية والعشرين، فالذراعان أربعة كواكب، كلُّ كوكبين منها ذراع.
(٦) ديوان الأعشى ص١٠٧، وفيه: أرقبُه، بدل: أرمقُه.

نادٍ وأنْدِية، وجائزٍ وأجْوِزة. والجائز: الخشبة الممتدَّة في أعلى السَّقْف. وإضافة «مستقبِل» و«مُمطِر» إضافةٌ لا تُعرِّفُ؛ فلذلك نعتَ بهما النَّكِرة.

﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم﴾أي: قال لهم: هو ذلك، أي: بل هو العذاب الذي استعجَلْتُم به، أضرَبَ عن قولهم: «عارضٌ مُمْطِرُنا» وأخبر بأنَّ العذابَ جاءهُم.

ثمَّ قال: ﴿رِيحٌ﴾أي: هي ريح. وقيل: «ريحٌ» بدلٌ من «هو»[(١)].

وقرأ قومٌ: «ما استُعْجِلْتُم» بضمِّ التاء وكسر الجيم[(٢)].

وتقدَّمت قصصٌ في «الريح»[(٣)] فأغنى عن ذِكْرها هنا.

﴿تُدَمِّرُ﴾أي: تُهلِكُ، والدَّمار: الهلاك[(٤)]. وتقدَّم ذِكْرُه[(٥)].

وقرأ زيد بن عليّ: «تَدْمُرُ» بفتح التاء وسكون الدال وضمِّ الميم. وقُرِئ كذلك إلَّا أنَّه بالياء ورفْعِ «كُلّ»[(٦)] أي: يَهْلِكُ كلُّ شيء، و«كلُّ شيء» عامٌّ مخصوصٌ، أي: من نفوسهم وأموالهم، أو ممَّا أُمِرَتْ بتدميرِه[(٧)].

وإضافة الربِّ إلى الريح دلالةٌ على أنَّها وتصريفَها ممَّا يشهد بباهر قدرته تعالى؛ لأنَّها من أعاجيب خلقِه، وأكابرِ جنودِه، وذكر الأمرَ لكونها مأمورةً من جهته تعالى[(٨)].

وقرأ الجمهور: «لا تَرى» بتاء الخطاب، «إلَّا مساكِنَهم» بالنصب. وعبد الله، ومجاهد، وزيد بن علي، وقَتادة، وأبو حَيْوة، وطلحة، وعيسى، والحسن

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢.
(٣) عند تفسير الآية (٧) من سورة هود، وتفسير الآية (١٨٩) من سورة الشعراء، وتفسير الآية (١٨) من سورة النمل.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢.
(٥) عند تفسير الآية (١٣٧) من سورة الأعراف، وتفسير الآية (١٦) من سورة الإسراء، وتفسير الآية (٣٦) من سورة الفرقان.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٢٤.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢.
(٨) الكشاف ٣/ ٥٢٥.

وعمرو بن ميمون بخلافٍ عنهما، وعاصم، وحمزة: «لا يُرى» بالياء من تحت مضمومة، «إلَّا مساكِنُهم» بالرفع[١]. وأبو رجاء ومالك بن دينار بخلافٍ[٢] عنهما، والجَحْدري، والأعمش، وابن أبي إسحاق، والسُّلَمي بالتاء من فوق مضمومة، «مساكِنُهم» بالرفع[٣]. وهذا لا يُجيزُه أصحابُنا إلَّا في الشعر، وبعضُهم يُجيزه في الكلام، وقال ذو الرُّمَّة:

كأنَّهُ جَمَلٌ هِمٌّ[٤] وما بقِيَتْ إلَّا النَّحيزةُ والألواحُ والعصَبُ[٥]

وقال آخر:

فما بقِيَتْ إلَّا الضُّلوعُ الجراشِعُ[٦]

وقرأ عيسى الهَمْداني: «لا يُرى» بضمِّ الياء، «إلَّا مسكَنُهم» بالتوحيد. ورُوي هذا عن الأعمش ونصر بن عاصم[٧]. وقُرئ: «لا تَرى» بتاء مفتوحة للخطاب،

---

(١) ينظر السبعة ص٥٩٨، والتيسير ص٢٠٠، والنشر ٢/ ٣٧٣.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢: بغير خلاف، ويؤيِّده ما في المحتسب ٢/ ٢٦٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٠، والمحتسب ٢/ ٢٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٢، وزاد المسير ٧/ ٣٨٥.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وكذا نقله عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٦٧٥، والآلوسي في روح المعاني ٢٥/ ١٠١، لكنَّ الذي في ديوان ذي الرمة ١/ ٤٣، وتهذيب اللغة ٦/ ٤٦٥، وتاج العروس واللسان (وهم) وغيرها من المصادر: كأنَّها جملٌ وَهْمٌ. ولعلَّ الذي في النسخ تحريفٌ، فقوله: «كأنَّه» لا يستقيم هنا؛ إذ المقصودُ ناقةُ ذي الرمَّة، ثم إنَّ «الهِمَّ» معناه كما في معجم متن اللغة ٥/ ٦٦١: الشيخ البالي الفاني، ويكون في الإبل مجازاً. وليس هو المُراد كما سيأتي في التعليق الآتي.

(٥) قال شارح ديوان ذي الرمَّة ١/ ٤٤: «الجمَلُ الوَهْم»: الضخم. و«النَّحيزة»: الطبيعة. و«ألواحُها»: عظامُها. يقول: هذه الناقة مذكَّرةٌ، خِلْقَتُها خِلْقَةُ جمل، وما بقِيَتْ منها بقية، أي: فنِيَتْ من السير والتعب.

(٦) القائل ذو الرمة، والبيت في ديوانه ٢/ ١٢٩٦، ونقله عنه ابن جنِّي في المحتسب ٢/ ٢٦٦، وصدره في الديوان: طوى النَّحْزُ والأجرازُ ما في غروضِها. وفي المحتسب: برى النَّحْزُ والأجْرالُ. . .
قال شارح الديوان: «النَّحْزُ»: ضَرْبُ الأعقاب والاستحثاث في السير. و«الجراشِع»: المنتفخ الجنبين.

(٧) المحتسب ٢/ ٢٦٥، وهي في القراءات الشاذة ص١٣٩ عن عيسى وحده، وفي المحرر =

«إلّا مسكنَهم» مفرداً منصوباً[١]. واجتُزِئ بالمفرد عن الجمع تصغيراً لشأنهم، وأنَّهم لمَّا هَلَكوا في وقتٍ واحدٍ فكأنَّهم كانوا في مسكنٍ واحدٍ.

ولمَّا أخبرَ بهلاك قوم عاد خاطبَ قريشاً على سبيل الموعظة، فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾، و«إن» نافية، أي: في الذي ما مكنَّاهم فيه من القوة والغنى والبَسْط في الأجسام والأموال، ولم يكنِ النَّفيُ بلفظ «ما» كراهةً لتكرير اللفظ وإن اختلف المعنى. وقيل: «إنْ» شرطية محذوفة الجواب، والتقدير: إن مكنَّاكم فيه طغيتُم[٢]. وقيل: «إنْ» زائدة بعد «ما» الموصولة[٣] تشبيهاً بـ «ما» النافية و«ما» التوقيتية، فهي في الآية كهي في قوله:

يُرَجِّي المرءُ ما إنْ لا يراهُ وتَعْرِضُ دونَ أدناهُ الخُطوبُ[٤]

أي: مكنَّاهم في مثل الذي مكنَّاكم فيه[٥].

وكونُها نافيةً هو الوجهُ؛ لأنَّ القرآنَ يدلُّ عليه في مواضعَ، كقوله: ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا﴾ [غافر: ٨٢]، وقوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، وهو أبلَغُ في التوبيخ، وأدْخَلُ في الحثِّ في الاعتبار[٦].

ثمَّ عدَّدَ نِعَمَه عليهم وأنَّها لم تُغْنِ عنهم شيئاً، حيث لم يستعملوا السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ فيما يجبُ أن يُسْتَعْمَل.

وقيل: «ما» استفهام بمعنى التقرير. وهو بعيدٌ لقوله: «من شيء»؛ إذ يصير التقدير: أيُّ شيءٍ ممَّا ذُكِرَ أغنى عنهم من شيء؟ فتكون «مِن» زِيدَتْ في الواجب، وهو لا يجوز على الصحيح.

= الوجيز ٥/ ١٠٣ عن الأعمش وعيسى.

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٤، وهي قراءة أبي عمران وابن السميفع كما في زاد المسير ٧/ ٣٨٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٣.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٥.

(٤) نسبه أبو زيد في النوادر ص٦٠ لجابر بن رَألان الطائي الجاهلي، وهو في الصاهل والشاحج ص٢٥٤، والخزانة ٨/ ٤٤٠ من دون نسبة.

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٠٨، وتفسير الرازي ٢٨/ ٢٩.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٢٦.

والعامل في «إذْ» «أغنى»، ويظهر فيها معنى التعليل، لو قلتَ: أكرمتُ زيداً لإحسانه إليَّ، أو: إذْ أحسَنَ إليَّ، استويا في الوقت، وفُهِمَ من «إذْ» ما فُهِمَ من لام التعليل، وأنَّ إكرامكَ إيَّاه في وقتِ إحسانه إليك إنَّما كان لوجودِ إحسانِه لك فيه.

❊ ❊ ❊

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ خطابٌ لقريش على جهة التَّمثيلِ لهم، والذي حولهم من القرى: مأرب، وحِجْر ثمود، وسَدُوم[1]، ويريد: مِنْ أهل القرى[2].

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: الحُججَ والدلائلَ والعِظاتِ لأهل تلك القرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمَّا هم فيه من الكفر إلى الإيمان، فلم يرجعوا[3].

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ أي: فهلَّا نصرَهم حين جاءهم الهلاك ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ أي:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٦.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٨. وينظر تفسير الطبري ٢١/ ١٦١، ومجمع البيان ٢٦/ ٢١.

اتَّخذوهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا﴾ أي: في حال التقرُّب وجَعْلِهم شفعاءَ ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ وهو المفعول الثاني لـ«اتَّخذوا»، والأول الضمير المحذوف العائد على الموصول[١]. وأجاز الحَوْفي وابن عطية[٢] وأبو البقاء[٣] أن يكون «قرباناً» مفعولاً ثانياً لـ «اتَّخذوا» و«آلهةً» بدلٌ منه.

وقال الزمخشري: و«قُرْباناً» حال، ولا يصحُّ أن يكون «قُرباناً» مفعولاً ثانياً، و«آلهةً» بدلٌ منه؛ لفساد المعنى. انتهى. ولم يُبيِّنِ الزمخشريُّ كيف يفسُدُ المعنى، ويظهر أنَّ المعنى صحيحٌ على ذلك الإعراب، وأجاز الحَوْفي ـ أيضاً ـ أن يكون «قُرباناً» مفعولاً من أجله.

﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ﴾ أي: غابوا عن نصرتهم[٤].

وقرأ الجمهور: «إِفْكُهم» بكسر الهمزة وإسكان الفاء وضمِّ الكاف. وابن عباس في رواية بفتح الهمزة. والإفْكُ والأَفْك مصدران.

وقرأ ابن عباس أيضاً، وابن الزُّبير، والصبَّاح بن العلاء الأنصاري، وأبو عياض، وعكرمة، وحنظلة بن النعمان بن مرَّة، ومجاهد: «أَفَكَهُم» بثلاث فتحات، أي: صَرَفهم. وأبو عياض وعكرمة أيضاً كذلك إلَّا أنَّهما شدَّدا الفاء للتكثير. وابن الزُّبير أيضاً، وابن عباس فيما ذكر ابن خالويه: «آفَكَهُم» بالمد[٥]، فاحتمل أن يكون «فاعَلَ» فالهمزة أصلية، وأن يكون «أفْعَلَ» والهمزة للتعدية، أي: جعلَهم يأفكون. ويكون «أفْعَل» بمعنى المُجرَّد.

وعن الفرَّاء أنه قُرِئ: «أَفَكُهُم» بفتح الهمزة والفاء وضمِّ الكاف، وهي لغةٌ في الإفك. وابن عباس فيما روى قطرب وأبو الفضل الرازي: «آفِكُهُم» اسم فاعل من «أفِكَ» أي: صارِفُهم. والإشارة بذلك على من قرأ «إفكهم» مصدراً إلى اتِّخاذ

---

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٥٢٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٣.
(٣) في الإملاء ٢/ ٢٣٥.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٢٦.
(٥) ينظر القراءات الشاذة ص١٣٩، والمحتسب ٢/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢١٩-٢٢٠.

الأصنام آلهةً، أي: ذلك كَذِبُهم وافتراؤهم(١).

وقال الزمخشري: «وذلكَ» إشارةٌ إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم، أي: وذلك أثَرُ إفكِهم الذي هو اتِّخاذهم إيَّاها آلهةً، وثمرةُ شركِهم وافترائهم على الله الكذبَ من كونهِ ذا شُركاء(٢). انتهى.

وعلى قراءة مَنْ جعلَه فعلاً معناه: وذلك الاتِّخاذُ صرَفَهم عن الحقِّ، وكذلك على قراءة اسم الفاعل، أي: صارِفُهم عن الحق.

ويحتمل أن تكون «ما» مصدرية، أي: وافتراؤهم، وأن تكون بمعنى الذي والعائد محذوفٌ، أي: يفترونه(٣).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ومناسبةُ هذه الآية لِما قبلَها أنَّه لمَّا بيَّن أنَّ الإنسَ مؤمنٌ وكافرٌ ذكرَ أنَّ الجِنَّ فيهم مؤمنٌ وكافرٌ، وكان ذلك بإثرِ قصة هود وقومه؛ لما كان عليه قومُه من الشدَّة والقوَّة، والجنُّ تُوصَفُ أيضاً بذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]، وأنَّ ما أُهلِكَ به قومُ هودٍ هو الرِّيح، وهو من العالَم الذي لا يُشاهد، وإنَّما يُحَسُّ بهبوبه، والجِنُّ أيضاً من العالم الذي لا يُشاهد، وأنَّ هوداً عليه السلام كان من العرب، ورسول الله ﷺ من العرب، فهذه تجوزُ أن تكونَ مناسبةً لهذه الآية بما قبلَها، وفيها أيضاً توبيخٌ لقريشٍ وكفار العرب حيث أُنزِلَ عليهم هذا الكتابُ المُعجِزُ، فكفروا به، وهم من أهل اللسان الذي أُنزِلَ به القرآن، ومن جنس الرسول الذي أُرسِلَ إليهم، وهؤلاء جِنٌّ فليسوا من جنسه، وقد أثَّرَ فيهم سماعُ القرآن وآمنوا به وبمن أُنزِلَ عليه، وعَلِموا أنَّه من عند الله، بخلاف قريشٍ وأمثالها، فهم مُصِرُّون على الكفر به(٤).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ وجَّهْنا إليك. وقُرئ: «صَرَّفْنا» بتشديد الراء؛ لأنَّهم كانوا جماعة؛ فالتكثير بحسب الحال. ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والنَّفَر دون العشرة، ويُجمَع

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٤. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٥٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٤.
(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٠ باختصار.

أنفاراً[١]. قال ابن عباس: كانوا سبعةً من أهل نَصيبين. وقال زِرّ: كانوا تسعة[٢]، منهم زَوْبعة[٣].

والذي يجمع اختلاف الروايات أنَّ قضيةَ الجِنّ كانت مرتين:

إحداهما حين انصرف من الطائف وكان خرجَ إليهم يستنصرهم في قصةٍ ذكرها أصحاب السِّيَر، فرُويَ أنَّ الجِنَّ كانت تسْتَرِقُ السمعَ، فلمَّا بُعِثَ الرسولُ حُرِسَتِ السماءُ ورُمِيَ الجِنُّ بالشُّهُب، قالوا: ما هذا إلَّا لأمرٍ حدَث، فطافوا الأرضَ، فوافَوا رسولَ الله ﷺ بوادي نَخْلَة وهو قائمٌ يُصلِّي، فاستمعوا لقراءته وهو لا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم[٤].

والمرة الأخرى: أنَّ الله أمرَه أن يُنذِرَ الجِنَّ ويقرأَ عليهم، فقال: «إنِّي أُمِرْتُ أن أقرأَ على الجِنّ، فمن يتبعني؟» قالها ثلاثاً، فأطرقوا إلَّا عبد الله بن مسعود قال: لم يحضُرْه أحدٌ ليلةَ الجِنِّ غيري، فانطلَقْنا حتى إذا كُنَّا في شِعْب الحَجُون[٥] خَطَّ لي خَطًّا وقال: «لا تخرُجْ منه حتى أعودَ إليك» ثم افتتَحَ القرآنَ، وسمعتُ لغَطاً شديداً، حتى خِفْتُ على رسول الله ﷺ، وغشِيَتْه أسوِدَةٌ كثيرةٌ حالَتْ بيني وبينه حتى ما أسمعَ صوتَه، ثمَّ انقطعوا كقِطَعِ السَّحابِ، فقال لي: «هَلْ رأيتَ شيئاً؟» قلت: نعم، رِجالاً سُوداً مُسْتَثْفِري[٦] ثيابٍ بِيْضٍ، فقال: «أولئك جِنُّ نَصيبين» وكانوا اثنَي عشرَ ألفاً، والسورة التي قرأها عليهم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[٧]. وفي آخر هذا الحديث: قلت:

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٦.
(٢) في النسخ: سبعة، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ١٠٤ ـ والكلام منه ـ ومن باقي المصادر.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٦٧، والنكت والعيون ٥/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٤، وتفسير البغوي ٤/ ١٧٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٤. وأخرجهما الطبري ٢١/ ١٦٥.
(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩)، وأحمد (٢٢٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) الحَجُون: جبلٌ بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان ٢/ ٢٢٥.
(٦) الاستثفار: أن يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنَبه. النهاية (ثفر).
(٧) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٢٧. وأخرجه مقطعاً ـ دون قوله: وكانوا اثني عشر ألفاً... ـ الطبري ٢١/ ١٦٦-١٦٧ عن قتادة مرسلاً.
وأخرجه بنحوه الطبري ٢١-١٦٨-١٦٩، والحاكم ٢/ ٥٠٣ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وينظر مسند أحمد (٤٣٨١).

يا رسول الله، سمعتُ لهم لَغَطاً! فقال: «إنَّهم تدارؤوا في قتيل لهم، فحكمتُ بالحقِّ»[(١)]. وقد رُوي عن ابن مسعود أنَّه لم يحضر أحدٌ ليلة الجِنِّ[(٢)]. والله أعلمُ بصحَّة ذلك.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: القرآن، أي: كانوا بمَسْمَع منه. وقيل: حضروا الرسول، وهو التفاتٌ من «إليك» إلى ضمير الغيب ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُوٓاْ﴾ أي: اسكتوا للاستماع[(٣)]. وفيه تأدُّبٌ مع العلم وكيف يتعلَّم[(٤)].

وقرأ الجمهور: «فلمَّا قُضي» مبنيًّا للمفعول. وأبو مِجْلَز، وخُبيب بن عبد الله بن الزُّبير: «قَضى» مبنيًّا للفاعل، أي: قضى محمدٌ ما قرأ، أي: أتمَّه وفرَغ منه[(٥)].

وقال ابن عمر وجابر بن عبد الله: قرأ عليهم سورةَ الرحمن، فكان إذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ قالوا: لا بشيءٍ من آيات ربِّنا نُكذِّبُ، ربَّنا لك الحمد[(٦)].

﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: تفرَّقوا على البلاد يُنذرون الجن. قال قتادة: ما أسرعَ ما عقلَ القومُ[(٧)]. انتهى.

وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب[(٨)]، وخُنافر[(٩)] وأمثالهما حين جاءهما رئيَّاهُما من الجنِّ، وكان سببَ إسلامهما.

---

(١) هذه القطعة من الحديث ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٥.
(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٥٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٥.
(٥) المصدر السابق.
(٦) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٢٢٦٩)، والطبري ٢٢/ ١٩٠، والخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٣٠١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وأخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم ٢/ ٤٧٤ من حديث جابر رضي الله عنه.
(٧) أخرجه الطبري ٢١/ ١٧٢. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٠٥.
(٨) السدوسي، كان يتكهَّن في الجاهلية، وكان شاعراً، ثم أسلم. الاستيعاب ص٣٢٢.
(٩) هو ابن التوءم الحِمْيري، كان من كُهَّان حِمْيَر، ثم أسلم على يَدَي معاذ باليمن. الاستيعاب ص٢١٥.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بعد كتاب موسى[١]. قال عطاء: كانوا على ملَّة اليهود. وعن ابن عباس: لم تسمع الجنُّ بأمر عيسى[٢]. وهذا لا يصِحُّ عن ابن عباس، كيف لا تسمَعُ بأمر عيسى وله أمَّةٌ عظيمةٌ لا تنحصر على مِلَّتِه؟! فيبعُدُ عن الجنِّ كونُهم لم يسمعوا به.

ويجوز أن يكونوا قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ تنبيهاً لقومهم على اتِّباع الرسول؛ إذ كان عليه الصلاة والسلام قد بَشَّرَ به موسى، فقالوا ذلك من حيثُ إنَّ هذا الأمر مذكورٌ في التوراة[٣].

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من التوراة والإنجيل والكتب الإلهية؛ إذ كانت كلُّها مشتملةً على التوحيد والنبوَّة والمَعاد والأمرِ بتطهيرِ الأخلاق.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ أي: إلى ما هو حقٌّ في نفسه صِدْقٌ، يُعلمُ ذلك بصريح العقل[٤] ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ غايرَ بين اللَّفظين والمعنى متقارِب، وربما استعمل أحدهما في موضع لا يستعمل الآخر فيه، فجمع هنا بينهما، وحسن التكرار[٥].

﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ هو الرسول أو الواسطة المُبلِّغة عنه[٦]﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ يعود على الله[٧].

﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ «من» للتبعيض؛ لأنَّه لا يغفر بالإيمان ذنوبَ المظالم. قال معناه الزمخشري[٨]. وقيل: «مِن» زائدة؛ لأنَّ الإسلام يَجُبُّ ما قبلَه، فلا يبقى معه تَبِعةٌ.

﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ وهذا كله وظواهر القرآن تدلُّ على أنَّ الجِنَّ مُكَلَّفون،

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٧٢.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٧، وقول عطاء ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٩٠، وقول ابن عباس ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٥-١٠٦.

(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٣٢ بنحوه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٦ بنحوه.

(٦) تفسير الرازي ٢٨/ ٣٢.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٦.

(٨) في الكشاف ٣/ ٥٢٧.

ولم ينُصَّ هنا على ثوابهم إذا أطاعوا، وعمومات القرآن تدلُّ على الثواب. وكذا قال ابن عباس: لهم ثواب وعليهم عقاب، يلتقون في الجنة، ويزدَحِمون على أبوابها. وقيل: لا ثوابَ لهم إلَّا النَّجاة من النار، وإليه كان يذهب أبو حنيفة[١].

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بفائتٍ من عقابِه؛ إذ لا مَنْجى منه ولا مَهْرَب، كقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾[٢] [الجن: ١٢].

ورُوي عن ابن عامر[٣]: «وليس لهم» بزيادة ميم[٤].

وقرأ الجمهور: «ولم يَعْيَ» مضارع «عَيِيَ» على وزن «فَعِلَ» بكسر العين. والحسن: «ولم يَعِيْ» بكسر العين وسكون الياء[٥]. ووجْهُه أنَّه في الماضي فتح عينَ الكلمة، كما قالوا في «بَقِيَ»: «بَقَى» وهي لغةٌ لِطَيِّئ، ولمَّا بُنِيَ الماضي على «فَعَل» بفتح العين بُنِيَ مُضارِعُه على «يَفْعِل» بكسر العين، فجاء «يَعْيِيَ»، فلمَّا دخل الجازمُ حذفَ الياء، فبقي «يَعِيْ» بنقل حركة الياء إلى العين، فسُكِّنتِ الياءُ وبقي «يَعِيْ».

وقرأ الجمهور: «بقادرٍ» اسم فاعل، والباء زائدة في خبر «أنَّ»، وحسَّنَ زيادتَها كونُ ما قبلها في حيِّز النفي. وقد أجاز الزجَّاج[٦]: ما ظننتُ أنَّ أحداً بقائم؛ قياساً على هذا، والصحيحُ قَصْرُ ذلك على السماع، فكأنَّه في الآية قال: أليسَ اللهُ بقادرٍ، ألا ترى كيف جاء بـ«بلى» مقرِّراً لإحياءِ الموتى لا لرؤيتِهم؟.

وقرأ الجَحْدريُّ، وزيد بن علي، وعمرو بن عبيد، وعيسى، والأعرج بخلاف عنه، ويعقوب: «يَقْدِرُ» مضارعاً[٧].

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٣٣ بمعناه. ومن قوله: أن الجن مكلفون... إلى: تدل على الثواب، ليس في المطبوع.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٨.
(٣) تحرف في (ع) إلى: ابن عباس، والمثبت من باقي النسخ والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٦.
(٤) المشهور عن ابن عامر كقراءة الجمهور من دون ميم.
(٥) القراءات الشاذة ص١٣٩، والمحتسب ٢/ ٢٦٩، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٦.
(٦) في معاني القرآن له ٤/ ٤٤٧، والكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٥٢٨.
(٧) القراءة عن يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٥٥، وهي عنهم في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٦ دون ذكر زيد بن علي ويعقوب، وفي إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٣-١٧٤، وتفسير الطبري ٢١/ ١٧٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٢ عن الجحدري والأعرج وابن أبي إسحاق، وذكرها القرطبي ـ أيضاً ـ عن يعقوب.

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يقال لهم، والإشارةُ بـ «هذا» إلى العذاب، أي: كنتم تكذبون بأنَّكم تُعذَّبون، والمعنى توبيخُهم على استهزائهم بوعدِ الله ووعيدِه وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[(١)] [الشعراء: ١٣٨، وسبأ: ٣٥، والصافات: ٥٩].

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ تصديقٌ حيثُ لا ينفع. وقال الحسن: إنَّهم ليُعذَّبون في النار وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أنَّه العدل، فيقول لهم المجاوب[(٢)] من الملائكة عند ذلك: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الفاء عاطفةٌ هذه الجملة على الجملة من إخبار الكفار في الآخرة، والمعنى بينهما مرتبِطٌ، أي: هذه حالُهم مع الله فلا تستعجِلْ أنتَ واصبِرْ ولا تَخفْ إلَّا الله.

و«أولو العزم» أي: أولو الجِدِّ من الرسل[(٣)]، وهم مَنْ حُفِظَ له شدَّةٌ مع قومه ومجاهدةٌ، فتكون «من» للتبعيض[(٤)]. وقيل: يجوز أن تكون للبيان، أي: الذين هم الرسل، ويكون الرسلُ كلُّهم أولي العزم، وأولو العزم على التبعيض يقتضي أنَّهم رُسُلٌ وغيرُ رُسُلٍ، وعلى البيان يقتضي أنَّهم الرُّسُل[(٥)]. وكونُها للتبعيض قولُ عطاء الخُراساني والكلبي، وللبيان قولُ ابن زيد[(٦)].

وقال الحسين[(٧)] بن الفضل: هم الثمانية عشر المذكورةُ في سورة الأنعام[(٨)]؛ لأنَّه قال بعَقِبِ ذِكرِهم: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٨.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧، والكلام منه: المحاور. وما بعده منه أيضاً.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٨.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧.
(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٨/ ٣٥.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧.
(٧) في جميع النسخ: الحسن، وكذا نقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٥/ ١١٧، وكذا هو في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧ والكلام منه، وهو تحريف قديم، والصواب: الحسين، والحسين بن الفضل: هو الكوفي، النيسابوري، المفسِّر، اللغوي، إمام عصره في معاني القرآن. ينظر السير ١٣/ ٤١٤.
(٨) في الآية (٩٠) منها.

وقال مقاتل: هم ستة؛ نوحٌ صبرَ على أذى قومه طويلاً، وإبراهيم صبرَ على النار، وإسحاق صبرَ نفسَه على الذبح، ويعقوب صبرَ على الفقد لولده وعميَ بصره وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، ويوسفُ صبرَ على السجن والبئر، وأيوبُ على البلاء[1]. وزاد غيره: وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، وداود بكى على خطيئته أربعينَ سنةً، وعيسى لم يضَعْ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ، وقال: إنَّها مَعْبَرٌ فاعبُروها ولا تعمُروها[2].

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي لكفار قريش بالعذاب، أي: لا تَدْعُ لهم بتعجيله، فإنَّه نازلٌ بهم لا محالة وإنْ تأخَّر، وأنَّهم مُستقصِرون حينئذٍ مُدَّةَ لُبثِهم في الدنيا، كأنَّهم لم يلبثوا فيها إلَّا ساعة.

وقرأ أُبيٌّ: «من النَّهار». والجمهور: «من نهار».

وقرأ الجمهور: «بلاغٌ» بالرفع، والظاهر رجوعُه إلى المدَّة التي لَبِثوا فيها، كأنَّه قيل: تلكَ الساعةُ بلاغُهم، كما قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فـ «بلاغ» خبرُ مبتدأٍ محذوف. قيل: ويحتمل أن يكون «بلاغٌ» يعني به القرآنَ والشرعَ، أي: هذا بلاغ، أي: تبليغٌ وإنذار[3].

وقال أبو مِجْلَز: «بلاغٌ» مبتدأ، وخبره «لهم»، ويَقِفُ على «فلا تستَعْجِلْ». وهذا ليس بجيِّد؛ لأنَّ فيه تفكيكَ الكلام بعضِه من بعض؛ إذ ظاهرُ قولِه: «لهم» أنَّهُ مُتعلِّقٌ بقوله: «فلا تستعجِلْ»، ولحيلولةِ الجملة التشبيهية بين الخبر والمبتدأ.

وقرأ الحسن، وزيد بن علي، وعيسى: «بلاغاً» بالنصب[4]، فاحتمَلَ أن يُرادَ «بلاغاً» في القرآن، أي: بُلِّغوا بلاغاً، أو بلَّغْنا بلاغاً.

وقرأ الحسنُ أيضاً: «بلاغٍ» بالجر؛ نعتاً لـ «نهار»[5].

---

(١) قول مقاتل في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٧١، والوسيط ٤/ ١١٦، وتفسير البغوي ٤/ ١٧٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٨، وما بعده منه.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧، وما قبله وما بعده منه.
(٤) القراءات الشاذة ص١٤٠، والمحتسب ٢/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٨، ومجمع البيان ٢٦/ ٢٤ عن الحسن وعيسى.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٨.

وقرأ أبو مِجْلَز، وأبو سراج الهُذَلي: «بَلِّغْ» على الأمر للنبي ﷺ[١]، وهذا يُؤيِّد حَمْلَ «بلاغ» رفعاً ونصباً على أنَّه يعني به تبليغَ القرآن والشرعِ.

وعن أبي مِجْلَز أيضاً: «بَلَّغ» فعلاً ماضياً[٢].

وقرأ الجمهور: «يُهْلَكُ»: بضم الياء وفتح اللام. وابن مُحَيْصِن فيما حكى عنه ابن خالويه[٣] بفتح الياء وكسر اللام. وعنه أيضاً بفتح الياء واللام، وماضيه «هَلِكَ» بكسر اللام، وهي لغة. وقال أبو الفتح[٤]: هي مرغوبٌ عنها.

وقرأ زيد بن ثابت: «يُهْلِكُ» بضمِّ الياء وكسر اللام[٥]. «إلَّا القومَ الفاسقين» بالنصب.

وفي هذه الآية وعيدٌ وإنذار[٦].

(١) القراءات الشاذة ص١٤٠، والمحتسب ٢/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٨. وهي في معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٥٥ عن أبي مجلز وحده.
(٢) القراءات الشاذة ص١٤٠، والمحتسب ٢/ ٢٦٨.
(٣) في القراءات الشاذة ص١٤٠، وهي ـ أيضاً ـ في المحتسب ٢/ ٢٦٨، وزاد المسير ٧/ ٣٩٤، ومجمع البيان ٢٦/ ٢٤.
(٤) في المحتسب ٢/ ٢٦٨. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٠٨.
(٥) هكذا في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٨، لكنه ذكرها من رواية زيد، عن النبي ﷺ. والذي في روح المعاني ٢٥/ ١٢٠ من قراءة زيد: «نُهْلِكُ» بنون العظمة، وقد ذكرها الزمخشري في كشافه ٣/ ٥٢٨ من دون نسبة.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٨.

مفردات سورة القتال

البال: الفِكر؛ تقول: خطر في بالي كذا. ولا يُثَنَّى ولا يُجمَع، وشذَّ قولُهم: بالات في جمعِه[(١)].

تعَسَ الرجلُ ـ بفتح العين ـ تَعْساً: ضدُّ تنعَّشَ، وأتعسه الله[(٢)]. قال مُجَمِّع بن هلال[(٣)]:

تقولُ وقَدْ أفرَدْتُها من حَليلِها تَعَسْتَ كما أتْعَسْتَني يا مُجَمِّعُ[(٤)]

وقال قومٌ منهم شِمْر وابن شُمَيل وأبو الهيثم: تَعِسَ بكسر العين. وعن أبي عبيدة: تَعَسَه اللهُ وأتعَسَه في باب فَعَلْتُ وأفْعَلْتُ. وقال ابن السِّكِّيت: التَّعْسُ: أن يَخِرَّ على الوجه، والنَّكْسُ: أن يَخِرَّ على الرأس[(٥)]. وقال هو أيضاً وثعلب: التَّعْسُ: الهلاك. وقال الأعشى:

بذاتِ لَوْثٍ عَفَرْناةٍ إذا عَثَرَتْ فالتَّعْسُ أدنى[(٦)] لها من أن أقول لَعا[(٧)]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٩.

(٢) الصحاح (تعس).

(٣) هو مجمع بن مالك بن هلال، يُنسب إلى جده، وهو شاعر جاهلي. معجم الشعراء ص٤٣٨.

(٤) البيت في درة الغواص ص١١٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٧١٧، وخزانة الأدب ١٠/ ٤٠٣. قال المرزوقي: وسُمِّي الزوجُ حليلاً والمرأةُ حليلةً؛ لأنَّ كل واحدٍ منهما يحلُّ مع صاحبه.

(٥) هكذا نسبه النحاس في معاني القرآن له ٦/ ٤٦٧ لابن السكيت، وتابعه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، لكن الأزهري نسبه في تهذيب اللغة ٢/ ٧٨ـ والكلام منه ـ للرُّستُمي.

(٦) في (ح) و(ز٣) و(ع): أنهى، وفي المطبوع: أولى، والمثبت من (يه) و(د٣) والديوان.

(٧) ديوان الأعشى ص١٥٣. واللَّوْثُ: القوَّة. وناقةٌ عَفَرْناة، أي: قوية. حاشية الشهاب ٨/ ٤٣.

أَسَنَ الماءُ: تغَيَّرَ ريحُه، يأسِنُ ويأسُنُ. ذكره ثعلب في «الفصيح»، والمصدر أُسونٌ.

وأسِنَ ـ بكسر السين ـ يأسَنُ ـ بفتحِها لغة ـ أسَناً. قاله اليزيدِي[١].

وأسِنَ الرجلُ ـ بالكسر لا غير ـ: إذا دخلَ البئر فأصابَتْه ريحٌ مُنتِنَة من ريح البئر فغُشِيَ عليه أو دارَ رأسُه، قال الشاعر:

قَدْ أترُكُ القِرْنَ مُصفَرًّا أنامِلُهُ يَميدُ في الرُّمْحِ مَيْدَ المائحِ الأسِنِ[٢]

الأشراط: العلامات، واحدها شَرْط بسكون الراء وبفتحها. قال أبو الأسود:

فإنْ كنتَ قد أزمعتَ بالصَّرْم بينَنَا فقَدْ جعَلَتْ أشراطُ أوَّلِهِ تبدو[٣]

وأشرطَ الرجلُ نفسَه: ألزمَها أموراً. قال أوس بن حَجَر[٤]:

فأشْرَطَ فيها نفسَهُ وهو مُعْصِمٌ فألقى بأسبابٍ لهُ وتوكَّلا

العَسَل معروف. وعَسَل بن ذكوان رجلٌ نَحْوِيٌّ قديم[٥].

المِعى مقصورٌ، وألِفُه منقلبةٌ عن ياءٍ، يدلُّ عليه تثنيتُه مِعَيان بقلب الألف ياءً، والمِعَى: ما في البطن من الحوايا[٦].

القُفْل معروف، وأصله اليُبْس والصَّلابة، والقَفْل والقَفيل: ما يبس من الشجر،

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٩، وما بعده منه ومن الصحاح (أسن).

(٢) قائله زهير، وهو في شرح ديوانه ص١٢١، والخزانة ١١/ ٢٥٩. ورواية الديوان:

يغادرُ القِرْنَ مُصفَرًّا أنامِلُهُ يميلُ في الرُّمحِ مَيْلَ المائحِ الأسِنِ

القِرْن: كفؤكَ في الشجاعة. الصحاح (قرن). قال شارح الديوان: مصفرًّا أنامِلُه: دنا موته فاصفرَّت أنامِلُه، والمائح: الذي ينزل إلى أسفل البئر يملأ الدلو إذا قلَّ ماؤه.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٥، والبيت في الأغاني ٢/ ٣٣٤. والصَّرم: الهِجْران. اللسان (صرم).

(٤) ديوانه ص٨٧، واللسان (شرط). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١١٦.

(٥) كان في أيام المبرِّد، له كتاب «الجواب المسكت»، وكتاب «أقسام العربية». معجم الأدباء ١٢/ ١٦٨-١٦٩.

(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦١. وينظر تفسير البغوي ٤/ ١٨١.

والقَفيل أيضاً: نَبْتٌ، والقَفيل: السَّوط، وأقفله الصوم: أيبَسه. قاله الجوهري[١].

آنفاً وأنِفاً هما اسما فاعل، ولم يستعمل فِعلُهما، والذي استُعمِلَ ائتنفَ، وهما بمعنى مُبتدِئاً، وتفسيرُهما بالساعة تفسيرُ معنى[٢]. وقال الزجَّاج[٣]: هو من استأنفتُ الشيءَ إذا ابتدأتُه.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال صاحب «الصحاح»[٤]: قولُ العرب: أولى لك، تهديدٌ ووعيد، ومنه قول الشاعر:

فأَولى ثمَّ أَولى ثمَّ أَولى ... وهَلْ للدَّرِّ يُحْلَبُ مِنْ مَرَدِّ[٥]

انتهى.

واختلفوا أهو اسم أو فعل، فذهب الأصمعيُّ إلى أنَّه بمعنى: قاربَه ما يُهلِكُه، أي: نزلَ به. وأنشد:

فعادى بين هاديتَينِ منها ... وأولى أنْ يزيدَ على الثَّلاثِ[٦]

أي: قاربَ أن يزيد. قال ثعلب: لم يقُلْ أحدٌ في «أولى» أحسنَ ممَّا قال الأصمعي.

وقال المبرِّد[٧]: يُقال لِمَنْ هَمَّ بالعَطَب، كما رُوي أنَّ أعرابيًّا كان يُوالي رميَ الصَّيد فيُفلِتُ منه فيقول: أولى لك. رمى صيداً فقاربه ثمَّ أفلتَ منه، وقال:

(١) في الصحاح (قفل) دون قوله: وأقفله الصوم: أيبسه. وهو في تهذيب اللغة ٩/ ١٦١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١١٥.
(٣) في معاني القرآن ٥/ ١٠.
(٤) في الصحاح (ولى).
(٥) البيت لعبد الله بن الزبير، كما في الأغاني ١٤/ ٢٣٧. والكلام من تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٠-٢٧١.
(٦) لم أقف على قائله، وهو في الخزانة ٩/ ٣٤٥. قال البغدادي: قال ابن عقيل: عادى؛ من العِداء: وهو الموالاة بين الصَّيدين بصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد. والهادية: أول الوحش.
(٧) في الكامل ٣/ ١٤١٦ بنحوه.

فلو كان أَوْلى يُطْعِمُ القومَ صِدْتُهم[١] ولكنَّ أَولى يتركُ القومَ جُوَّعا[٢]

والأكثرون على أنَّه اسم، فقيل: هو مشتقٌّ من الوَلْي وهو القُرْب[٣]، كما قال الشاعر:

تُكَلِّفني ليلى وقد شطَّ وَلْيُها وعادَتْ عَوادٍ بيننا وخُطوبُ[٤]

وقال الجُرْجاني: هو مأخوذٌ من الوَيْل، فهو أفْعُل منه، لكن فيه قلب[٥].

الضِّغْن والضَّغينة: الحقد[٦]. قال عمرو بن كلثوم:

فإنَّ الضِّغْنَ بعدَ الضِّغْن يفشو[٧] عليكَ ويُخرِجُ الدَّاءَ الدَّفينا

وقد ضَغِن ـ بالكسر ـ وتضاغَنَ القومُ وأَضْغَنوا: أبطنوا الأحقاد. وقد ضَغِنَ عليه، واضْطَغَنْتَ الصبيَّ: أخذتَه تحت حِضْنِك. وأنشد الأحمر:

كأنَّه مُضْطَغِنٌ صبيَّا[٨]

وقال ابن مُقبِل:

وما اضطغَنْتُ سلاحي عند مَغْرَكِها[٩]

---

(١) في (ز٢) و(ع) والمطبوع: صيدهم.
(٢) لم أقف على قائله، وهو في معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٤٦ والكلام منه، وفي الخزانة ٩/ ٣٤٦.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٥.
(٤) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل، وهو في ديوانه ص٣٣، والمفضليات ص٣٩١.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧١.
(٦) الصحاح (ضغن).
(٧) في (ز٢) و(يه) و(ع) والمطبوع: يعسو، وفي شرح المعلقات السبع للزوزني ص١٠٠: يبدو. والمثبت من (د٣)، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٣٩٥، وشرح المعلقات للنحاس ٢/ ١٠١، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص٢٦٥.
(٨) الرجز في غريب الحديث ٤/ ١٩٣، والكلام في الصحاح (ضغن).
(٩) هكذا في النسخ، ورواية الصحاح (ضغن): إذ اضْطَغَنْتُ سلاحي عند مَغْرِضِها. وفي ديوان ابن مقبل ص١٨٦ بمثل رواية الصحاح إلا أنَّ فيه: (ثم اضطبنتُ) بدل (إذ اضطغنْتُ). وعجزه فيهما: ومِرْفقٍ كرِئاس السيفِ إذْ شَسَفا. اضطبنْتُ: احتضنتُ. والْمَغْرِض: جانب البطن أسفل الأضلاع. ورئاس السيف: مقبضه. وشسف: يبس من الضمر والهزال. اللسان (ضبن) و(غرض) و(رأس) و(شسف).

وفرسٌ ضاغِن: لا يُعطي ما عنده من الجَرْي إلَّا بالضَّرْب.

وأصل الكلمة من الضَّغَن: وهو الالتواء والاعوجاج في قوائم الدابَّةِ والقناةِ وكلِّ شيء[1]. وقال بشر:

كـذاتِ الـضِّـغْـنِ تـمـشـي فـي الـرِّفـاقِ[2]

وأنشد الليث:

إنَّ قَـنـاتـي مـن صَـلـيـباتِ الـقَـنـا ... مـا زادَهـا الـتـثـقـيـفُ إلَّا ضَـغَـنـا[3]

والحِقْدُ في القلب يُشبَّه به. وقال قطرب والليث: الضِّغْن: العَداوةُ. قال الشاعر:

قُـلْ لابـنِ هـنـدٍ مـا أردتَ بـمَـنْـطِـقٍ ... سـاءَ الـصَّـديـقَ وشـيَّـدَ الأضـغـانـا[4]

لَحَنْتُ له ـ بفتح الحاء ـ ألْحَنُ لَحْناً: قلتَ له قولاً يفهمُه عنكَ ويَخفى عن غيره. ولَحِنَه هو ـ بالكسر ـ: فَهِمَه. وألحَنْتُه أنا إيَّاه، ولاحَنْتُ الناس: فاطَنْتُهم. وقال الشاعر:

مَـنْـطِـقٌ صـائـبٌ وتَـلْـحَـنُ أحـيـا ... نـاً وخيرُ الـحديـثِ ما كـان لَـحْـنـا[5]

وقال القتَّال الكِلابي:

ولـقـد وَحَـيْـتُ لـكُـمْ لـكَـيْـمـا تَـفْـهَـمـوا ... ولَـحَـنْـتُ لَـحْـنـاً لـيـسَ بـالـمُـرْتـابِ[6]

وقيل: لَحْنُ القول: الذَّهاب عن الصَّواب، مأخوذٌ من اللَّحْن في الإعراب[7].

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ١١، وأساس البلاغة ص٣٧٧.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ص١٧٨، والصحاح (رفق)، وصدره: فإنِّي والشَّكاةَ مِنَ آلِ لَأمٍ. والرِّفاق: الحبل.

(٣) البيت في تهذيب اللغة ٨/ ١١، وأساس البلاغة ص٣٧٧ دون نسبة.

(٤) البيت في تفسير القرطبي ١٩/ ٢٨٢ دون نسبة.

(٥) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، وهو في الشعر والشعراء ٢/ ٧٨٢، والأغاني ١٧/ ٢٣٦.

(٦) هكذا ذكره القرطبي في تفسيره ١٩/ ٢٨٥، وهو كذلك في الصحاح (لحن) والكلام منه، وهو في ديوان القتال ص٣٦ برواية:

ولـقـد لـحـنتُ لـكـم لـكـيـمـا تـفـقـهـوا ... ووحـيـتُ وحـيـاً لـيـسَ بـالـمـرتـابِ

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٠٤.

وَتَرَه: نَقَصَه، مأخوذٌ من الذَّحْل. وقيل: من الوِتْر، وهو الفَرْد[١].

* * *

سورة محمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾.

هذه السورة مدنية عند الأكثرين. وقال الضحاك وابن جُبير والسُّدِّي: مكية[٢]. وقال ابن عطية: مدنية بإجماع[٣]. وليس كما قال.

وعن ابن عباس وقتادة أنها مدنية إلَّا آيةً منها نزلت بعد حَجِّه حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهي ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية[٤].

ومناسبة أوَّلها لآخرِ ما قبلها واضحةٌ جِدًّا.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٢، والكشاف ٣/ ٥٣٩، والصحاح (وتر). والذَّحْل: الحقد والعداوة. الصحاح (ذحل).
(٢) الكشاف ٣/ ٥٢٩، وزاد المسير ٧/ ٣٩٥.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٩.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٩٠.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أعرضوا عن الدخول في الإسلام، أو صَدُّوا غيرَهم عنه، وهم أهل مكة الذين أخرجوا رسولَ الله ﷺ. قال ابن عباس: وهم المُطْعِمون يومَ بدر. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك يصدُّون الناسَ عن الإسلامِ ويأمرونهم بالكفر. وقيل: هم أهل الكتاب، صَدُّوا من أراد منهم أو من غيرهم أنْ يدخل في الإسلام[١].

وقال الضحَّاك: ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن بيت الله بمَنْع قاصديه[٢]. وهو عامٌّ في كلِّ مَنْ كفرَ وصَدَّ[٣].

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أتلفَها حيثُ لم ينشأ عنها خيرٌ ولا نفعٌ بل ضررٌ مَحْضٌ. وقيل: نزلت هذه الآية ببدر، وأنَّ الإشارةَ بقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ إلى الإنفاق الذي أنفقوه في سفرتهم إلى بدر. وقيل: المرادُ بالأعمال أعمالُهم البَرَّة في الجاهلية؛ من صِلَة رَحِم، وفَكِّ عانٍ، ونحوِ ذلك، واللَّفظُ يعمُّ جميعَ ذلك[٤].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هم الأنصار. وقال مقاتل: ناسٌ من قريش[٥]. وقيل: مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: هو عامٌّ. وعلى تقدير خصوص السبب في القبيلتين فاللَّفظُ عامٌّ يتناول كلَّ كافرٍ وكلَّ مؤمنٍ.

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ تخصيصُه من بين ما يجب الإيمان به تعظيماً لشأن الرسول، وإعلاماً أنه لا يصِحُّ الإيمان ولا يتِمُّ إلَّا به، وأكَّدَ ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. وقيل: «وهو الحقُّ» أي: هو ناسخٌ لغيره، ولا يَرِدُ عليه النسخ.

وقرأ الجمهور: «نُزِّلَ» مبنيًّا للمفعول. وزيد بن علي، وابن مِقْسَم: «نَزَّلَ» مبنيًّا

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٩.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٩٠.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٩.
(٥) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٩١، ونسب الأول لابن عباس. وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ١٨١، والحاكم ٢/ ٤٥٧. والكلام من الكشاف ٣/ ٥٣٠.

للفاعل. والأعمش: «أُنْزِلَ» مُعدًّى بالهمزة مبنيّاً للمفعول[١]. وقرئ: «نَزَلَ» ثلاثياً[٢].

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالَهم. قاله قَتادة. وشأنهم. قاله مجاهد. وأمْرَهم. قاله ابن عباس[٣].

وحقيقةُ لفظ البال أنها بمعنى الفِكْر والموضع الذي فيه نَظَرُ الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك فقد صلحَتْ حالُه، فكأنَّ اللَّفظَ مشيرٌ إلى صلاح عقيدتهم، وغيرُ ذلك من الحال تابعٌ[٤].

﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما فعل بالكُفَّار من إضلال أعمالهم، وبالمؤمنين من تكفير سَيِّئاتهم وإصلاح حالهم.

و«ذلك» مبتدأ وما بعده الخبر، أي: كائنٌ بسبب اتِّباع هؤلاء الباطلَ وهؤلاء الحقَّ. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «ذلك» خبرَ مبتدأ محذوف تقديره: الأمر ذلك، أي: كما ذكر بهذا السبب، فيكون محلُّ الجارِّ والمجرور منصوباً[٥]. انتهى. ولا حاجةَ إلى الإضمار مع صحَّة الوجه وعدم الإضمار.

و«الباطل»: ما لا يُنتَفَعُ به. وقال مجاهد: الشيطانُ وكُلُّ ما يأمُرُ به، و«الحقّ»: هو الرسول والشرع. وهذا الكلام يُسمِّيه علماءُ البيان التفسير[٦].

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى اتِّباع المذكورين من الفريقين، أي: كما تبعوا على هذين السَّبيلَيْن كذلك يُبَيِّنُ أمرَ كُلِّ فرقةٍ ويجعلُ لها ضربَها من القول وصِنْفَها[٧]. وضَرْبُ المَثَل من الضرب الذي هو بمعنى النَّوع.

وقال الزمخشري: «كذلك» أي: مثلَ ذلك الضَّرْب «يضرب اللهُ للناس أمثالَهم»

(١) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٠٩.
(٢) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٩٦ لأبي رزين وأبي الجوزاء وأبي عمران.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٩١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٩. وأخرجها عنهم الطبري ٢١/ ١٨١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٠٩-١١٠، وما بعده منه.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣٠، وما بعده الآتي منه.
(٦) الكلام من الكشاف ٣/ ٥٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٠.
(٧) في النسخ: وصفها، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ١١٠.

والضمير راجعٌ إلى الناس، أو إلى المذكورين من الفريقين، على معنى أنَّه يضرب أمثالهم[١] لأجل الناس ليعتبروا بهم. فإنْ قلتَ: أينَ ضَرْبُ الأمثال؟ قلتُ: في أن جعلَ اتِّباعَ الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتِّباعَ الحقِّ مثلاً لعمل المؤمنين، أو في أنْ جعل الإضلالَ مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز[٢] المؤمنين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: في أيِّ زمانٍ لقيتموهم فاقتلوهم، وفي قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] أي: في أيِّ مكانٍ، فعَمَّ في الزمان وفي المكان.

وقال الزمخشريُّ[٣]: «لقيتُم» من اللِّقاء، وهو الحَرْب. انتهى.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ هذا من المصدر النائب مَنابَ فعل الأمر، وهو مُطَّرِدٌ فيه، وهو منصوبٌ بفعلٍ محذوف، واختُلِفَ فيه إذا انتصب ما بعدَه، فقيل: هو منصوبٌ بالفعل الناصب للمصدر. وقيل: هو منصوبٌ بنفس المصدر؛ لنيابته عن العامل فيه[٤]، ومثاله ضَرْباً زيداً، كما قال الشاعر:

على حينَ ألهى الناسَ جُلُّ أُمورِهِمْ ... فَنَدْلاً زُرَيقُ المالَ نَدْلَ الثَّعالبِ[٥]

وهذا هو الصحيح، ويدلُّ على ذلك قولُه: «فضَرْبَ الرِّقاب» وهو إضافةُ المصدر للمفعول، ولو لم يكن معمولاً له ما جازَتْ إضافتُه إليه.

وضَرْبُ الرِّقاب عبارةٌ عن القتل، ولمَّا كان القتلُ للإنسان أكثرَ ما يكون بضرب رقبته عبَّر بذلك عن القتل ولا يُرادُ خصوصيةَ الرِّقاب، فإنَّه لا يكاد تتأتَّى حالةُ الحربِ أن تُضربَ الرقابُ، وإنَّما يتأتَّى القتلُ في أيِّ موضع كان من الأعضاء، ويُقال: ضرب الأميرُ رقبةَ فلان، وضربَ عنُقَه وعِلاوتَه وما فيه عيناه؛ إذا قتله،

(١) من قوله: والضمير راجع... إلى هنا من (د٣) والكشاف.
(٢) بعدها في (د٣) و(يه) زيادة: الحق مثلاً لعمل!.
(٣) في الكشاف ٣/ ٥٣٠.
(٤) تعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٦٨٤ بقوله: ومنع أبو البقاء أن يكون المصدرُ نفسُه عاملاً، قال: لأنَّه مؤكِّد. وقول أبي البقاء في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٦.
(٥) قائله أعشى همدان كما في الكامل ١/ ٢٣٩، وهو في الكتاب ١/ ١١٦ دون نسبة. والمراد بالندل السرعة. اللسان (ندل). زُرَيْق: أبو قبيلة من الأنصار. «جمهرة اللغة» (ندل).

كما عبَّر بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] عن سائر الأفعال لمَّا كان أكثرُ الكسبِ منسوباً إلى الأيدي.

قال الزمخشري: وفي هذه العبارة من الغِلْظة والشِّدَّة ما ليس في لفظ القتل؛ لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة، وهو حَزُّ العنق، وإطارةُ العضو الذي هو رأسُ البدن وعلوه وأوجهُ أعضائه، وقد زاد في هذه الغِلْظة في قوله: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1] [الأنفال: ١٢] انتهى. ولِما في ذلك من تشجيع المؤمنين، وأنَّهم من الكفار بحيث هم متمكِّنون منهم؛ إذْ أُمِروا بضَرْبِ رقابهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: أكثرتُم القتلَ فيهم[2]. وهذه غايةٌ للضَّرْب، فإذا وقعَ الإثخانُ وتمكَّنوا مِنْ أخْذِ مَنْ لم يُقتَلْ وشَدُّوا وَثاقَ الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا﴾ بالإطلاق ﴿وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: أثقالَها وآلاتِها[3]. ومنه قولُ عَمرو بن معدي كرب:

وأعــدَدْتُ لـلـحــربِ أوزارَهــا رمــاحــاً طِـوَالاً وخَـيــلاً ذُكــورا

أنشده ابنُ عطية لعَمرٍو هذا، وأنشده الزمخشريُّ للأعشى[4].

وقيل: الأوزار هنا: الآثام؛ لأنَّ الحربَ لا بُدَّ أن يكون فيها آثامٌ في أحد الجانبين. وهذه الغاية قال مجاهد: حتى ينزل عيسى ابن مريم. وقال قَتادة: حتى يُسلِمَ الجميعُ. وقيل: حتى تقتلوهم وتغلبوهم.

وقال ابن عطية[5]: وظاهرُ اللَّفظ أنَّها استعارةٌ يُرادُ بها التزامُ الأمر أبداً، وذلك أنَّ الحربَ بين المؤمنين والكافرين لا تضعُ أوزارَها، فجاء هذا كما تقول: أنا أفعَلُ كذا وكذا إلى يوم القيامة، فإنَّما تريد أنَّكَ تفعلُه دائماً.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٠-٥٣١.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٧٤، والبغوي ٤/ ١٧٨، والقرطبي ١٩/ ٢٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١١١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١١، والكشاف ٣/ ٥٣١، وديوان الأعشى ص١٤٩، وغريب القرآن ص٤٠٩، وأساس البلاغة (وزر).
(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ١١١، وما قبله منه.

وقال الزمخشريُّ[١]: وسُمِّيَتْ ـ يعني آلات الحرب من السِّلاح والكُراع[٢] ـ «أوزارَها»؛ لأنَّه لمَّا لم يكُنْ لها بُدٌّ من جَرِّها فكأنَّها تحمِلُها وتستقِلُّ بها، فإذا انقضَتْ فكأنَّها وضعَتْها. وقيل: «أوزارَها»: آثامها، يعني: حتى يترك أهلُ الحربِ - وهم المشركون - شِرْكَهم ومعاصيَهم بأن يُسْلِموا.

والظاهرُ أنَّ ضَرْبَ الرِّقاب ـ وهو القتل ـ مُغيًّا بشدِّ الوَثاقِ وقتَ حصول الإثخان، وأنَّ قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ أي: بعد الشَّدِّ ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ حالتان للمأسور؛ إمَّا أنْ يُمَنَّ عليه بالإطلاق كما منَّ رسولُ الله ﷺ بإطلاق ثُمامة بن أُثال الحنفي[٣]، وإمَّا أن يُفدَى كما رُويَ عنه عليه السَّلام أنَّه فُوديَ منه رجلان من الكفار برجلٍ مسلم[٤].

وهذه الآيةُ مُعارِضٌ ظاهِرُها لقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] فذهب ابنُ عباس وقَتادة وابن جُريج والسُّدِّي والضحَّاك ومجاهد إلى أنَّها منسوخةٌ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية[٥]، وأنَّ الأَسْرَ والمَنَّ والفداءَ مرتفعٌ، فإنْ وقعَ أسيرٌ قُتِلَ ولا بُدَّ، إلا أن يُسْلِم. ورُويَ نحوُه عن أبي بكر الصِّدِّيق، وذهبَ ابنُ عمر وعمر بن عبد العزيز وعطاء والحسن إلى أنَّ هذه مُخَصِّصةٌ لعموم تلك، والمنُّ والفداءُ ثابت. وقال الحسن: لا يُقتَلُ الأسيرُ إلَّا في الحرب، يُهيب بذلك على العدو. وذهب أكثر العلماء إلى أنَّ أهلَ الكتاب فيهم المنُّ والفداءُ، وعُبَّادَ الأوثان

(١) في الكشاف ٣/ ٥٣١.
(٢) الكُراع: الخيل أو السلاح، أو هو اسمٌ يجمع الخيل والسلاح. اللسان (كرع).
(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٤)، وأحمد (٧٣٦١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه قصة إسلام ثُمامة. وثُمامة بن أُثال: سيد من سادات بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، ولما ارتدَّ أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتدَّ ثُمامة. ينظر أسد الغابة ١/ ٢٩٤-٢٩٥.
(٤) أخرجه مسلم (١٦٤١)، وأحمد (١٩٨٦٣) من حديث عمران بن حصين ﷺ.
(٥) أخرجها عنهم ـ دون قول مجاهد ـ الطبري ٢١/ ١٨٣-١٨٥. وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٩٤٠٥) قول الضحاك. وفي تفسيره ٢/ ٢٢١ قول قتادة. وأخرج أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٣٠٠)، وفي الأموال (٣٤٣) قول السدي. وأخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ ص٦٦٨ قول ابن جريج وقتادة. وأخرج ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص٤٦٧-٤٦٨ قول ابن عباس وقتادة والسدي. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١١٠.

ليس فيهم إلَّا القتل، فخصَّصوا من المشركين أهلَ الكتاب، وخُصِّصَ من الكفار عَبَدةُ الأوثان.

وأمَّا مذهب الأئمة اليوم؛ فمذهبُ أبي حنيفة أنَّ الإمام يُخيَّرُ في القتل والاسترقاق، ومذهبُ الشافعيِّ أنَّه مُخَيَّرٌ في القتلِ والاسترقاقِ والفداءِ والمنِّ[١]، ومذهب مالك أنَّه مُخَيَّرٌ في واحدٍ من هذه الأربعة وفي ضرب الجزية[٢].

والظَّاهرُ أنَّ قوله: ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ جواز فدائه بالمال وبِمَن أُسِرَ من المسلمين. وقال الحسن: لا يُفْدى بالمال.

وقرأ السُّلمي: «فَشِدُّوا» بكسر الشين[٣]. والجمهور بالضمِّ.

و«الوَثاق» بفتح الواو، وفيه لغةٌ الوِثاق؛ وهو اسمٌ لِما يُوثَقُ به[٤].

وانتصب «مَنًّا» و«فداءً» بإضمار فعلٍ يُقدَّر من لفظهما، أي: فإمَّا تمُنُّون مَنًّا، وإمَّا تفدون فداءً[٥]، وهو فِعْلٌ يجب إضمارُه؛ لأنَّ المصدرَ جاء تفصيلَ عاقبة، فعامِلُه ممَّا يجب إضمارُه، ونحوُه قولُ الشاعر:

لأجْهَدنَّ فإمَّا دَرْءَ واقعةٍ تُخْشى وإمَّا بلوغَ السُّؤْلِ والأملِ[٦]

أي: فإمَّا أدرأُ دَرْءَ واقعةٍ، وإمَّا أبلغُ بلوغَ السُّؤْل.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكونا مفعولَين، أي: أوْلُوهم مَنًّا واقْبَلوا فداءً[٧]. وليس إعرابَ نَحْوِيٍّ.

وقرأ ابنُ كثير في رواية شِبْل: «وإمَّا فِدًى» بالقصر[٨]. قال أبو حاتم: لا يجوز قَصْرُه؛ لأنَّه مصدرُ فادَيْتُه، وهذا ليس بشيء، فقد حكى الفرَّاءُ فيه أربعَ لغات؛

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣١. وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٩٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١١١ دون نسبة القول لمالك.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٠.
(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص٨٥٣.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣١.
(٦) قال صاحب الدرر اللوامع ٣/ ٧٥: لم أعثر على قائله.
(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٦.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١١١، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

«فِداءً لك»، بالمدِّ والإعراب، و«فِداءِ لك» بالكسر بناءً والتنوين، و«فِدًى لك» بالقصر، و«فَدًى لك»[١].

والظاهر من قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا﴾ المنُّ بالإطلاق كما منَّ الرسولُ عليه الصلاة والسلام على ثُمامة وعلى أبي عَزَّة الجُمَحي[٢]، وفي كتاب الزمخشري: كما منَّ على أبي عروة الحَجَبي وأُثال الحنفي[٣]. فغيَّر الكنيةَ والاسم، ولعلَّ ذلك من الناسخ لا في أصل التصنيف.

وقيل: يجوز أن يُراد بالمنِّ أن يُمنَّ عليهم بترك القتل ويُستَرَقُّوا، أو يُمنَّ عليهم فيُخَلَّوا؛ لقبولِهم الجزية وكونِهم من أهل الذِّمَّة.

والظاهرُ أنَّ قولَه: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ غايةٌ لقوله: ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾؛ لأنَّه قد غَيَّا «فضَرْبَ الرِّقاب» بشدِّ الوثاق وقت الإثخان، فلا يمكن أن يُغيَّا بغاية أخرى؛ لتدافع الغايتين، إلَّا إنْ كانت الثانيةُ مُبيِّنةً للأولى ومُؤكِّدةً فيجوز؛ لأنَّ شَدَّ الوَثاق للأسرى لا يكون إلَّا حتى تضع الحربُ أوزارَها، إذا فسَّرنا ذلك بانتفاء شوكة الكفار الملقيين إذْ ذاك، وتكون الحربُ المرادُ بها التي تكون وقتَ لقاء المؤمنين للكفار. ويجوز أن يكون المُغَيَّا محذوفاً يدلُّ عليه المعنى، التقدير: الحُكْمُ ذلك حتى تضع الحرب أوزارها، أي: لا يبقى شوكةٌ لهم. أو كما قال ابن عطية[٤]: إنَّه استعارةٌ بمعنى: إلى يوم القيامة، أي: اصنعوا ذلك دائماً.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: «حتَّى» بِمَ تعلَّقَتْ؟ قلتُ: لا يخلو من أن تتعلَّق بالضَّرْب والشَّدِّ أو بالمنِّ والفداء، فالمعنى على كِلا المُتعلَّقين عند الشافعي رحمه الله أنَّهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون حربٌ مع المشركين،

(١) القراءات الشاذة ص١٤٠، ولم أقف على كلام الفراء في معاني القرآن له.
(٢) المثبت من (ح)، وتحرفت في باقي النسخ والمطبوع إلى: الحجبي. وتنظر قصة أبي عزَّة الجمحي في سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٣١ وفيه: وابن أثال الحنفي.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ١١١.

وذلك إذا لم يبقَ لهم شوكةٌ. وقيل: إذا نزل عيسى بن مريم. وعند أبي حنيفة رحمه الله: إذا علِّقَ بالضرب والشَّدِّ، فالمعنى: أَنَّهم يُقتَلون ويُؤْسَرون حتى تضعَ جنسُ الحرب الأوزار، وذلك حين لا يبقى شوكةٌ للمشركين. وإذا علِّق بالمنِّ والفداء، فالمعنى: أَنَّهم يُمَنُّ عليهم ويُفادَون حتى تضعَ حربُ بدرٍ أوزارَها إلى أنْ تناولَ المنَّ والفداء، يعني بتناول المنِّ بأنْ يُتركوا عن القتل ويُستَرَقُّوا، أو بالتخلية بضرب الجزية وكونهم من أهل الذِّمَّة، وبالفداء أن يُفادى بأسارى المشركين أسارى المسلمين، وقد رواه الطحاويُّ مذهباً لأبي حنيفة، والمشهور أنَّه لا يَرى فداءَهم لا بمالٍ ولا غيرِه؛ خيفةَ أن يعودوا حرباً للمسلمين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك، أو افعلوا ذلك ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لانتقمَ منهم ببعض أسباب الهلاك من خسفٍ أو رجفةٍ أو حاصبٍ أو غرقٍ أو موتٍ جارفٍ ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟﴾ أي: ولكِنْ أمَرَكُم بالقتال ليبلُوَ «بعضَكم» وهم المؤمنون، أي: يَختَبِرَهم «ببعض» وهم الكافرون بأنْ يجاهدوا ويصبروا، والكافرين بالمؤمنين بأنْ يُعاجِلَهم على أيديهم ببعضِ ما وجَبَ لهم من العذاب[١].

وقرأ الجمهور: «قاتَلوا». والجَحْدريُّ بخلافٍ عنه: «قَتَلوا» بفتح القاف والتاء بغير ألف[٢]. وقتادة، والأعرج، والأعمش، وأبو عمرو، وحفص: «قُتِلوا» مبنيًّا للمفعول والتاء خفيفة[٣]. وزيد بن ثابت، والحسن، وأبو رجاء، وعيسى، والجَحْدريُّ أيضاً كذلك وشَدَّدوا التاء[٤].

وقرأ علي: «فلن يُضَلَّ» مبنيًّا للمفعول «أعمالُهم» رفع. وقُرِئ: «يَضِلَّ» بفتح الياء من ضَلَّ «أعمالُهم» رفع[٥].

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: إلى طريق الجنة[٦]. وقال مجاهد: يهتدي أهلُ الجنة إلى

(١) هذا الكلام وما قبله من الكشاف ٣/ ٥٣١.
(٢) القراءات الشاذة ص١٤٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨٠.
(٣) ينظر السبعة ص٦٠٠، والتيسير ص٢٠٠.
(٤) القراءات الشاذة ص١٤٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨٠. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١١١.
(٥) هما في القراءات الشاذة ص١٤٠، ونسب الثانية لعلي ﷺ أيضاً.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١١١.

مساكنهم منها لا يُخطِئون، كأنَّهم كانوا سكَّانها منذ خُلقوا، لا يَسْتَدِلُّون عليها[١].

وروى عبَّاس[٢] عن أبي عمرو: «ويُدْخِلْهم» و«يومَ يجمعْكم ليوم الجَمْع» [التغابن: ٩] و«إنَّما نُطْعِمْكم» [الإنسان: ٩] بسكون لام الكلمة[٣].

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ عن مقاتل: إنَّ المَلَكَ الذي وُكِّلَ بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيُعرِّفُه كلَّ شيءٍ أعطاه الله[٤].

وقال أبو سعيد الخُدري ومجاهد وقَتادة: معناه: بيَّنها لهم، أي: جعلَهم يعرفون منازلَهم منها، وفي الحديث: «لَأَحَدُكم بمنزله في الجنة أعرَفُ منه بمنزله في الدنيا»[٥]. وقيل: سمَّاها لهم ورسَمَها، كلُّ منزلٍ بصاحبه، وهذا نحوٌ من التعريف[٦]. يُقال: عَرَّفَ الدارَ وأرَّفها، أي: حدَّدها، فجنَّةُ كلِّ أحدٍ مُفرَزةٌ عن غيرها، والعُرَفُ والأُرَفُ: الحدود[٧]. وقيل: شرَّفَها لهم ورفعَها وعلَّاها، وهذا من الأعراف التي هي الجبال وما أشبهها. وقال مُؤرِّج وغيرُه: طيَّبَها؛ مأخوذٌ من العَرْف، ومنه طعامٌ مُعرَّفٌ، أي: مُطَيَّبٌ، وعَرَّفْتَ القِدْرَ: طيَّبْتَها بالملح والتابل[٨].

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: دينَه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ أي: على أعدائكم بخلق القوة فيكم والجرأة وغيرِ ذلك من المَعاوِن[٩]. ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: في مواطن الحرب، أو على مَحَجَّة الإسلام[١٠].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٢. وأخرجه الطبري ٢١/ ١٩٢.

(٢) المثبت من (د٣)، وتصحف في (ح) إلى: عياش، وتحرف في باقي النسخ والمطبوع إلى: عياض. وعباس: هو ابن الفضل بن عمرو الواقفي، من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة. غاية النهاية ٢/ ٣٥٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١١، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٢.

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٤٠)، وأحمد (١١٠٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٦) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١١١.

(٧) الكشاف ٣/ ٥٣٢.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١١١-١١٢.

(٩) تصحفت في النسخ سوى (يه) والمطبوع إلى: المعارف، والمثبت منها ومن المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، والكلام منه.

(١٠) الكشاف ٣/ ٣٣٢.

وقرأ الجمهور: «ويُثَبِّتْ» مشدَّداً. والمُفَضَّل عن عاصم مُخَفَّفاً[(١)].

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: بُعْداً لهم. وابنُ جُريج والسُّدِّي: خِزْياً[(٢)] لهم. والحسن: شَتْماً. وابن زيد: شقاءً. والضحَّاك: رَغْماً. وحكى النقَّاش: قُبحاً[(٣)].

«والذين كفروا» مبتدأ، والفاء داخلةٌ في خبر المبتدأ، وتقديره: فتعسَهم الله تعساً، «فتَعْساً» منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ؛ ولذلك عطف عليه الفعلَ في قوله: «وأضلَّ أعمالَهم». ويجوز أن يكون «الذين» منصوباً على إضمار فعلٍ يُفسِّره[(٤)] قولُه: «فتَعْساً لهم» كما تقول: زيداً جَدْعاً له.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: علامَ عطفَ قوله: «وأضلَّ أعمالهم»؟ قلت: على الفعل الذي نصب «تعساً»؛ لأنَّ المعنى: فقال: تعساً لهم، أو فقضى: تَعْساً لهم. و«تَعْساً لهم» نقيض لَعاً له[(٥)]. انتهى. وإضمار ما هو من لفظ المصدر أولى؛ لأنَّ فيه دلالةً على ما حُذف. وقال ابن عباس: يريد في الدنيا القتل، وفي الآخرة التردِّي في النار. انتهى.

وفي قوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: هلاكاً زيادةُ تقويةٍ لقلوب المؤمنين؛ إذ جعل لهم التثبيتَ، وللكفار الهلاكَ والعَثْرَة[(٦)].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يشمل ما أنزل من القرآن في بيان التوحيد وذِكرِ البعثِ والفرائض والحدودِ وغيرِ ذلك مما تضمَّنه القرآن[(٧)]. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جعلَها من الأعمال التي لا تزكو ولا يُعتَدُّ بها[(٨)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، وزاد المسير ٧/ ٣٩٧. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.
(٢) تصحفت في (يه) و(ع) والمطبوع إلى: حزناً، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.
(٣) الأقوال في النكت والعيون ٥/ ٢٩٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٤، وفيهما قول ابن جريج مثل قول ابن عباس. وأخرج الطبري ٢١/ ١٩٣ قول ابن زيد.
(٤) تحرفت في (يه) و(ز٢) إلى: يقدره.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣٢، وما بعده منه. قال الآلوسي في روح المعاني ٢٥/ ١٣٩: وفي الدعاء للعاثر: لَعاً له، أي: انتعاشاً وإقامةً.
(٦) الكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، وتفسير الرازي ٢٨/ ٤٩.
(٧) تفسير الرازي ٢٨/ ٤٩ ببعضه.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢.

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أفسدَ عليهم ما اختُصُّوا به من أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكلِّ ما كان لهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: أمثال تلك العاقبة والتدميرة التي يدلُّ عليها «دمَّر» أو الهَلَكَة؛ لأنَّ التدميرَ يدلُّ عليها، أو السُّنَّة؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾[1] [الأحزاب: ٣٨]. والوجه الأول هو الراجح؛ لكونِ العاقبة منطوقاً بها، فعاد الضميرُ على الملفوظ به، وما بعده مقولٌ منقول.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ﴾ ابتداءٌ وخبر. والإشارة بـ «ذلك» إلى النَّصْر في اختيار جماعة، وإلى الهَلاك؛ لمَّا قال: «وللكافرين أمثالُها» قال: ذلك الهَلاك الذي حصل للكفار بأيدي المؤمنين بسبب أنَّ اللهَ مولاهم، أي: ناصِرُهم ومؤيِّدُهم، وأنَّ الكافرين لا ناصرَ لهم إذ اتخذوا آلهةً لا تنفعُ ولا تضرُّ، وتركوا عبادةَ مَنْ ينفَعُ ويضُرُّ وهو الله تعالى[2].

قال قتادة: نزلت هذه الآية يومَ أحدٍ، ومنها انتزعَ رسولُ الله ﷺ ردَّه على أبي سفيان حين قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» حين قال المشركون: إنَّ لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم[3].

❋ ❋ ❋

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٢.

(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٣. وينظر صحيح البخاري (٤٠٤٣)، ومسند أحمد (١٨٥٩٣).

أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ أي: ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائلَ. ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين غير مُفكِّرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ في مسارحِها ومعالِفها غافلةً عمَّا هي بصددِه من النَّحر والذَّبح[١].

والكاف في موضع نصب إمَّا على الحال من ضمير المصدر كما يقول سيبويه، أي: يأكلونه، أي: الأكلَ مُشبِهاً أكلَ الأنعام. [٢]وإمَّا على أنَّه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ كما يقول أكثر المُعْربين، أي: أكلاً مثل ما يأكل الأنعام[٢]، والمعنى: أنَّ أكلَهم مُجرَّدٌ من الفِكر والنظر، [٢]فالتشبيه في المعنى ليس في مُطلق الأكل، بل فيما هو لازمٌ للأكل من عدم الفكر والنظر[٢] كما تقول للجاهل: تعيشُ كما تعيشُ البهيمة؟! لا تريدُ التشبيهَ في مطلق العيش، ولكن في لازمه[٣].

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: موضع إقامة.

ثمَّ ضرب تعالى مثلاً لمكة بالقرى المُهلَكة على عِظَمها كقرية عادٍ وغيرِهم[٤]، والمرادُ أهلُها؛ ولذلك عاد الضميرُ على ذلك المراد في قوله: «أهلكناهم»، ومعنى «أخرجَتْكَ» أي: أهلها، وأسندَ الإخراج إليها مجازاً[٥]، والمعنى: كانوا سببَ خروجك، وذلك وقت هجرته عليه السلام إلى المدينة[٦]، وكما جاء في حديث وَرَقَة بن نَوْفَل: يا ليتني فيها جَذَعاً إذْ يُخرِجُكَ قومُك. قال: «أوَمُخْرِجِيَّ هم؟»[٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٢.
(٢-٢) ليس في المطبوع.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٣ ببعضه مع تقديم وتأخير.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١٣، وما قبله منه.
(٥) ينظر زاد المسير ٧/ ٤٠٠.
(٦) الكلام من الكشاف ٣/ ٥٣٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٣.
(٧) هو قطعة من حديث عائشة ﵂ أخرجه البخاري (٤٩٥٦)، ومسلم (١٦٠)، وأحمد (٢٥٩٥٩). وقوله: جَذَعاً، أي شابًّا.

وقال ابن عطية: ونسبَ الإخراج إلى القرية حملاً على اللفظ، وقال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ حملاً على المعنى[١]. انتهى.

وظاهر هذا الكلام لا يصحُّ؛ لأنَّ الضميرَ في «أهلكناهم» ليس عائداً على المضاف إلى القرية التي أسندَ إليها الإخراج، بل إلى أهل القرية في قوله: «وكأيِّنْ من قرية»، فإن كان أراد بقوله: حملاً على المعنى، أي: معنى القرية في قوله: «وكأيِّنْ من قريةٍ» فهو صحيح، لِكنَّ ظاهرَ قوله: حملاً على اللفظ، وحملاً على المعنى، أي: أنْ يكون في مدلولٍ واحدٍ، وكان على هذا يبقى «كأيِّنْ» مُفْلَتاً غيرَ مُحدَّثٍ عنه بشيء، إلَّا أنْ يُخَيَّلَ أنَّ «هي أشدُّ» خبرٌ عن «كأيِّنْ»، والظاهر أنَّه في موضع الصفة.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يعني وقتَ إهلاكهم، كأنَّه قال: فهم لا يُنْصَرون إذْ ذاك. وقال ابن عباس: لمَّا خرج من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أنتِ أحَبُّ بلاد الله إلى الله، وأنتِ أحَبُّ بلاد الله إليَّ، فلو أنَّ المشركين لم يخرجوني لم أخْرُجْ منكِ، فأعدى الأعداءِ مَنْ عدا على الله في حرمه، أو قتل غير قاتِله، وقتلَ بذُحُول الجاهلية» قال: فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية[٢]. وقد تقدَّم أولَ السورة عن ابن عباس خلافُ هذا القول.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ استفهامُ توقيفٍ وتقريرٍ على كلِّ شيءٍ متَّفقٍ عليه، وهي معادلةٌ بين هذين الفريقين. قال قَتادة: والإشارة إلى الرسول وإلى كفَّار

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٣.

(٢) أخرجه بهذا السياق الطبري ٢١/ ١٩٨، وابن أبي حاتم فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٤١٠٣).
وأورده الثعلبي في تفسيره ٥/ ٤٧٨ ـ دون قوله: «فأعدى الأعداء...» إلى قوله: «بذحول الجاهلية» ـ وكذا نقله عنه القرطبي في تفسيره ١٩/ ٢٥٨.
والحديث بقسمه الأول ـ دون ذكر نزول الآية ـ أخرجه بنحوه الترمذي (٣٩٢٦) من حديث ابن عباس ﵄.
وأخرجه ـ أيضاً ـ بنحوه (٣٩٢٥) من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء ﵁، وقال: هو عندي أصح.
والحديث بقسمه الثاني ـ دون ذكر نزول الآية ـ أخرجه أحمد (٦٧٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄.
وقوله: «أو قتل غير قاتله» أي: غير قاتل وليِّه. و«ذُحُول الجاهلية»: جناياتُها.

قريش. انتهى. واللَّفظ عامٌّ لأهل الصِّفتين[١].

ومعنى ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: على حجَّةٍ واضحةٍ، وهو القرآنُ المُعجِزُ وسائرُ المعجزات[٢].

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وهو الشركُ والكفرُ بالله وعبادةُ غيره[٣].

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: شهوات أنفسِهم ممَّن لا يكون له بينةٌ، فعبدوا غيرَ خالقِهم. والضمير في «واتَّبعوا» عائدٌ على معنى «مَنْ»[٤].

وقُرئ: «أمَنْ كان» بغير فاء[٥].

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: صفة الجنة، وهو مرفوعٌ بالابتداء. قال النَّضر بن شُمَيل: كأنَّه قال: صفةُ الجنة ما تسمعون. انتهى. فما تسمعون هو الخبر، و«فيها أنهارٌ» تفسيرٌ لتلك الصفة، فهو استئنافُ إخبارٍ عن تلك الصفة. وقال سيبويه: فيما يُتلى عليكم مَثَلُ الجنة، فقدَّر الخبرَ المحذوف متقدِّماً، ثمَّ فسَّر ذلك الذي يُتلى.

وقال ابن عطية[٦]: وفي الكلام حذفٌ يقتضيه الظاهرُ. كأنَّه قال: مَثَلُ الجنة ظاهرٌ في نفس مَنْ وعى هذه الأوصاف. وكان ابنُ عطية قد قال قبل هذا: ويظهر أنَّ القصد بالتمثيل هو إلى الشيء الذي يتخيَّله المرء عند سماعه فيها كذا وكذا، فإنَّه يتصوَّر عند ذلك بقاعاً على هذه الصورة، وذلك هو مَثَلُ الجنة. قال: وعلى هذه التأويلات - يعني قولَ النَّضر وقول سيبويه وما قاله هو - يكون قبلَ قوله: «كمَنْ هو خالدٌ في النار» حذفٌ تقديره: أساكِنُ هذه؟ أو: أهؤلاء؟ إشارةٌ إلى المتقين. قيل: ويحتمل عندي أن يكون الحذف في صدر هذه الآية، كأنَّه قال: أمَثَلُ أهل الجنة كمَنْ هو خالدٌ؟ ويكون «مَثَل» مستفهَماً عنه بغير ألف الاستفهام، فالمعنى: أمَثَلُ أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن هو خالدٌ في النار؟ ويجيء قوله: «فيها أنهارٌ» في موضع الحال على هذا التأويل. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٣.
(٣) ينظر تفسير الطبري ٢١/ ١٩٩.
(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٧١.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣٣.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ١١٤، وكلام النضر بن شميل وسيبويه منه.

ولم يذكر الزمخشريُّ غيرَ هذا الوجه، قال: و«مَثَلُ الجنَّة» صفةُ الجنَّةِ العجيبةِ الشأن، وهو مبتدأ، وخبره «كمَنْ هو خالدٌ» وقوله: «فيها أنهارٌ» في حكم الصِّلة، كالتكريرِ لها، ألا ترى إلى صحَّةِ قولِكَ: التي فيها أنهار؟ ويجوز أن تكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ: هي فيها أنهارٌ، كأنَّ قائلاً قال: وما مَثَلُها؟ فقيل: فيها أنهارٌ. وأن تكون في موضع الحال، أي: مستَقِرَّةً فيها أنهار.

وقال الزمخشريُّ أيضاً: فإنْ قلتَ: ما معنى قوله: «مثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهار... كمن هو خالد في النار»؟ قلتُ: هو كلامٌ في صورة الإثبات، ومعناه النفيُ والإنكارُ؛ لانطوائه تحت كلامٍ مُصدَّرٍ بحرف الإنكار، ودخولِه في حيِّزِه وانخراطِه في سلكه، وهو قوله: «أفمَنْ كان على بيِّنةٍ من رَبِّه كمن زُيِّنَ له سوءُ عملِه»، فكأنَّه قيل: أمَثَلُ الجنة كمَنْ هو خالدٌ في النار؟ أي: كمَثَلِ جزاءِ مَنْ هو خالدٌ في النار. فإنْ قلتَ: لِمَ عُرِّيَ من حرف الإنكار؟ وما فائدةُ التعرية؟ قلتُ: تعرِيَتُه من حرف الإنكار فيها زيادةُ تصويرٍ لمكابرة مَنْ يُسوِّي بين المتمسِّك بالبيِّنة والتابع لهَوَاهُ، وأنَّه بمنزلة مَنْ يُثبت التسويةَ بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يُسقى أهلُها الحميمَ، ونظيرُه قولُ القائل:

أَفْــــرَحُ أنْ أُرزَأَ الــــكِـــــرامَ وأنْ ... أُورَثَ ذَوْداً شــصــائِـصــاً نَـبَــلا[1]

هو كلامٌ مُنكِرٍ للفرح برزِيَّة الكرامِ ووِراثةِ الذَّودِ، مع تعَرِّيه من حرف الإنكار؛ لانطوائه تحت حكم [قول] من قال له: أتفرَحُ بموت أخيك وبوراثةِ إبلِه؟ والذي طُرِحَ لأجله حرفُ الإنكار إرادةُ أن يُصوِّر قُبحَ ما أُزِنَّ به، فكأنَّه قال: نَعَمْ مثلي يفرَحُ بمَرْزِئةِ الكرام، وبأن يستبدِلَ منهم ذَوْداً يقِلُّ طائلُه، وهو من التسليم الذي تحتَه كلُّ إنكار[2]. انتهى.

وتلخَّصَ من هذا الاتِّفاق على إعراب «مَثَلُ الجنة» مبتدأً، واختلفوا في الخبر،

---

(١) قائله حضرمي بن عامر، والبيت في أمالي القالي ١/ ٦٧، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٧٦، والخزانة ٣/ ٤٢٩. والشصائص جمع شصوص: وهي الناقة قليلة اللبن. والنَّبَل: صغار الإبل وكبارها، والمراد هنا الصغار منها. والمعنى كما في الصحاح (نَبَلَ): أأفرَحُ بصغار الإبل وقد رُزئت بكبار الكرام.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٢-٥٣٤.

فقيل: هو مذكورٌ، وهو «كمَنْ هو خالدٌ في النار». وقيل: محذوفٌ، فقيل: مُقدَّرٌ قبلَه، وهو قول سيبويه. وقيل: بعده، وهو قول النَّضر وابن عطية على اختلاف التقدير.

ولمَّا بيَّنَ الفرقَ بين الفريقين في الاهتداء والضلال بيَّنَ الفرق بينهما فيما يؤولان إليه، وكما قدَّم مَنْ على بيِّنةٍ على مَنِ اتَّبع هواه، قدَّم حالَه على حاله[١].

وقرأ عليٌّ، وعبد الله، وابن عباس، والسُّلمي: «أمثال الجنة» أي: صفاتها. وعن عليٍّ أيضاً: «مثال الجنة»[٢].

وقرأ ابن كثير وأهل مكة: «أسِنٍ» على وزن حَذِرٍ، اسمُ فاعلٍ من أسِنَ بكسر السين. والجمهور: «آسِنٍ» على وزن فاعل، من أسَنَ بفتح السين[٣]. وقُرئ: «غيرِ يَسِنٍ» بالياء. قال أبو علي[٤]: وذلك على تخفيف الهمزة.

﴿لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ نفيٌ لجميع وجوه الفساد في اللبن. ﴿لَّذَّةٖ﴾ جمعَتْ طِيبَ المَطْعَم وزوال الآفات من الصُّداع وغيره[٥]. و«لَذَّةٍ» تأنيثُ لَذٍّ، وهو اللذيذ. أو مصدرٌ نُعِتَ به[٦].

فالجمهور بالجرِّ على أنَّه صفةُ «خَمْر»[٧]. وقُرئ بالرفع صفةً لـ «أنهار»، وبالنصب، أي: لأجل لذَّةٍ، فهو مفعول له[٨].

«من عسَلٍ مصفًّى» قال ابن عباس: لم يخرُجْ من بطون النَّحل قبلُ فيخالطه الشمعُ وغيرُه.

ووصفه بـ «مُصفًّى»؛ لأنَّ الغالبَ على العسل التذكير[٩]، وهو مما يُذكَّر ويُؤنَّث.

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٥٣.

(٢) القراءات الشاذة ص١٤٠، والمحتسب ٢/ ٢٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٤. ومن قوله: وقرأ علي... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٣) ينظر السبعة ص٦٠٠، والتيسير ص٢٠٠. ومن قوله: أسِن... إلى: آسن؛ ليس في المطبوع.

(٤) في الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٩١. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١١٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١١٤. ومن قوله: لم يتغير... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٣٤. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨٤.

(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٦.

(٨) الكشاف ٣/ ٥٣٤، وما بعده منه.

(٩) لكن ابن قتيبة قال في غريب الحديث ١/ ٣٥: الأغلب عليه التأنيث.

وعن كعب أنَّ النِّيل ودِجلة والفرات وجِيحان تكون هذه الأنهار في الجنة[١]. وقد اختُلف في تعيين كلِّ نهرٍ منها لماذا يكون فتركتُه.

وبُدِئ من هذه الأنهار بالماء وهو الذي لا يُستغنى عنه في المشروبات، ثمَّ باللَّبن؛ إذ كان يجري مجرى المَطْعوم[٢] في كثيرٍ من أوقات العرب وغيرهم، ثمَّ بالخمر؛ لأنَّه إذا حصل الرِّيُّ والمطعوم تشوَّفتِ النفس إلى ما يُلتَذُّ به، ثمَّ بالعسل؛ لأنَّ فيه الشفاءَ في الدنيا ممَّا يعرض من المشروب والمطعوم، فهو متأخِّرٌ في الرُّتبة.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لمَّا ذكر المشروب ذكر من المأكول ما يُتفكَّه به. قيل: و«مِن» زائدة، أي: ولهم فيها كلُّ الثمرات. وقيل: المبتدأ محذوفٌ أي: أنواعٌ من كلِّ الثمرات. وقدَّرَه بعضُهم بقوله: زوجان من كلِّ الثَّمَرات، كأنَّه انتزعه من قوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢].

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو معطوف على ما قبله لا بقَيْدِ فيها، أي: ولهم مغفرةٌ من ربهم[٣]؛ لأنَّ المغفرة قبلَ دخول الجنة. أو على حذف، أي: بنعيمِ مغفرةٍ؛ إذ المغفرةُ سببُ التنعيم[٤].

﴿وَسُقُوا﴾ عائدٌ على معنى «مَنْ»، و«هو خالدٌ» على اللفظ، وكذلك «خَرَجوا» عاد على معنى «مَنْ يَسْتَمع».

كان المنافقون يحضرون عند الرسول ويستمعون كلامَه وتلاوتَه، فإذا خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم ـ وهم السامعون كلامَ الرسول حقيقةً، الواعونَ له ـ: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: الساعة، وذلك على سبيل الهُزء والاستخفاف، أي: لم نفهم ما يقول، ولا ندري ما نَفْعُ ذلك؟ وممَّن سألوه ابنُ مسعود[٥].

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٤٧٨.
(٢) المثبت من (يه) و(د٣)، وفي باقي النسخ والمطبوع: المطعم.
(٣) من قوله: ولهم فيها من كل الثمرات... إلى هنا، جاء مختصراً في المطبوع، وانظر تفسير الرازي ٢٨/ ٥٥.
(٤) الكلام من إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٤.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١١٤-١١٥ بنحوه.

و«آنِفاً» حال، أي: مُبتَدِئاً، أي: ما القولُ الذي ائتنفه الآن قبلَ انفصاله عنه.

وقرأ الجمهور: «آنِفاً» على وزن فاعل. وابنُ كثير على وزن فَعِل[١].

وقال الزمخشري: و«آنِفاً» نُصِبَ على الظرف[٢]. انتهى. وقال ذلك؛ لأنَّه فسَّره بالساعة.

وقال ابن عطية: والمفسِّرون يقولون: «آنفاً» معناه: الساعة الماضية القريبة منَّا، وهذا تفسيرٌ بالمعنى[٣]. انتهى. والصحيح أنَّه ليس بظرف، ولا نعلم أحداً من النُّحاة عدَّه في الظروف.

والضمير في «زادَهم» عائدٌ على «الله» كما أُظهِرَ في قوله: «طبعَ الله»؛ إذ هو مُقابِلُه، وكما هو في «وآتاهم»، والزيادة في هذا المعنى تكون بزيادة التفهيم والأدلَّة، أو بورود الشرائع بالأمر والنهي والإخبار، فيزيد الهدى لزيادةِ علمِ ذلك والإيمانِ به. قيل: ويحتمل أن يعود على قول المنافقين واضطرابهم؛ لأنَّ ذلك مما يعجَبُ منه المؤمن ويحمَدُ اللهَ على إيمانه ويزيد بصيرةً في دينه. وقيل: يعود على قول الرسول[٤].

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أي: أعطاهم، أي: جعلهم متَّقين له، فـ ﴿تَقْوَىٰهُمْ﴾ مصدرٌ مضافٌ للفاعل[٥].

﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة[٦]، والضمير للمنافقين، أي: الأمرُ الواقعُ في نفسه انتظارُ الساعة، وإن كانوا هم في أنفسهم ينتظرون غيرَ ذلك؛ لأنَّ ما في أنفسهم غير مُراعًى؛ لأنَّه باطل[٧].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٥، وزاد المسير ٧/ ٤٠٢، والمشهور عن ابن كثير كقراءة الجمهور.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٥.
(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠-١١، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١١٥.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٣٤.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١١٦.

وقرأ أبو جعفر الرُّؤاسي عن أهل مكة: «إنْ تأتِهم» على الشرط، وجوابه «فقد جاء أشراطها»(١). وهذا غيرُ مشكوكٍ فيه؛ لأنَّها آتيةٌ لا مَحالة، لكِنْ خُوطِبوا بما كانوا عليه من الشكِّ، ومعناه: إن شكَكْتُم في إتيانها فقد جاء أعلامُها، فالشكُّ راجعٌ إلى المخاطَبين الشاكِّين(٢).

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: فما جزاءُ الشرط؟ قلتُ: قوله: «فأنَّى لهم»، ومعناه: إنْ تأتِهم الساعةُ فكيف لهم ذكراهم؟ أي: تذكُّرُهم واتِّعاظُهم إذا جاءتهم الساعة، يعني: لا تنفعهم الذكرى حينئذٍ، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]. فإنْ قلتَ: بِمَ يتَّصل قولُه: «فقد جاء أشراطها» على القراءتين؟ قلتُ: بإتيان الساعة اتصالَ العِلَّة بالمعلول، كقولك: إن أكرَمني زيدٌ فأنا حقيقٌ بالإكرام أُكْرِمْه(٣).

وقرأ الجُعْفي، وهارون عن أبي عمرو: «بَغَتَّةً» بفتح الغين وشدِّ التاء(٤). قال صاحب «اللوامح»: وهي صفة، وانتصابُها على الحال لا نظيرَ لها في المصادر ولا في الصِّفات، بل في الأسماء، نحو: الجَرَبَّة ـ وهو اسمُ جماعة ـ والشَّرَبَّة ـ مكان ـ انتهى. وكذا قال أبو العباس بن الحاج من أصحاب الأستاذ أبي علي الشلوبين في كتاب «المصادر» من تأليفه.

وقال الزمخشري: وما أخوفني أن تكون غلطةً من الراوي(٥) على أبي عمرو، وأن يكون الصوابُ «بَغَتَةً» بفتح الغين من غير تشديد، كقراءة الحسن فيما تقدَّم(٦). انتهى. وهذا على عادته في تغليط الرُّواة.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٦. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٦١، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨٥.
(٢) كلمة «الشاكين» ليست في (ز٢) و(ح).
(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٤-٥٣٥.
(٤) المحتسب ٢/ ٢٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٦. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٥) من قوله: من تأليفه... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٣٥.

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتُها[١]، فينبغي الاستعدادُ لها، ومن أشراط الساعة مَبْعَثُ رسول الله ﷺ؛ إذ هو خاتم الأنبياء. ورُوي عنه أنَّه قال: «أنا من أشراط الساعة»[٢]، وقال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين»[٣] و«كفرَسَي رِهان»[٤]. وقيل: منها الدُّخَانُ، وانشقاقُ القمر. وعن الكلبي: كثرةُ المال والتجارة، وشهادةُ الزُّور، وقطعُ الأرحام، وقِلَّةُ الكرام، وكثرةُ اللئام[٥].

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ الظاهر أنَّ المعنى: فكيفَ لهم الذِّكرى والعمل بها إذا جاءتهم الساعة، أي: قد فاتهم[٦] ذلك. قيل: ويحتمل أن يكون المبتدأ محذوفاً، أي: فأنَّى لهم الخلاصُ إذا جاءتهم الذِّكرى بما كانوا يُخبَرون به فيكذِّبون به منوطةً بالعذاب[٧].

ثمَّ أضرب عن ذكر المنافقين وقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والمعنى: دُمْ على عِلْمِكَ بتوحيد الله، واحتُجَّ بهذا على قول من قال: أوَّلُ الواجبات العلمُ والنظر، قبل القول والإقرار.

وفي الآية ما يدلُّ على التواضعِ وهَضْمِ النفس، إذ أمره بالاستغفار[٨]. واستغفارُه عليه السلام لأهل الإيمان رحمةٌ لهم، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولذنوب المؤمنين.

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٧٧، والوسيط ٤/ ١٢٤.
(٢) لم أجد من أخرجه بهذا اللفظ، وقد ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١١٦ والكلام منه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) (١٣٥)، وأحمد (١٢٢٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد (١٤٤٣١)، وابن ماجه (٤٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٤) هو قطعة من حديث، ولفظه: «مثلي ومثل الساعة كمثل فَرَسَيْ رِهان». أخرجه أحمد (٢٢٨٠٩)، والبيهقي في الشعب (١٠٢٣٧)، وأبو الشيخ في الأمثال (٣٤٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣٥.
(٦) تحرفت في (يه) و(ع) والمطبوع إلى: فاتها. وينظر معنى هذا القول في تفسير الطبري ٢١/ ٢٠٨ عن قتادة.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١١٦، وما بعده منه أيضاً.
(٨) الكشاف ٣/ ٥٣٥.

وأحوالُه عليه السلام ثلاثة؛ مع الله بالتوحيد، ومع نفسه بالاستغفار له، ومع غيره بالاستغفار لهم.

﴿مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَنكُمْ﴾ هو على العموم في كلِّ متقلَّب وفي كلِّ إقامة.

وقال ابن عباس: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرُّفكم في حياتكم الدنيا ﴿وَمَثْوَنكُمْ﴾: إقامتكم في قبوركم وفي آخرتكم. وقال عكرمة: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمَّهات ﴿وَمَثْوَنكُمْ﴾: إقامتكم في الأرض[1].

وقال الطبريُّ وغيرُه: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرُّفكم في يقظتكم ﴿وَمَثْوَنكُمْ﴾: منامكم[2]. وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في معايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثْوَنكُمْ﴾ حيث تستقِرُّون من منازلكم. وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في أعمالكم ﴿وَمَثْوَنكُمْ﴾ من الجنة والنار[3].

وقرأ الجمهور: «مُتقلَّبكُم» بالتاء. وابنُ عباس بالنون.

❁ ❁ ❁

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

كان المؤمنون حريصين على ظهور الإسلام وعُلوِّ كلمته وتمنِّي قتل العدو،

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٩. وقول ابن عباس في المحرر الوجيز ٥/ ١١٦. وقول عكرمة في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٨٠، وتفسير البغوي ٤/ ١٨٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١١٦. وقول الطبري في تفسيره ٢١/ ٢٠٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٥.

وكانوا يستأنسون بالوحي، ويستوحشون إذا أبطأ، واللهُ تعالى قد جعل ذلك بآمادٍ مضروبةٍ لا تُتَعدَّى، فمدح تعالى المؤمنين بطلبهم إنزالَ سورة، والمعنى يتضمَّن: أَمْرَنا بمجاهدة العدوِّ وفضح أمر المنافقين[1]. والظاهرُ أنَّ طالبي[2] ذلك هم خُلَّصٌ في إيمانهم؛ ولذلك قال بعدُ: ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

وقال الزمخشري: كانوا يَدَّعون الحرصَ على الجهاد ويتمنَّونه بألسنتهم، ويقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ في معنى الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ وأُمِروا فيها بما تمنَّوا وحَرَصوا عليه كاعوا[3] وشقَّ عليهم وسُقِطوا في أيديهم، كقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾[4] [النساء: ٧٧]. انتهى. وفيه تحريفٌ لما يدلُّ عليه لفظ القرآن.

و«لولا» بمعنى «هلَّا». وعن ابن مالك: «لا» زائدة، والتقدير: لو نُزِّلَتْ. وهذا ليس بشيء.

وقُرئ: «فإذا نزلَتْ»[5].

وقرأ زيد بن علي: «سورةً مُحكمةً» بنصبهما، ومرفوع «نَزَلَتْ» مُضْمَرٌ، و«سورةً» نصب على الحال. وقرأ هو وابن عُمير: «وذَكَرَ» مبنيًّا للفاعل، أي: الله «فيها القتالَ» نصب.

والجمهور برفع «سورةٌ محكمةٌ» على أنَّه مفعولٌ لم يُسمَّ فاعِلُه، وبُني «وذُكِرَ» للمفعول، و«القتالُ» رُفِعَ به.

وإحكامها كونُها لا تُنسَخ. قال قَتادة: كلُّ سورةٍ فيها القتال فهي مُحكَمةٌ وهو أشدُّ القرآن على المنافقين، وهذا أمرٌ استقرأه قتادة من القرآن لا بخصوصية هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) في (د٢) والمطبوع: ظاني.
(٣) جاء في هامش مخطوط الكشاف الورقة (٢٩٤): كَاعَ الكلبُ في الرَّمْل، أي: مشى على كُوعه، وذلك إذا اشتدَّ الحَرُّ. اهـ. ويقال: كاع عن الشيء، إذا هابه وجبُن عنه. الصحاح (كوع).
(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٥. قلت: ومن هنا يبدأ سقط في نسخة (د٣).
(٥) في (ز٢) و(ح): أنزلت، والمثبت موافق لما في الكشاف ٣/ ٥٣٥.

الآية، وذلك أنَّ القتالَ نسخَ ما كان من المُهادنة والصَّفْح[١]، وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة. وقيل: مُحكَمةٌ بالحلال والحرام[٢]. وقيل: مُحكَمةٌ أُريدت مدلولاتُ ألفاظها على الحقيقة دون المتشابه الذي أُريدَ به المجاز، نحو قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[٣] [محمد: ٤].

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ هو استعارة لفساد المُعتَقَد من مَرَضِ الأجسام[٤]، أي: تشخَصُ أبصارُهم جُبناً وهلَعاً. ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: نظراً كما ينظر من أصابَتْه الغشيةُ من أجل حلول الموت[٥]. وقيل: يفعلون ذلك وهو شخوص البصر إلى الرسول من شدَّة العداوة[٦]. وقيل: من خشية الفضيحة؛ فإنَّهم إنْ يُخالفوا عن القتال افتُضِحوا وبان نفاقُهم[٧].

و«أولى لهم» تقدَّم شرحُه في المفردات. وقال قتادة: كأنَّه قال: العقابُ أولى لهم[٨]. وقيل: وَلِيَهُم المكروه[٩]. و«أَوْلى» وزنُها «أَفْعَل» أو «أَفْلَع» على اختلاف الاشتقاق الذي ذكرناه في المفردات[١٠]، فعلى قول الجمهور: إنَّه اسمٌ، يكون مبتدأ والخبر «لهم»، وقيل: «أولى» مبتدأ، و«لهم» من صلته، و«طاعةٌ» خبر، وكأنَّ اللام بمعنى الباء، كأنَّه قيل: فأولى بهم طاعة[١١]. ولم يتعرَّض الزمخشريُّ لإعرابه، وإنَّما قال: ومعناه الدعاءُ عليهم بأنْ يلِيَهم المكروه[١٢]. وعلى قول

(١) في (يه) و(ع) والمطبوع: والصلح، والمثبت من (ز٢) و(ح) والكشاف ٣/ ٥٣٥، والكلام منه.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٠٠.
(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٦٢ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١٧. وهذه الجملة ليست في المطبوع.
(٥) تأويل مشكل القرآن ص٣٥٢، والكشاف ٣/ ٥٣٥، وزاد المسير ٧/ ٤٠٦.
(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٤ بنحوه.
(٧) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٧٩ بنحوه.
(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٠١.
(٩) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٤.
(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ١١٧.
(١١) تفسير البغوي ٤/ ١٨٣.
(١٢) الكشاف ٣/ ٥٣٥، وهو قول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ١٢.

الأصمعي: إنَّه فِعْلٌ يكون فاعلُه مضمراً يدلُّ عليه المعنى، وأُضمِرَ لكثرة الاستعمال، كأنَّه قال: قارَبَ لهم هو، أي: الهلاك. قال ابن عطية: والمشهور من استعمال العرب أن تقول: هذا أولى بك من هذا، أي: أحقُّ. وقد تستعمل العرب «أولى لك» فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القوة، فتقول على جهة الزجر والتوعد: أولى لكَ يا فلان، وهذه الآية من هذا الباب، ومنه قوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤]، وقولُ الصِّدِّيق للحسن ﷺ: أولى لكَ[١]. انتهى.

والأكثرون على أنَّ «طاعةٌ وقولٌ معروفٌ» كلامٌ مستقِلٌّ محذوفٌ منه أحدُ الجُزأين؛ إمَّا الخبر وتقديره: أمثَلُ، وهو قول مجاهد ومذهب سيبويه[٢] والخليل، وإمَّا المبتدأ وتقديره: الأمرُ، أو أمْرُنا طاعةٌ، أي: الأمرُ المرضيُّ لله طاعة.

وقيل: هي حكايةُ قولهم، أي: قالوا: طاعة، ويشهد له قراءة أبيٍّ: «يقولون طاعةٌ وقولٌ معروف»[٣].

وقولُهم هذا على سبيل الهُزء والخديعة. وقال قتادة: الوقف على «فأولى» و«لهم طاعة» ابتداءٌ وخبر، والمعنى أن ذلك منهم على جهة الخديعة[٤].

وقيل: «طاعةٌ» صفةٌ لـ «سورة» أي: فهي طاعة، أي: مطاعة[٥]. وهذا القول ليس بشيء؛ لحيلولة الفصل الكثير بين الصفة والموصوف.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: جَدَّ، والعزمُ: الجِدُّ، وهو لأصحاب الأمر، واستُعير للأمر كما قال تعالى: ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٦] [الشورى: ٤٣]، وقال الشاعر:

قد جَدَّتِ الحربُ بكم فجِدُّوا[٧]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٧.
(٢) في الكتاب ١/ ١٤١ و٢/ ١٣٦. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١١٧.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١٧.
(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٨، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٧.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١١٨، والرجز في الكامل للمبرد ٢/ ٤٩٤ دون نسبة، ولفظه:
قد شمرت عن ساقها فشُدُّوا وجَدَّتِ الحربُ بكم فجِدُّوا

والظاهر أنَّ جواب «إذا» قولُه: «فلو صدقوا الله» كما تقول: إذا كان الشتاء فلو جِئتَني لكَسَوتُكَ.

وقيل: الجواب محذوفٌ تقديره: فإذا عزم الأمر كرهوا أو نحوه. قاله قتادة. ومَنْ حمل «طاعةٌ وقولٌ معروف» على أنَّهم يقولون ذلك خديعةً قدَّر: فإذا عزمَ الأمرُ ناقضوا وتعاصَوا[١]. وقدَّره أبو البقاء[٢]: فاصْدُقْ.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما زعموا من حرصهم على الجهاد، أو في إيمانهم، وواطأتْ قلوبُهم فيه ألسنتَهم[٣]، أو: في قولهم: طاعةٌ وقولٌ معروف.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ التفاتٌ للذين في قلوبهم مرض، أَقْبَلَ بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ وتوقيفهم على سوء مُرْتَكَبهم.

و«عسى» تقدَّم الخلافُ في لغتها، وفي القراءة فيها إذا اتصل بها ضميرُ الخطاب، في سورة البقرة[٤]. واتّصالُ الضمير بها لغةُ الحجاز، وبنو تميم لا يُلحِقون بها الضمير[٥].

وقال أبو عبد الله الرازي: وقد ذكروا أنَّ «عسى» يتَّصلُ بها ضميرُ الرفع وضميرُ النصب، وأنَّها لا يتصل بها ضمير. ثمَّ قال: وأمَّا قولُ مَنْ قال: عسى أنتَ تقومُ، وعسى أنا أقومُ، فدون ما ذكرنا للتطويل الذي فيه[٦]. انتهى. ولا أعلمُ أحداً مِنْ نَقَلَةِ اللسان العربي ذكرَ انفصالَ الضمير بعد «عسى» وفصل بين «عسى» وخبَرِها بالشرط، وهو: «إنْ تَوَلَّيتُم».

وقرأ الجمهور: «إنْ تولَّيتُم» ومعناه: إن أعرضتُم عن القتال فتعودوا إلى جاهليتكم، أو أعرضتُم عن الإسلام[٧]. وقال قَتادة: كيف رأيتُم القومَ حين تولَّوا

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٨ بنحوه.
(٢) في الإملاء ٢/ ٢٣٧.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٦.
(٤) عند تفسير الآية (٢١٦) منها.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣٦.
(٦) تفسير الرازي ٢٨/ ٦٣.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١١٨ ببعضه، والكشاف ٣/ ٥٣٦ بنحوه. وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٣. ومن قوله: عن القتال... إلى: عن الإسلام؛ ليس في المطبوع.

عن كتاب الله؟ ألم يسفِكوا الدمَ الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصَوا الرحمن[١]؟ يشير إلى ما جرى من الفتن بعد زمان الرسول.

وقال كعب ومحمد بن كعب وأبو العالية والكلبي: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أمورَ الناس، من الوِلاية[٢]. ويشهد لها قراءة: «وُلِّيتُم» مبنيًّا للمفعول[٣]. وعلى هذا قيل: نزلَتْ في بني هاشم وبني أمية. وعن النبيِّ ﷺ: «إنْ تُوُلِّيتُم» بضمِّ التاء والواو وكسر اللام، وبها قرأ عليٌّ ورُوَيس[٤]، أي: إنَّ ولَّيتُكم ولايةَ جَوْرٍ فَمِلْتُم إلى دنياهم دون إمام العدل، أو على معنى: إنْ تولَّيتم بالتعذيب والتنكيل وأفعالِ العرب في جاهليَّتها وسيرتِها من الغارات والسِّنان[٥]، فإنَّما كانتْ ثمرتُها الإفسادَ في الأرض وقطيعةَ الرحم. وقيل معناه: إنْ تولَّاكم الناس وكَلَكُم الله إليهم[٦].

والأظهر أنَّ ذلك خطابٌ للمنافقين في أمر القتال، وهو الذي سبقت الآياتُ فيه، أي: إنْ أعرضْتُم عن امتثال أمر الله في القتال.

﴿أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بعدم معونة أهل الإسلام على أعدائهم ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾؛ لأنَّ من أرحامكم كثيراً من المسلمين، فإذا لم تعينوهم قطعتُم ما بينكم وبينهم من صلة الرحم، ويدلُّ على ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فالآيات كلُّها في المنافقين.

وهذا التوقُّع الذي في «عسى» ليس منسوباً إليه تعالى؛ لأنَّه عالمٌ بما كان وما يكون، وإنَّما هو بالنسبة لمَنْ عرف المنافقين، كأنَّه يقول لهم: لنا عِلْمٌ من حيث ضياعهم، هل يُتوقَّعُ منكم إذا أعرضْتُم عن القتال أن يكون كذا وكذا.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٨، وما بعده منه.
(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٢-٢٧٣. وقول محمد بن كعب في معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٨٢.
(٣) المحتسب ٢/ ٢٧٢، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١١٨.
(٤) القراءات الشاذة ص١٤٠، والمحتسب ٢/ ٢٧٢. وقراءة رويس عن يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٧٤.
(٥) في المحرر الوجيز: السباء، وفي المطبوع: الثبات!.
(٦) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ١١٨.

وقرأ الجمهور: «وتُقطِّعوا» بالتشديد على التكثير. وأبو عمرو في رواية، وسلَّام، ويعقوب، وأبان، وعِصْمة: بالتخفيف، مضارع قَطَع[١]. والحسن: «وتَقَطَّعوا» بفتح التاء والقاف وشدِّ الطاء[٢]، وأصله: «تتقطَّعوا» بتاءين، حُذِفَتْ إحداهُما على الخلاف في المحذوفة.

وانتصب «أرحامَكم» على إسقاط حرف الجرِّ، أي: في أرحامكم؛ لأنَّ تقطَّعَ لازمٌ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى مرضى القلوب[٣] ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن سماع الموعظة ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن طريق الهدى.

وقال الزمخشري: لعنهم الله لإفسادِهم وقَطْعِهم الأرحام، فمنعهم ألطافَه وخذلهم حتى عَموا[٤]. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

وجاء التركيب: «فأصمَّهم» ولم يأتِ «فأصمَّ آذانهم»، وجاء «وأعمى أبصارهم» ولم يأتِ «وأعماهم» قيل: لأنَّ الأذن لو أصمَّتْ بقطعٍ أو قلعٍ يُسمَعُ الكلام، فلم يحتجْ إلى ذكر الأذن، والبصر ـ وهو العين ـ لو أُصيبتْ لامتنع الإبصار، فالعين لها مدخلٌ في الرؤية، والأذن لا مدخلَ لها في السمع[٥]. انتهى. ولهذا جاء ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ [النحل: ٧٨]، ولم يأتِ «وعلى آذانهم» ولا يأتي «وجعلَ لكم الآذان»، وحين ذكر الأذن نسب إليه الوَقْر وهو دون الصَّمم، كما قال: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: يتصفَّحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة[٦]. وهو استفهامُ توبيخٍ وتوقيفٍ على مخازيهم.

---

(١) المشهور في قراءة أبي عمرو كقراءة الجمهور، والقراءة عن يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٧٤، والقراءة عن سلام في القراءات الشاذة ص١٤٠. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ١١٨.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٤. ومن هنا إلى قوله: على إسقاط حرف الجر، ليس في المطبوع.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٨.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٦، وما قبله منه.

(٥) تفسير الرازي ٢٨/ ٦٤-٦٥. ومن قوله: بقطع... إلى: لامتنع الإبصار؛ ليس في المطبوع.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٣٦.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ استعارةٌ للذين منعَهم الإيمان، و«أم» منقطعة بمعنى «بل» والهمزة للتقرير والتسجيل عليهم بأنَّ قلوبَهم مُقفلةٌ لا يصل إليها ذِكْرٌ[١]. ولم يحتَجْ إلى تعريف القلوب؛ لأنَّه معلومٌ أنَّها قلوبُ من ذَكَر، ولا حاجة إلى تقدير صفة محذوفة، أي: أم على قلوبٍ قاسيةٍ. وأضاف الأقفالَ إليها، أي: الأقفال المختصة، أو هي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتِح.

وقُرئ: «إقفالُها» بكسر الهمزة، وهو مصدر[٢]، و«أقفُلها» بالجمع على أفْعُل[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ قال قتادة: نزلَتْ في قومٍ من اليهود كانوا عرفوا أمرَ الرسول من التوراة، وتبيَّن لهم بهذا الوجه، فلمَّا باشروا أمرَه حسدوه فارتدُّوا عن ذلك القَدْر من الهدى. وقال ابن عباس وغيره: نزلَتْ في منافقين كانوا أسلموا ثمَّ ماتَتْ قلوبهم. والآيةُ تتناولُ كلَّ مَنْ دخل في ضمن لفظها[٤].

وتقدَّم الكلامُ على «سَوَّلَ» في سورة يوسف[٥].

وقال الزمخشري هنا: «سَوَّل لهم» ركوبَ العظائم، من السَّوَل: وهو الاسترخاء، وقد اشتقَّه من السُّؤلِ مَنْ لا عِلْمَ له بالتصريف والاشتقاق جميعاً[٦]. انتهى.

وقال أبو علي الفارسي: بمعنى: ولَّاهم، من السَّوَل: وهو الاسترخاء والتدلِّي. وقال غيره: رجَّاهم سُؤْلَهم[٧]. وقال ابن بحر: أعطاهم سُؤْلَهم[٨].

وقولُ الزمخشري: وقد اشتقَّه... إلى آخره، ليس بجيد؛ لأنَّه توهَّم أن

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٦، وما قبله منه.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٠.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١٩.
(٥) عند تفسير الآية (١٨) منها.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١١٩، وأخذَ ابنُ عطية قَولَ أبي علي من ابن جني، وهو عنده في المحتسب ٢/ ٢٧٢.
(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٠٣.

«السَّوَل» أصلُه الهمزة، واختلفت المادَّتان؛ إذ عينُ «سَوَلَ» واو، وعينُ «السؤل» همزة، والسُّؤْلُ له مادتان؛ إحداهما الهمز، من سألَ يسألُ، والثانية الواو من سالَ يَسالُ، فإذا كان هكذا «فسَوَّلَ» يجوز أن يكون من ذوات الواو لا من ذوات الهمز.

وقال صاحب «اللوامح»: والتسويلُ أصله من الإرخاء، ومنه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]. والسَّوَل: استرخاء البطن.

وقرأ زيد بن علي: «سُوِّلَ لهم»[1] أي: كيدُه، على تقدير حذف مضاف.

وقرأ الجمهور: «وأملى لهم» مبنيًّا للفاعل. والظاهر أنَّه يعود على الشيطان. وقاله الحسن[2]. جعلَ وعدَه الكاذبَ بالبقاء كالإملاء، والإملاء هو الإبقاء مُلاوةً من الدهر، يمدُّ لهم في الآمال والأماني. قيل: ويحتمل أن يكون فاعل «أملى» ضميراً يعود على الله تعالى. قيل: وهو الأرجح؛ لأنَّ حقيقة الإملاء إنَّما هو من الله[3] تعالى.

وقرأ ابن سيرين، والجَحْدريُّ، وشيبة، وأبو عمرو، وعيسى: «وأُمليَ» مبنيًّا للمفعول[4]، أي: أُمهِلوا ومُدَّ في عمرهم.

وقرأ مجاهد، وابن هُرْمُز، والأعمش، وسلام، ويعقوب: «وأُمليْ» بهمزة المتكلم مضارع «أملى»[5]، أي: وأنا أُنْظِرهم، كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾. ويجوز أن يكون ماضياً سُكِّنَتْ منه الياء، كما تقول في بَقيَ: بَقِيْ، بسكون الياء.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾رُوي أنَّ قوماً من قُريظة والنَّضير كانوا يعِدون المنافقين في أمر الرسول والخلاف عليه بنصرٍ ومؤازرةٍ،

(١) القراءات الشاذة ص١٤٠-١٤١، والكشاف ٣/ ٥٣٧ دون نسبة.
(٢) فيما ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٠٣.
(٣) في (ز٢) و(ح) والمطبوع: مدُّ الله، وفي المحرر الوجيز ٥/ ١١٩ والكلام فيه بنحوه: بيد الله.
(٤) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٠٠، والتيسير ص٢٠١. وقراءة الباقين في المحرر الوجيز ٥/ ١١٩.
(٥) المحتسب ٢/ ٢٧٢ دون ذكر سلام وذكر بدلاً منه الجحدري. وقراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٧٤. وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٤.

وذلك قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾[(١)]. وقيل: الضمير في «قالوا» للمنافقين، و«الذين كرهوا ما نزَّل الله»: هم قُريظة والنَّضير، و«بعضُ الأمر» قولُ المنافقين لهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الحشر: ١١]. قاله ابن عباس.

وقيل «بعضُ الأمر»: التكذيب بالرسول، أو بلا إله إلا الله، أو تركُ القتال معه. وقيل: هو قولُ الفريقين اليهود والمنافقين للمشركين: سنُطيعكم في التظافر على عداوة الرسول والقعودِ عن الجهاد معه، ومعنى «في بعض الأمر»: في بعض ما تأمرون به، أو في بعض الأمر الذي يهمُّكم[(٢)].

وقرأ الجمهور: «أسرارهم» بفتح الهمزة، وكانت أسرارُهم كثيرةً. وابنُ وثَّاب، وطلحة، والأعمش، وعيسى، وحمزة، والكسائي، وحفص: بكسرها[(٣)]، وهو مصدر. قالوا ذلك سِرًّا فيما بينهم، وأفشاه الله عليهم[(٤)].

وقال أبو عبد الله الرازي[(٥)]: الأظهر أن يُقال: «والله يعلم إسرارهم» ما في قلوبهم من العلم بصدق محمدٍ عليه السلام، فإنَّهم كانوا مُعانِدين مكابِرين، وكانوا يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم. انتهى.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾تقدَّم فزع[(٦)] الذين في قلوبهم مَرَضٌ وهَلَعُهم لأجل القتال.

وتقدَّم قولُ المهتدين وما يلحقهم في ذلك من جزائهم على طواعية الكارهين ما نزَّل الله.

وتقدَّم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾، فجاء هذا الاستفهام الذي معناه التوقيف عُقَيب هذه الأشياء، فقال الطبري: فكيف عِلْمُه بها؟ أي: بأسرارهم إذا توَفَّتهم الملائكة. وقيل: فكيف يكون حالُهم مع الله فيما ارتكبوه من ذلك القول؟ وقيل: فكيف

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٩.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٥) في تفسيره ٢٨/ ٦٧.
(٦) في (د٢) و(ع) والمطبوع: شرح.

هَلَعُهم إذا توفَّتهم الملائكة[١]؟

وقرأ الأعمش: «توفَّاهم» بألف بدل التاء[٢]، فاحتَمَل أن يكون ماضياً ومضارعاً حُذِفَتْ منه التاء[٣].

والظاهر أنَّ وقت التوفِّي هو عند الموت[٤] وقال ابن عباس: لا يُتوفَّى أحدٌ على معصيةٍ إلَّا بضربِ الملائكةِ في وجهِه وفي دُبُره[٥]. والملائكة: ملَكُ الموت، والمُصرَّفون معه. وقيل: هو وقتُ سَوْقِهم في القيامة إلى النار، والملائكة: ملائكة العذاب[٦]. وقيل: هو وقت القتال نُصرةً للرسول، بضربِ وجوهِهم إن ثَبَتوا، وأدبارِهم إنْ هَرَبوا[٧]. والملائكة ملائكة النصر.

والظاهر أنَّ «يضربون» حالٌ من الملائكة. وقيل: حال من الضمير في «توفَّاهم»[٨]، وهو ضعيف.

﴿ذَٰلِكَ﴾أي: ذلك الضَّرْب للوجوه والأدبار[٩]﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ وهو الكفر[١٠]، أو كتمان نعت الرسول[١١]، أو تسويل الشيطان[١٢]. أقوالٌ. والمتَّبع الشيءَ هو مُقبِلٌ بوجهه عليه، فناسبَ ضربُ الملائكةِ وجهَه.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٠. وقول الطبري في تفسيره ٢١/ ٢٢١. والقيل الأخير ليس في المطبوع.
(٢) القراءات الشاذة ص١٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢٠.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٠٣.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٦) هذا القول ليس في المطبوع، وانظر المحرر الوجيز ٥/ ١٢٠.
(٧) المثبت من (ح) و(ز٢)، وفي باقي النسخ والمطبوع: إن هزموا. والكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٣٠٣-٣٠٤.
(٨) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٧.
(٩) تفسير الرازي ٢٨/ ٦٨.
(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٠.
(١١) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(١٢) تفسير الرازي ٢٨/ ٦٨، وما بعده منه بنحوه.

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ وهو الإيمان بالله واتِّباع دينه. والكاره للشيء مُتَولٍّ عنه، فناسب ضربُ الملائكةِ دبُرَه، ففي ذلك مقابلة أمرين بأمرين.

* * *

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

إخراجُ أضْغانِهم وهو حقودها: إبرازُها للرسول وللمؤمنين[١].

والظاهر أنَّها من رؤية البصر لعطف العرفان عليه وهو معرفة القلب، واتَّصل الضميرُ في «أريناكهم» وهو الأفصح، وإن كان[٢] يجوز الانفصالُ.

وفي هاتين الجملتين تقريبٌ[٣] لشُهْرَتِهم، لكنه لم يُعيِّنهم بأسمائهم إبقاءً عليهم وعلى قراباتهم، واكتفاءً منهم بما يتظاهرون به من اتِّباع الشرع وإن أبطنوا خلافه[٤].

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾كانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظٍ يخاطبون بها

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٧.
(٢) بعدها في (ع) زيادة: لا.
(٣) في (ز٢) وحدها: تعريف.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٠ بنحوه.

الرسول ممَّا ظاهره حسنٌ ويَعْنون به القبيحَ، وكانوا أيضاً يصدر منهم الكلامُ يُشعِرُ بالاتِّباع وهم بخلاف ذلك، كقولهم عند النصر: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٠] وغير ذلك كقولهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: ٨] وقولهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾[١] [الأحزاب: ١٣] والظاهر الإرادة والمعرفة بالسِّيما ووجود المعرفة في المستقبل بلَحْن القول.

واللَّام في «فلَعَرفْتهم» هي الداخلة على جواب «لو»؛ لأنَّ المعطوف على الجواب جواب، وفي «ولتعرفنَّهم» لامُ جواب القَسَمِ المحذوف[٢].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾خطابٌ عامٌّ يشمل المؤمن والكافر[٣]. وقيل: خطابٌ للمؤمنين فقط[٤].

وقرأ الجمهور: «ولنبلونَّكم حتى نعلم» و«نبلوَ» بالنون في ثلاثتها. وأبو بكر بالياء فيهنَّ. ورُوَيس: «ونَبْلُو» بإسكان الواو وبالنون. والأعمش بإسكانها وبالياء، وذلك على القطع؛ إعلاماً بأنَّ ابتلاءَه دائمٌ[٥].

ومعنى﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾أي: نعلمهم مجاهدين قد خرج جهادُهم إلى الوجود، وبأنَّ تكسُّبَهم الذي يتعلَّق به ثوابُهم[٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ناسٌ من بني إسرائيل، وتبيُّن هُداهم معرفتُهم بالرسول من التوراة. أو منافقون كان الإيمان قد داخلَ قلوبَهم ثمَّ نافقوا. أو المُطعِمون سفرة بدر. وتبيُّن الهدى: وجودُه عند الداعي إليه. أو عامَّةٌ في كلِّ كافرٍ وتبيُّن الهدى: من حيث كان بيِّناً في نفسه. أقوال.

﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾أي: التي كانوا يَرْجُون بها انتفاعاً. أو أعمالَهم التي

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٧٠ باختصار.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٧-٥٣٨. ومن قوله: فلعرفتهم... إلى: جواب وفي، ليس في المطبوع.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٢١.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٧٠.
(٥) ينظر السبعة ص٦٠١، والتيسير ص٢٠١، والنشر ٢/ ٣٧٥. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ١٢١.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٢١، وما بعده منه بنحوه.

يكيدون بها الرسولَ ودينَ الإسلام[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾قيل: نزلت في بني أسد، أسلموا وقالوا لرسول الله: قد آثرناكَ، وجئناكَ بنفوسِنا وأهلِنا. كأنَّهم مَنُّوا بذلك، فنزلت فيهم هذه الآية وقولُه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ [الحجرات: ١٧].

فعلى هذا يكون ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾بالمنِّ بالإسلام. وعن ابن عباس: بالرِّياء والسُّمعة. وعنه: بالشِّرك والنِّفاق. وعن حذيفة: بالكبائر. وقيل: بالعُجْب، فإنَّه يأكلُ الحسنات كما تأكلُ النَّارُ الحطب. وعن مقاتل: بعصيانكم للرسول. وقيل: «أعمالَكم»: صدقاتكم بالمنِّ والأذى[٢].

﴿مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ عامٌّ، فالموجبُ لانتفاء الغفران هو وفاتُهم على الكفر.

وقيل: هم أهل القَليب[٣]. وقيل: نزلت بسبب عدي بن حاتم ﷺ، سألَ رسولَ الله ﷺ عن أبيه قال: كانت له أفعالُ بِرٍّ فما حاله[٤]؟ فقال: «في النَّار» فبكى عديٌّ وولَّى، فدعاه فقال له: «أبي وأبوك وأبو إبراهيم خليلُ الرحمن في النَّار» ونزلت[٥].

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ أي: تَضْعُفوا[٦]﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ وهو الصُّلْح.

وقرأ الجمهور: «وتَدْعُوا» مضارع دعا. والسُّلمي بتشديد الدال أي: تَفْتروا[٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٨ بنحوه.

(٢) هذه الأقوال في الكشاف ٣/ ٥٣٩ دون قول مقاتل، فهو عند القرطبي ١٩/ ٢٨٧ بلفظ: يقول الله تعالى: إذا عصيتم الرسول فقد أبطلتم أعمالكم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٨٦، والكشاف ٣/ ٥٣٩. والقَليب: البئر. والمراد هنا قَليب بدر. ينظر النهاية (قلب).

(٤) في (يه): حالهم، وبعدها: فدعاهم.

(٥) هكذا أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٢٢، ولم أجده بهذا اللفظ، وإنَّما أخرج مسلم (٢٠٣)، وأحمد (١٣٨٣٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ، أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النَّار»، فلمَّا قفَّى دعاه فقال: «إنَّ أبي وأباك في النار». وليس في الحديث أنَّ القصة كانت سبب نزول الآية.

(٦) عبارة: «أي تضعفوا» من (ز٢)، والكلام من تفسير البغوي ٤/ ١٨٦.

(٧) قراءة السلمي في القراءات الشاذة ص١٤١، والمحتسب ٢/ ٢٧٣. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٢٢.

والجمهور: «إلى السَّلْم» بفتح السين. والحسن، وأبو رجاء، والأعمش، وعيسى، وطلحة، وحمزة، وأبو بكر بكسرها[1].

وتقدَّم الكلام على «السَّلم» في البقرة في قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [الآية: ٢٠٨].

وقال الزمخشري: وقُرِئ: «ولا تَدَّعُوا» من ادَّعى القومُ وتَداعَوا؛ إذا دَعَوا، نحو قولك: ارتَمَوا الصَّيد وترامَوه[2]. انتهى.

والتلاوة بغير «لا»، وكان يجب أن يأتي بلفظ التلاوة فيقول: وقُرئ: «وتَدَّعوا».

«وتدعوا» معطوفٌ على «تَهِنوا»، فهو مجزومٌ. ويجوز أن يكون مجزوماً بإضمار «إن»[3].

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾أي: الأغْلَبون[4]. وهذه الجملة حالية، وكذا ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾.

ويجوز أن تكونا جملتَي استئناف[5]، أخبر أولاً بقوله: «أنتم الأعْلَون» فهو إخبارٌ بمُغيَّبٍ أبرزه الوجود، ثم ارتقى إلى رتبةٍ أعلى من التي قبلَها، وهي كونُ اللهِ تعالى معهم.

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ قال ابن عباس: ولن يَظْلِمَكم[6]. وقيل: لن يُفرِدكم من ثواب أعمالكم[7]. وقيل: ولن يَنْقُصَكم[8].

---

(١) قراءة حمزة وأبي بكر في السبعة ص٦٠١، والتيسير ص٢٠١. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٢٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٩.
(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٩.
(٥) تحرفت في (ز٢) إلى: استفهام.
(٦) أخرجه عنه الطبري ٢١/ ٢٢٩. وهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٢٢، وتفسير البغوي ٤/ ١٨٦.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٢.
(٨) أخرجه الطبري ٢١/ ٢٢٩ عن مجاهد. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٠٦ عن مجاهد وقطرب. والقرطبي ١٩/ ١٨٩ عن ابن عباس وغيره. وهو في الوسيط للواحدي ٤/ ١٣٠، وتفسير البغوي ٤/ ١٨٦ دون نسبة.

وقال الزمخشري وقاله قبلَه أبو عبيد والمبرِّد: «ولن يَتِرَكُم» من وتَرْتَ الرجلَ، إذا قتلتَ له قتيلاً من ولدٍ أو أخٍ أو حميمٍ، أو حَرَمْتَه مالاً، أو ذهبتَ بماله. قال هو: وحقيقتُه: أفْرَدْته من قريبه أو ماله، من الوِتْر وهو الفرد. فشبَّه إضاعةَ عملِ العامل وتعطيلَ ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ فاتَتْه صلاةُ العصر فكأنَّما وُتِرَ أهلَه ومالَه»[(١)]. أي: أُفردَ عنهما قتلاً ونَهْباً[(٢)].

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾هو تحقيرٌ لأمر الدنيا، أي: فلا تَهِنُوا في الجهاد، وأخبر عنها بذلك باعتبار ما يختصُّ بها من ذلك، وأما ما فيها من الطاعة وأمر الآخرة فليس بذلك[(٣)].

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾أي: ثواب أعمالِكم من الإيمان والتقوى[(٤)].

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾قال سفيان بن عُيينة: أي: كثيراً من أموالكم، إنَّما يسألُكم ربعَ العُشر، فطيِّبوا أنفُسَكم[(٥)]. وقيل: لحاجةٍ إليها، بل ليرجع ثوابُ إنفاقكم إليكم[(٦)]. وقيل: إنَّما يسألُكم أموالَه؛ لأنَّه هو المالك لها حقيقة، وهو المُنعِمُ بإعطائها[(٧)].

وقيل: الضمير في «يَسْألْكم» للرَّسول، أي: لا يسألكم أجراً على تبليغ الرسالة، كما قال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[(٨)] [ص: ٨٦].

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾أي: جميعَها ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ أي: يُبالِغْ في الإلحاح ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أي: تَضْطغِنون على الرسول، وتضيقُ صدورُكم لذلك، وتمقتون ديناً يَذهَب بأموالكم[(٩)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) (٢٠١)، وأحمد (٦٣٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٩.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٣ بنحوه.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٣.
(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٠.
(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٠٧.
(٨) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٠.
(٩) الكشاف ٣/ ٥٣٩.

وقرأ الجمهور: «ويُخْرِجْ أضغانكم» جزماً على جواب الشرط، والفعل مسندٌ إلى الله، أو إلى السؤال[١]، أو إلى البخل.

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو: «ويُخْرِجُ» بالرفع على الاستئناف[٢]، بمعنى: وهو يُخرج. وحكاها أبو حاتم عن عيسى.

وفي «اللوامح» عن عبد الوارث عن أبي عمرو: «ويَخْرُجُ» بالياء وفتحها، وضمِّ الراء والجيم «أضغانُكم» بالرفع، بمعنى: وهو يَخْرُجُ أو سيَخرُجُ «أضغانُكم» رُفِعَ بفعله.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن سيرين، وابن مُحَيْصِن، وأيوب بن المتوكِّل، واليماني: «وتَخْرُجُ» بتاء التأنيث مفتوحة «أضغانُكم» رُفِعَ به[٣]. ويعقوب: «ونُخْرِجُ» بالنون مضمومة وكسر الراء «أضغانَكم» نصباً[٤]. ورُوِيَتْ عن ابن عباس. وقُرئ: «ويُخْرَجُ» بضم الياء وفتح الراء «أضغانُكم» رفعاً[٥]، وهي مرويَّة عن عيسى إلَّا أنَّه فتح الجيم بإضمار «أن»، فالواو عاطفةٌ على مصدر مُتَوَهَّم، أي: يَكُنْ[٦] بُخْلُكم، وإخراجُ أضغانِكم.

وهذا الذي خِيفَ أن يَعتريَ المؤمنين هو الذي تقرَّب به محمد بن مَسْلَمة إلى كعب بن الأشرف، وتوصَّل به إلى قتله حين قال له: إنَّ هذا الرجل قد أكثر علينا وطلب منا الأموال[٧].

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ كرَّر هاء التنبيه توكيداً.

وتقدَّم الكلام على هذا التركيب في سورة آل عمران[٨].

---

(١) المثبت من (ز٢)، وتحرف في باقي النسخ والمطبوع إلى: الرسول. والكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ١٢٣، وما بعده منه.
(٢) القراءات الشاذة ص١٤١، والمحتسب ٢/ ٢٧٣. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٩١.
(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩١، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.
(٥) القراءات الشاذة ص١٤١. ومن قوله: بالنون مضمومة... إلى هنا ليس في المطبوع.
(٦) المثبت من (يه) والدر المصون ٩/ ٧٠٨، وفي باقي النسخ والمطبوع: يكف.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٣، وما بعده منه.
(٨) عند تفسير الآية (٦٦) منها.

وقال الزمخشري: «هؤلاء» موصولٌ بمعنى الذين، صلتُهُ «تُدْعَون» أي: أنتم الذين تُدْعَون، أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون. ثمَّ استأنفَ وصفَهم، كأنَّهم قالوا: وما وَصْفُنا؟ فقيل: تُدْعَون لتنفقوا في سبيل الله[1]. انتهى. وكونُ «هؤلاء» موصولةً مذهبٌ كوفيٌّ، ولم يُثبِت البصريُّون اسم إشارةٍ موصولاً إلَّا إذا تقدَّمها «ما» الاستفهامية باتفاق، أو «مَنْ» الاستفهامية باختلاف.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾قيل: الغزو. وقيل: الزكاة. واللفظُ أعمُّ.

﴿مَن يَبْخَلُ﴾أي: بالصدقة وما أوجبَ الله عليه ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾أي لا يتعدَّى ضررُه غيره. و«بخِلَ» قيل: يتعدى بـ «على» وبـ «عن»، يُقال: بخلتُ عليه وعنه، وضَنَنْتُ عليه وعنه، وكأنَّهما إذا عُدِّيا بـ «عن» ضُمِّنا معنى الإمساك، كأنه قيل: أمسكتُ عنه بالبخل.

﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾أي: الغنيُّ مطلقاً، إذ تستحيل عليه الحاجات «وأنتم الفقراء» مطلقاً؛ لافتقاركم إلى ما تحتاجون إليه في الدنيا وإلى الثواب في الآخرة.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ عطف على «وإن تؤمنوا وتتَّقوا» أي: وإن تتولَّوا أي: عن الإيمان والتقوى «يستبدل قوماً غيركم» أي: يخلق قوماً سواكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولِّين عنهما، كما قال: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩] وتعيين أولئك القوم وأنهم الأنصار، أو التابعون، أو أهل اليمن، أو كِنْدة والنَّخَع، أو العجم، أو فارس والروم، أو الملائكة. أقوال.

والخطاب لقريش، أو لأهل المدينة. قولان. وروى أبو هريرة أنَّه عليه الصلاة والسلام سُئِلَ عن هذا، وكان سلمان إلى جنبه، فوضع يده على فخذه، وقال: «قومُ هذا، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان مَنوطاً بالثريَّا لتناوله رجالٌ من فارس»[2].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٩، والكلام الآتي منه.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣٢٦١)، وابن حبان (٧١٢٣).
وأخرجه بنحوه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦)، وأحمد (٨٠٨١). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٢٤.

وإنْ صحَّ هذا الحديث وجب المصير في تعيين ما انبَهَم من قوله ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾إلى تعيين الرسول.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ أي: في الخلاف والتولِّي والبخل[١].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٤.

مفردات سورة الفتح

ظَفِرَ[1] بالشيء: غلبَ عليه، وأظفَرَه عليه غَلَّبَه[2].

المَعَرَّة: المكروه والمشقة اللَّاصقة، مأخوذٌ من العُرِّ والعُرَّة: وهو الجرَبُ الصعب اللازم[3]. قال الشاعر:

كَـذِي الـعُـرِّ يُـكْـوَى غـيـرُهُ وهْـوَ راتِـعُ[4]

الشَّطْءُ: الفِراخ، أشطأ الزَّرْعُ: أفرخَ. والشجرةُ: أخرجَتْ غصونَها[5].

آزر: ساوى طُولاً. قال الشاعر:

بِـمَـحْـنـيَّـةٍ قـد آزرَ الـضَّـالَ نَـبْـتُـهـا   مَـجَـرَّ جـيـوشٍ غـانـمـيـنَ وخُـيَّـبِ[6]

أي: ساوى نبتُها الضالَ طولاً[7]. وهو شجرٌ، ووزنُه «أفْعَلَ»؛ لقولهم في المضارع: يُوزِرُ.

* * *

---

(١) هنا ينتهي الخرم الذي وقع في النسخة الأحمدية (أ)، والذي أشرنا إليه في سورة غافر، عند تفسير الآية (٥١).

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧.

(٤) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٨١، وصدره: لكلَّفتني ذنبَ امرئٍ وتَرَكْتَهُ.

(٥) تهذيب اللغة ١١/ ٣٩٢.

(٦) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٤٥. قال شارحه: المَحنيَّة: حيث ينحني الوادي، وهو أخصب موضعٍ فيه. وقوله: مجرَّ جيوش، أي: هذه المحنيَّة في موضع تمرُّ الجيوش به من غانم وخائب، فلا ينزلها أحدٌ ليرعاها خوفاً من الجيوش، فذلك أوفر لخصبها وأتمُّ لكلئها.

(٧) تهذيب اللغة ١٣/ ٢٤٧، وقال: الضال السِّدْر البرِّي.

سورة الفتح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠﴾.

هذه السورة مدنية، فعن ابن عباس أنَّها نزلت بالمدينة. ولعلَّ بعضاً منها نزل بالمدينة. والصحيح أنَّها نزلت بالطريق مُنْصرَفَه ﷺ من الحُديبية سنة ستٍّ من الهجرة، فهي تُعَدُّ في المدني(١).

ومناسبتُها لِما قبلها أنَّه تقدَّم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ الآية [٣٨ من سورة محمد] وهو خطابٌ لكفَّارِ قريش، أخبرَ رسولَه بالفتح العظيم، وأنَّه بهذا الفتح حصل الاستبدال، وآمنَ كلُّ مَنْ كان بها، وصارت مكةُ دارَ إيمان، ولمَّا قفَلَ رسولُ الله ﷺ من صلح الحُديبية تكلَّم المنافقون وقالوا: لو كان محمدٌ نبيًّا ودينُه حقًّا(٢) ما صُدَّ عن البيت، ولكان فتحُ مكة. فأكذَبَهم اللهُ تعالى، وأضافَ عزَّ وجلَّ الفتحَ إلى نفسه إشعاراً بأنَّه من عند الله، لا بكثرة عَدَدٍ ولا عُدَدٍ، وأكَّدَه بالمصدر، ووصفَه بأنَّه مُبِيْنٌ مُظهِرٌ لِما تضمَّنه من النصر(٣) والتأييد.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٥.
(٢) في (يه): ودينُه دينَ حقٍّ.
(٣) في (يه): النصرة.

والظاهر أنَّ هذا الفتح هو فتح مكة. وقاله الكلبي[(١)] وجماعة[(٢)]، وهو المناسب لآخر السورة التي قبل هذه، لمَّا قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ﴾الآية [محمد: ٣٨] بيَّن أنَّه فتحَ لهم مكة، وغنموا، وحصل لهم أضعافُ ما أنفقوا، ولو بخلوا لَضاعَ عليهم ذلك، فلا يكون بخلُهم إلَّا على أنفسهم. وأيضاً لمَّا قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥] بيَّن برهانه بفتح مكَّة، فإنَّهم كانوا هم الأَعْلَيْنَ. وأيضاً لمّا قال: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ [محمد:٣٥] كان فتحُ مكة حيثُ لم يلحقهم وَهْنٌ، ولا دَعَوا إلى صُلحٍ، بل أتى صناديدُ قريش مستأمِنين مستسلِمين مسلِمين[(٣)]. وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي وإن كان لم يقع؛ لأنَّ إخباره تعالى بذلك لا بُدَّ من وقوعه، وكون هذا الفتح هو فتحُ مكة بدأ به الزمخشري[(٤)].

وقال الجمهور: هو فتح الحُديبية[(٥)]. وقاله أنس[(٦)]، والشَّعبي[(٧)]، والزُّهري[(٨)]. قال ابن عطية: وهو الصحيح. انتهى.

ولم يكن فيه قتالٌ شديد، ولكن تَرامٍ من القوم بحجارةٍ وسهام. وعن ابن عباس: رمَوا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم. وعن الكلبي: ظهروا عليهم حتى سألوه الصُّلح. قال الشَّعبي: بلغَ الهديُ مَحِلَّه، وظهرتِ الرُّوم على فارس، ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس، وأُطعموا نخلَ خيبر[(٩)]. وقال الزُّهري: لم يكن فتحٌ أعظمَ من فتح الحديبية، اختلطَ المشركون بالمسلمين، وسمعوا كلامَهم، وتمكَّن الإسلامُ من قلوبهم، وأسلمَ في ثلاثِ سنين خلقٌ كثيرٌ، وكثُرَ بهم سواد الإسلام[(١٠)].

(١) فيما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٢٥.
(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٤٨٧ عن أنس بن مالك ﷺ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٢٣ عن عائشة والسدي.
(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٧٨.
(٤) في الكشاف ٣/ ٥٤٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٥.
(٦) في (ع) والمطبوع: السدي. وأخرجه عن أنس ﷺ البخاريُّ (٤٨٣٤).
(٧) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢٥، وابن سعد ٢/ ١٠٤، والطبري ٢١/ ٢٣٨.
(٨) أخرجه عنه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٧.
(٩) الكشاف ٣/ ٥٤١.
(١٠) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٧.

قال القرطبي: فما مضَتْ تلك السنونُ إلَّا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف[١].

وقال موسى بن عقبة: قال رجل منصرفَهم من الحُديبية: ما هذا الفتح؟ لقد صدُّونا عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادكم بالرَّاح، ويسألوكم القضية، ويرغَبوا إليكم في الأمان، ورأوا منكم ما كرهوا» وكان في فتحها آيةٌ عظيمةٌ وذلك أنَّه نَزَحَ ماؤها حتى لم يبقَ فيها قطرةٌ، فتمضمض رسولُ الله ﷺ، ثمَّ مجَّه فيها، فدرَّتْ بالماء حتى شربَ جميعُ مَنْ كان معه[٢]. وقيل: فجاش الماءُ حتى امتلأت ولم ينفَدْ ماؤها بعدُ.

وقال الزمخشري[٣]: فإنْ قلتَ: كيف يكونُ فتحاً وقد أُحصِروا فنحروا وحلقوا بالحُديبية؟ قلت: كان ذلك قبل الهدنة، فلمَّا طلبوها وتمَّتْ كان فتحاً مبيناً. انتهى.

وفي هذا الوقت اتَّفقَتْ بيعة الرضوان وهو الفتحُ الأعظم. قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب، وفيه استقبل فتح خيبر، وامتلأَتْ أيدي المؤمنين خيراً ولم يفتَحْها إلَّا أهل الحُديبية، ولم يشركهم أحدٌ من المتخلِّفين عن الحُديبية[٤]. وقال مجاهد: هو فتح خيبر[٥].

وفي حديث مُجَمِّع بن جارية: شهِدْنا الحُديبية، فلمَّا انصرَفْنا إذ الناسُ يهزُّون الأباعر، فقيل: ما بالُ الناس؟ قالوا: أوحى اللهُ للنبيِّ ﷺ. قال: فخرَجْنا نُوجِفُ، فوجدنا النبيَّ ﷺ عند كُراعِ الغَمِيم، فلمَّا اجتمع الناسُ قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: أوَفَتْحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنَّه لفَتْحٌ». فقُسِمَتْ خيبرُ على أهل الحُديبية، ولم يدخُلْ فيها أحدٌ إلَّا من شهد الحُديبية[٦].

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٦.
(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٦٠.
(٣) في الكشاف ٣/ ٥٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٥.
(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٨٧، وزاد المسير ٧/ ٤٢٣.
(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٧. والحديث أخرجه أحمد (١٥٤٧٠)، وأبو داود (٢٧٣٦)،
=

وقال الضحَّاك: الفتحُ: حصول المقصود بغير قتال، وكان الصُّلحُ من الفتح[١]. وفتحُ مكة بغير قتال، فتناول الفتحين الحُديبية ومكة.

وقيل: فتحَ اللهُ تعالى له بالإسلام والنبوَّة والدعوة بالحجَّة والسيف، ولا فتْحَ أبْيَنُ منه وأعظَمُ، وهو رأس الفُتوح كُلِّها، إذ لا فتحَ من فُتوحِ الإسلام إلَّا وهو تحتَه ومتشعِّبٌ منه.

وقيل: قضينا لكَ قضاءً بيِّناً على أهل مكة أن تدخُلَها أنت وأصحابُك من قابل ليطوفوا بالبيت، من الفَتاحة: وهي الحكومة. وهذا عن قتادة.

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: كيفَ جُعِلَ فتحُ مكةَ عِلَّةً للمغفرة؟ قلت: لم يُجعَلْ عِلَّةً للمغفرة، ولكِنْ لاجتماع ما عُدِّدَ من الأمور الأربعة ـ وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ـ كأنَّه قيل: يَسَّرْنا لكَ فتحَ مكة ونصرناك على عدوِّك لنجمعَ لكَ بين عِزِّ الدَّارين وأغراض العاجل والآجل. ويجوز أن يكون فتحُ مكة ـ من حيثُ إنَّه جهادٌ للعدوِّ ـ سبباً للغفران والثواب. والفتح: الظَّفَر بالبلد عَنوةً أو صلحاً بحربٍ أو بغير حرب؛ لأنَّه منغلِقٌ مالم يظفَرْ، فإذا ظفِرَ به وحصل في اليد فقد فُتح[٢]. انتهى.

وقال ابن عطية: المرادُ هنا أنَّ اللهَ فتحَ لكَ لكي يجعل ذلك علامةً لغُفرانِه لك، فكأنَّها لامُ صيرورة؛ ولهذا قال عليه السلام: «لقد أُنزِلَتْ عليَّ الليلةَ سورةٌ هي أحبُّ إليَّ مِن الدنيا»[٣]. انتهى.

= والثعلبي في تفسيره ٥/ ٤٨٧-٤٨٨. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٦٨: وفي إسناده ضعف.
وقوله: يهزُّون الأباعر، أي: يحثُّونها ويدفعونها. رقوله: نُوجِفُ؛ الإيجاف: سرعة السير. النهاية (وجف). وكُراع الغَميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة. معجم البلدان ٤/ ٤٤٣.

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٨٨، وتفسير البغوي ٤/ ١٨٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٤١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٦. والحديث أخرجه البخاري (٤١٧٧) و(٤٨٣٣)، وأحمد (٢٠٩) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ. وفيه «ممَّا طلعت عليه الشمس» بدل «من الدنيا».
وأخرجه مسلم (١٧٨٦)، وأحمد (١٣٢٤٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وفيه: «آية» بدل «سورة».

وقال صاحب «الغُنيان»: هي لام القسم، وكُسِرتْ لحذف النون من الفعل تشبيهاً بلام كي[١]. انتهى. ورُدَّ بأنَّ لام القسم لا تُكسَرُ ولا يُنصَبُ بها، ولو جاز هذا لجاز: لِيقومَ زيدٌ، في معنى لَيقومنَّ زيدٌ. انتهى.

أمَّا الكسر فقد عُلِّلَ بأنَّه شُبِّهت تشبيهاً بلام «كي»، وأمَّا النصب فله أن يقول: ليس هذا نصباً، لكنَّها الحركةُ التي تكون مع وجود النون بقِيَتْ بعدَ حذفِها دلالةً على الحذف، وبعد هذا فهذا القول ليس بشيء؛ إذ لا يُحفَظُ من لسانهم واللهِ لِيقوم ولا باللهِ لِيخرُجَ زيدٌ بكسرِ اللام وحذفِ النون وبقاءِ الفعل مفتوحاً.

﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾بإظهارك على عدوِّك، ورضاه عنك، وبفتح مكة والطائف وخيبر[٢].

﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾أي: بالظفر والتمكُّن من الأعداء بالغنيمة والأسر والقتل، نصراً فيه عِزٌّ ومَنَعةٌ، وأُسنِدَتِ العِزَّةُ إليه مجازاً، والعزيزُ حقيقةً هو المنصور ﷺ.

وأُعيدَ لفظُ «الله» في «وينصُرَكَ الله» لمَّا بَعُدَ عمَّا عطف عليه؛ إذ في الجملتين قبلَه ضميرٌ يعود على الله، وليكون المَبْدأ مسنداً إلى الاسم الظاهر، والمنتهى كذلك.

ولمَّا كان الغفرانُ وإتمامُ النِّعمة والهدايةُ والنصرُ يشتركُ في إطلاقها الرسولُ ﷺ وغيرُه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقوله: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢] وكان الفتحُ لم يَبْقَ لأحدٍ إلَّا للرسول ﷺ، أسندَه تعالى إلى نون العظمة تفخيماً لشأنه، وأسند تلك الأشياء الأربعة إلى الاسم الظاهر، واشتركت الخمسة في الخطاب له ﷺ تأنيساً له، وتعظيماً لشأنه، ولم يأتِ بالاسم الظاهر لأنَّ في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر[٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ وهي الطُّمأنينة والسُّكون. قيل: بسبب الصُّلح والأمن؛ ليعرفوا فضلَ الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، والهدنة بعد القتال، فيزدادوا

(١) قول صاحب الغنيان ليس في المطبوع، وانظر تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٨.
(٢) ينظر النكت والعيون ٥/ ٣١٠.
(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٧٩-٨٠ بنحوه.

يقيناً إلى يقينهم. وقيل: «السَّكينة» إشارة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الشرائع «ليزدادوا إيماناً» إلى «إيمانهم» وهو التوحيد. رُويَ معناه عن ابن عباس. وقيل: الوقار والعظمة لله ولرسوله. وقيل: الرحمة ليتراحموا. وقاله ابن عباس(١).

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إشارة إلى تسليم الأشياء إليه تعالى، ينصر من شاء، وعلى أيِّ وجهٍ شاء، ومِنْ جُندِه السكينة ثبَّتت قلوبَ المؤمنين(٢).

«لِيُدْخِلَ» هذه اللام تتعلَّق قيل: بـ «إنَّا فتحنا لك». وقيل بقوله: «ليزدادوا». فإن قيل: «ويُعذِّب» عطف عليه، والازدياد لا يكون سبباً لتعذيب الكفار؟ وأُجيب عن هذا بأنَّه ذُكِرَ لكونه مقصوداً للمؤمن، كأنه قيل: بسبب ازديادكم في الإيمان يُدخِلُكم الجنة، ويُعذِّبُ الكفارَ بأيديكم في الدنيا. وقيل: بقوله: «وينصرك الله» أي: بالمؤمنين(٣). وهذه الأقوال فيها بُعْدٌ.

وقال الزمخشري: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يُسلِّطُ بعضَها على بعض كما يقتضيه عِلْمُه وحكمتُه، ومن قضيَّتِهِ أنْ سَكَّنَ قلوبَ المؤمنين بصلح الحديبية، وأنْ وعدَهم أن يفتحَ لهم، وإنَّما قضى ذلك ليعرِفَ المؤمنون نعمةَ الله فيه ويشكروها فيستحقُّوا الثواب، فيُثيبَهم، ويُعذِّب الكافرين والمنافقين لِما غاظهم من ذلك وكرهوه(٤). انتهى.

ولا يظهر من كلامه هذا ما تتعلَّق به اللَّام، والذي يظهر أنَّها تتعلَّق بمحذوف يدلُّ عليه الكلام، وذلك أنَّه قال: «ولله جنود السماوات والأرض» كان في ذلك دليلٌ على أنَّه تعالى يبتلي بتلك الجنود مَنْ شاء، فيقبل الخيرَ مَنْ قضى له بالخير، والشرَّ مَنْ قضى له بالشر «لِيُدْخِلَ المؤمنين والمؤمنات جَنّاتٍ» ويُعذِّب الكفار.

فاللَّام تتعلَّق بـ «يبتلي» هذه، وما تعلَّق بالابتلاء من قبول الإيمان والكفر، و«يُكَفِّر» معطوفٌ على «لِيُدْخِلَ» وهو ترتيبٌ في الذِّكر لا ترتيبٌ في الوقوع، وكأنَّ التبشيرَ بدخول الجنة أَهَمُّ فبُدِئَ به.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٤١-٥٤٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٧.
(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٨١-٨٢.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٤٢.

ولمَّا كان المنافقون أكثرَ ضرراً على المسلمين من المشركين بُدِئَ بذِكْرِهم في التعذيب[١].

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾الظاهر أنَّه مصدرٌ أُضيفَ إلى ما يسوء المؤمنين، وهو أنَّ المشركين يستأصلونهم ولا يُنْصَرون، ويدلُّ عليه﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾و﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢]. وقيل: ظَنُّ السَّوء: ما يسوء المشركين من إيصال الهموم إليهم بسبب عُلُوِّ كلمة الله، وتسليط رسوله قتلاً وأسراً ونهباً[٢].

ثمَّ أخبر أنَّهم يستعلي عليهم السُّوء ويُحيط بهم، فاحتمَلَ أن يكون خبراً حقيقةً، واحتمَلَ أن يكون هو وما بعده دعاءً عليهم. وتقدَّم الكلام على هذه الجملة في سورة براءة[٣].

وقيل: ظَنُّ السَّوء يشمل ظنونَهم الفاسدة من الشرك، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٣و٢٨] ومن انتفاء رؤية الله تعالىٰ الأشياءَ وعلمِه بها، كما قال: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾ [فصلت: ٢٢]، ومن خلق العالم كما قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٤] [ص: ٢٧]. وقيل: السَّوء هنا كناية عن الفاسد، كما تقول: هذا فِعْلُ سَوْءٍ[٥].

وقرأ الحسن: «السُّوء» فيهما بضمِّ السين[٦].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾لمَّا تقدَّم تعذيبُ الكفار والانتقامُ منهم ناسبَ ذكر العِزَّة، ولمَّا وعد تعالى بمُغَيَّبات ناسب ذكر العلم، وقرن باللفظتين ذِكْرَ جنود السماوات والأرض فمنها السكينة التي للمؤمنين، والنِّقمة للمنافقين والمشركين، ومن جنود الله الملائكة في السماء والغزاة في سبيل الله في الأرض.

وقرأ الجمهور: «لِتُؤمنوا» وما عُطِفَ عليه بتاء الخطاب. وأبو جعفر، وأبو حَيْوة،

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٨٣ بنحوه.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٠٢ بنحوه.
(٣) عند تفسير الآية (٣٧) منها.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٨٤ بنحوه.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٤٢.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٨، وما بعده منه بنحوه.

وابنُ كثير، وأبو عمرو: بياء الغَيْبة[١]. والجَحْدريُّ بفتح التاء وضمِّ الزاي خفيف[٢]. وهو أيضاً وجعفر بن محمد كذلك إلَّا أنَّهم كسروا الزاي[٣]. وابنُ عباس واليماني بزايين[٤]، من العِزَّة. وتقدَّم الكلام في «وعزَّروه» في الأعراف[٥].

والظاهر أنَّ الضمائر عائدةٌ على الله تعالى، وتفريقُ الضمائر يجعلُ بعضَها للرسول ﷺ، وبعضَها لله تعالى، حيث يليقُ قولُ الضحَّاك[٦].

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قال ابن عباس: صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر[٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول ﷺ الأُهبةَ لقتال قريش حين أُرجف بقتل عثمان بن عفان، وقد بعثَه إلى قريش يُعلِمُهم أنَّه جاء معتمراً لا محارباً، وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية، بايعهم على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد؛ ولذلك قال سَلَمَةُ بن الأكْوَع وغيرُه: بايَعْنا على الموت[٨]. وقال ابن عمر وجابر: على أن لا نفِرَّ[٩].

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص٦٠٣، والتيسير ص٢٠١. وهي غير مشهورة عن أبي جعفر، والمشهور عنه كقراءة الجمهور. ينظر النشر ٢/ ٣٧٥.

(٢) القراءات الشاذة ص١٤١، والمحتسب ٢/ ٢٧٥.

(٣) القراءات الشاذة ص١٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢٩ عن جعفر بن محمد.

(٤) اليماني: هو محمد بن السميفع، والقراءة عنهما في المحرر الوجيز ٥/ ١٢٩، والقراءة عن محمد بن السميفع اليماني وحده في المحتسب ٢/ ٢٧٥، وزاد المسير ٧/ ٤٢٧.

(٥) في تفسير الآية (١٥٧) منها.

(٦) والمعنى أن القول الأول هو قول الضحاك، وهو الذي يليق، وقول الضحاك أخرجه الطبري ٢١/ ٢٥١. وينظر معاني القرآن للنحاس ٦/ ٥٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢٩.

(٧) الكشاف ٣/ ٥٤٣.

(٨) أخرجه البخاري (٢٩٦٠)، ومسلم (١٨٦٠)، وأحمد (١٦٥٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ.
وأخرجه البخاري (٢٩٥٩)، ومسلم (١٨٦١)، وأحمد (١٦٤٦) من حديث عبد الله بن زيد المازني ﷺ.

(٩) أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦)، وأحمد (١٥٢٥٩) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.
ولم أجده من حديث ابن عمر ﷺ بهذا اللفظ، وإنما أخرجه مسلم (١٨٥٨) من حديث معقل بن يسار ﷺ، وأما لفظ حديث ابن عمر فهو: كنَّا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة؛

والمُبايَعَة مُفاعلَةٌ من البيع؛ لأنَّ الله ﴿أَشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وبقي اسمُ البيعة بعدُ على مُعاهدَة الخلفاء والملوك.

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾أي: صَفْقَتُهم إنَّما يُمضيها ويمنحُ الثمنَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقرأ تمَّام بن العباس بن عبد المطلب: «إنَّما يبايعون لِله»[1] أي: لأجل الله ولوجهه، والمفعول محذوفٌ، أي: إنَّما يبايعونَكَ لله.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾قال الجمهور: اليد هنا النِّعمة، أي: نعمةُ الله في هذه المُبايعة لِما يُستَقْبَل من محاسنها فوقَ أيديهم التي مدُّوها لبَيْعَتِك. وقيل: قوَّةُ الله فوق قُواهم في نصرك ونصرهم.

وقال الزمخشري[2]: لمَّا قال: «إنَّما يُبايعون الله» أكَّدَه تأكيداً على طريقة التخييل فقال: «يدُ الله فوق أيديهم» يريد أنَّ يدَ رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين هي يدُ الله، والله تعالى مُنزَّهٌ عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنَّما المعنى تقريرُ أنَّ عقدَ الميثاق مع الرسول ﷺ كعَقْدِه مع الله تعالى من غير تفاوتٍ بينهما، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فلا يعودُ ضررُ نَكْثِه إلَّا عليه[3]. انتهى.

وقرأ زيد بن علي: «ينكِثُ» بكسر الكاف.

وقال جابر بن عبد الله: ما نكثَ أحدٌ مِنَّا البيعةَ إلَّا جِدُّ بنُ قيس وكان منافقاً، اختبأ تحت إبْطِ بعيره، ولم يَسِرْ مع القوم فحُرِمَ[4].

= يقول لنا: «فيما استطعتم». وأخرجه البخاري (٧٢٠٢)، ومسلم (١٨٦٧)، وأحمد (٤٥٦٥).
والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ١٢٩، وما بعده منه أيضاً.

(١) المحتسب ٢/ ٢٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢٩، وما بعده منه.
(٢) في الكشاف ٣/ ٥٤٣.
(٣) في (ع) والمطبوع: على نفسه.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٤٣. وأخرج مسلم (١٨٥٦) (٦٩) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: كنَّا أربع عشرة مئة - يعني في الحديبية - فبايعناه - يعني رسول الله ﷺ - وعمرُ آخِذٌ بيده تحت الشجرة وهي سمُرة، فبايعناه غير جِدِّ بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره.

وقرأ الجمهور: «عليه اللهَ» بنصب الهاء[١]. وابنُ أبي إسحاق بالرَّفع على أنه هو المعاهِد.

وعنه وعن حفص «عليهُ» بضمِّ الهاء.

وقُرئ: «بما عَهِدَ» ثلاثيًّا.

وقرأ الجمهور: «فسيؤتيه» بالياء[٢]. والحرميان، وابن عامر، وزيد بن علي بالنون[٣].

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هي الجنة[٤]. و«أوفى» لغة تِهامة[٥].

❁ ❁ ❁

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

قال مجاهد وغيره ودخل كلامُ بعضِهم في بعض: «المُخلَّفون من الأعراب»: هم جُهَينة ومُزَينة وغِفار وأشجَع والدِّيل وأسْلَم، استنفرَهُم رسولُ الله ﷺ حين أراد

(١) يعني هاء لفظ الجلالة.

(٢) أثبتنا سياق (به) في هذه القراءات، لأن في المطبوع خللاً كبيراً، وانظر المحرر الوجيز ٥/ ١٣٠، والسبعة ٦٠٣، والتيسير ص١٤٤.

(٣) ينظر السبعة ص٦٠٣، والتيسير ص١٤٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٠.

(٥) الكشاف ٣/ ٥٤٣.

المسيرَ إلى مكة عامَ الحُديبية معتمراً ليخرجوا معه؛ حَذَراً من قريش أن يَعْرِضوا له بحربٍ، أو يصدُّوه عن البيت، وأحرَمَ هو ﷺ وساقَ معه الهديَ؛ ليُعْلم أنَّه لا يُريدُ حرباً، ورأى أولئك الأعرابُ أنَّه يستقبل عدواً عظيماً[١] من قريشٍ وثَقيفٍ وكِنانة والقبائلِ المجاورين بمكة وهم الأحابيش، ولم يكُنِ الإيمان تمكَّنَ من قلوبهم، فقعدوا عن النبيِّ ﷺ وتخلَّفوا وقالوا: نذهبُ إلى قوم غَزَوه في عُقْرِ داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟! وقالوا: لن يرجع محمدٌ ولا أصحابُه من هذه السَّفرةِ. ففضَحَهم اللهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآية، وأعلمَ رسولَه ﷺ بقولِهم واعتذارِهم قبل أن يصِلَ إليهم، فكان كذلك[٢].

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾ وهذا اعتلالٌ منهم عن تخلُّفِهم، أي: لم يكن لهم مَنْ يقوم بحفظِ أموالهم وأهليهم غيرُهم، وبدؤوا بذكر الأموال؛ لأنَّ بها قِوامَ العَيْش، وعطفوا الأهل لأنَّهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثرَ من حفظِ المال.

وقُرئ: «شَغَّلَتْنا» بتشديد الغين. حكاه الكسائي[٣]. وهي قراءة إبراهيم بن نوح بن باذان عن قتيبة.

ولمَّا علموا أنَّ ذلك التخلُّفَ عن الرسول كان معصيةً سألوا أن يستغفِرَ لهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾ الظاهر أنَّه راجعٌ إلى الجملتين المقولَتَيْن من الشُّغل وطلب الاستغفار؛ لأنَّ قولَهم: «شغَلَتْنا» كذبٌ، وطلبَ الاستغفار خبثٌ منهم وإظهارُ أنَّهم مؤمنون عاصون.

وقال الطبري: هو راجعٌ إلى قولهم: «فاستغفِرْ لنا» يريد أنَّهم قالوا ذلك مصانعةً من غير توبةٍ ولا ندم[٤].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ﴾ أي: مَنْ يَمْنَعكم من قضاء الله «إن أراد بكم ضَرًّا» من قتلٍ أو هزيمةٍ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ﴾ من ظَفرٍ وغنيمة[٥]؟ أي: هو تعالى المتصرِّفُ فيكم،

---

(١) في (يه): ظالماً.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٠، والكشاف ٣/ ٥٤٣.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٠-١٣١.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٤٣.

وليس حفظُكم أموالَكم وأهليكم بمانعٍ من ضياعها إذا أراده الله تعالى.

وقرأ الجمهور: «ضَرًّا» بفتح الضاد، والأخوان بضمِّها، وهما لغتان[١].

ثمَّ بيَّنَ تعالى لهم العِلَّة في تخلُّفِهم وهي ظنُّهم أنَّ الرسولَ عليه الصلاة والسلام وأصحابَه لا يرجعون إلى أهليهم.

وتقدَّم الكلامُ على «أهل» وكيف جُمِعَ بالواو والنون في قوله: ﴿مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقرأ عبد الله: «إلى أهلهم» بغير ياء[٢].

«وزُيِّنَ» قراءةُ الجمهور مبنيًّا للمفعول، والفاعل هو الله تعالى. وقيل: غيرُه ممَّن نُسِبَ إليه التزيينُ مجازاً.

وقُرِئ: «وزَيَّنَ» مبنيًّا للفاعل[٣].

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾احتمل أن يكون هو الظنُّ السابق، وهو ظنُّهم أن لا ينقلبوا، ويكون قد ساءَهم ذلك الظنُّ وأحزنَهم، حيث أخلفَ ظنَّهم. ويحتمل أن يكون غيرَه لأجل العطف، أي: ظنَنْتُم أنَّه تعالى يُخلِفُ وعدَه في نصرِ دينه وإعزازِ رسولِه ﷺ.

«بُوراً»: هَلْكَى. والظاهر أنَّه مصدرٌ كالهُلْك مِنْ هَلَكَ؛ ولذلك وُصِفَ به المفردُ المُذَّكرُ، كقول ابنِ الزِّبَعْرى[٤]:

يا رسولَ المليكِ إنَّ لساني راتِقٌ ما فتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

والمؤنث؛ حكى أبو عبيدة: امرأةٌ بُور، والمثنى والجموع.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٠. وينظر السبعة ص٦٠٤، والتيسير ص٢٠١، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٠٢.
(٢) القراءات الشاذة ص١٤٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٤٤.
(٤) في ديوانه ص٣٦.

وقيل: يجوز أن يكون جمع بائر، كحائل وحُول، هذا في المعتل، وبازِل وبُزْل في الصحيح[١].

وفُسِّرَ «بُوراً» بفاسدين هَلْكَى[٢]. وقال ابن بحر: أشرار[٣].

واحتمل «وكنتم» أن يكون المعنى: وصِرْتُم بذلك الظن[٤]، وأن يكون «وكنتم» على بابها، أي: وكنتم في الأصل قوماً فاسدين[٥]، أي: الهلاك سابقٌ لكم على ذلك الظنّ.

ولمَّا أخبر تعالى أنَّهم قومٌ بورٌ ذكرَ ما يدلُّ على أنَّهم ليسوا بمؤمنين، فقال ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ثمَّ ذكر جزاءهم وهو السَّعير.

و«مَنْ» شرطية أو موصولة، والعائدُ من الخبر أو من جواب الشرط هو الظاهر أُقيم مقام المُضمَر، تقديره: لهم، وجيء به ظاهراً إشعاراً بأنَّ من لم يؤمِنْ بالله ورسوله[٦] فهو كافر جزاؤه السَّعير.

ولمَّا كانوا ليسوا مجاهرين بالكفر، وكذلك اعتذروا وطلبوا الاستغفار، مزجَ وعيدَهم وتوبيخَهم ببعض الإمهال والترجئة[٧].

وقال الزمخشري: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾يُدَبِّره تدبيرَ قادرٍ حكيم، فيغفر ويُعذِّب بمشيئته، ومشيئتُه تابعةٌ لحكمته، وحكمتُه المغفرة للتائب، وتعذيبُ المُصِرّ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾رحمتُه سابقةٌ لغضبِه، حيثُ يُكفِّرُ السيئات باجتناب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة[٨]. انتهى. وهو على مذهب الاعتزال.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾رُوِيَ أنَّ الله تعالى أمرَ نبيَّه ﷺ بغزوِ خيبر، ووعدَه بفتحِها، وأعلَمَه أنَّ المُخلَّفين إذا رأوا مسيرَه إلى خيبر وهم عدوٌّ مُستَضْعَفٌ طلبوا الكَوْنَ

(١) الكلام من الصحاح (بور)، والكشاف ٣/ ٥٤٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٠.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٣١٤.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٨٩.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٤٤.
(٦) من قوله: ثم ذكر جزاءهم.. إلى هنا من (ز٢) و(يه).
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٣١.
(٨) الكشاف ٣/ ٥٤٤.

معه؛ رغبةً في عَرَض الدنيا من الغنيمة، فكان كذلك(١).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾معناه: أن يُغيِّروا وعْدَه لأهل الحديبية بغنيمة خيبر، وذلك أنَّه وعدَهم أن يُعوِّضَهم من مَغانمِ مكة مغانمَ خيبرَ إذا قَفَلوا مُوادِعين لا يُصيبون منها شيئاً. قاله مجاهد وقتادة، وعليه عامة أهل التأويل(٢).

وقال ابن زيد: كلامُ الله: قولُه تعالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾(٣) [التوبة: ٨٣]. وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّ هذه الآية نزلت مرجِعَ رسولِ الله ﷺ من تبوك في آخر عُمْرِه، وهذه السورة نزلت سنة الحديبية(٤)، وأيضاً فقد غَزَتْ مُزَينة وجُهَينة بعد هذه المدَّة معه عليه الصلاة والسلام، وفضَّلَهم بعد ذلك على تميم وغَطَفان وغيرِهم من العرب(٥).

وقرأ الجمهور: «كلامَ الله» بألف، والأخوان: «كَلِمَ الله» جمع كلمة(٦).

وأمرَه تعالى أن يقول لهم: «لن تتَّبِعونا»، وأتى بصيغة «لن» وهي للمبالغة في النفي، أي: لا يتِمُّ لكم ذلك؛ إذ قد وعد تعالى أنَّ ذلك لا يحضرها إلَّا أهلُ الحديبية فقط(٧).

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد وعدَه قبل اختصاصهم بها. ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يَعزُّ عليكم أن نُصيبَ مَغْنماً معكم(٨). وذلك على سبيل الحَسَد أن نُقاسِمَكم فيما تغنمون(٩).

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣١، والكشاف ٣/ ٥٤٥. وقولا مجاهد وقتادة أخرجهما الطبري ٢١/ ٢٦١-٢٦٢ ورجحهما.
(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٢٦٣ وأنكره، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣١ وقال: هو قول ضعيف.
(٤) غزوة تبوك كانت في السنة التاسعة للهجرة، وسنة الحديبية كانت في السنة السادسة للهجرة. ينظر الفصول في سيرة الرسول ﷺ ص١٨٤ و٢١٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٣١.
(٦) السبعة ص٦٠٤، والتيسير ص٢٠١.
(٧) تفسير الرازي ٢٨/ ٩١ بنحوه.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٣١.
(٩) تفسير البغوي ٤/ ١٩٢، وزاد المسير ٧/ ٤٣١ بنحوه.

وقرأ أبو حَيْوة بكسر السين[١].

ثمَّ ردَّ عليهم تعالى كلامَهم هذا، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من أمور الدنيا، وظاهره ليس لهم فِكْرٌ إلَّا فيها، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧] والإضراب الأول منهم رَدٌّ أن يكون حكمُ الله أن لا يتَّبعوهم وإثبات الحسد، والثاني إضرابٌ عن وصفِهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى ما هو أطَمُّ منه وهو الجهلُ وقِلَّةُ الفقه.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أمرَ تعالى نبيَّه ﷺ أن يقول لهم ذلك، ودلَّ على أنَّهم كانوا يُظهِرون الإسلام، ولو لم يكن الأمرُ كذلك لم يكونوا أهلاً لذلك الأمر، وأبهم تعالى في قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فقال عكرمة وابن جُبير وقتادة: هم هوازن ومَنْ حاربَ الرسولَ ﷺ في حُنَين. وقال كعب: الروم الذين خرجَ إليهم عامَ تبوك، والذين بَعَث إليهم في غزوة مُؤتة. وقال الزُّهريُّ والكلبيُّ: أهل الرِّدَّة وبنو حَنيفة باليمامة. وعن رافع بن خَديج: إنَّا كُنَّا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلَمُ مَنْ هم، حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حَنيفة، فعَلِمْنا أنَّهم أُريدوا بها. وقال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعطاء الخراساني وابن أبي ليلى: هم الفرس. وقال الحسن: فارس والروم. وقال أبو هريرة: قومٌ لم يأتوا بعد[٢]. وظاهر الآية يردُّ هذا القول[٣].

والذي أقولُه إنَّ هذه الأقوال تمثيلاتٌ من قائليها لا أنَّ المعنى بذلك ما ذكروا، بل أخبر بذلك مُبهَماً، دلالةً على قوة الإسلام، وانتشار دعوته، وكذا وقع حُسْنُ إسلام تلك الطوائف، وقاتلوا أهلَ الرِّدَّة زمان أبي بكر، وكانوا في فتوح البلاد أيامَ عمر، وأيامَ غيرِه من الخلفاء.

والظاهر أنَّ هؤلاء المقاتلين ليسوا ممَّن تؤخذُ منهم الجِزية؛ إذ لم يُذكر هنا إلَّا

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٢، والكشاف ٣/ ٥٤٥. وتنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ٤٩٣، والنكت والعيون ٥/ ٣١٥-٣١٦، وتفسير البغوي ٤/ ١٩٢، وزاد المسير ٧/ ٤٣١-٤٣٢. وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢١/ ٢٦٦، والبيهقي في الدلائل ٤/ ١٦٦. وقول الحسن أخرجه الطبري ٢١/ ٢٦٦.

(٣) قاله القرطبي في تفسيره ١٩/ ٣١٢.

القتال أو الإسلام، ومذهبُ أبي حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه أنَّ الجزية لا تُقبل من مُشْركي العرب ولا من المُرتدِّين، وليس إلَّا الإسلامُ أو القتل، وتُقبَلُ ممَّن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس، ومذهبُ الشافعيِّ رحمه الله تعالى: لا تُقبَلُ إلَّا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب.

وقال الزمخشريُّ[1]: وهذا دليلٌ على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ؛ فإنَّهم لم يُدْعَوا إلى حربٍ في أيام الرسول ﷺ، ولكن بعد وفاته. انتهى. وهذا ليس بصحيح، فقد حضر كثيرٌ منهم مع جعفر في مؤتة، وحضروا حربَ هَوازن مع رسول الله ﷺ، وحضروا معه في سفرة تبوك، ولا يتمُّ قولُ الزمخشريّ إلَّا على قولِ مَنْ عَيَّنَ أنَّهم أهلُ الرِّدَّة.

وقرأ الجمهور: «أو يُسْلِمون» مرفوعاً. وأُبيٌّ وزيدُ بن علي بحذف النون[2] منصوباً بإضمار «أنْ» في قولِ جمهورِ البصريين غير الجَرْمي[3]، وبها في قول الجَرْميِّ والكسائيِّ، وبالخلاف في قول الفرَّاء[4] وبعض الكوفيين، فعلى قول النصب بإضمار «أنْ» هو عطفُ مصدرٍ مُقدَّرٍ على مصدرٍ متوَهَّم، أي: يكون قتالٌ أو إسلامٌ، أي: أحدُ هذين، ومِثْلُه في النصب قولُ امرئ القيس[5]:

فقلتُ له لا تبكِ عينُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعْذَرا

والرفع على العطف على «تقاتلونهم» أو على القطع، أي: أو هم يسلمون دون قتال.

﴿فَإِن تُطِيعُوا﴾أي: فيما تُدعَون إليه[6] ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾أي: في الخروج مع الرسول ﷺ في زمان الحديبية[7] ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾يحتمل أن يكون في الدنيا، وأن يكون في الآخرة[8].

---

(١) في الكشاف ٣/ ٥٤٥، وما قبله منه.
(٢) القراءة عن أبي في الشاذة ص١٤٢.
(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٠.
(٤) انظر معاني القرآن له ٣/ ٦٦.
(٥) في ديوانه ص٦٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٣.
(٧) الكشاف ٣/ ٥٤٥.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٣.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ نفى الحَرَجَ عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلُّف عن الغزو، ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو وأجْرُهم فيه مضاعَفٌ، والأعرج أحرى بالصبر وأن لا يفِرَّ، وقد غزا ابنُ أمِّ مَكْتوم ـ وكان أعمى ـ في بعض حروب القادسية، وكان رضي الله عنه يمسك الراية[1]، فلو حُصِر المسلمون فالغرض مُتوجِّهٌ بحسب الوُسع في الغزو.

وقرأ الجمهور: «يُدخِلْه» و«يُعذِّبْه» بالياء. والحسن، وقتادة، وأبو جعفر، والأعرج، وشيبة، وابن عامر، ونافع بالنون[2].

❁ ❁ ❁

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٣٤٤)، وأبو يعلى (٣١٢٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٣.

(٢) ينظر السبعة ص٦٠٤، والتيسير ص٢٠١، والنشر ٢/ ٢٤٨. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٣.

لمَّا ذكر تعالى حالَ مَنْ تخلَّفَ عن السفر مع الرسول ﷺ ذكَرَ حالَ المؤمنين الخُلَّص الذين سافروا معه.

والآية دالَّةٌ على رضا الله تعالى عنهم؛ ولذا سُمِّيتْ بيعةَ الرضوان، وكانوا فيما رُوي ألفاً وخمسَ مئةٍ وخمسةً وعشرين[(١)]. وقال ابنُ أبي أوفى: وثلاث مئة[(٢)].

وأصل هذه البَيعة أنَّ رسولَ الله ﷺ حين نزل الحُديبية بعث خِراش[(٣)] بن أمية الخُزاعيّ رسولاً إلى أهل مكة، وحمله على جمل يُقال له: الثعلب، يُعلِمُهم أنَّه جاء مُعتَمِراً لا يريد قتالاً، فلمَّا أتاهم وكلَّمهم عقروا جمَلَه وأرادوا قَتْلَه، فمنعَتْه الأحابيش، وبلغ ذلك الرسولَ ﷺ، فأراد بَعْثَ عمر، فقال: قد علِمْتَ فَظاظَتي وهم يُبغضوني، وليس هناك من بني عَديٍّ مَنْ يحميني، ولكن أدُلُّكَ على رجلٍ هو أعزُّ منِّي وأحَبُّ إليهم؛ عثمانُ بن عفان، فبعَثَه فخبَّرَهم أنَّه لم يأتِ لحربٍ، وإنَّما جاء زائراً لهذا البيت مُعظِّماً لحُرْمَتِه، وكان أبان بن سعيد بن العاص حين لقيه نزلَ عن دابَّتِه وحملَه عليها وأجارَه، فقالت له قريشٌ: إنْ شِئْتَ فطُفْ بالبيت، وأمَّا دخولُكم علينا فلا سبيلَ إليه. فقال: ما كنتُ لِأَطوفَ بهِ حتى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ ـ وكانتِ الحُدَيْبيةُ من مكة على عشرة أميال ـ فصرخَ صارخٌ من العسكر: قُتِلَ عثمانُ، فحمِيَ رسولُ الله ﷺ والمؤمنون، وقالوا: لا نبرَحُ إنْ كان هذا حتى نلقى القومَ. فنادى مُنادي رسولِ الله ﷺ: أيُّها الناس البيعةَ البيعةَ، نَزَلَ[(٤)] روحُ القدس. فبايَعوا كلُّهم إلَّا الجَدَّ بنَ قيس المنافق.

(١) في (ز٢) والمطبوع: ألفاً وخمسَ مئة وعشرين، والمثبت من (به) و(ع) والمحرر الوجيز ٥/ ١٣٤ والكلام منه، وهو قول ابن عباس فيما أخرجه عنه الطبري ٢١/ ٢٧٧، وبه قال ابن سعد في الطبقات ٢/ ٩٥.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٥)، ومسلم (١٨٥٧).

(٣) تصحف في النسخ والمطبوع والكشاف ٣/ ٥٤٦ إلى: جواس، والمثبت من السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣١٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٣٣، والكلام منهما. ونصَّ على ضبطه الآلوسي في روح المعاني ٢٥/ ٢٦٩. وينظر الإصابة ٣/ ٨٥.

(٤) في (ز٢) و(ع) والمطبوع: فنزل.

وقال الشَّعبي: أولُ مَنْ بايعَ أبو سنان بن وَهْب الأسدي[1].

والعامل في «إذ» «رضي»، والرِّضا على هذا بمعنى إظهار النِّعم عليهم، فهو صفةُ فِعْلٍ لا صفةُ ذاتٍ؛ لتقييده بالزمان[2]. و«تحت» يَحتملُ أن يكون معمولاً لـ«يُبايعونك»، أو حالاً من المفعول؛ لأنَّه ﷺ كان تحتها جالساً في أصلها، قال عبد الله بن المُغَفَّل: وكنتُ قائماً على رأسه وبيَدي غصنٌ من الشجرة أذُبُّ عنه، فرفعتُ الغصنَ عن ظهره؛ وبايَعوه على الموت دونَه وعلى أن لا يفِرُّوا، فقال لهم ﷺ: «أنتُم اليومَ خيرُ أهل الأرض»[3]. وكانتِ الشجرةُ سَمُرةً[4]. قال بُكير بن الأشج: بفَجٍّ نحوَ مكة[5]. قال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة يُصَلُّون عندها، فبلغَ عمرَ، فأمرَ بقَطْعِها[6]. وكانت هذه البَيعةُ سنة ستٍّ من الهجرة[7]. وفي الحديث عنه ﷺ: «لا يدخلُ النَّارَ مَنْ شهِدَ بيعة الرضوان»[8].

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ قال قتادة وابن جُريج: من الرضا بالبيعة أن لا يفِرُّوا.

(١) أخرجه ابن سعد ٢/ ١٠٠، وابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٤، وهو في السيرة النبوية ٢/ ٢١٦، والدرر في اختصار المغازي والسير ص٢٢٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٣ بنحوه.

(٣) هكذا ساقه الزمخشري في كشافه ٣/ ٥٤٦. وأخرج الطبري بعضه بلفظ: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن، وكان غصنٌ من أغصان تلك الشجرة على ظهر النبي ﷺ، فرفعته عن ظهره. وهو عنده بسياق أطول، وكذلك في مسند أحمد (١٦٨٠٠). وقد تقدم من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ وغيره أنهم بايعوه ﷺ على الموت، ومن حديث جابر ﷺ على أن لا يفِرُّوا.
وقوله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) (٧١)، وأحمد (١٤٣١٣) من حديث جابر ﷺ.

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٨٥٦) (٦٩) من حديث جابر ﷺ.

(٥) في (يه) والمطبوع: يوم بفتح مكة. وفي (ز٢) و(ع): فتح مكة. والمثبت من تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٥، وزاد المسير ٧/ ٤٣٤.

(٦) أخرجه ابن سعد ٢/ ٩٢.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٠٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢٥.

(٨) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعاً بلفظ: «لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممَّن بايع تحت الشجرة». وأخرجه بنحوه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر ﷺ، عن أم مبشر ﷺ.

وقال الفرَّاء: من الصدق والوفاء[١]. وقال الطبري ومنذر بن سعيد: من الإيمانِ وصحَّتِه والحُبِّ في الدين والحرصِ عليه. وقيل: من الهَمِّ والانصرافِ عن المشركين، والأنَفةِ في ذلك على نحو ما خاطب به عمرُ وغيرُه. وهذا قولٌ حسنٌ يترتَّب معه نزولُ السكينة والتعريضُ بالفتح القريب. والسكينةُ تقريرُ قلوبهم وتذليلُها لقبول أمر الله تعالى[٢]. وعلى الأقوال السابقة قبل هذا القول لا يظهرُ احتياجٌ إلى إنزال السكينة إلَّا أن يُجازى بالسكينة والفتح القريب والمغانم.

وقال مقاتل: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾من كراهة البيعة على أن يُقاتِلوا معه على الموت ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بايعوا[٣]. قال ابن عطية[٤]: وهذا فيه مذمَّةٌ للصحابة ﷺ. انتهى.

﴿وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾قال قتادة وابنُ أبي ليلى: فتح خيبر[٥]. وكان عقب انصرافهم من مكة. وقال الحسن: فتح هَجَر، وهو أجَلُّ فتحٍ، اتَّسعوا بثمرها زمناً طويلاً[٦]. وقيل: فتح مكة[٧]. والقُربُ أمرٌ نِسْبيٌّ، لكنَّ فتحَ خيبر كان أقرب.

وقرأ الحسن ونوح القارئ: «وآتاهم» أي: أعطاهم[٨]. والجمهور: «وأثابَهم» من الثواب.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾أي: مغانمَ خيبر، وكانت أرضاً ذاتَ عقارٍ وأموالٍ، فقسمَها

(١) تفسير القرطبي ١٩/٣١٩، وقول الفراء في النكت والعيون ٥/٣١٦.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٤. وقول الطبري في تفسيره ٢١/٢٧٧-٢٧٨ بنحوه.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/٣١٩، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/٣١٦.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٤ بعد أن ذكره من دون نسبة.
(٥) أخرجهما الطبري ٢١/٢٧٨، وهما في النكت والعيون ٥/٣١٦، وقول ابن أبي ليلى في معاني القرآن للنحاس ٦/٥٠٦.
(٦) الكشاف ٣/٥٤٦.
(٧) هو قول الحسن وقتادة فيما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥. وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢٧، والطبري ٢١/٢٨٦.
(٨) الذي في القراءات الشاذة ص١٤١-١٤٢: «وأتابهم» مكان «وآتاهم» بالتاء، أي: أعطاهم. الحسن ونوح القارئ!

عليهم[١]. وقيل: مغانم هجر. وقيل: مغانم فارس والروم[٢].

وقرأ الجمهور: «يأخذونها» بالياء على الغَيبة في «وأثابهم» وما قبله من ضمير الغَيبة.

وقرأ الأعمش، وطلحة، ورُويس عن يعقوب، ودُلْبَة[٣] عن يونس عن ورش، وأبو دِحْية، وسَقْلاب[٤] عن نافع، والأنطاكي عن أبي جعفر: بالتاء على الخطاب[٥]، كما جاء بعدُ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ بالخطاب.

وهذه المغانمُ الموعودُ بها هي المغانمُ التي كانت بعد هذه، وتكون إلى يوم القيامة. قاله ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسِّرين[٦].

ولقد اتَّسع نطاقُ الإسلام، وفتحَ المسلمون فتوحاً لا تُحصى، وغَنِموا مغانمَ لا تُعَدُّ، وذلك في شرق البلاد وغربِها، حتى في بلاد الهند، وفي بلاد السودان في عصرنا هذا، وقدِمَ علينا حاجًّا أحدُ ملوك غانة من بلاد التكرور، وذكرَ عنه أنَّه استفتح أزْيَدَ من خمسةٍ وعشرين مملكةً من بلاد السودان وأسلموا، وقدِمَ علينا ببعضِ ملوكِهم يحُجُّ معه.

وقيل: الخطاب لأهل البَيعة، وأنَّهم سيغنَمون مغانِمَ كثيرة[٧].

وقال زيد بن أسلم وابنُه: المغانمُ الكثيرة: مغانمُ خيبر[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٩٤، والكشاف ٣/ ٥٤٦.
(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ٩٦ و٩٧.
(٣) هو عبد الله بن أحمد بن الهيثم، أبو العباس البلخي. معرفة القراء ٢/ ٥٢٤.
(٤) هو سَقْلاب بن شُنَينة، أبو سعيد المصري. توفي سنة (١٩١هـ). معرفة القراء ١/ ٣٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٤ عن رويس عن يعقوب. ووقع في القراءات الشاذة ص١٤٢ عن الأعمش وطلحة: «يأخذونها» بالياء. والظاهر أنه تصحيف. والمشهور عن يعقوب ونافع وأبي جعفر «تأخذونها» كقراءة الجمهور.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٣١٧، وزاد المسير ٧/ ٤٣٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٠. وأخرجه الطبري ٢١/ ٢٧٩-٢٨٠ عن مجاهد.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٦٩٥٦.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥، وأخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٢٨٠، وهو في النكت والعيون ٥/ ٣١٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٠ عن ابن زيد.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾الإشارة بـ «هذه» إلى البَيعة والتخلُّص من أمر قريش بالصلح. قاله ابن عباس وزيد بن أسلم وابنُه[١]. وقال مجاهد: مغانم خيبر[٢].

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: أهل مكة بالصلح[٣]. وقال ابن عباس: عُيَينة بن حِصْن الفَزاري وعوف بن مالك النَّصْري ومَنْ كان معهم؛ إذ جاؤوا لينصروا أهلَ خيبرَ والرسولُ عليه الصلاة والسلام محاصِرٌ لهم، فجعلَ اللهُ في قلوبهم الرعب، وكفَّهم عن المسلمين[٤]. وقال ابن عباس أيضاً: أسد وغَطَفان حلفاء خيبر[٥]. وقال الطبري: كفَّ اليهودَ عن المدينة بعد خروج الرسول ﷺ إلى الحديبية وإلى خيبر[٦].

﴿وَلِتَكُونَ﴾أي: هذه الكفَّةُ آيةً للمؤمنين، وعلامةً يعرِفون بها أنَّهم من الله تعالى بمكان، وأنَّه ضامنٌ نصرَهم والفتحَ عليهم. وقيل: رأى رسولُ الله ﷺ فتحَ مكة في منامه ـ ورؤيا الأنبياء حقٌّ ـ فتأخَّرَ ذلك إلى السنة القابلة، فجعل فتحَ خيبر علامةً وعنواناً لفتح مكة[٧]. فيكون الضمير في «ولتكون» عائداً على «هذه» وهي مغانم خيبر[٨].

والواو في «ولِتكونَ» زائدةٌ عند الكوفيين، وعاطفةٌ على محذوفٍ عند غيرهم، أي: ليشكروه ولِتَكون[٩]. أو وعدَ فعجَّلَ وكفَّ لينفَعَكم بها ولِتَكون. أو يُقدَّر ما يتعلَّق به متأخِّراً، أي: فعَلَ ذلك[١٠].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥ دون نسبته إلى زيد وابنه.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٠. وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ٢٨٠.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٠.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠١، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٠.
(٥) النكت والعيون ٥/ ٣١٧، والكشاف ٣/ ٥٤٧ من دون نسبة، ونسبه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٤٩٥ لقتادة، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٣٥ لمقاتل.
(٦) هذا قول قتادة، أخرجه عنه الطبري ٢١/ ٢٨٢ ورجَّحه، ونقله عنهما القرطبي ١٩/ ٣٢٠.
(٧) الكشاف ٣/ ٥٤٧.
(٨) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠١.
(٩) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢١ بنحوه.
(١٠) ذكر معناهما الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٤٧.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: طريقَ التوكُّلِ وتفويضَ الأمورِ إليه[١]. وقيل: بصيرةً وإيقاناً[٢].

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ قال ابن عباس والحسن ومقاتل: بلاد فارس والروم وما فتحَه المسلمون[٣]. وقال الضحَّاك وابن زيد وابن إسحاق: خيبر[٤]. وقال قتادة والحسن: مكة. وهذا القول يتَّسِقُ معه المعنى ويتأيَّد[٥].

وفي قوله: ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ دلالةٌ على تقدُّم محاولةٍ لها وفَواتِ درك المطلوب في الحال كما كان في مكة[٦].

وقال الزمخشري: هي مغانم هوازن في غزوة حُنَيْن. وقال: «لم تقدِروا عليها» لِما كان فيها من الجَوْلَة. وجوَّز الزمخشريُّ في «وأُخرى» أن تكون مجرورةً بإضمار «رُبَّ»، وهذا فيه غرابةٌ؛ لأنَّ رُبَّ لم تأتِ في القرآن جارَّةً مع كثرة ورود ذلك في كلام العرب، فكيف يؤتى بها مُضمَرَةً؟ وإنَّما يظهر أنّ «وأُخرى» مرفوعٌ بالابتداء، فقد وُصِفَتْ بالجملةِ بعدَها، و«قد أحاط اللهُ بها» هو الخبر. ويجوز أن تكون في موضع نصبٍ بمضمَرٍ يُفسِّره معنى «قد أحاطَ اللهُ بها»: قد قدرَ عليها واستولى، وأظهركم عليها وغنمكموها. وقيل: «قد أحاط الله بها»[٧] أي: وقضى اللهُ أُخرى. وقد ذكر الزمخشري[٨] هذين الوجهين.

ومعنى ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بالقُدْرَة والقَهْر لأهلها، أي: قد سبق في علمه

---

(١) زاد المسير ٧/ ٤٣٦.
(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٩٥، وتفسير البغوي ٤/ ١٩٤، والكشاف ٣/ ٥٤٧.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٠٠، والنكت والعيون ٥/ ٣١٨، وزاد المسير ٧/ ٤٣٦. وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥ عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ٢١/ ٢٨٤ عن ابن عباس والحسن.
(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢١، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥ عن الضحاك. وأخرجه عنهم الطبري ٢١/ ٢٨٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥، ورجَّحه من قبله الطبري ٢١/ ٢٨٦.
(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٢، ونسبه للقشيري.
(٧) من قوله: قد قدر عليها... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٨) في الكشاف ٣/ ٥٤٧.

ذلك، وظهر فيها أنَّهم لم يقدروا عليها[(١)].

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾هذا ينبني على الخلاف في قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أهُمْ مشركو مكة أو ناصرو أهل خيبر أو اليهود؟

﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ أي: لغُلِبوا وانهزموا. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في موضع المصدر المؤكِّد لمضمون الجملة قبلَه، أي: سَنَّ اللهُ عليه أنبياءَه سُنَّةً، وهو قوله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[(٢)] [المجادلة: ٢١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي: قضى بينكم المُكافَّة والمُحاجَزة بعد ما خوَّلكم الظَّفرَ عليهم والغَلَبة.

وروي في سببها أنَّ قريشاً جمعت جماعةً من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن أبي جهل، وخرجوا يطلبون غِرَّةً[(٣)] في عسكرِ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا أحَسَّ بهم المسلمون بعثَ عليه الصلاة والسلام خالدَ بن الوليد، وسمَّاه حينئذٍ سيفَ الله في جملةٍ من الناس، ففَرُّوا أمامهم حتى أدخلوهم بيوت مكة، وأسروا منهم جملةً، وسِيقوا إلى الرسول ﷺ، فمنَّ عليهم وأطلقَهم. وقال قتادة: كان ذلك بالحديبية عند عسكره وهو ببطن مكة[(٤)].

وعن أنس: هبطَ ثمانون رجلاً من أهل مكة على رسول الله ﷺ من جبل التَّنعيم مُسلَّحين يريدون غِرَّتَه، فأخذناهم، فاستحياهم[(٥)].

وفي حديث عبد الله بن مُغَفَّل: أنَّ رسولَ الله ﷺ دعا عليهم، فأخذَ اللهُ أبصارَهم، فقال لهم: «هَلْ جئتم في عهدٍ؟ وهل جعل لكم أحدٌ أماناً؟» قالوا: اللهمَّ لا. فخلَّى سبيلَهم[(٦)].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٤٧، وما بعده منه.
(٣) الغِرَّة: الغفلة. الصحاح (غرر).
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥.
(٥) أخرجه مسلم (١٨٠٨)، وأحمد (١٢٢٥٤).
(٦) أخرجه أحمد (١١٨٠٠) مطولاً، والنسائي في الكبرى (١١٤٤٧).

وقال الزمخشري[(١)]: كان ـ يعني هذا الكفُّ ـ يومَ الفتح، وبه استشهد أبو حنيفة على أنَّ مكة فُتِحَت عَنوةً لا صُلحاً. وقيل: كان ذلك في غزوة الحديبية؛ لِما رُوِيَ أنَّ عكرمة بن أبي جهل خرج في خمس مئة، فبعث رسولُ الله ﷺ مَنْ هزَمَه وأدخله حيطان مكة. وعن ابن عباس: أظهرَ اللهُ المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت. انتهى.

وقرأ الجمهور: «بما تعملون» على الخطاب. وأبو عمرو بالياء، وهو تهديد للكفار[(٢)].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني أهل مكة[(٣)].

قال ابن خالويه[(٤)]: يقال: الهَدْيُ والهَدِيُّ والهَداء ثلاث لغات. انتهى.

وقرأ الجمهور: «الهَدْيَ» بسكون الدال، وهي لغة قريش. وابن هُرْمُز، والحسن، وعِصمة عن عاصم، واللؤلؤي، وخارجة عن أبي عمرو: «الهَدِيَّ» بكسر الدال وتشديد الياء[(٥)]، وهما لغتان، وهو معطوف على الضمير في «صَدُّوكم».

و﴿مَعۡكُوفًا﴾ حال، أي: محبوساً؛ عكَفْتُ الرجُلَ عن حاجته: حبَسْتُه عنها. وأنكر أبو عليٍّ تعدية «عكَفَ»، وحكاه ابنُ سيدَه والأزهريُّ[(٦)] وغيرهما. وهذا الحبس يجوز أن يكون من جهة المشركين بصَدِّهم، أو من جهة المسلمين، لتردُّدهم[(٧)] ونظرِهم في أمرهم.

وقرأ الجُعْفيُّ عن أبي عمرو: «والهَدْيِ» بالجرِّ معطوفاً على «المسجد الحرام» أي: وعن نحر الهدي[(٨)]. وقُرئ بالرفع على إضمار: وصُدَّ الهَدْيُ.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٥٤٧.
(٢) ينظر السبعة ص٦٠٤، والتيسير ص٢٠١. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٥.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٦.
(٤) في القراءات الشاذة ص١٤٣.
(٥) هذه القراءة في القراءات الشاذة ص١٤٢-١٤٣ عن عصمة عن عاصم، وفي المحرر الوجيز ٥/ ١٣٦ ـ والكلام منه ـ عن ابن هرمز الأعرج والحسن البصري. والمشهور عن عاصم وأبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٦) في تهذيب اللغة ١/ ٣٢١.
(٧) في (يه): لثروتهم! وفي المحرر الوجيز ٥/ ١٣٦ والكلام منه: لرؤيتهم.
(٨) ينظر الكشاف ٣/ ٥٤٧، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

وكان خرج عليه السلام ومعه مئة بَدَنَة. قاله مقاتل[١]. وقيل: بسبعين، وكان الناسُ سبعَ مئة رجلٍ، فكانت البدنةُ عن عشرة. قاله المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم[٢].

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ قال الشافعي: الحَرَم. وبه استدلَّ أبو حنيفة أنَّ مَحِلَّ هَدْيِ المُحْصَرِ الحَرَمُ، لا حيثُ أُحصِرَ. وقال الفرَّاء: حيثُ يحِلُّ نحرُه[٣].

و«أن يبلغَ» يَحتمل أن يتعلَّق بالصدِّ، أي: وصدُّوا الهديَ وذلك على أن يكون بدلَ اشتمال، أي: وصدُّوا بلوغَ الهدي محِلَّه. أو على أنَّه مفعولٌ من أجله، أي: كراهة أن يبلُغَ مَحِلَّه[٤]. ويحتمل أن يتعلق بـ «معكوفاً» أي: محبوساً لأجل أن يبلغ محِلَّه، فيكون مفعولاً من أجله[٥]، ويكون الحبسُ من المسلمين، أو: محبوساً عن أن يبلغ مَحِلَّه، فيكون الحبس من المشركين.

وكان بمكة قومٌ من المسلمين مختلطين بالمشركين غيرَ متميِّزين منهم ولا معروفي الأماكن، فقال تعالى: ولولا كراهةُ أن تُهلِكوا أناساً مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غيرُ عارفينَ لهم، فيُصيبَكم بإهلاكهم مكروهٌ ومشقَّةٌ، ما كَفَّ أيديكَم عنهم. وحذفَ جواب «لولا»؛ لدلالةِ الكلام عليه.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون «لو تَزَيَّلوا» كالتكرير لـ «لولا رجالٌ مؤمنون»؛ لمرجعهما إلى معنًى واحد، ويكون «لعَذَّبْنا» هو الجواب[٦]. انتهى. وقوله: لمرجعهما إلى معنًى واحد ليس بصحيح؛ لأنَّ ما تعلَّق به «لولا» الأولى غيرُ ما تعلَّق به الثانية، فالمعنى في الأولى: ولولا وطءُ قومٍ مؤمنين، والمعنى في الثانية: لو تميَّزوا من الكفار، وهذا معنًى مُغايرٌ للأول مغايرةً ظاهرة.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٢٥٢.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٧)، وأحمد (١٨٩١٠).

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢٧. وقول الشافعي في النكت والعيون ٥/ ٣١٩، وقول أبي حنيفة في الكشاف ٣/ ٥٤٨، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٦٨، والنكت والعيون أيضاً.

(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٣٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٦ بنحوه.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٤٨، وما قبله منه.

و﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «رجال» وما بعده[١]. وقيل: بدلٌ من الضمير في «تعلموهم» أي: لم تعلموا وطأتهم، أي: إنَّه وطءُ مؤمنين[٢]. وهذا فيه بُعدٌ.

والوَطْءُ: الدَّوْس[٣]. وعبَّر به عن الإهلاك بالسيف وغيره، قال الشاعر:

وَوَطِئْتَنا وَطْئاً على حَنَقٍ وَطْءَ المُقَيَّدِ نابِتَ الهَرْمِ[٤]

وفي الحديث: «اللهمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَر»[٥].

و«لم تعلموهم» صفة لـ «رجال» و«نساء»؛ غلِّبَ فيها المذكَّر. والمعنى: لم تعرفوا أنَّهم مؤمنون[٦].

وقال ابن زيد: المَعَرَّة: المأثَم. وقال ابن إسحاق: الدِّية[٧]. وقال ابن عطية: وهذا ضعيف[٨]؛ لأنَّه لا إثمَ ولا دِيةَ في قتلِ مؤمنٍ مستورِ الإيمان بين أهل الحرب.

وقال الطبري: هي الكفارة[٩]. وقال منذر بن سعيد: المعرَّة: أن يعيبهم[١٠] الكفار ويقولوا: قتلوا أهلَ دينهم. وقيل: الملامةُ وتألُّمُ النفس منه في باقي الزَّمَن.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٤٨. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧.

(٣) اللسان (وطأ).

(٤) قائله الحارث بن وَعْلة الذُّهلي كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٢٠٦، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧ لزهير، ولم أجده في ديوانه.
والهَرْم: نبْتٌ خفيف ترعاه الإبل، أو ضربٌ من الحمض فيه ملوحة، وهو أذلُّه وأشدُّه انبساطاً على الأرض. معجم متن اللغة ٥/ ٦٢٨.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٦٧٥)، وأحمد (٧٢٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٠ بنحوه.

(٧) هذان القولان في تفسير الثعلبي ٥/ ٥١٠، والنكت والعيون ٥/ ٣٢٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٣٧، وزاد المسير ٧/ ٤٤٠. وأخرجهما الطبري ٢١/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٨) في المحرر الوجيز: وهذان ضعيفان.

(٩) تفسير الطبري ٢١/ ٣٠٦، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧، وذكره الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥١٠ دون نسبة.

(١٠) تصحفت في (ز٢) و(ع) والمطبوع إلى: يعنفهم. وهذا القول والقول الآتي ذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧ بعد قول الطبري وقال عن الثلاثة: وهذه أقوال حِسان.

ولفَّق الزمخشري[١] من هذه الأقوال جواباً وسؤالاً على عادته في تلفيق كلامه من أقوالهم، وإيهامِه أنَّها سؤالاتٌ له. فقال: فإنْ قلتَ: أيُّ معرَّةٍ تُصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون؟ قلت: يُصيبهم وجوبُ الدِّية والكفارةُ وسوءُ مقالة المشركين أنَّهم فعلوا بأهل دينهم مثلَ ما فعلوا بنا من غير تمييزٍ، والمأثَمُ إذا جرى منهم بعضُ التقصير. انتهى.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إخبارٌ عن الصحابة وعن صفتِهم الكريمة من العِفَّة عن المعصية والامتناع من التعدِّي، حتى إنَّهم لو أصابوا من ذلك أحداً لكان من غير قصدٍ، كقول النملة عن جُندِ سليمان: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢] [النمل: ١٨].

و«بغير علم» متعلِّقٌ بـ «أنْ تطؤوهم»[٣]. وقيل: مُتعلِّقٌ بقوله: «فتُصيبَكم منهم مَعَرَّةٌ» من الذي يَعُرُّكم ممَّن يَعيبُ عليكم[٤].

وقرأ الجمهور: «لو تزيَّلوا». وابنُ أبي عبلة، وابن مِقْسَم، وأبو حَيْوة، وابن عون: «لو تَزايلوا» على وزن تفاعلوا[٥].

و«ليُدخِلَ» متعلِّقٌ بمحذوف دلَّ عليه المعنى، أي: كان انتفاءُ التسليط على أهل مكة وانتفاءُ العذاب لِيُدخِلَ اللهُ في رحمته من يشاء. وهذا المحذوف هو مفهومٌ من جواب «لو».

ومعنى: «تزيَّلوا»: لو ذهبوا عن مكة[٦]. أي: لو تزيَّلَ المؤمنون من الكفار وتفرَّقوا منهم[٧]. ويجوز أن يكون الضمير للمؤمنين والكفار[٨]. أي: لو افترقَ بعضُهم من بعض.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٥٤٨.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٩٥. ونقله عنه القرطبي في تفسيره ١٩/ ٣٣١.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٤٨.
(٤) في النسخ والمطبوع: الذين بعدكم ممَّن يعتب عليكم. والمثبت من تفسير الرازي ٢٨/ ٩٩. وينظر روح المعاني ٢٥/ ٢٨٨.
(٥) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧ عن أبي حيوة وقتادة.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧.
(٧) زاد المسير ٧/ ٤٤١ بنحوه.
(٨) تفسير الرازي ٢٨/ ١٠٠ بنحوه.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ «إذ» معمولٌ لـ «عذَّبْنا»، أو لـ «وصَدُّوكم» أو لـ «اذْكُرْ» مضمرة[1].

والحَمِيَّة: الأنَفة، يُقال: حَمِيتُ عن كذا حَمِيَّةً، إذا أنِفْتَ منه وداخَلَكَ عارٌ وأنَفَةٌ لِفعْلِه[2]، قال المتلمِّس:

ألا إنَّني منهُمْ وعِرضي عِرْضُهمْ كذي الرأسِ يحمي أنْفَه أنْ يُهَشَّما[3]

وقال الزُّهري: حميَّتهم: أنَفَتُهم من الإقرار لرسول الله ﷺ بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم[4]. والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو[5].

وقال ابن بحر: حَمِيَّتهم: عصبيتهم لآلهتهم، والأنَفَة أن يعبدوا غيرها[6]. وقيل: قتلوا آباءنا وإخواننا، ثمَّ يدخلون علينا في منازلنا؟! واللَّاتِ والعُزَّى لا يدخُلُها أبداً[7].

وكانت حميَّةً جاهليةً؛ لأنَّها بغير حُجَّة، وفي غيرِ موضعها، وإنَّما ذلك محضُ تعصُّبٍ؛ لأنَّه ﷺ إنَّما جاء مُعظِّماً للبيت لا يُريد حرباً[8]، فهم في ذلك كما قال الشاعر في حميَّة الجاهلية:

وهل أنا إلَّا من غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ[9]

و«حَمِيَّةَ» بدل من «الحميَّة»[10].

---

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٥٤٨-٥٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٣٨.
(٢) الصحاح (حمى)، والكلام من تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٥.
(٣) هكذا البيت في تفسير الثعلبي ٥/ ٥١١، والدر المصون ٩/ ٧١٨. ولفظه في تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٥: كذي الأنفِ يحمي أنفه أن يُكَشَّما. وكذلك هو في خزانة الأدب ١٠/ ٥٨ إلا أنَّ فيه: تهشَّما.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٢٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٢٠.
(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ١٤٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠٤ عن مقاتل.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨.
(٩) البيت لدريد بن الصمة، وسلف عند تفسير الآية (٢١٠) من سورة البقرة.
(١٠) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٣٩.

و«السكينة»: الوَقار والاطمئنان، فتوقَّروا وحَلُموا[١].

و﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلّا الله. رُويَ ذلك عن النبيِّ ﷺ[٢]. وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ميمون وقَتادة ومجاهد وعكرمة والضحَّاك وسلمة بن كُهَيل وعُبيد بن عُمير وطلحة بن مُصَرِّف والربيع والسُّدِّي وابن زيد[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح ومجاهد أيضاً: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير[٤].

وقال علي بن أبي طالب وابن عمر ﷺ أيضاً: لا إله إلا الله والله أكبر[٥].

وقال أبو هريرة وعطاء الخراساني: لا إله إلّا الله، محمدٌ رسول الله ﷺ[٦].

وأُضيفَت الكلمةُ إلى التقوى، لأنَّها سببُ التقوى وأساسُها. وقيل: هو على حذف مضاف، أي: كلمة أهل التقوى[٧].

وقال المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم: كلمة التقوى هنا هي بسم الله

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٤٩.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٢٥٥)، والترمذي (٣٦٢٥) من حديث أُبي بن كعب ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قَزَعة. قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث، فلم يعرِفْه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

(٣) ذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره ١٩/ ٣٣٥-٣٣٦، وذكرها الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥١١ دون قول علي وابن عمر، وذكر النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٠٣ قول ابن عمر، وذكر الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٢١ قول ابن عباس. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٤١ قول السدي. وأخرج الطبري ٢١/ ٣١٠-٣١٣ ـ من هذه الأقوال ـ قولَ علي، وابن عباس، وعمرو بن ميمون، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وابن زيد.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٦ عنهما، وذكره الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥١١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨ عن عطاء وحده، ويؤيِّدهما أن الطبري أخرجه ٢١/ ٣١٤ من طريق ابن جريج، عن مجاهد وعطاء، إلا أنه ذكر قول مجاهد فيه: كلمة التقوى: الإخلاص.

(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٥١١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٣٨، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٦، وأخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٣١٠-٣١١ و٣١٣.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨. وأخرجه الطبري ٢١/ ٣١٣، والطبراني في الدعاء (١٦١٨) عن عطاء الخراساني.

(٧) الكشاف ٣/ ٥٤٩.

الرحمن الرحيم، وهي التي أباها كفارُ قريش، فألزَمَها اللهُ المؤمنين وجعلَهم أحَقَّ بها[١]. وقيل: قولهم: سمعاً وطاعة[٢]. والظاهرُ أنَّ الضمير في «وكانوا» عائدٌ على المؤمنين، والمُفضَّلَ عليهم محذوف، أي: أحَقَّ بها من كفار مكة؛ لأنَّ الله تعالى اختارَهم لدينه وصحبة نبيِّه ﷺ[٣]. وقيل: من اليهود والنصارى، وهذه الأحقيَّة هي في الدنيا. وقيل: أحَقَّ بها في علم الله تعالى. وقيل: ﴿وَأَهْلَهَاۚ﴾ في الآخرة بالثواب[٤].

وقيل: الضمير في «وكانوا» عائدٌ على كفار مكة[٥]؛ لأنَّهم أهلُ حَرَم الله، ومنهم رسولُه، لولا ما سُلِبوا من التوفيق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إشارةٌ إلى عِلْمِه بالمؤمنين، ودَفْعِ الكفار عنهم، وإلى علمه بالمصلحة في الحديبية؛ إذ كان سبباً لامتزاج العرب وإسلام كثيرٍ منهم وعُلُوِّ كلمة الإسلام، وكانوا عامَ الحُديبية ألفاً وأربعَ مئة، وبعده بعامين ساروا إلى مكة في عشرة آلاف[٦].

وقال أبو عبد الله الرازي[٧]: في هذه الآية لطائفُ معنوية؛ وهو أنَّه تعالى أبانَ غايةَ البَوْنِ بين الكافر والمؤمن، بايَنَ بينَ الفاعِلَين؛ إذ فاعِلُ «جعَلَ» هو الكفار، وفاعِلُ «أنزَلَ» هو الله تعالى. وبينَ المفعولَين؛ إذ تلكَ حميَّةٌ، وهذه سكينةٌ. وبينَ الإضافَتَين؛ أضافَ الحميَّةَ إلى الجاهلية، وأضافَ السكينة إليه. وبينَ الفعل «جعَلَ» و«أنزَلَ»، فالحميَّةُ مجعولةٌ في الحال في العَرَض الذي لا يبقى، والسكينة كالمحفوظة في خزانة الرحمة فأنزلها، والحميَّةُ قبيحةٌ مذمومةٌ في نفسها، وازدادَتْ قُبحاً بالإضافة إلى الجاهلية، والسكينةُ حسنةٌ في نفسِها، وازدادَتْ حُسناً بإضافتها إلى الله تعالى. والعطفُ في «فأنزَلَ» بالفاء لا بالواو يدلُّ على المُقابَلة، تقول:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٢١.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٦، وهو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٣ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨.
(٥) ينظر الوسيط للواحدي ٤/ ١٤٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠٥.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٨.
(٧) في تفسيره ٢٨/ ١٠٢-١٠٣.

أكرَمني زيدٌ فأكرمْتُه. فدلَّتْ على المجازاة للمُقابَلة، وكذلك «جعل» «فأنزل». ولمَّا كان الرسول ﷺ هو الذي أجاب أولاً إلى الصُّلح، وكان المؤمنون عازِمين على القتال وأنْ لا يرجِعوا إلى أهلهم إلَّا بعدَ فتحِ مكة أو النَّحْر في المَنْحر، وأبَوا إلَّا أن يكتبوا: محمدٌ رسول الله ﷺ وباسم الله = قال تعالى: ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، ولمَّا سكَنَ هو ﷺ للصُّلح سكَنَ المؤمنون، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. ولمَّا كان المؤمنون عند الله تعالى أُلزِموا تلك الكلمة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفيه تلخيصٌ، وهو كلامٌ حسن.

❁ ❁ ❁

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

رأى رسولُ الله ﷺ قبلَ خروجه إلى الحُديبية ـ وقال مجاهد: كانت الرؤيا بالحُديبية ـ أنَّه وأصحابَه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصَّروا، فقَصَّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا أنَّهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إنَّ رؤيا رسول الله ﷺ حَقٌّ. فلمَّا تأخَّر ذلك قال عبد الله بن أُبي وعبد الله بن نُفَيل ورِفاعة بن الحارث: واللهِ ما حلَقْنا ولا قَصَّرْنا ولا رأَيْنا المسجد الحرام. فنزلت[1].

(١) هكذا ساقه الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٤٩ دون قول مجاهد. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٥٤: لم أجده هكذا مفسَّراً.
وقول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/ ٣١٦، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٩.
وذكر الآلوسي في روح المعاني ٢٥/ ٣٠٠ أن القول الأول ـ يعني أن الرؤيا قبل خروجه إلى الحديبية ـ هو الأصح.

ورُوِيَ أنَّ رُؤياه إنَّما كانت أنَّ ملَكاً جاءه فقال له: «لتدخلنّ» الآية[١].

ومعنى «صدقَ اللهُ»: لم يَكْذِبْه، واللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن الكذب وعن كلِّ قبيح[٢].

و«صدَقَ» يتعدَّى إلى اثنين؛ الثاني بنفسه وبحرف الجر؛ تقول: صدقتُ زيداً الحديث، وصدقتُه في الحديث[٣]. وقد عدَّها بعضُهم في أخوات استغفر وأمر. وقال الزمخشري[٤]: فحذف الجارَّ، وأوصَلَ الفعلَ، كقوله تعالى: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. انتهى. فدلَّ كلامُه على أنَّ أصلَه حرف الجر.

«وبالحقِّ» مُتعلِّقٌ بمحذوف، أي: صِدقاً ملتبساً بالحقِّ[٥].

«لَتَدْخلُنَّ» اللام جواب قسم محذوف. ويبعُدُ قولُ مَنْ جعلَه جوابَ «بالحقِّ»، و«بالحقِّ» قسَمٌ لا تعَلُّقَ له بـ «صَدَقَ».

وتعليقُه على المشيئة؛ قيل: لأنَّه حكايةُ قولِ الملَك للرسول ﷺ. قاله ابن كيسان. وقيل: هذا التعليق تأدُّبٌ بآداب الله تعالى، وإن كان الموعودُ به متحقِّقَ الوقوع، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟يْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٦] [الكهف: ٢٣-٢٤].

وقال ثعلب: استثنى فيما يعلم؛ ليستثنيَ الخلقُ فيما لا يعلمون[٧].

وقال الحسين[٨] بن الفضل: كان اللهُ عَلِمَ أنَّ بعض الذين كانوا بالحديبية

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/١٣٩.
(٢) الكشاف ٣/٥٤٩ بنحوه.
(٣) الكلام في المحرر الوجيز ٥/١٣٩، وتفسير الرازي ٢٨/١٠٤.
(٤) في الكشاف ٣/٥٤٩.
(٥) الكشاف ٣/٥٤٩. وذكر صاحب الدر المصون ٩/٧١٩ ثلاثة أوجُهٍ أُخر؛ أحدُها: أن يتعلَّق بـ «صَدَقَ» والثاني: أن يتعلَّق بمحذوف على أنه حال من «الرؤيا» أي: ملتبسةً بالحق. والثالث: أنَّه قسَمٌ وجوابه «لتدخُلُنَّ»، وعلى هذا يوقف على «الرؤيا» ويُبتدأ بما بعدها.
(٦) تفسير الثعلبي ٥/٥١٢، وتفسير البغوي ٤/٢٠٥، وذكره القرطبي ١٩/٣٣٧ بنحوه.
(٧) الوسيط للواحدي ٤/١٤٥، وزاد المسير ٧/٤٤٣. ونقله عنهما القرطبي ٩/٣٣٧.
(٨) تحرف في (يه) و(ع) والمطبوع إلى: الحسن، وقوله الآتي في تفسير الثعلبي ٥/٥١٢، والبغوي ٤/٢٠٥، والقرطبي ١٩/٣٣٧.

يموت، فوقع الاستثناءُ لهذا المعنى.

وقال أبو عبيدة وقومٌ: «إنْ» بمعنى «إذ»، كما قيل في قوله: «وإنَّا إنْ شاء اللهُ بكم لاحِقون»[١].

وقيل: هو تعليقٌ في قوله: «آمنين» لا لأجل إعلامه بالدخول، فالتعليق مقدَّمٌ على موضعه. وهذا القولُ لا يُخرِجُ التعليقَ عن كونه مُعلَّقاً على واجِب؛ لأنَّ الدخولَ والأمنَ أخبر بهما تعالى، ووقعت الثقةُ بالأمرين، وهما الدخولُ والأمنُ الذي هو قَيدٌ في الدخول[٢].

و«آمنين» حالٌ مقارِنةٌ للدخول، و«مُحلِّقين» و«مُقَصِّرين» حالٌ مُقدَّرةٌ، و«لا تخافون» بيانٌ لكمال الأمن بعد تمام الحج[٣].

ولمَّا نزلت هذه الآية عَلِمَ المسلمون أنَّهم يدخلونها فيما يُستأنَفُ، واطمأنَّتْ قلوبُهم، ودخلوها معه عليه الصلاة والسلام في ذي القَعدة سنة سبعٍ ـ وذلك ثلاثة أيام ـ هو وأصحابُه، وصدقَتْ رؤياه ﷺ.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ أي: ما قدَّره من ظهورِ الإسلام في تلك المدَّة، ودخولِ الناس فيه، وما كان أيضاً بمكة من المؤمنين الذين دفعَ اللهُ بهم. قاله ابن عطية[٤].

وقال الزمخشري: «فعَلم ما لم تعلموا» من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل[٥]. انتهى. ولم يكن فتحُ مكةَ في العام القابل، إنَّما كان بعد ذلك بأكثرَ من عام؛ لأنَّ الفتحَ كان سنةَ ثمانٍ من الهجرة، وكان خروجُه من المدينة

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٧٤)، وأحمد (٢٥٤٧١) عن عائشة ﵂، وأوله: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين».
وقول أبي عبيدة في تفسير الثعلبي ٥/ ٥١٢، والوسيط للواحدي ٤/ ١٤٥، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٨، وفيه عندهم: كقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] بدل قوله: كما قيل في قوله: «وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون».
وذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٠٤ دون نسبة، وبالمثالين معاً، وردَّه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣٩ بنحوه.
(٣) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٣٩.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ١٣٩-١٤٠.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٥٠.

عام الحديبية في ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة[١].

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من قبل ذلك، أي: من زمانٍ دون ذلك الزمان الذي وُعِدوا فيه بالدخول فيه.

﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قال كثيرٌ من الصحابة: هذا الفتح القريب هو بيعة الرضوان[٢]. وقال مجاهد وابن إسحاق: هو صلح الحديبية. وقال ابن زيد: خيبر[٣]. وُضعِّفَ قولُ من قال: إنَّه فتحُ مكة؛ لأنَّ فتحَ مكة لم يكن من دونِ دخولِ الرسول ﷺ وأصحابِه مكة، بل كان بعد ذلك[٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ فيه تأكيدٌ لصدق رؤياه ﷺ وتبشيرٌ بفتح مكة؛ لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، وتقدَّم الكلامُ على مُعظَم هذه الآية[٥].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنَّ ما وعدَه كائنٌ. وعن الحسن: ﴿شَهِيدًا﴾ على نفسه أنَّه سيُظهِرُ دينَك[٦].

والظاهرُ أنَّ «محمدٌ رسولُ الله» مبتدأٌ وخبر. وقيل: «رسولُ الله» صفة[٧]. وقال الزمخشري: عطف بيان «والذين» معطوفٌ، والخبر عنه وعنهم «أشِدَّاءُ». وأجاز الزمخشريُّ أن يكون «محمدٌ» خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو محمدٌ؛ لتقدُّمِ قولِه: «هو الذي أرسل رسولَه»[٨].

وقرأ ابن عامر في رواية: «رسولَ الله» بالنصب على المدح[٩].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٠. وقوله: . . . وكان خروجه من المدينة. . . إلى هنا، ليست في المطبوع.

(٢) وقد تقدم ذلك في بداية السورة عن جابر بن عبد الله والبراء بن عازب. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٠.

(٣) أخرجهما الطبري ٢١/ ٣١٨-٣١٩، وذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٤٤.

(٤) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٠.

(٥) عند تفسير الآية (٣٣) من سورة التوبة.

(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ٣٢٠. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٤٥. والكلام من الكشاف ٣/ ٥٥٠.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٠.

(٨) الكشاف ٣/ ٥٥٠.

(٩) القراءات الشاذة ص١٤٢ من رواية الأهوازي عن ابن عامر، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ هم مَن شَهد الحُدَيبية. قاله ابن عباس. وقال الجمهور: جميع أصحابه[(١)].

﴿أَشِدَّآءُ﴾ جمع شَديد، كقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ كقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وكقوله: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)] [التوبة: ١٢٨].

وقرأ الحسن: «أشِدَّاءَ» «رُحَماءَ» بنصبهما[(٣)]. قيل: على المدح، وقيل: على الحال، والعاملُ فيهما العامل في «معه»، ويكون الخبرُ عن المبتدأ المتقدِّم «تراهم»[(٤)].

وقرأ يحيى بن يَعْمَر: «أشِدَّا» بالقصر[(٥)]، وهي شاذة؛ لأنَّ قصْرَ الممدودِ إنَّما يكون في الشِّعر، نحو قوله:

لا بُدَّ مِنْ صَنْعا وإنْ طالَ السَّفَرْ[(٦)]

وفي قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ دليلٌ على كثرة ذلك منهم[(٧)].

وقرأ عمرو بن عبيد: «ورُضواناً» بضمِّ الراء[(٨)].

وقُرئ: «سيمياؤهُم» بزيادة ياء والمد[(٩)]، وهي لغةٌ فصيحةٌ كثيرةٌ في الشعر، قال الشاعر:

غُلامٌ رَماهُ اللهُ بالحُسْنِ يافعاً ... له سِيمياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[(١٠)]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٠-١٤١.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٥٠.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٢، والمحتسب ٢/ ٢٧٦.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٥٠ بنحوه.
(٥) القراءات الشاذة ص١٤٢
(٦) لم أقف على قائله، وذكره ابن جنيّ في سر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٧، وتتمته كما في العين ٢/ ٢١٩: وإنْ تحَنَّى كُلُّ عَوْدٍ وانْقَعَرْ. والعَوْد: الطريق القديم.
(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٠٦ بنحوه.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٤١، وذكرها صاحب النشر ٢/ ٢٣٨ عن شعبة.
(٩) القراءات الشاذة ص١٤٢.
(١٠) البيت لابن عنقاء الفزاري، وسلف عند تفسير الآية (٢٦٦) من سورة البقرة.

وهذه السِّيما، قال مالك بن أنس: كانت جباهُهم مُتْرَبَةً[1] من كثرة السجود في التراب. وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية: وَعْدٌ لهم بأن يجعل لهم نوراً يوم القيامة من أثر السجود. وقال ابن عباس أيضاً: السَّمْتُ الحَسَن، وخشوعٌ يبدو على الوجه. وقال الحسن وشِمْر بن عطية: بياضٌ وصُفْرةٌ وتَهيُّجٌ يعتري الوجهَ من السَّهَر. وقال عطاء والربيع بن أنس: حُسْنٌ يعتري وجوهَ المُصلِّين. وقال منصور: سألتُ مجاهداً: هذه السِّيما هي الأثرُ يكون بين عَينَي الرجل؟ قال: لا؛ وقد يكون مثلَ رُكْبَةِ البعير، وهي أقسى قلباً من الحجارة. وقال ابن جُبير: ذلك ممَّا يتعلَّقُ بجباههم من الأرض عند السجود[2].

وقال الزمخشري[3]: المُرادُ بها السِّمة التي تحدُثُ في جبهة السُّجَّاد من كثرة السجود. وقوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ يفسِّرها، أي: من التأثير الذي يؤثِّره السجود، وكان كُلٌّ من العَلِيَّيْنِ علي بن الحسين زينِ العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس أبي الأملاك يُقال له: ذو الثَّفِنات؛ لأنَّ كثرةَ سجودِهما أحدثَتْ في مواقعه منهما أشباهَ ثَفِنات البعير. انتهى.

وقرأ ابن هُرْمُز: «إِثْرِ» بكسر الهمزة وسكون الثاء[4]. والجمهور بفتحهما. وقرأ قتادة: «من آثار السجود» بالجمع[5].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوصفُ من كونِهم أشداءَ، رحماءَ، مُبتَغِين، سيماهم في وجوههم، صفتُهم في التوراة.

قال مجاهد والفرَّاء: هو مَثَلٌ واحد، أي: ذلك صفتُهم في التوراة والإنجيل،

---

(١) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: منيرة، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ١٤١ والكلام منه.
(٢) وهذه الأقوال ـ دون قول مالك ـ أخرجها بنحوها الطبري في تفسيره ٢١/ ٣٢٢-٣٢٥. ويُنظر تفسير القرطبي ١٩/ ٣٤٢-٣٤٣.
(٣) في الكشاف ٣/ ٥٥٠.
(٤) وقع في مطبوع القراءات الشاذة ص١٤٢ بفتح الهمزة.
(٥) نسبها في القراءات الشاذة ص١٤٢ لعيسى الحجازي والحسن، وهي في الكشاف ٣/ ٥٥٠ دون نسبة.

فيوقَفُ على الإنجيل. وقال ابن عباس: هما مَثَلان، فيُوقَفَ على ذلك في التوراة[١].

و«كزَرْع» خبرُ مبتدإٍ محذوف، أي: مثَلُهم كزرعٍ، أو هُمْ كزرعٍ[٢]. وقال الضحَّاك: المعنى: ذلك الوصْفُ هو مثَلُهم في التوراة، وتَمَّ الكلامُ، ثُمَّ ابتدأ: «ومثَلُهم في الإنجيل كزرع»[٣]. فعلى هذا يكون «كزَرْعٍ» خبرَ «ومَثَلُهم».

وقال قتادة: مثَلُ أصحابِ النبيِّ ﷺ في الإنجيل مكتوبٌ أنَّه سَيَخرجُ من قومٍ[٤] ينبتون نباتاً كالزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقال الزمخشري[٥]: ويجوز أن يكون «ذلك» إشارةً مُبهَمةً أُوضِحَتْ بقوله: «كزرعٍ أخرجَ شَطْأه»، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الحجر: ٦٦].

وقال ابن عطية[٦]: وقوله: «كزرع» هو على كلِّ الأقوال، وفي أيِّ كتابٍ أُنزِلَ: فَرْضُ مثَلٍ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه في أنَّ النبيَّ ﷺ بُعِثَ وحدَه، فكان كالزرع حبةً واحدةً، ثُمَّ كثُرَ المسلمون، فهُمْ كالشَّطْءِ، وهو فراخُ السُّنْبُلةِ التي تَنبُتُ حولَ الأصل. انتهى.

وقال ابن زيد: «شَطْأه»: فراخه وأولاده[٧]. وقال الزجَّاج[٨]: نَباتَه. وقال قُطْرُب: شَوْك السُّنْبُل. وقيل: السُّنْبُل، يَخرجُ من الحبَّة عشرُ سُنبُلاتٍ وتسعٌ وثمانٍ.

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٤٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢١/ ٣٢٩، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٦٩ بنحوه.
(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ١٠٨.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢ ونقله عن الطبري أيضاً، وهو في تفسيره ٢١/ ٣٢٩.
(٤) بعدها في النسخ والمطبوع زيادة كلمة: محمد، والكلام في تفسير القرطبي ١٩/ ٣٤٥، وأخرجه الطبري ٢١/ ٣٣٠.
(٥) في الكشاف ٣/ ٥٥٠.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢.
(٧) أخرجه الطبري ٢١/ ٣٣٠.
(٨) في معاني القرآن له ٥/ ٢٩.

قاله الفرَّاء[١]. وقال الكسائي والأخفش: طَرَفه[٢]. قال الشاعر:

أخرَجَ الشَّطْءَ على وجهِ الثَّرى ومِنَ الأشجارِ أفنانَ الثَّمَرْ[٣]

وقرأ الجمهور: «شَطْأه» بإسكان الطاء والهمز. وابنُ كثير وابنُ ذكوان بفتحهما[٤]. وكذلك وبالمدِّ أبو حَيْوة، وابنُ أبي عبلة، وعيسى الكوفي[٥]. وبألفٍ بدل الهمزة زيدُ بن علي[٦]. فاحتَمَل أن يكون مقصوراً، وأن يكون أصلُه الهمز، فنقلَ الحركةَ وأبدلَ الهمزة ألفاً، كما قالوا في المَرْأة والكَمْأَة: المَرَاة والكَمَاة، وهو تخفيفٌ مَقيسٌ عند الكوفيين، وهو عند البصريين شاذٌّ لا يُقاسُ عليه[٧].

وقرأ أبو جعفر: «شَطَهُ» بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء، ورُوِيَتْ عن شيبة ونافع والجَحْدري[٨]. وعن الجحدريِّ أيضاً: «شَطْوَهُ» بإسكان الطاء وواوٍ بعدَها. وقال أبو الفتح[٩]: هي لغة، أو بدَلٌ من الهمزة، ولا يكون الشَّطْء إلَّا في البُرِّ والشعير، وهذه كلُّها لغات.

وقال صاحب «اللوامح»: شَطَأ الزَّرعُ وأشطأ، إذا أخرج فراخَه، وهو في الحِنْطةِ والشعيرِ وغيرِهما.

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ٦٩.
(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥١٤ عن الكسائي، والجوهري في الصحاح (شطأ) عن الأخفش.
(٣) البيت للزبير بن العوام ﷺ، وهو في جمهرة أشعار العرب ١/ ١٣٩، وفيه: «يخرج» بدل «أخرج». والكلام بتمامه في تفسير القرطبي ١٩/ ٣٤٤.
(٤) السبعة ص٦٠٤، والتيسير ص٢٠٢.
(٥) يعني: «شَطَاءَهُ». القراءات الشاذة ص١٤٢، والمحتسب ٢/ ٢٧٦.
(٦) يعني «شَطَاهُ». المحتسب ٢/ ٢٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٤٢، ونسباها لعيسى بن عمر الهمداني.
(٧) ينظر الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٠٤ باختصار.
(٨) القراءات الشاذة ص١٤٢ عن الجحدري، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢، وهذه القراءة ليست مشهورة عن أبي جعفر ونافع، والمشهور عنهما كقراءة الجمهور. ينظر السبعة ص٦٠٤، والتيسير ص٢٠٢، والنشر ٢/ ٣٧٥.
(٩) في المحتسب ٢/ ٢٧٧، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢.

وقرأ ابن ذكوان: «فأَزَرَه» ثلاثياً، وباقي السبعة: «فآزَرَه» على وزن أفعَلَه[١].

وقُرئ: «فأزَّرَهُ» بتشديد الزاي[٢]. وقولُ ابنِ مجاهد[٣] وغيرِه: «آزره» فاعَلَه، خطأٌ؛ لأنَّه لم يُسمَعْ في مضارعه إلَّا «يُؤْزِر» على وزن «يُكْرِم».

والضمير المنصوب في «آزَرَهُ» عائدٌ على الزرع؛ لأنَّ الزرع أولَ ما يطلَعُ رقيقُ الأصل، فإذا خرجت فراخُه غَلُظَ أصلُه وتقوَّى، وكذلك أصحابُ الرسول ﷺ كانوا أقِلَّةً ضُعفاءَ، فلمَّا كَثُروا وتقَوَّوا قاتلوا المشركين[٤].

وقال الحسن: «آزَرَه»: قوَّاه وشدَّ أزْرَه[٥]. وقال السُّدِّي: صار مثلَ الأصل في الطول[٦].

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ أي: صار من الرِّقَّة إلى الغِلَظ[٧] ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: تَمَّ نباتُه[٨] ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق، كنايةً عن أصوله[٩].

وقرأ ابن كثير: «على سُؤْقِه» بالهمز[١٠]. قيل: وهي لغة ضعيفة، يهمزون الواو التي قبلها ضمَّة. ومنه قول الشاعر:

أَحَبُّ المُؤْقِدَيْنِ إليَّ مُؤْسى[١١]

---

(١) السبعة ص٦٠٥، والتيسير ص٢٠٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٥١.
(٣) في السبعة ص٦٠٥. ووقع في جميع النسخ والمطبوع: مجاهد، وكذا في الدر المصون ٩/ ٧٢٣، وروح المعاني ٢٥/ ٣١٦، والتصويب من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢ والكلام منه.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٢٣-٣٢٤ بنحوه.
(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٥١٤ دون نسبة.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٢٣ بنحوه.
(٧) الكشاف ٣/ ٥٥١.
(٨) تفسير الثعلبي ٥/ ٥١٤.
(٩) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩، وتفسير الطبري ٢١/ ٣٢٢.
(١٠) وهي رواية قنبل عنه كما في السبعة ص٦٠٥، والتيسير ص١٦٨. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢.
(١١) قائله جرير، وهو في ديوانه ١/ ٢٨٨، وفيه: لَحَبُّ الواقدان. وعجز البيت: وجَعْدةُ لو أضاءَهُما الوقودُ. وسلف عند تفسير الآية (٤٤) من سورة النمل.

«يُعجِبُ الزُّرَّاعَ» جملة في موضع الحال، وإذا أعجبَ الزُّرَّاعَ فهو أحرى أن يُعجِبَ غيرَهم؛ لأنَّه لا عيبَ فيه، إذ قد أعجبَ العارفين بعيوب الزرع، ولو كان مَعيباً لم يُعجِبْهم، وهنا تَمَّ المثَلُ و«لِيَغِيظَ» مُتعلِّقٌ بمحذوف يدلُّ عليه الكلامُ قبلَه، تقديره: جعلَهم اللهُ بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار[(١)].

وقال الزمخشري[(٢)]: فإنْ قلتَ: «ليَغيظَ بهم الكفار» تعليلٌ لماذا؟ قلت: لِما دَلَّ عليه تشبيهُهم بالزرع من نمائهم وترقِّيهم في الزيادة والقوَّة، ويجوز أن يُعلَّلَ به «وعدَ اللهُ الذين آمنوا»؛ لأنَّ الكفارَ إذا سمعوا بما أُعِدَّ لهم في الآخرة مع ما يُعِزُّهم به في الدنيا، غاظَهم ذلك. ومعنى «منهم» للبيان، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال ابن عطية: وقوله: «منهم» لبيان الجنس، وليست للتبعيض؛ لأنَّه وعدُ تَرَجٍّ للجميع[(٣)].

وقال ابن جرير: «منهم» يعني: من الشَّطْء الذي أخرجه الزَّرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة. فأعادَ الضميرَ على معنى الشطء لا على لفظه. والأجر العظيم: الجنة[(٤)].

وذُكِرَ عند مالك بن أنس رجلٌ ينتقِصُ الصحابة، فقرأ مالك هذه الآية، وقال: مَنْ أصبحَ من الناس في قلبه غيظٌ [على أحدٍ] من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابَتْه هذه الآية[(٥)]. والله الموفق.

(١) المحرر الوجيز ٥/١٤٢-١٤٣.
(٢) في الكشاف ٣/٥٥١.
(٣) في النسخ والمطبوع: لأنه وعد مدح الجميع، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/١٤٣.
(٤) تفسير الطبري ٢١/٣٣٣-٣٣٤.
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٣٢٧، وما بين حاصرتين منه.

مفردات سورة الحُجُرات

التَّنابُز بالألقاب: التَّداعي بها، تفاعُلٌ من نَبَزَه، وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون، ويقال: النَّبَزُ والنَّزَبُ لَقَبُ السُّوء. اللَّقب: هو ما يُدعى به الشخصُ من لفظٍ غيرِ اسمهِ وغيرِ كنيتِه، وهو قسمان: قبيحٌ: وهو ما يكرهُه الشخص؛ لكونه تقصيراً به وذمًّا، وحَسَنٌ: وهو بخلاف ذلك، كالصِّدِّيق لأبي بكر، والفاروق لعمر، وأَسَد اللهِ لحمزة، ﷺ[1].

تجسَّسَ الأمرَ: تطَلَّبه وبحثَ عن خفِيِّه، تفعُّلٌ من الجَسِّ، ومنه الجاسوس: وهو الباحث عن العورات ليُعْلِمَ بها. ويقال لمشاعر الإنسان: الحواس، بالحاء والجيم[2].

الشَّعب: الطبقة الأولى من الطبقات الستِّ التي عليها العرب، وهي: الشَّعْب، والقبيلة، والعِمارة، والبطن، والفخذ، والفَصيلة. فالشَّعْب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العَمائر، والعِمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل؛ خُزيمةُ شَعْبٌ، وكنانةُ قبيلةٌ، وقريشٌ عِمارةٌ، وقُصيٌّ بطنٌ، وهاشمٌ فخذٌ، والعباس فصيلةٌ. وسُمِّيتِ الشُّعوبَ؛ لأنَّ القبائلَ تشعَّبَتْ منها[3].

ورُويَ عن ابن عباس: الشُّعوب: البطون، هذا غير ما تمالأ عليه أهل اللغة[4]. ويأتي خلافٌ في ذلك عند قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾.

القبيلةُ دون الشَّعْب، شُبِّهت بقبائل الرأس؛ لأنَّها قِطَعٌ تقابلت.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٦٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٦٨.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٦٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٣، وما بعده منه.

أَلَتَ يألُتُ ـ بضمِّ اللام وكسرِها ـ أَلْتاً، ولاتَ يَليتُ، وألاتَ يُليتُ رباعياً. ثلاث لغات حكاها أبو عبيدة[١]، والمعنى: نقص. وقال رُؤبَة:

وليــلــةٍ ذاتِ نــدًى سَــرَيْــتُ ولم يَلِتْني عن سُرَاها لَيْتُ[٢]

أي: لم يمنعني ولم يحبسني. وقال الحُطيئة[٣]:

أبلِغْ سَراةَ بني سعدٍ مُغَلْغَلةً جَهْدَ الرِّسالةِ لا أَلْتاً ولا كذِبا

* * *

سورة الحجرات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾.

هذه السورة مدنية[٤]. ومناسبتها لآخرِ ما قبلَها ظاهرة؛ لأنَّه ذكرَ رسولَ الله ﷺ

---

(١) في مجاز القرآن ٢/ ٢٢١، ونقلها عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٧٧.

(٢) لم أقف عليه في ديوان رؤبة، ونُسِبَ له في تفسير الطبري ٢١/ ٣٩٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٢٢.

(٣) في ديوانه ص١٣٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠٨، ومجمع البيان ٢٦/ ٨١.

وأصحابَه، ثمَّ قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فربما صدَرَ من المؤمنِ عاملِ الصالحات بعضُ شيءٍ ممَّا ينبغي أن يُنهى عنه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

وكانت عادةُ العرب ـ وهي إلى الآن ـ الاشتراكَ في الآراء، وأن يتكلَّم كلٌّ بما شاء، ويفعلَ ما أحَبَّ، فجرى من بعض مَنْ لم يتمرَّنْ على آداب الشريعة بعضُ ذلك. قال قتادة: فرُبَّما قال قومٌ: ينبغي أن يكون كذا، لو أُنزِلَ في كذا. وقال الحسن: ذبحَ قومٌ ضحايا قبلَ النبيِّ ﷺ. وفعَلَ قومٌ في بعضِ غزَواته شيئاً بآرائهم، فنزلت هذه الآية ناهيةً عن جميع ذلك[١]. وقال ابن عباس: نُهوا أن يتكلَّموا بين يدَي كلامِه[٢]. وتقول العرب: تقدَّمْتُ في كذا وكذا، وقدَّمتُ فيه، إذا قلتُ فيه[٣].

وقرأ الجمهور: «لا تُقدِّموا»، فاحتمَلَ أن يكون متعدِّياً، وحُذِفَ مفعولُه ليتناول كلَّ ما يقع في النَّفْس ممَّا يُقدَّم. فلم يقصِدْ لشيءٍ مُعَيَّن، بل النَّهيُ مُتعلِّقٌ بنفس الفعل دون تعرُّضٍ لمفعولٍ مُعيَّن، كقولهم: فلانٌ يُعطي ويمنع. واحتمَلَ أن يكون لازماً بمعنى تقدَّم، كما تقول: وجَّه في معنى توجَّه، ويكون المحذوفُ ممَّا يُوصَلُ إليه بحرف الجر، أي: لا تتقدَّموا في شيءٍ ما من الأشياء أو بما تُحِبُّون، ويعضد هذا الوجه قراءةُ ابنِ عباس، وأبي حَيْوة، والضحَّاك، ويعقوب، وابن مِقْسَم: «لا تَقَدَّموا» بفتح التاء والقاف والدال على اللزوم[٤]، وحُذِفتِ التاءُ تخفيفاً؛ إذ أصلُه: لا تتقدَّموا.

وقرأ بعض المكيين: «لا تَّقدَّموا» بشدِّ التاء، أدغم تاءَ المضارعة في التاء بعدَها، كقراءة البَزِّي[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٤. وقول قتادة والحسن أخرجهما الطبري ٢١/ ٣٣٦.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٥٣. وأخرجه الطبري ٢١/ ٣٣٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٤.

(٤) هذه القراءة في المحرر الوجيز ٥/ ١٤٤ عن ابن عباس والضحاك ويعقوب، وفي المحتسب ٢/ ٢٧٦ عن الضحاك ويعقوب، وعن يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٧٥. والكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٥٥٢.

(٥) المشهور عن البزِّي ـ وهو أحد الراوِيَين عن ابن كثير - كقراءة الجمهور.

وقُرِئ: «لا تَقْدَموا» مضارع قَدِمَ ـ بكسر الدال ـ من القُدوم، أي: لا تَقْدَموا إلى أمرٍ من أمور الدين قبل قدومِها، ولا تعجَلوا عليها.

والمكانُ المُسامتُ وجهَ الرجل قريباً منه قيل فيه: بين يدَي المجلوس إليه توسُّعاً لما جاورَ الجهتين من اليمين واليسار، وهي في قوله: «بين يدي الله ورسوله» مجازٌ من مجاز التمثيل، وفائدته تصويرُ الهُجْنَة والشَّناعة فيما نُهوا عنه من الإقدام على أمرٍ دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى: لا تقطعوا أمراً إلَّا بعدَ ما يَحكمان به ويأذنان فيه، فيكونوا عاملين بالوحي المُنْزَلِ، أو مُقتَدين برسولِ الله ﷺ، وعلى هذا مدار تفسير ابن عباس. وقال مجاهد: لا تفتاتوا على الله شيئاً حتى يقُصَّه على لسان رسوله ﷺ[1]. وفي هذا النهي توطئةٌ لِما يأتي بعدُ من نهيهم عن رفع أصواتهم، ولمَّا نهى أمرَ بالتقوى؛ لأنَّ من التقوى اجتنابَ المنهيِّ عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتكم وأفعالكم.

ثمَّ ناداهم ثانياً؛ تحريكاً لما يُلقيه إليهم، واستبعاداً لما يتجدَّد من الأحكام، وتطريةً للإنصات[2].

ونزلَتْ بسبب عادة الأعراب من الجفاء وعُلُوِّ الصوت ﴿لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ﴾[3] أي: إذا نطقَ ونطَقْتُم ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: إذا كلَّمتُموه[4]؛ لأنَّ رتبةَ النبوَّة والرسالة يجب أن تُوَقَّر وتُجَلَّ، ولا يكون الكلامُ مع الرسول ﷺ كالكلام مع غيره.

ولـمَّا نزلت قال أبو بكر ﷺ: لا أُكَلِّمُكَ يا رسول الله إلَّا السِّرارَ ـ أو أخا السِّرار ـ حتى ألقى الله[5]. وعن عمر ﷺ أنه من خفاء الصوت إذا كلَّمَ الرسولَ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري قبل الحديث (٤٨٤٥) تعليقاً، ووصله الطبري ٢١/٣٣٦، والبيهقي في الشعب (١٥١٦). وهو في تفسير مجاهد ٢/٦٠٥. والكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٥٥٢-٥٥٣.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٥٣ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٥.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٥٤.

(٥) أخرجه البزار (٥٦)، والحاكم ٣/ ٧٤، والواحدي في أسباب النزول ص٤٠٨ من حديث أبي بكر ﷺ.

=

لا يُسْمِعُه حتى يَستفْهِمَه[١]. وكان أبو بكر إذا قدِمَ على رسول الله ﷺ قومٌ[٢] أرسل إليهم مَنْ يُعلِّمهم كيف يُسلمونَ، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ[٣]. ولم يكن الرفعُ والجهرُ إلَّا ما كان في طباعهم لا أنَّه مقصودٌ بذلك الاستخفافُ والاستعلاء؛ لأنَّه كان يكون فِعْلُهم ذلك كفراً، والمخاطبون مؤمنون.

﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: في عدم المبالاة وقِلَّة الاحترام، فلم يُنهَوا إلَّا عن جهرٍ مخصوص[٤].

وكَرِهَ العلماءُ رفعَ الصوت عند قبر رسول الله ﷺ، وبحضرةِ العالم، وفي المساجد[٥].

وعن ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، وكان في أُذُنِهِ وَقْرٌ وكان جَهيرَ الصوت[٦]. وحديثُه في انقطاعه في بيته أياماً بسبب ذلك مشهورٌ، وأنَّه قال: يا رسول الله، لمَّا أُنزِلَتْ خِفْتُ أن يحبطَ عملي فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّكَ من أهل الجنة»[٧]. وقال له مرَّةً: «أما ترضى أن تعيشَ حميداً، وتموتَ شهيداً؟» فعاش كذلك، ثُمَّ قُتِلَ باليمامة ﵁ يوم مسيلمة[٨].

= وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٦٢، والبيهقي في الشعب (١٥٢١) من حديث أبي هريرة ﵁.
والكلام من الكشاف ٣/ ٥٥٤-٥٥٥.

(١) في الكشاف ٣/ ٥٥٥ والمطبوع: وعن عمر أنه كان يكلِّم النبيَّ ﷺ كأخي السِّرار لا يسمعه حتى يستفهمه. وأخرجه البخاري (٤٨٤٥)، وأحمد (١٦١٣٣) من حديث عبد الله بن الزبير ﵄.

(٢) في الكشاف: وفد، والمثبت من (أ) والمطبوع.

(٣) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٥٥: لم أجده.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٥٥ بنحوه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٥.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٥٥.

(٧) أخرجه بنحوه البخاري (٣٦١٩)، ومسلم (١١٩) (١٨٨)، وأحمد (١٢٣٩٩) من حديث أنس بن مالك ﵁.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٠، وفي مصنفه (٢٠٤٢٥)، والطبري ٢١/ ٣٤١-٣٤٢، وابن حبان (٧١٦٧)، والطبراني في الكبير (١٣١٠-١٣١٦)، وغيرهم. واختلف في أسانيدهم عن الزهري.

=

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ إن كانت الآيةُ مُعَرِّضة بمَنْ يجهر استخفافاً فذلك كفرٌ يحبطُ معه العمل حقيقةً، وإن كانت للمؤمِن الذي يفعل ذلك غفلةً وجَرْياً على عادته، فإنَّما يحبَطُ عملُه البِرُّ في توقير النبيِّ ﷺ وغَضِّ الصوتِ عنده أن لو فعلَ ذلك، كأنَّه قال: مخافةَ أن تحبطَ الأعمالُ التي هي مُعَدَّةٌ أن تعملوها فتؤجَروا عليها[1].

و«أنْ تحبَطَ» مفعولٌ له، والعامل فيه: «ولا تجهروا» على مذهب البصريين في الاختيار، و«لا ترفعوا» على مذهب الكوفيين في الاختيار، ومع ذلك فمن حيث المعنى حبوط العمل عِلَّةٌ في كلٍّ من الرفع والجهر.

وقرأ عبد الله وزيد بن علي: «فتَحْبَطَ» بالفاء[2]، وهو مُسبَّبٌ عمَّا قبله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ قيل: نزلَتْ في أبي بكر وعمر ﷺ لِما كان منهما من غَضِّ الصوت والبلوغ به أخا السِّرار[3].

﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أي: جُرِّبَتْ ودُرِّبَتْ للتقوى، فهي مُضطلِعةٌ بها، أو: وُضِعَ الامتحانُ موضعَ المعرفة؛ لِأَنَّ تحقُّقَ الشيء باختباره، أي: عرَفَ قلوبَهم كائنةً للتقوى، فـ «للتقوى» في موضع الحال، أو: ضرَبَ اللهُ قلوبَهم بأنواع المِحَن لأجل التقوى، أي: لتثبُتَ فتظهرَ تقواها. وقيل: أخلصَها للتقوى، من قولهم: امتحَنَ الذهبَ وفتَنَه، إذا أذابَه فخَلَّصَ إبريزَه من خَبَثِه[4].

وجاءت في هذه الآية «إنَّ» مُؤكِّدةً لمضمون الجملة، وجُعِلَ خبرُها جملةً من اسم الإشارة الدالِّ على التفخيم والمعرفة بعده، جائياً بعدها ذِكْرُ جزائهم على غَضِّ

= لكن أخرجه بنحوه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٩٢١)، والطبراني في الكبير (١٣٢٠)، والحاكم ٣/ ٢٣٥ عن عطاء الخراساني، عن ابنة ثابت بن قيس بن شماس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٢٢: وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية، فإنها قالت: سمعت أبي. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٥.
(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٤٥، والكشاف ٣/ ٥٥٧ عن ابن مسعود.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٥، والكشاف ٣/ ٥٥٧.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٥٧ بنحوه، وما بعده منه أيضاً.

أصواتهم، وكلٌّ هذا دليلٌ على أنَّ الارتضاء بما فعلوا من توقير النبي ﷺ بِغَضِّ أصواتهم، وفيها تعريضٌ بعظيم ما ارتكَبَ رافعو أصواتهم، واستيجابُهم ضِدَّ ما استوجَبَ هؤلاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ نزلت في وفد بني تميم؛ الأقرع بن حابس، والزِّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهْتَم، وغيرهم، وفدوا ودخلوا المسجد وقت الظَّهيرة، والرسولُ ﷺ راقدٌ، فجعلوا ينادونه بجملتهم: يا محمد، اخرُجْ إلينا. فاستيقظَ، فخرجَ، فقال له الأقرع بن حابس: يا محمد، إنَّ مَدْحي زَيْنٌ، وذَمِّي شَيْنٌ. فقال له رسول الله ﷺ: «ويلك، ذلك الله تعالى» فاجتمع الناسُ في المسجد، فقالوا: نحن بني تميم بخطيبنا وشاعرِنا نُشاعِرُك ونُفاخِرُك. فقال النبيُّ ﷺ: «ما بالشِّعر بُعِثْتُ، ولا بالفَخارِ أُمِرْتُ، ولكن هاتوا» فقال الزِّبْرِقان لشابٍّ منهم: قُمْ واذكُرْ فضلَ قومِكَ. فقال: الحمد لله الذي جعلنا خيرَ خلقِه، وآتانا أموالاً نفعلُ فيها ما نشاء، فنحنُ من خير أهل الأرض، من أكثرِهم عدداً ومالاً وسلاحاً، فمَنْ أنكرَ علينا فليأتِ بقولٍ هو أحسنُ من قولنا، وفِعْلٍ هو أحسنُ من فِعْلِنا.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شَمَّاس وكان خطيبَه: «قُمْ فأجِبْه». فقال: الحمدُ لله أحمَدُه وأستعينُه، وأُومِنُ به وأتوكَّلُ عليه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، دعا المهاجرين من بني عمِّه أحسنِ الناسِ وُجوهاً، وأعظَمِهم أحلاماً، فأجابوه، والحمد لله الذي جعلَنا أنصارَ دينِه، ووزراءَ رسوله، وعِزًّا لدينِه، فنحن نُقاتِلُ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمَنْ قالها منَعَ نفسَه ومالَه، ومَنْ أباها قتلناه وكان رغمُه[١] علينا هَيِّناً، أقولُ قولي هذا وأستغفِرُ اللهَ للمؤمنين والمؤمنات.

وقال الزِّبرقان لشابٍّ: قُمْ فقُلْ أبياتاً تذكُرُ فيها فضلَ قومك، فقال:

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا ... فينا الرؤوسُ وفينا يُقسَمُ الرُّبُعُ
ونُطْعِمُ النَّاسَ عند القَحْطِ كُلَّهمُ ... من السَّديفِ[٢] إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ[٣]

(١) الرُّغْم: الذلّ والهوان. النهاية (رغم).
(٢) السَّديف: شحم السنام. اللسان (سدف).
(٣) القَزَع: السحاب. اللسان (قزع).

إذا أَبَيْنا فلا يأبى لنا أحدٌ ... إنَّا كذلكَ عندَ الفخرِ نرتفِعُ[(١)]

فأمرَ النبيُّ ﷺ فدُعِيَ حسَّانُ بنُ ثابت، فقال له: أعِدْ لي قولَك. فأسمَعَه، فأجابه:

إنَّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قد شَرَّعوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ

يَرْضَى[(٢)] بها كُلُّ مَنْ كانَتْ سريرتُهُ ... تقوى الإلهِ فكلُّ الخيرِ يُصطَنَعُ[(٣)]

ثُمَّ قال حسان في أبيات:

نصَرْنا رسولَ الله والدِّينَ عَنوةً ... على رَغْمِ غابٍ من مَعَدٍّ وحاضرِ

بضربٍ كإيزاعِ[(٤)] المخاضِ مُشاشُهُ[(٥)] ... وطَعْنٍ كأفواهِ اللِّقاحِ[(٦)] الصَّوادرِ[(٧)]

وسَلْ أُحُداً يومَ استقَلَّتْ جُموعهُمْ ... بضَرْبٍ لَنا مثلِ اللُّيوثِ الخوادرِ[(٨)]

أَلَسْنا نخوضُ الموتَ في حَوْمة الوغى ... إذا طابَ وِرْدُ الموتِ بين العساكرِ

فنضْرِبُ هامَ الدَّارعين ونَنْتَمي ... إلى حسبٍ من جِذْمِ[(٩)] غسَّانَ قاهرِ[(١٠)]

فلولا حياءُ اللهِ قُلنا تكَرُّماً ... على النَّاسِ بالخَيْفَينِ[(١١)] هَلْ مِنْ مُنافِرِ[(١٢)]

---

(١) نُسبت الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٦٢ للزبرقان بن بدر، وكذا وقعت في ديوان حسان ص١٤٤، والأغاني ٤/ ١٤٨.

(٢) في النسخ والمطبوع: يوصي، والمثبت من ديوان حسان ص١٤٥ والمصادر.

(٣) في (أ) والمطبوع: يُطَّلعُ، وعجزه في الديوان: تقوى الإلهِ وبالأمر الذي شرعوا.

(٤) الإيزاع هنا بمعنى: التوزيع. ينظر تاج العروس (وزع).

(٥) المُشاش هنا: بول النوق الحوامل. تاج العروس (مشش).

(٦) اللِّقاح؛ جمع لَقْحة: وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. المعجم الوسيط (لقح).

(٧) في النسخ والمطبوع: المصادر، والمثبت من المصادر، والصَّوادر: هي التي شربت بعد ورودها الماء. ينظر اللسان (صدر).

(٨) الخوادر: هي المقيمة في خدورها وأوكارها. اللسان (خدر).

(٩) في النسخ والمطبوع: جذع، والمثبت من المصادر، والجِذْم: الأصل. تاج العروس (جذم).

(١٠) في النسخ: زاهر، والمثبت من المصادر.

(١١) الخَيْف: ما انحدر عن غِلَظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. الصحاح (خيف).

(١٢) من المنافرة: وهي المفاخرة. اللسان (نفر).

فأَحْياؤنا مِنْ خيرِ مَنْ وَطِئَ الحصا ... وأمواتُنا مِنْ خيرِ أهلِ المقابرِ

قال: فقام الأقرع بن حابس فقال: إنِّي واللهِ لقد جئتُ لأمرٍ، وقد قلتُ شعراً فاسمَعْه، وقال:

أتيناكَ كَيْما يعرِفَ النَّاسُ فَضْلَنا ... إذا خالفونا عندَ ذِكْرِ المكارمِ

وأنَّا رؤوسُ النَّاسِ في كلِّ غارةٍ ... تكونُ بنجدٍ أو بأرضِ التَّهائمِ

وأنَّ لنا المِرْباعَ[1] في كلِّ معشرٍ ... وأنْ ليسَ في أرضِ الحجازِ كدارِمِ

فقال النبي ﷺ لحسان: «قُمْ فأجِبْه» فقام وقال:

بني دارمٍ لا تفخروا إنَّ فخرَكُمْ ... يصيرُ وبالاً عندَ ذِكْرِ المكارمِ

هَبِلْتُمْ[2]! علينا تفخَرونَ وأنتمُ ... لنا خَوَلٌ من بين ظِئْرٍ[3] وخادمِ[4]

فقال النبيُّ ﷺ: «لقَدْ كنتَ غنيًّا يا أخا دارمٍ أنْ يَذْكُرَ منك ما ظننتَ أنَّ الناسَ قد نَسوه» فكانَ قولُه عليه الصلاة والسلام أشدَّ عليهم من جميع ما قاله حسان. ثمَّ رجع حسان إلى شعره فقال:

فإنْ كنتُمُ جئتُمْ لِحَقْنِ دمائِكُمْ ... وأموالِكُمْ أن تُقسَموا في المقاسمِ

فلا تجعلوا للهِ نِدًّا وأسلِموا ... ولا تفخروا عندَ النبيِّ بدارمِ

وإلَّا ورَبِّ البيتِ قد مالَتِ القنا ... على هامِكُمْ بالمُرْهَفاتِ الصَّوارمِ

فقال الأقرع بن حابس: واللهِ ما أدري ما هذا الأمرُ، تكلَّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وتكلَّم شاعِرُنا فكان شاعِرُهم أشْعَرَ وأحسَنَ قولاً. ثمَّ دنا من رسول الله ﷺ وقال: أشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّكَ رسولُ الله. فقال النبيُّ ﷺ: «ما يضُرُّكَ ما كان قبلَ هذا». ثمَّ أعطاهم وكساهم[5].

(١) المِرْباع: ربع الغنيمة. الصحاح (ربع).

(٢) أي: ثكلتكم أمهاتكم. الصحاح (هبل).

(٣) الظِّئر: المرضعة. اللسان (ظأر).

(٤) ينظر ديوان حسان ص٢٢٩-٢٣٠.

(٥) هذه القصة بتمامها أخرجها الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٢٢-٥٢٤، والواحدي في أسباب النزول ص٤٠٩-٤١٢، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٠٥٦)، وفي دلائل النبوة (٩٨٥) من =

ومناسبةُ هذه الآية لِما قبلها ظاهرةٌ، وذلك أنَّ المناداةَ من وراء الحُجُرات فيها رفعُ الصوت، وإساءة الأدب، والله قد أمرَ بتوقيرِ نبيِّه وتعظيمِه.

والوراء: الجهة التي يُواريها عنك الشخصُ من خلفٍ أو قُدَّام، و«من» لابتداء الغاية، وإنَّ المُناداةَ نشأَتْ من ذلك المكان. وقال الزمخشري[١]: فإنْ قلتَ: أفَرْقٌ بين الكلامين بين ما يَثبتُ فيه وما يَسقطُ عنه؟ قلتُ: الفرقُ بينهما أنَّ المُنادِيَ والمُنادَى في أحدهما يجوز أن يجمعَهما الوراءُ، وفي الثاني: لا يجوز؛ لأنَّ الوراءَ يصير بدخول «مِنْ» مبتدأَ الغاية، ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأً ومنتهًى لفعل واحدٍ، والذي يقول: ناداني فلانٌ مِنْ وراء الدار، لا يُريد وجهَ الدارِ ولا دبُرَها، ولكن أيَّ قُطرٍ من أقطارها الظاهرة كان مُطلَقاً بغير تعيينٍ ولا اختصاص. انتهى.

وقد أثبتَ أصحابُنا في معاني «مِن» أنَّها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعلٍ واحدٍ، وأنَّ الشيء الواحد يكون محلًّا لهما، وتأوَّلوا ذلك على سيبويه وقالوا: من ذلك قولهم: أخذتُ الدِّرهمَ من زَيدٍ، فزَيدٌ محلٌّ لابتداء الأخذ منه وانتهائه معاً، قالوا: فـ «مِنْ» تكون في أكثر المواضع لابتداء الغاية فقط، وفي بعض المواضع لابتداء الغاية وانتهائها معاً.

وهذه المُناداةُ التي أُنكِرَتْ ليس إنكارُها لكونها وقعت في أدبارِ الحجرات أو في وجوهِها، وإنَّما أُنكِرَ ذلك لأنَّهم نادَوه من خارجِ مُناداةَ الأجلافِ التي ليس فيها توقيرٌ كما يُنادي بعضُهم بعضاً[٢].

والحُجُرات: منازل الرسول ﷺ، وكانت تسعة[٣].

= حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وقول الأقرع بن حابس: يا محمد، إن مدحي زَيْن، وذمّي شَيْن، فقال له رسول الله ﷺ: «ويلك ذاك الله تعالى» أخرجه أحمد (١٥٩٩١)، والطبري ٣٤٦/٢١، والطبراني في الكبير (٨٧٨) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن الأقرع بن حابس. وإسناده منقطع، أبو سلمة لم يثبت سماعه من الأقرع. وأخرجه الترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في الكبرى (١١٤٥٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه دون تسمية الأقرع بن حابس. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(١) في الكشاف ٥/٥٥٧-٥٥٨، وما قبله منه.

(٢) الكشاف ٥/٥٥٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/١٤٦.

والحُجْرة: الرُّقْعَةُ من الأرض المَحْجورةُ بحائِطٍ يُحَوَّط عليها. وحظيرة الإبل تُسمَّى حُجرةً، وهي فُعْلة بمعنى مفعولة، كالغُرْفة والقُبْضة[١].

وقرأ الجمهور: «الحُجُرات» بضمِّ الجيم إتباعاً للضمة قبلَها. وأبو جعفر وشيبة بفتحها[٢]. وابنُ أبي عبلة بإسكانها[٣]، وهي لُغَى ثلاث في كلِّ فُعْلَة بشرطها المذكور في علم النَّحو.

والظاهر أنَّ مَنْ صدَرَ منه النداء كانوا جماعةً، وذكر الأصمُّ أنَّ مَنْ ناداه كان الأقرعُ بن حابس وعُيينةُ بن حِصْن، فإنْ صَحَّ ذلك كان الإسنادُ إلى الجماعة؛ لأنَّهم راضون بذلك، وإذا كانوا جماعةً احتَمَل أن يكونوا تفرَّقوا، فنادى بعضٌ من وراء هذه الحُجرة وبعضٌ من وراء هذه، أو نادَوه مُجتَمِعين من وراء حُجرةٍ حُجرة، أو كانتِ الحجرةُ واحدةً، وهي التي كان فيها الرسول ﷺ، وجُمِعَتْ إجلالاً له.

وانتفاءُ العقل عن «أكثرهم» دليلٌ على أنَّ فيهم عقلاً. وقال الزمخشري[٤]: ويحتمل أن يكون الحكمُ بقِلَّة العُقلاء فيهم قصداً إلى نَفْي أن يكون فيهم مَنْ يَعْقل، فإنَّ القِلَّةَ تقعُ موقِعَ النفي في كلامهم. انتهى. وليس في الآية الحكمُ بقِلَّةِ العقل منطوقاً به فيحمِلُ النَّفيَ، وإنَّما هو مفهومٌ من قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، والنفيُ المحضُ المستفاد إنَّما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم، فلا يحمِلُ قولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] النفيَ المحضَ للشكر؛ لأنَّ النَّفيَ لم يُستفَدْ من صريح التقليل.

وهذه الآية سُجِّلَتْ على الذين نادَوه بالسَّفه والجهل، وابتُدِئ أولُ السورة بتقديم الأمور التي تنتمي إلى الله تعالى ورسولِه على الأمور كلِّها، ثُمَّ على ما نُهي عنه من التقديم بالنهي عن رفع الصوت والجهر، فكان الأولُ بساطاً للثاني، ثُمَّ يلي بما هو ثناءٌ على الذين امتنعوا من ذلك فغَضُّوا أصواتهم؛ دلالةً على عِظَم مَوْقِعه عند الله تعالى، ثُمَّ جيء على عقب [ذلك] بما هو أفظَعُ وهو الصياح برسول الله ﷺ

(١) الكشاف ٣/ ٥٥٨.
(٢) زاد المسير ٧/ ٤٥٧، وقراءة أبي جعفر ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٧٦.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٣.
(٤) في الكشاف ٣/ ٥٥٨، وما قبله منه.

في حال خَلْوتِه ببعض حُرُماتهِ من وراء الجدار، كما يُصاح بأهوَنِ النَّاسِ قَدْراً ليُنَبِّه على فظاعة ما جَسروا عليه؛ لأنَّ مَنْ رفَعَ اللهُ قَدرَه عن أن يُجهَرَ له بالقول كان صنيعُ هؤلاء معه من المُنْكَر المُتفاحَش. ومن هذا وأمثاله تُقتبَسُ محاسنُ الآداب، كما يُحكى عن أبي عُبيد ـ ومَحلُّه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى ـ أنَّه قال: ما دقَقْتُ باباً على عالم قَطُّ حتى يخرجَ في وقت خروجه[١].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزمخشري: «أنَّهم صبروا» في موضع الرفع على الفاعلية؛ لأنَّ المعنى: ولو ثبَتَ صَبْرُهم. انتهى. وهذا ليس مذهب سيبويه أنَّ «أن» وما بعدها بعد «لو» في موضع مبتدأ لا في موضع فاعل، ومذهب المُبَرِّد أنَّها في موضع فاعلٍ بفعلٍ محذوفٍ كما زعم الزمخشري.

واسمُ «كان» ضميرٌ يعود على المصدر المفهوم من «صبروا» أي: لكان هو ـ أي: صبرُهم ـ خيراً لهم. وقال الزمخشري: في «كان» إمَّا ضميرُ فاعلِ الفعلِ المُضمَر بعد «لو». انتهى. لأنَّه قَدَّر «أنَّ» وما بعدَها فاعِلاً بفِعْلٍ مُضمَرٍ، فأعاد الضمير على ذلك الفاعل وهو الصبرُ المُنسَبِكُ من «أنَّ» ومعمولها.

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الثواب عند الله، وفي انبساطِ نَفْسِ الرسول ﷺ وقضائه لحوائجهم[٢]. وقد قيل: إنَّهم جاؤوا في أُسارى، فأعتقَ رسولُ الله ﷺ النصف، وفادى على النصف، ولو صبروا لأعتقَ الجميعَ بغير فداء[٣]. وقيل: لكان صبرُهم أحسنَ لأدبهم[٤].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لن يَضيقَ غُفرانُه ورحمتُه عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا[٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية، حَدَّث الحارث بن ضرار قال: قدِمْتُ على رسول الله ﷺ، فدعاني إلى الإسلام، فأسلمتُ، وإلى الزكاة، فأقرَرْتُ بها، فقلتُ: أرجِعُ إلى قومي وأدْعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمَنْ أجابَني

(١) الكشاف ٣/ ٥٥٨-٥٥٩، وما بين حاصرتين منه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٦.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٣٦٧.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٢٨.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٥٩.

جمعتُ زكاتَه، فترسِلُ مَنْ يأتيك بما جمعتُ. فلمَّا جمع ممَّنِ استجابَ له، وبلغَ الوقتَ الذي أراد الرسولُ ﷺ أنْ يبعث إليه، واحتبسَ عليه رسولُ رسولِ الله ﷺ، قال لسَرَواتِ قومه: كان رسولُ الله ﷺ وَقَّتَ لي وقتاً ليُرسِلَ إليَّ مَنْ يقبِضُ الزكاةَ، وليس من رسول الله ﷺ الخُلْفُ، ولا أرى حَبْسَ الرسولِ إلَّا من سَخْطةٍ، فانْطَلِقوا بها إليه، وبعثَ الرسولُ ﷺ الوليدَ بن [عُقبة إلى] الحارث، ففَرِقَ، فرجَع، فقال: منعني الحارثُ الزكاةَ، وأرادَ قتلي. فضربَ رسولُ الله ﷺ البَعْثَ إلى الحارث، فاستقبلَ الحارثُ البَعْثَ وقد فصَلَ من المدينة، فقالوا: هذا الحارث. فقال: إلى مَنْ بُعِثْتُم؟ قالوا: إليك. قال: ولِمَ؟ فقالوا: بعَثَ إليكَ الوليد، فرَجَعَ، وزعمَ أنَّكَ منَعْتَه الزكاةَ، وأردْتَ قَتْلَه! قال: لا والذي بعثَ محمداً بالحقِّ، ما رأيتُه، ولا أتاني. فدخل على الرسول ﷺ، فقال: «مَنَعْتَ الزكاةَ، وأرَدْتَ قَتْلَ رسولي؟» قال: لا والذي بعثَكَ بالحقِّ، ما رأيتُ رسولَكَ، ولا أتاني، وما أقبَلْتُ إلَّا حينَ احتبسَ عليَّ رسولُكَ خشيةَ أن يكون سَخْطةً من الله ورسوله. قال: فنزلت هذه الآية[١].

و«فاسق» و«بنبأ» مُطْلَقان، فيتناولُ اللفظُ كلَّ واحدٍ على جهة البدل.

وتقدَّم قراءة «فتبيَّنوا» و«فتثبَّتوا» في سورة النساء[٢]، وهو أمرٌ يقتضي أن لا يُعتَمد على كلام الفاسق ولا يُبنى عليه حكمٌ[٣].

وجاء الشرط بحرف «إنْ» المقتضي للتعليق في المُمكن لا بالحرف المقتضي للتحقيق وهو «إذا»؛ لأنَّ مجيءَ الرجل الفاسق للرسولِ وأصحابِه بالكذب إنَّما كان على سبيل النُّدْرة، وأُمِروا بالتثبُّتِ عند مجيئه لِئَلَّا يطمع في قبول ما يُلقيه إليهم ونَبأ ما يترتَّبُ على كلامه، فإذا كانوا بمثابة التبيُّن والتثبُّت كفَّ عن مجيئهم بما يريد[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٩)، والطبراني في الكبير (٣٣٩٥)، ومابين حاصرتين منهما.
والسَّروات: الرؤساء.

(٢) عند تفسير الآية (٩٤) منها.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٩٨ بنحوه.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٦٠ بنحوه.

«أنْ تُصيبوا» مفعولٌ له، أي: كراهةَ أن تُصيبوا[١]، أو لِئَلَّا تصيبوا[٢].

«بجَهالةٍ» حال، أي: جاهلين بحقيقة الأمر[٣]، معتمدين على خبر الفاسق.

﴿فَتُصْبِحُواْ﴾ فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من إصابة القوم بعقوبة، بناءً على خبر الفاسق ﴿نَدِمِينَ﴾ مقيمين على ما فَرَط منكم، مُتَمنِّين أنَّه لم يقَعْ.

ومفهوم ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ﴾ قبولُ كلام غير الفاسق، وأنَّه لا يُتثبَّتُ عندَه، وقد يُستدَلُّ به على قبول خبر الواحد العدل[٤].

وقال قتادة: لمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «التثبُّتُ من الله، والعجَلةُ من الشيطان»[٥].

وقال منذر[٦] بن سعيد: هذه الآية تَرُدُّ على من قال: إنَّ المسلمين كلَّهم عدولٌ حتى تثبُتَ الجرْحةُ؛ لأنَّ الله تعالى أمرَ بالتبيُّن قبل القبول. انتهى. وليس كما ذَكَر؛ لأنَّه ما أمرَ بالتبيين إلَّا عند مجيء الفاسق لا مجيء المسلم، بل بشرط الفسق، والمجهولُ الحالِ يَحتمِلُ أن يكون فاسقاً، فالاحتياط لازم[٧].

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِۚ﴾ هذا توبيخٌ لمَن يُكَذِّب الرسول عليه الصلاة والسلام، ووعيدٌ بالفضيحة[٨]. ولا يصدر ذلك إلَّا ممَّن هو شاكٌّ في الرسالة؛ لأنَّ الله تعالى لا يتركُ نبيَّه ﷺ يعتمد على خبر الفاسق، بل بيَّنَ له ذلك.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٦٠، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٤.
(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ١٥٢، وتفسير الرازي ٢٨/ ١٢٠.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٦٠.
(٤) هو قول الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٢٩، وذكره الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٣٩٩، وقال: هو غلط؛ لأنَّ تخصيص الشيء بالذكر لا يدلُّ على أنَّ ما عداه فحكمه بخلافه.
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/ ٣٥١-٣٥٢ في سياق قصة، وفيه: «التبيُّن» بدل «التثبُّت»، وفي تفسير القرطبي ١٩/ ٣٦٨: «التأنِّي»، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٧ والكلام منه. وهو حديث مرسل.
(٦) تحرف في المطبوع والنسخ سوى (يه) إلى: مقلد، والتصويب منها ومن المحرر الوجيز.
(٧) من قوله: والمجهول الحال.. إلى هنا هو قول ابن عطية.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٧.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ كلامٌ تامٌّ، أمرَهم بأن يعلموا أنَّ الذي هو بين ظهرانَيكم هو رسولُ الله ﷺ، فلا تُخبروه بما لا يصِحُّ، فإنه رسول الله يطلعه الله على ذلك، ثم أخبر تعالى أنَّ رسولَه ﷺ «لو يُطيعكم»[١] في كثير من الأمر الذي يؤدِّي إليه اجتهادُكم وتقدُّمكم بين يديه ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لشَقَّ عليكم. وقال مقاتل: لأثِمْتُم[٢].

وقال الزمخشري: والجملة المُصدَّرة بـ«لَو» لا تكون كلاماً مستأنَفاً؛ لأدائه إلى تنافر النَّظْم، ولكن متَّصلاً بما قبله، حالاً من أحد الضميرين في «فيكم»؛ المستترِ المرفوع، أو البارزِ المجرور، وكلاهما مذهَبٌ سديد، والمعنى أنَّ فيكم رسولَ الله، وأنتم على حالةٍ يجب عليكم تغييرُها، وهو أنَّكم تُحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يَعِنُّ لكم من رأيٍ واستصواب فِعْلَ المِطْواعِ لغيره والتابعِ له فيما يرتئيه المحتذي على أمثلته، ولو فعلَ ذلك ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لوقَعْتُم في الجَهْد والهلاك. وهذا يدلُّ على أنَّ بعض المؤمنين زَيَّنوا لرسول الله ﷺ الإيقاعَ ببني المُصْطَلِق، وتصديقَ قولِ الوليد، وأنَّ نظائرَ ذلك من الهَنَات كانت تَفْرُط منهم، وأنَّ بعضَهم كانوا يتصوَّنون[٣] ويَزَعُهم[٤] جِدُّهم في التقوى عن الجسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: إلى بعضكم، ولكنَّه أغنَتْ عن ذكر البعض صفتُهم المفارقةُ لصفةِ غيرِهم، وهذا من إيجازات القرآن ولمحاتِه اللطيفة التي لا يفطَنُ لها إلَّا الخواصُّ. وعن بعض المفسِّرين: هم الذين امتحنَ الله قلوبَهم للتقوى[٥]. انتهى. وفيه تكثيرٌ، ولا بُعْدَ أن تكون الجملةُ المُصدَّرةُ بـ «لَو» مستأنَفةً لا حالاً، فلا تعلُّقَ لها بما قبلَها من جهة الإعراب.

وتقديم خبر «أنَّ» على اسمِها قَصَد إلى توبيخ بعضِ المؤمنين على ما استهجَنَ من استتباعِهم رأيَ الرسول ﷺ لآرائهم، فوجب تقديمُه؛ لانصبابِ الغرض إليه.

وقيل: «يُطيعكم» دون: أطاعكم؛ للدِّلالة على أنَّه كان في إرادتهم استمرارُ

---

(١) في النسخ: أطاعهم، وفي المطبوع: أطاعكم، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٧.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٢٩.
(٣) يتصوَّنون: يتحفَّظون ويتوقَّون. معجم متن اللغة ٣/ ٥٢١.
(٤) يزَعُهم: يكفُّهم. معجم متن اللغة ٥/ ٧٤٨.
(٥) الكشاف ٣/ ٥٦٠-٥٦١.

عملهم على ما يسْتَصْوِبونه، وأنَّه كلَّما عنَّ لهم رأيٌ في أمرٍ كان معمولاً عليه بدليل قوله: ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾، وشريطةُ «لكنَّ» مفقودةٌ من مخالفةِ ما بعدَها لما قبلَها من حيث اللفظ، حاصلةٌ من حيث المعنى؛ لأنَّ الذين حُبِّبَ إليهم الإيمان قد غايرَتْ صفتُهم صفةَ المتقدِّم ذِكْرُهم، فوقعَتْ «لكنَّ» في حاقِ موقِعِها من الاستدراك. انتهى. وهو ملتقَطٌ من كلام الزمخشري[١].

وقال الزمخشريُّ أيضاً: ومعنى تحبيبِ اللهِ وتكريهِه: اللُّطفُ والإمدادُ بالتوفيق، وسبيله الكنايةُ كما سبق، وكلُّ ذي لُبٍّ وراجعٍ إلى بصيرةٍ وذهنٍ لا يَغبى[٢] عليه أنَّ الرجل لا يُمدَحُ بفعل غيره، وحَمْلُ الآية على ظاهرها يؤدِّي إلى أن يُثنيَ عليهم بفعل الله، وقد نفى اللهُ هذا عن الذين أنزل فيهم: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

وعن الحسن: حبَّبَ الإيمان بما وصفَ من الثواب[٣] عليه، وكَرَّه الثلاثة بما وصفَ من العقاب عليها. انتهى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ التفاتٌ من الخطاب إلى الغَيبة. ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ قال ابن عطية[٤]: مصدرٌ مؤكِّدٌ لنفسه؛ لأنَّ ما قبلَه هو بمعناه؛ إذ التَّحبيبُ والتَّزيينُ هو نفس الفضل.

وقال الحَوْفي: «فضلاً» نُصِبَ على الحال. انتهى. ولا يظهرُ هذا الذي قاله.

وقال أبو البقاء[٥]: مفعولٌ له، أو مصدرٌ في معنى ما تقدَّم.

وقال الزمخشري: «فضلاً» مفعولٌ له، أو مصدرٌ من غير فِعْلِه، فإنْ قلتَ: من أين جاز وقوعُه مفعولاً له، والرُّشْدُ فِعْلُ القوم، والفضلُ فِعْلُ الله تعالى، والشَّرط أن يتَّحِدَ الفاعل؟ قلت: لمَّا وقعَ الرُّشدُ عبارةً عن التَّحبيب والتَّزيين والتَّكريه مسندةً

(١) في الكشاف ٣/ ٥٦١-٥٦٢.
(٢) أي: لا يخفى. معجم متن اللغة ٤/ ٢٦٦.
(٣) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: الثناء، والتصويب من المحرر الوجيز ٥/ ١٤٧ والكلام منه.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ١٤٨، وما قبله منه.
(٥) في الإملاء ٢/ ٢٤٠.

إلى اسمه ـ تقدَّسَتْ أسماؤه ـ صار الرُّشْدُ كأنَّه فِعْلُه، فجاز أن ينتصب عنه، ولا ينتصب عن «الراشدون»، ولكِنْ عن الفعل المُسنَدِ إلى اسم الله تعالى، والجملة التي هي «أولئك هم الراشدون» اعتراضٌ، أو عن فِعْلٍ مُقدَّرٍ، كأنَّه قيل: جرى ذلك، أو كان ذلك فضلاً من الله، وأمَّا كونُه مصدراً من غير فِعْلِهِ فأنْ يُوضَعَ مَوْضِعَ «رُشْداً»؛ لأنَّ رُشْدَهم فضلٌ من الله؛ لكونِهم مُوَفَّقين فيه، والفضلُ والنعمةُ بمعنى الإفضال والإنعام. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين وما بينهم من التَّمايز والتَّفاضل ﴿حَكِيمٌ﴾ حين يُفْضِلُ ويُنْعِم بالتوفيق على أفاضلهم[1]. انتهى. أمَّا توجيهُه كونَ «فضلاً» مفعولاً من أجله، فهو على طريق الاعتزال، وأمَّا تقديرُه: أو كان ذلك فضلاً، فليس من مواضع إضمار كان، ولذلك شرطٌ مذكورٌ في النحو.

❀ ❀ ❀

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية، سببُ نزولِها ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدبَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابن سَلول على رسول الله ﷺ وهو مُتوَجِّهٌ إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، وتعصَّبَ بعضُهم لعبد الله، وردَّ عبدُ الله بن رواحة على ابنِ أُبيٍّ، فتجالد الحيَّان ـ قيل: بالحديد. وقيل: بالجَريد والنِّعال والأيدي ـ فنزلت، فقرأها عليهم، فاصطلحوا[2].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٦٢.

(٢) الكلام من معاني القرآن للفراء ٣/ ٧١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٣٧، والنكت والعيون ٥/ ٣٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٤٨.

=

وقال السُّدِّي: وكانت بالمدينة امرأةٌ من الأنصار يُقال لها: أم بدر[١]، وكان لها زوجٌ من غيرهم، فوقع بينهما شيءٌ أوجبَ أن يأنف لها قومُها، وله قومُه، فوقع قتالٌ، فنزلت الآية بسببه.

وقرأ الجمهور: «اقتتلوا» جمعاً؛ حملاً على المعنى؛ لأنَّ الطائفتين في معنى القوم والناس. وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: «اقتَتَلَتا» على لفظ التثنية، وزيد بن عليّ وعُبيد بن عُمير: «اقتتلا» على التثنية مُراعًى بالطائفتين الفريقان اقتتلوا[٢].

وكلُّ واحدٍ من الطائفتين باغٍ، فالواجب السعيُ بينهما بالصلح، فإن لم تَصْطلِحا وأقامَتا على البغي قُوتِلَتا، أو لشُبهةٍ دخلت عليهما، وكلٌّ منهما يعتقد أنَّه على الحقِّ، فالواجبُ إزالةُ الشُّبَهِ بالحُجَجِ النَّيِّرةِ والبراهينِ القاطعةِ، فإنْ لجَّا[٣] فكالباغِيَتين. قيل: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ فالواجب أن تُقاتَلَ حتى تَكُفَّ عن البغي. ولم تتعرَّضِ الآيةُ من أحكام التي تبغي لشيء إلَّا لقتالها وإلى الإصلاح إن فاءت[٤].

والبَغْيُ هنا طلَبُ العُلُوِّ بغير الحقِّ، والأمرُ في «فأصلحوا» و«قاتلوا» هو لمن له الأمر من الملوك ووُلاتهم[٥].

وقرأ الجمهور: «حتى تفيءَ» مضارع فاءَ بفتح الهمزة. والزُّهريُّ: «حتى تَفِيَ» بغير همزٍ وفتح الياء[٦]. وهذا شاذٌّ، كما قالوا في مضارع جاء: يجي بغير همز، فإذا أدخلوا الناصبَ فتحوا الياء، أجْرَوه مجرى «يَفي» مضارع «وَفَى» شذوذاً.

= والقصة أخرجها بنحوها البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩)، وأحمد (١٢٦٠٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(١) هكذا وقعت كنيتها في النسخ والمطبوع والمحرر الوجيز ٥/ ١٤٨ والكلام منه. لكن وقعت في تفسير الطبري ٢١/ ٣٦٠، والنكت والعيون ٥/ ٣٣٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٧٤: أم زيد.

(٢) كذا في النسخ، وقد تمَّ الكلام عند قوله: الفريقان. وينظر الكشاف ٣/ ٥٦٣، وزاد المسير ٧/ ٤٦٣.

(٣) من لجَّ في الأمر: تمادى عليه وأبى الانصراف عنه. معجم متن اللغة ٥/ ١٥١.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٦٤ بنحوه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٨ بنحوه.

(٦) القراءات الشاذة ص١٤٣.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ أي: إخوة في الدين[١]. وفي الحديث: «المسلمُ أخو المسلم لا يظلِمُه ولا يخْذُلُه»[٢].

وقرأ الجمهور: «بين أخويكم» مثنًّى؛ لأنَّ أقلَّ مَنْ يقعُ بينهم الشقاقُ اثنان، فإذا كان الإصلاح لازماً بين اثنين فهو ألزَمُ بين أكثر من اثنين. وقيل: المراد بالأخوين الأوس والخزرج[٣].

وقرأ زيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن بخلافٍ عنه، والجَحْدريُّ، وثابت البُناني، وحماد بن سلمة، وابنُ سيرين: «بين إخوانكم» جمعاً بالألف والنون[٤]. والحسن أيضاً، وابنُ عامر في رواية، وزيد بن عليّ، ويعقوب: «بين إخوتكم» جمعاً، على وزن غِلْمة[٥]. وروى عبد الوارث عن أبي عمرو القراءاتِ الثلاث[٦].

ويُغَلَّبُ الإخوان في الصداقة، والإخوةُ في النَّسب، وقد يُستعمَلُ كلٌّ منهما مكانَ الآخر، ومنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقوله: ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ هذه الآية والتي بعدَها تأديبٌ للأمّة لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذَّميمة التي وقع النَّهْيُ عنها. وقيل: نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل، كان يمشي بالمدينة[٧] وقد أسلم، فقال له قومٌ: هذا ابن فرعون هذه الأمة. فعزَّ ذلك عليه وشكاهم، فنزلت[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٨، والكشاف ٣/ ٥٦٤ والكلام منه.
(٢) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه مسلم (٢٥٦٤) (٣٢)، وأحمد (٧٧٢٧).
(٣) الكشاف ٣/ ٥٦٤.
(٤) القراءات الشاذة ص١٤٣، والمحتسب ٢/ ٢٧٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٤٩، وقال ابن عطية: وهي حسنة؛ لأنَّ الأكثر من جمع الأخ في الدين ونحوه من النسب: إخوان، والأكثر في جمعه من النسب: إخوة وإخاء.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٨ عن ابن عامر والحسن، والمشهور عن ابن عامر كقراءة الجمهور، وقراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٧٦.
(٦) القراءات الشاذة ص١٤٣، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٧) تحرفت في المطبوع إلى: بالنميمة، وهو تحريف فاحش.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٩.

و﴿قَوۡمٌ﴾ مرادف «رجال»، كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]؛ ولذلك قابلَه هنا بقوله: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾، وفي قول زهير[١]:

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نساءُ

وقال الزمخشري[٢]: وهو في الأصل جمع قائم، كصَوْمٍ وزَوْرٍ في جمع صائم وزائر. انتهى. وليس «فَعْل» من أبنية الجموع إلَّا على مذهب أبي الحسن في قوله: إنَّ رَكْباً جمع راكِب.

وقال أيضاً الزمخشريُّ: وأمَّا قولُهم في قوم فرعون وقوم عاد: هم الذكور والإناث، فليس لفظ القوم بمُتعاطٍ للفريقين، ولكن قصدَ ذِكْرَ الذكور وتركَ ذِكْرِ الإناث لأنَّهنَّ توابعُ لرجالهنَّ. انتهى.

وغيرُه يجعلُه من باب التغليب، والنَّهيُ ليس مختصًّا بانصبابِه على قومٍ ونساءٍ بقيد الجمعية من حيثُ المعنى، وإن كان ظاهرُ اللَّفظ ذلك، بل المعنى: لا يسخَرْ أحدٌ من أحدٍ، وإنَّما ذكرَ الجمعَ والمُرادُ به كلُّ فردٍ فردٍ ممَّن يتناوله عمومُ البدل، فكأنَّه إذا سخِرَ الواحدُ كان بمجلسه ناسٌ يضحكون على قوله، أو بلغَتْ سُخرِيتُه ناساً فضحكوا، فينقلِبُ الحالُ إلى جماعة.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾ أي: المَسْخورُ منهم ﴿خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: من السَّاخرين بهم[٣]. وهذه الجملةُ مستأنَفةٌ وردَتْ مَوْرِدَ جواب المستخبِر عن العِلَّةِ المُوجِبةِ لما جاء النهيُ عنه، أي: ربما يكون المسخورُ منه عند الله خيراً من الساخر؛ لأنَّ العِلمَ بخفيَّات الأمور إنَّما هو لله تعالى[٤].

وعن ابن مسعود: لو سخرتُ من كلبٍ خشيتُ أن أُحَوَّلَ كلباً[٥].

(١) في ديوانه ص١٣٦.
(٢) في الكشاف ٣/ ٥٦٥، وما قبله منه.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٦٥.
(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٤١)، وابن أبي شيبة (٢٦٠٥٩)، وهناد في الزهد (١١٩٤). وهو في الكشاف ٣/ ٥٦٦.

﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ رُوِيَ أنَّ عائشة وحفصة رضي الله عنهما رأتَا أمَّ سَلَمة ربطَتْ حَقْوَيْها بثوبٍ أبيضَ وسدلَتْ طرفَه خلفَها، فقالت عائشة لحَفْصة: انظُري إلى ما تَجُرُّ خلفَها كأنَّه لسان كلب. وعن عائشة أنَّها كانت تسخَرُ من زينب بنت خُزَيمة الهلالية، وكانت قصيرة. وعن أنس: كان نساءُ النبيِّ ﷺ يُعيِّرْنَ أمَّ سلمة بالقِصَر.

وقالت صفية لرسول الله ﷺ: إنَّ النِّساءَ يُعيِّرْنَني ويقُلْنَ: يا يهودية بنت يهوديين. فقال لها: «هَلَّا قُلْتِ: إنَّ أبي هارون، وإنَّ عمي موسى، وإنَّ زوجي محمد؟»[١].

وقرأ عبد الله وأُبيّ: «عَسَوا أن يكونوا» و«عَسَيْنَ أن يكُنَّ»[٢]. فـ «عسى» ناقصة، والجمهور «عسى» فيهما، فهي تامّة، وهما لغتان؛ الإضمارُ لغةُ تميم، وتَرْكُه لغة الحجاز.

«ولا تَلْمُزُوا أنفُسَكم» ضمَّ الميم في «تَلْمزوا» الحسن والأعرج وعبيد عن أبي عمرو. وقال أبو عمرو: هي عربية. والجمهور بالكسر[٣].

واللَّمْزُ بالقولِ والإشارةِ ونحوه ممَّا يفهمُه آخر، والهَمْزُ لا يكون إلَّا باللسان، والمعنى: لا يَعِبْ بعضُكم بعضاً، كما قال: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، كأنَّ المؤمنين نفسٌ واحدة، إذ هم إخوةٌ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً[٤]، وكالجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى سائرُه بالسَّهرِ والحُمَّى[٥].

ومفهوم «أنفُسَكم» أنَّ له أن يَعيب غيرَه ممَّا لا يَدينُ بدينه، ففي الحديث: «اذكُروا الفاجرَ بما فيه كي يحذَرَه الناس»[٦].

---

(١) أسباب النزول ص٤١٦، والكشاف ٣/ ٥٦٦. وقصة صفية أخرجها الترمذي (٣٨٩٢).
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٣ عن ابن مسعود.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠، وقرأ بالضمِّ ـ أيضاً ـ يعقوب، وهو من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٧٩-٢٨٠.
(٤) كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه مسلم (٢٥٨٥)، وأحمد (١٩٦٢٥).
(٥) كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعاً، وأخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، وأحمد (١٨٤٣٣). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠.
(٦) أخرجه العقيلي في الضعفاء ١/ ٢٠٢، وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٩٨ و٤٠٠، والبيهقي في السنن ١٠/ ٢١٠، والخطيب في تاريخ بغداد ١/ ٣٨٢ من طريق الجارود بن يزيد، عن بهز بن

وقيل: المعنى: لا تفعلوا ما تُلْمَزون به؛ لأنَّ مَنْ فعل ما استحقَّ اللمز فقد لَمَز نفسَه.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ﴾ اللَّقَبُ إنْ دَلَّ على ما يكرهُه المَدْعوُّ به كان منهيًّا، وأمَّا إذا كان حسناً فلا يُنهى عنه[1]، وما زالت الألقابُ الحسنة في الأممِ كلِّها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير[2].

ورُوي أن بني سَلِمة كانوا قد كثُرَتْ فيهم الألقابُ، فنزلتِ الآيةُ بسبب ذلك[3]. وفي الحديث: «كَنُّوا أولادَكم» قال عطاء: مخافةَ الألقاب[4]. وعن عمر: أشيعوا الكُنى فإنَّها سُنَّة[5]. انتهى. ولاسيَّما إذا كانت الكنيةُ غريبةً لا يكاد يشترك فيها أحدٌ مع من تَكَنَّى بها في عصره، فإنَّه يطير بها ذِكْرُه في الآفاق، وتتهادى أخبارَه الرِّفاق، كما جرى في كُنيتي بأبي حَيَّان واسمي محمد، فلو كانت كنيتي أبا عبد الله أو أبا بكر ممَّا يقع فيه الاشتراك لم أشتهِرْ تلك الشهرة، وأهلُ بلادِنا جزيرةِ الأندلس كثيراً ما كانوا يُلقِّبون الألقاب[6]، حتى قال فيهم أبو مروان الطُّبْني[7]:

يا أهلَ أندلُسٍ ما عندكمْ أدَبٌ   بالمشرقِ الأدبُ النفَّاحُ بالطِّيبِ
يُدعى الشَّبابُ شيوخاً في مجالسِهم   والشيخُ عندَكُمُ يُدْعى بتلقيبِ

= حكيم، عن أبيه، عن جده، مرفوعاً. قال العقيلي: ليس له من حديث بهز أصل، ولا من حديث غيره، ولا يتابع عليه. وقال البيهقي: وقد سرقه عنه ـ أي: عن الجارود ـ جماعة من الضعفاء، فرووه عن بهز بن حكيم، ولم يصحَّ فيه شيء.
والكلام من الكشاف.

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٠٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٦٦.
(٣) أخرجه بنحوه البخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٤٥٢)، وابن ماجه (٣٧٤١) من حديث أبي جبيرة بن الضحاك ﷺ.
(٤) عزاه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠ للنقاش، وإسناده منقطع.
(٥) في (يه) والكشاف ٣/ ٥٦٦ والكلام منه، ونقله عنه القرطبي ١٩/ ٥٩٤-٥٩٥: مُنَبِّهة.
(٦) بعدها في (يه) وحدها: القبيحة.
(٧) نسبةً إلى طُبْنة من عمل أفريقية، واسم أبي مروان: عبد الملك بن زيادة الله، برع في علم الأدب والشعر، وهو إمام في اللغة، توفي سنة (٤٥٧هـ). تنظر ترجمته في جذوة المقتبس ص٢٨٤، والصلة لابن بشكوال ص٣٦٠، والبيتان فيه.

فمِنْ علماء بلادنا وصالحيهم مَنْ يُدعى الواعي وباللِّص وبوجهِ نافخٍ، وكلٌّ هذا يحرُم تعاطيه.

قيل: وليس من هذا قولُ المُحدِّثين: سليمان الأعمش، وواصل الأحدب، ونحوُه ممَّا تدعو الضرورة إليه، وليس فيه قصدُ استخفافٍ ولا أذى؛ قالوا: وقد قال ابن مسعود لعلقمة: وتقول أنت ذلك يا أعور[١]. وقال ابن زيد: أي: لا يقول أحدٌ لأحد: يا يهوديٌّ، بعد إسلامه، ولا يا فاسقٌ، بعد توبته، ونحو ذلك. وتلاحى ابنُ أبي حَدْرد وكعب بن مالك، فقال له كعب: يا أعرابي. يُريد أن يُبعِدَه من الهجرة، فقال له الآخر: يا يهودي. يريد المخالطة لليهود في يثرب.

﴿بِئۡسَ ٱلِاسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: بئسَ اسمٌ تكتسِبونَه بعصيانِكم ونَبْزِكم بالألقاب، فتكونون فُسَّاقاً بالمعصية بعد إيمانكم، أو: بئس ما يقولُه الرجلُ لأخيه: يا فاسق، بعد إيمانه. وقال الرُّمَّاني: هذه الآية تدلُّ على أنَّه لا يجتمع الفسوق والإيمان[٢]. انتهى.

وقال الزمخشري[٣] نحوَ قول الرُّمَّاني؛ قال: استقباح الجمع بين الإيمان والفِسْق الذي يأباه الإيمان. وهذه نزغة اعتزالية.

وقال الزمخشري: الاسم هاهنا بمعنى الذِّكْر، من قولهم: طارَ اسمُه في الناس بالكرم أو باللُّؤم، كما يُقال: طارَ ثناؤُه وصِيتُه، وحقيقتُه ما سما من ذِكْرِه وارتفعَ بين الناس، كأنه قيل: بئس الذِّكْرُ المرتفعُ للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجَرائر أن يُذكَروا بالفسق.

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ أي: عن هذه الأشياء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ تشديدٌ وحُكمٌ بظُلمِ مَن لم يتُبْ[٤].

﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ أي: لا تعملوا على حسبه. وأمر تعالى باجتنابه لئلَّا

---

(١) أخرجه أبو عوانة (١٥٣١) وفيه أن القائل إبراهيم: وهو ابن يزيد النخعي. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠.
(٢) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠.
(٣) في الكشاف ٣/ ٥٦٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠.

يجترِئ أحدٌ على ظنٍّ إلَّا بعد نظرٍ وتأمُّلٍ وتمييزٍ بين حقِّه وباطلِه، والمأمورُ باجتنابِه هو بعضُ الظنِّ المحكوم عليه بأنَّه إثمٌ، وتمييزُ المُجتَنَبِ من غيرِه أنَّه لا تُعرَفُ له أمارةٌ صحيحة وسببٌ ظاهرٌ، كمَن يتعاطى الرِّيَبَ والمُجاهرةَ بالخبائث[1]، كالدخول والخروج إلى حانات الخمر، وصُحبةِ نساء المغاني، وإدمانِ النَّظرِ إلى المُرْدِ، فمِثْلُ هذا يُقوِّي الظنَّ أنَّه ليس من أهل الصلاح، ولا إثمَ فيه وإن كُنَّا لا نراه يشرب الخمر ولا يزني ولا يعبَثُ بالشُّبَّان، بخلاف مَنْ ظاهِرُه الصلاح، فلا يُظَنُّ به السوءُ فهذا هو المنهيُّ عنه، ويجب أن يُزيلَه وحُكمَه ويتأوَّلَ الخير[2].

والإثم: الذنب[3] الذي يستحِقُّ صاحبُه العقاب.

وقال الزمخشري: والهمزة فيه بدلٌ عن الواو، كأنَّه يَثِمُ الأعمالَ، أي: يكسرها بإحباطه[4]. وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ تصريفَ هذه الكلمة مُستَعمَلٌ فيه الهمزة، تقول: أثِمَ يأثَمُ، فهو آثِمٌ، والإثْمُ والآثامُ، فالهمزةُ أصلٌ وليست بدلاً عن واو، وأمَّا «يَثِمُ» فأصلُه «يُوثِمُ» وهو من مادةٍ أخرى.

وقيل: الإثمُ متعلِّقٌ بتكلُّم الظَّانِّ، أمَّا إذا لم يتكلَّم فهو في فُسحةٍ؛ لأنَّه لا يقدِرُ على رفْعِ الخواطر التي يُبيحها قولُ النبي ﷺ: «الحَزْمُ سوء الظَّنِّ»[5].

وقرأ الجمهور: «ولا تجسَّسوا» بالجيم. وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وابن سيرين: بالحاء[6]، وهما متقاربان.

نهى عن تتبُّعِ عورات المسلمين ومعايبِهم والاستكشاف عمَّا ستروه.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٠، والكشاف ٣/ ٥٦٧.
(٢) الكلام الأخير في المحرر الوجيز ٥/ ١٥١.
(٣) في النسخ: هو، والمثبت من الكشاف ٣/ ٥٦٧، والكلام فيه.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٦٨.
(٥) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢٤) عن عبد الرحمن بن عائذ. وإسناده ضعيف جداً؛ فيه علي بن الحسين بن بُندار، اتهمه ابن طاهر بالوضع. وفيه الوليد بن كامل، ضعَّفه أبو الفتح الأزدي، وقال البخاري: عنده عجائب. ينظر ميزان الاعتدال ٤/ ٣٤٤. قلت: وعبد الرحمن بن عائذ تابعي. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٥١.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٥١، وزاد المسير ٧/ ٤٧١، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٣ عن الحسن وابن سيرين.

وقيل لابن مسعود: هَلْ لكَ في فلانٍ تقطرُ لحيتُه خمراً؟ فقال: إنَّا قد نُهينَا عن التجسُّس، فإن ظهرَ لنا شيءٌ أخَذْنا به[١].

وفي الحديث: «إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبةَ في الناس أفسدَهم»[٢].

وقد وقع عمرُ رضي الله عنه في حراسته على مَنْ كان في ظاهره رِيبة، وكان دخل عليه هَجْماً[٣]، فلمَّا ذُكِرَ له نهيُ الله تعالى عن التجسُّسِ انصرف عمر[٤].

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ يُقال: غابَه واغتابه، كغالَه واغتالَه، والغِيبة من الاغتياب، كالغِيلة من الاغتيال: وهي ذِكْرُ الرجل بما يكرهُ ممَّا هو فيه[٥].

وفي الحديث: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: ما الغيبة؟ فقال: «أنْ تذكُرَ من المرء ما يكرَهُ أن يسمع» فقال: يا رسول الله، وإن كان حقًّا؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا قلتَ باطلاً فذلك البُهتان»[٦]. وفي «الصحيحين»: «فقد بَهَتَّه»[٧].

وقال ابن عباس: الغيبةُ إدامُ كلاب الناس[٨].

وقالت عائشة عن امرأةٍ: ما رأيتُ أجملَ منها إلَّا أنَّها قصيرة. فقال لها

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٩٠). وهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٥١، والكشاف ٣/ ٥٦٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٨١٥) من حديث المقداد بن الأسود وأبي أمامة رضي الله عنهما.
وأخرجه أبو داود (٤٨٨٩) من حديث المقدام بن معد يكرب وأبي أمامة رضي الله عنهما.

(٣) أي: من دون إذن. ينظر اللسان (هجم).

(٤) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في مصنفه (١٨٩٤٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١٨٠٦)، والحاكم ٤/ ٣٧٧، وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٥) الكشاف ٣/ ٥٦٨.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٨٧ عن المطَّلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي. والمطَّلب تابعيٌّ.

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) وحده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم يخرجه البخاري، وهو في مسند أحمد (٧١٤٦).

(٨) كذا نسبه الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٦٨ لابن عباس، ونسبه القرطبي ١٩/ ٤٠٤ لعلي بن الحسين، وهو الموافق لما أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩٧)، وفي ذم الغيبة (١٥٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٩. والإدام: الطعام.

النبي ﷺ: «اغتَبْتِيها، نظرتِ إلى أسوأ ما فيها فذكرتيه»[١].

وحكى الزهراويُّ عن جابر، عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «الغيبةُ أشدُّ من الزنا؛ لأنَّ الزَّاني يتوب الله عليه، والذي يغتابُ فلا يُتاب عليه حتى يستحِلَّ»[٢].

وعرضُ المسلم مثلُ دمِه في التحريم، وفي الحديث المستفيض: «فإنَّ الله حرَّمَ عليكم دماءَكم وأموالكم وأعراضَكم»[٣]. ولا يُباحُ من هذا المعنى إلَّا ما تدعو الضرورة إليه؛ من تجريح الشُّهود والرُّواة والخُطَّاب إذا استنصح مَنْ يخطُبُ إليه مَنْ يعرِفُهم[٤].

والعربُ تُشَبِّه الغيبة بأكل اللحم، ومنه:

وإنْ أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهُمْ[٥]

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ قال الزمخشري[٦]: تمثيلٌ وتصويرٌ لما ينالُه المُغتابُ من عِرْض المغتاب على أفظَعِ وجهٍ وأفحَشِه، وفيه مبالغاتٌ شتَّى، منها: الاستفهام الذي معناه التقرير. ومنها: جَعْلُ ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة. ومنها: إسناد الفعل إلى «أحدكم» والإشعارُ بأنَّ أحداً من الأحدين لا يُحِبُّ ذلك. ومنها: أنْ لم يقتصِرْ على تمثيلِ الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخاً. ومنها: أنْ لم يقتصِرْ على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتاً. انتهى.

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥١، ولم أجد من أخرجه بهذا اللفظ، وإنما أخرجه بنحوه مختصراً: أحمد (٢٥٠٤٩)، والترمذي (٢٥٠٣).

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥١، وأخرجه بنحوه الطبراني في الأوسط (٦٥٨٦)، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه (١٦٢)، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٣٥ من حديث جابر وأبي سعيد الخدري ﭬ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٩١: فيه عباد بن كثير، وهو متروك.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﭬ، والبخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس ﭭ، و(١٧٤٢) من حديث ابن عمر ﭭ.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٢.

(٥) نُسِبَ للمُقَنَّع الكندي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٧٣٩، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢/ ٣٦٨، والمثل السائر لابن الأثير ٢/ ١٧٤، وعجزه: وإنْ هدموا مجدي بنَيْتُ لهم مجدا. والكلام في النكت والعيون ٥/ ٣٣٥.

(٦) في الكشاف ٣/ ٥٦٨.

وقال الرُّمَّاني[(١)]: كراهيةُ هذا اللحم يدعو إليه الطَّبْع، وكراهية الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحَقُّ أن يُجاب، لأنَّه بصيرٌ عالم، والطبع أعمى جاهل. انتهى.

وقال أبو زيد السُّهيلي[(٢)]: ضَرب المثل لأخْذِه العِرْضَ بأكل اللَّحم؛ لأنَّ اللحمَ سترٌ على العظم، والشَّاتمُ لأخيه كأنَّه يقشُرُ ويكشِفُ ما عليه من ستر، وقال تعالى: ﴿مَيۡتًا﴾، لأنَّ الميتَ لا يُحِسُّ، وكذلك الغائب لا يسمعُ ما يقول فيه المُغتاب، ثمَّ هو في التحريم كأكل لحم الميتة. انتهى.

ورُويَ في الحديث: «ما صامَ مَنْ أكلَ لحومَ النَّاس»[(٣)].

وقال أبو قِلابة الرَّقاشي[(٤)]: سمعتُ أبا عاصمٍ[(٥)] يقول: ما اغتبتُ أحداً منذُ عرَفْتُ ما في الغيبة.

وقيل لعَمْرو بن عُبيد: لقد وقعَ فيك فلانٌ حتى رَحِمْناك. قال: إيَّاه فارحموا[(٦)].

وقال رجلٌ للحسن: بلغني أنَّك تغتابُني. قال: لم يبلُغْ قدرُكَ عندي أنْ أُحكِّمكَ في حسناتي.

وانتصب «ميتاً» على الحال من «لحم». وأجاز الزمخشريُّ أن ينتصب عن الأخ[(٧)]، وهو ضعيف، لأنَّ المجرورَ بالإضافة لا يجيءُ الحالُ منه إلَّا إذا كان له

---

(١) تحرفت في (أ) إلى: الكرماني. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٢.

(٢) في الروض الأنف ٤/ ٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٩٨٣)، وهناد في الزهد (١٢٠٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وفي إسنادهما يزيد بن أبان، وهو ضعيف. والربيع بن صَبيح، وهو سيئ الحفظ.

(٤) تصحفت في النسخ والمطبوع إلى: الرياشي، وأبو قِلابة: اسمه عبد الملك بن محمد بن عبد الله، روى له ابن ماجه، وهو صدوق يخطئ، توفي سنة (٢٧٦هـ). ينظر تقريب التهذيب.

(٥) هو أبو عاصم النبيل: واسمه الضحَّاك بن مَخْلَد، من رجال الكتب الستة، وهو ثقة ثبت، توفي سنة (٢١٢هـ). ينظر تقريب التهذيب. وقوله الآتي بنحوه سمعه منه البخاري كما ذكر في التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٦.

(٦) هذا وما بعده في تفسير القرطبي ١٩/ ٤٠٤.

(٧) الكشاف ٣/ ٥٦٨.

موضعٌ من الإعراب، نحو: أعجبَني ركوبُ الفرسِ مُسْرَجاً، وقِيامُ زيدٍ مُسرِعاً، فالفرسُ في موضع نصب، وزيدٌ في موضع رفع، وقد أجاز بعضُ أصحابنا أنَّه إذا كان الأول جُزْءاً أو كالجزء جاز انتصابُ الحال من الثاني، وقد ردَدْنا عليه ذلك فيما كتبناه في علم النحو.

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قال الفرَّاء: أي: فقد كرِهْتُموه فلا تفعَلُوه[1]. وقيل: لمَّا وقَفَهم على التوبيخ بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ فأجاب عن هذا؛ لأنَّهم في حكم مَنْ يقولها، فخُوطِبوا على أنَّهم قالوا: لا، فقيل لهم: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وبعد هذا يُقدَّر: فلذلك فاكْرَهوا الغيبة التي هي نظيرُ ذلك. وعلى هذا التقدير يُعطَفُ قولُه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. قاله أبو علي الفارسي[2]. وفيه عَجْرَفَةُ العَجَم.

وقال الزمخشري: ولمَّا قرَّرَهم عزَّ وجلَّ بأنَّ أحداً منهم لا يحِبُّ أكلَ جيفة أخيه عقَّب ذلك بقوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فتحقَّقت بوجوب الإقرار عليكم، وبأنَّكم لا تقدرون على دفعِه وإنكارِه؛ لإباء البشرية عليكم أنْ تجحدوه، وكراهتِكم له، وتقذُّرِكم منه، فليُتحقَّقْ أيضاً أن تكرهوا ما هو نظيرُه من الغيبةِ والطَّعنِ في أعراض المسلمين[3]. انتهى. وفيه أيضاً عجرفة العجم، والذي قدَّره الفرَّاء أسهَلُ، وأقَلُّ تكلُّفاً، وأجرى على قواعد العربية.

وقيل: لفظُه خبر، ومعناه الأمر، تقديره: فاكْرَهوه؛ ولذلك عطف عليه «واتَّقوا الله»، ووَضْعُ الماضي موضعَ الأمر في لسان العرب كثير[4]، ومنه: اتَّقى اللهَ امرؤٌ فعل خيراً يُثَبْ عليه، أي: ليتَّقِ اللهَ؛ ولذلك انجزم «يُثَبْ» على جواب الأمر[5].

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٣، ونقله عنه القرطبي ١٩/ ٤١٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٦٨.
(٤) كلمة «كثير» من (أ) وحدها.
(٥) وذكر صاحب «الدر المصون» وجهاً آخر في «فكرهتموه»، فقال: وقال أبو البقاء: المعطوف عليه محذوف تقديره: عرضَ عليكم ذلك فكرهْتموه، والمعنى: يُعرَض عليكم فتكرهونه. قلت: وقول أبي البقاء في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٠، وذكر هناك معنى آخر قريباً من قول الفرَّاء، فقال: وقيل: إن صحَّ ذلك عندكم فأنتم تكرهونه.

وما أحسن ما جاء الترتيب في هذه الآية؛ جاء الأمرُ أولاً باجتناب الطريق التي لا تؤدِّي إلى العلم وهو الظَّنُّ، ثمَّ نهى ثانياً عن طلب تحقُّق ذلك الظنِّ، فيصيرُ عِلْماً بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ثمَّ نهى ثالثاً عن ذِكْر ذلك إذا عُلِمَ، فهذه أمورٌ ثلاثةٌ مترتِّبةٌ؛ ظنٌّ، فعِلْمٌ بالتجسس، فاغتياب[١].

وضمير النصب في «كرهتموه» الظَّاهرُ أنَّه عائدٌ على الأكل. وقيل: على الميت[٢].

وقرأ أبو سعيد الخدري، والجَحْدري، وأبو حَيْوة: «فكُرِّهْتُموه» بضمِّ الكاف وتشديد الراء. ورواها الخدري عن النبي ﷺ[٣]. والجمهور: بفتح الكاف وتخفيف الراء.

و«كَره» يتعدَّى إلى واحد، فقياسه إذا ضُعِّفَ أن يتعدَّى إلى اثنين، كقراءة الخدري ومَنْ معه، أي: جعلتم تُكَرِّهُونه[٤]، فأما قوله: «وكرَّهَ إليكم الكفرَ» فعلى التضمين لمعنى: بغَّضَ، وهو يتعدَّى لواحد، وبـ «إلى» إلى آخر، و«بغَّضَ» منقولٌ بالتضعيف من: بَغُضَ الشيءُ إلى زيدٍ.

والظاهر عطف «واتقوا الله» على ما قبله من الأمر والنهي.

❊ ❊ ❊

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ١٣٦بنحوه.
(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ١٣٥.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٣-١٤٤ عن أبي سعيد والجحدري، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٢ عن أبي سعيد وأبي حيوة، والكشاف ٤/ ٤ دون نسبة.
(٤) كذا في النسخ، والذي في الكشاف: أي: جبلتم على كراهته.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىٰٓ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قيل: غضِبَ الحارث بن هشام وعتَّاب بن أَسيد حين أَذَّنَ بلالٌ يومَ فتح مكة على الكعبة، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. وعن ابن عباس: سببُها قولُ ثابت بن قيس لرجلٍ لم يُفسِحْ له عند النبي ﷺ: يا ابنَ فلانة. فوبَّخه النبيُّ ﷺ وقال له: «إنَّكَ لا تفضُلُ أحداً إلَّا في الدِّين والتقوى» ونزل الأمرُ بالتفسُّح في ذلك أيضاً[١].

﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أي: من آدمَ وحوَّاء، أو: كلُّ أحدٍ منكم من أبٍ وأمٍّ، فكلُّ واحدٍ منكم مُساوٍ للآخر في ذلك، فلا وجهَ للتفاخر[٢].

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ وتقدَّم الكلامُ على شيء من ذلك في المفردات.

وقيل: الشُّعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأسباط في بني إسرائيل[٣].

وقيل: الشعوب عرب اليمن من قحطان، والقبائل ربيعة ومضر وسائر عدنان[٤].

وقال قتادة ومجاهد والضحاك: الشَّعب: النسبُ الأبعد، والقبيلة: الأقرب[٥]، قال الشاعر:

قبائلُ من شُعوبٍ ليسَ فيهمْ كريمٌ قدْ يُعَدُّ ولا نَجيبُ[٦]

وقيل: الشُّعوب: الموالي، والقبائل: العرب[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٣، والقولان ذكرهما ـ بسياق أطول ـ الواحدي في أسباب النزول ص٤١٧، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٣٦، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢١٧، ونسبوا القول الأول لمقاتل.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٦٩.
(٣) تفسير الثعلبي٥/ ٥٣٧، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٣.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٣٦.
(٥) أخرجه عنهم الطبري ٢١/ ٣٨٤-٣٨٥، والكلام من النكت والعيون ٥/ ٣٣٦.
(٦) نسبه المرزباني في نور القبس ص١٩٥ لصبح بن معبد.
(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ١٥٨.

وقال أبو رَوْق: الشُّعوب: الذين يُنسَبون إلى المدائن والقرى، والقبائل: العرب الذين يُنسَبون إلى آبائهم[١]. انتهى.

وواحد الشُّعوب: شَعْب، بفتح الشين[٢].

وشَعْب: بطنٌ من هَمْدان، يُنسَب إليه عامر الشَّعبي من سادات التابعين، والنِّسْبة إلى الشُّعوب شَعوبيَّة بفتح الشين: وهم الأمم التي ليست بعرب[٣]. وقيل: هم الذين يُفضِّلون العجمَ على العرب[٤].

وكان أبو عبيدة خارجيًّا شَعوبيًّا، وله كتابٌ في مثالب العرب[٥]، ولابن غَرْسِيّة[٦] رسالةٌ فصيحةٌ في تفضيل العجم على العرب، وقد رَدَّ عليه ذلك علماءُ الأندلس برسائل عديدة.

وقرأ الجمهور: «لتعارفوا» مضارع «تعارفَ» محذوف التاء. والأعمش بتاءين[٧]. ومجاهد، وابن كثير في رواية، وابن مُحَيصِن: بإدغام التاء في التاء[٨]. وابن عباس، وأبان عن عاصم: «لتَعْرِفوا» مضارع «عَرَفَ»[٩] والمعنى: إنَّه جعلكم ما ذكَرَ كي يعرِفَ بعضُكم بعضاً في النسب، فلا ينتمي إلى غير آبائه، لا للتفاخر

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢١٧.
(٢) الصحاح (شعب).
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٣.
(٤) الصحاح (شعب).
(٥) وهو: مثالب باهلة. ينظر كشف الظنون ٢/ ١٥٨٦.
(٦) اسمه: أحمد بن غرسِيَّة، أبو عامر، من أبناء نصارى البُشْكُنس، سُبي صغيراً، أدَّبه مولاه مجاهد ملك الجزر ودانية. المغرب في حلى المغرب.
ورسالته التي أشار إليها المصنف خاطب فيها الأديب أبا جعفر معاتباً له، وهي رسالة ذميمة، ذمَّ فيها العرب، وفخر بقومه العجم، وقد نقلها عنه ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٦/ ٧٠٥-٧١٤. وذكر ممَّن ردَّ عليه أبو جعفر بن الدودين.
(٧) القراءات الشاذة ص١٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٣.
(٨) أي: «لتَّعارفوا»، وهي عنهم في الشاذة ص١٤٤، لكنها إحدى الروايتين المشهورتين عن ابن كثير - وهي رواية البزِّي - كما في التيسير ص٨٣، والنشر ٢/ ٢٣٢.
(٩) القراءات الشاذة ص١٤٤، وهي في المحتسب ٢/ ٢٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٣ عن ابن عباس، والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

بالآباء والأجداد ودعوى التفاضل في الأنساب.

ثمَّ بيَّن تعالى الخصلة التي يحصل بها التفاضل، وهي التقوى[١].

وفي خطبته عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة: «إنَّما الناسُ رجُلان، مؤمنٌ تقيٌّ كريمٌ على الله، وفاجرٌ شقيٌّ هَيِّنٌ على الله» ثم قرأ الآية[٢].

وعنه ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يكون أكرمَ النَّاسِ فليتَّقِ الله»[٣].

وما زالَ التفاخرُ بالأنساب في الجاهلية والإسلام وبالبلاد وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنائع، وأكثرها بالأنساب.

وأعجَبُ شيءٍ إلى عاقلٍ فُتُوٌّ[٤] عن المجدِ مُستأخِرَهْ
إذا سُئِلوا ما لهم مِنْ عُلًا أشاروا إلى أعظُمٍ ناخِرَهْ

ومن ذلك افتخارُ أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بآبائهم، واحترامُ الناس لهم بذلك، وتعظيمُهم لهم، وإن كان الأولادُ بخلاف الآباء في الدين والصلاح.

وقرأ الجمهور: «إنَّ» بكسر الهمزة. وابن عباس بفتحها[٥]، وكان قرأ: «لِتَعْرِفوا» مضارع «عَرَفَ»، فاحتمل أن تكون «أنَّ» معمولةً «لِتَعْرِفُوا»، وتكون اللامُ في «لتَعْرِفوا» لامَ الأمر، وهو أجوَدُ من حيثُ المعنى، وأمَّا إنْ كانت لامَ «كي» فلا يظهر المعنى أنَّ جَعْلَهم شعوباً وقبائلَ لأَنْ يعرفوا أنَّ الأكرم هو الأتقى، فإنْ جعلْتَ مفعولَ «لِتَعْرِفوا» محذوفاً، أي: لتعرفوا الحقَّ؛ لأنَّ «أكرمكم عند الله أتقاكم» ساغَ في لام «لتَعارفوا» أن تكون لامَ كي.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٦٩ ومن قوله: في الأنساب . . . إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٢) هو قطعة من حديث لابن عمر ﷺ أخرجه الترمذي (٣٢٧٠)، وابن حبان (٣٨٢٨).

(٣) هو قطعة من حديث طويل لابن عباس ﷺ أخرجه عبد بن حميد (٦٧٥)، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٤٣٠، وابن عدي في الكامل ٨/ ٢١٢، والحاكم ٤/ ٢٧٠، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣١٨. وفي إسناده أبو المقدام هشام بن زياد، وهو متروك. وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث طريق يثبت.

(٤) في (أ) والمطبوع: فروعٌ. والفُتُوُّ؛ جمع فتى: وهو الشاب الحديث السِّن. معجم متن اللغة ٤/ ٣٥٨.

(٥) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٧٤ لأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وأبي الجوزاء.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قال مجاهد: نزلَتْ في بني أسد بن خُزيمة، قبيلةٍ تجاور المدينة؛ أظهروا الإسلام وقلوبُهم دَغِلةٌ[1]، إنَّما يُحِبُّون المغانم وعرض الدنيا[2].

وقيل: مُزينة وجُهينة وأسلَم وأشجَع وغِفار؛ قالوا: آمنَّا، فاستحقَقْنا الكرامة، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾[3] أكذَبَهم اللهُ في دعوى الإيمان، ولم يُصرِّح بإكذابهم بلفظِه، بل بما دَلَّ عليه من انتفاء إيمانهم، وهذا في أعراب مخصوصين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٩٩].

﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾ فهو اللَّفظ الصادق من أقوالكم، وهو الاستسلامُ والانقيادُ ظاهراً، ولم تواطِئ أقوالُكم ما في قلوبكم؛ فلذلك قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، وجاء النفيُ بـ «لمَّا» الدالَّة على انتفاء الشيء إلى زمان الإخبار، وتبيَّن أنَّ قوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ لا يُرادُ به انتفاءُ الإيمان في الزمن الماضي، بل متَّصلاً بزمان الإخبار أيضاً؛ لأنَّك إذا نفيتَ بـ «لَمْ» جازَ أن يكون النفيُ قد انقطع؛ ولذلك يجوز أن تقول: لم يقُمْ زيدٌ، وقد قام. وجاز أن يكون النفيُ متَّصلاً بزمن الإخبار، فإذا كان متَّصلاً بزمن الإخبار لم يجُزْ أن تقول: وقد قام؛ لتَكاذُبِ الخبرين. وأمَّا «لمَّا» فإنَّها تدلُّ على نفي الشيء متَّصلاً بزمان الإخبار؛ ولذلك امتنع لمَّا يقُمْ زيدٌ وقد قام؛ للتَّكاذب.

والظاهر أنَّ قوله: «لمَّا يدخُلِ الإيمانُ في قلوبكم» ليس له تعلُّقٌ بما قبله من جهة الإعراب.

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: هو بعد قوله: «قُلْ لم تؤمنوا» يشبه التكرير من غير استقلال بفائدةٍ متجددة! قلت: ليس كذلك، فإنَّ فائدة قوله: «لم تؤمنوا» هو تكذيبُ دعواهم، وقوله: «ولمَّا يدخُلِ الإيمان في قلوبكم» توقيتٌ لِما أُمِروا به أن يقولوه، كأنه قيل لهم: «ولكن قولوا أسلَمْنا» حين لم تثبُتْ مواطأةُ قلوبِكم

(١) أي: حاقدة. ينظر معجم متن اللغة ٢/ ٤٢٣.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢١/ ٣٨٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٣٨، وأسباب النزول للواحدي ص٤١٩.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٣٩ بنحوه، ونسبه للسدي.

لألسنتِكم؛ لأنَّه كلامٌ واقعٌ موقعَ الحال من الضمير في قوله: «قولوا»[1]. انتهى.

والذي يظهر أنَّهم أُمِروا أن يقولوا: «قولوا أسلَمْنا» غيرَ مُقيَّدٍ بحال، وأنَّ «ولمَّا يدخُلِ الإيمان» إخبارٌ غيرُ قيدٍ في قولهم.

وقال الزمخشري: «وما» في «لمَّا» من معنى التوقُّع دالٌّ على أنَّ هؤلاء قد آمنوا فيما بعد. انتهى. ولا أدري من أيِّ وجهٍ يكون ما نُفي بـ «لمَّا» يقع بعدُ؟ «ولمَّا» إنَّما تنفي ما كان متَّصلاً بزمان الإخبار، ولا تدلُّ على ما ذكر، وهي جواب لـ «قد فعَلَ»، وهَبْ أنَّ «قد» تدلُّ على توقُّعِ الفعل، فإذا نُفي ما دلَّ على التوقُّع فكيف يُتوَهَّمُ أنَّه يقعُ بعدُ؟

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان والأعمال، وهذا فتحٌ لباب التوبة[2].

وقرأ الجمهور: «لا يَلِتْكُم» من لاتَ يليتُ، وهي لغة الحجاز. والحسن، والأعرج، وأبو عَمرو: «لا يألِتْكُم» من ألَتَ، وهي لغة غطفان وأسد[3].

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ «ثمَّ» تقتضي التَّراخي، وانتفاءُ الرِّيبة يجب أن يُقارِن الإيمان، فقيل: من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان، أي: ثمَّ أقول: «لم يرتابوا». وقيل: قد يخلُص الإيمان، ثمَّ يعترِضُه ما يثلُم إخلاصَه، فنفى ذلك، فحصل التراخي، أو أُريد انتفاءُ الرِّيبة في الأزمان المتراخية المتطاولة، فحالُه في ذلك كحاله في الزمان الأول الذي آمنَ فيه.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ أي: في قولهم: «آمَنَّا»؛ حيث طابقت ألسنتُهم عقائدَهم، وظهرَتْ ثمرةُ ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال، و«في سبيل الله» يشمل جميعَ الطاعات البدنية والمالية، وليسوا كأعراب بني أسد في قولهم: «آمنَّا»، وهم كاذبون في ذلك.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ هي منقولة من علِمْتُ به، أي: شعَرْتُ به، ولذلك

(١) الكشاف ٣/ ٥٧٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٤.

(٣) السبعة ص٦٠٦، والتيسير ص٢٠٢. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٥٤، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٨٤.

تعدَّت إلى واحد بنفسها، وإلى الآخر بحرف الجر لما ثُقِّلَتْ بالتضعيف، وفي ذلك تجهيلٌ لهم حيثُ ظنُّوا أنَّ ذلك يخفى على الله تعالى.

ثمَّ ذكر إحاطة علمه بما في السماوات والأرض.

ويقال: مَنَّ عليه بيَدٍ أسداها إليه، أي: أنعمَ عليه.

والمِنَّة: النِّعمة التي لا يُطلَبُ لها ثواب. ثم يقال: مَنَّ عليه صُنْعَه؛ إذا اعتَدَّه عليه مِنَّةً وإنعاماً، أي: يعتدُّون عليك أن أسلموا[١].

فـ«أَنْ أسلموا» في موضع المفعول؛ ولذلك تعدَّى إليه في قوله: «قُلْ لا تمنُّوا عليَّ إسلامكم». ويجوز أن يكون «أسلموا» مفعولاً من أجله، أي: يتفضَّلون عليك بإسلامهم أن هداكم للإيمان بزعمِكم[٢].

وتعليق المنِّ بهدايتهم بشرط الصدق يدلُّ على أنَّهم ليسوا مؤمنين؛ إذ قد بيَّنَ تعالى كذِبَهم في قولهم: «آمَنَّا» بقوله: «قُلْ لم تؤمنوا».

وقرأ عبد الله وزيد بن عليّ: «إذ هداكم»[٣]، جعلا «إذ» مكان «إن»، وكلاهما تعليلٌ، وجواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم صادقين فهو المانُّ عليكم.

وقرأ ابن كثير، وأبان عن عاصم: «يعلمون» بياء الغَيبة. والجمهور بتاء الخطاب[٤].

---

(١) إلى هنا من الكشاف ٣/ ٥٧١ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٤ بنحوه.
(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٤، والقراءات الشاذة ص١٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٤ عن ابن مسعود وحده.
(٤) ينظر السبعة ص٦٠٦، والتيسير ص٢٠٢، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٥٤، والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

مفردات سورة ﴿قٓ﴾

بَسَقَتِ النخلةُ بُسوقاً: طالَتْ[1]. قال الشاعر:

لنا خمرٌ وليسَتْ خَمْرَ كَرْمٍ ... ولكِنْ من نتاجِ الباسقاتِ
كرامٍ في السماءِ ذهَبْنَ طُولاً ... وفاتَ ثمارَها أيدي الجُناةِ[2]

وبَسَقَ فلانٌ على أصحابه، أي: عَلَاهم[3]. ومنه قولُ ابنِ نوفل في ابنِ هُبيرة:

يا ابنَ الذين بمجدِهِمْ ... بسَقَتْ على قيسٍ فزارَهْ[4]

ويقال: بسَقَتِ الشاةُ: ولَدَتْ[5]. وأبسَقَتِ الناقة: وقعَ في ضَرْعِها اللِّبَأُ قبل النِّتاج، فهي مُبسِقٌ، ونُوقٌ مباسيق[6].

حادَ عن الشيء: مالَ عنه حُيُوداً وحَيْدَةً وحَيْدُودةً[7].

الوَريد: عِرْقٌ كبيرٌ في العُنُق، يُقال: إنَّهما وريدان عن يمين وشمال. وقال الفرَّاء: هو ما بين الحُلقوم والعِلْباوَين. وقال الأثرم: هو نهر الجسد، هو في القلب: الوَتين، وفي الظَّهر: الأبْهَر، وفي الذِّراع والفخذ: الأكحل والنَّسا، وفي الخِنْصر: الأَسْلَم[8].

---

(١) الصحاح (بسق).
(٢) البيتان لأبي نواس، وهما في ديوانه ص١١٨.
(٣) الصحاح (بسق).
(٤) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٨، واللسان (بسق).
(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٣٣.
(٦) الصحاح (بسق). واللِّبَأُ؛ كعِنَب: أول اللَّبَن في النِّتاج.
(٧) الصحاح (حيد).
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٩، وقول الفراء ذكره ـ أيضاً ـ الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ٧٩.

وقال الزمخشريُّ[(١)]: والوريدان: عِرْقان مُكتَنِفان بصَفْحَتَي العنق في مُقدَّمها، متَّصلان بالوتين، يَرِدان من الرأس إليه، سُمِّي وريداً؛ لأنَّ الرُّوح تَرِدُه. قال:

كأنْ وَرِيدَيهِ رِشاء خُلْبِ[(٢)]

* * *

سورة ﴿قٓ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

هذه السورة مكية، قال ابن عطية[(٣)]: بإجماعٍ من المتأوِّلين.

وقال صاحب «التحرير»: قال ابن عباس وقتادة: مكية إلَّا آيةً، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية[(٤)] [٣٨].

ومناسبتها لآخر ما قبلَها أنَّه تعالى أخبر أنَّ أولئك الذين قالوا: «آمنَّا» لم يكُنْ إيمانُهم حقًّا، وانتفاءُ إيمانهم دليلٌ على إنكار نبوة الرسول ﷺ، فقال: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن

(١) في الكشاف ٤/ ٦.
(٢) هو في ملحق ديوان رؤبة ص١٦٩، وفي الكتاب ٣/ ١٦٤، والخزانة ١٠/ ٣٩٣. والرِّشاء: الحبل، والخُلْب: الليف. الصحاح (رشأ) و(خلب).
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥.
(٤) ومثله قاله الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٣٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣.

﴿جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾، وعدمُ الإيمان أيضاً يدلُّ على إنكار البعث؛ فلذلك أعقبَه به.

و«ق» حرفُ هِجاء، وقد اختلف المفسِّرون في مدلوله على أحدَ عشر قولاً متعارضةً لا دليلَ على صِحَّة شيءٍ منها، فاطَّرَحتُ نقلَها في كتابي هذا.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ مُقسَمٌ به، و«المَجيدِ» صفتُه، وهو الشريف على غيره من الكتب[١]. والجواب محذوفٌ يدلُّ عليه ما بعده[٢]، وتقديره: إنَّكَ جئتَهم منذراً بالبعث، فلم يقبلوا بل عجبوا.

وقيل: ما رَدُّوا أمرَك بحُجَّة[٣].

وقال الأخفش والمبرِّد والزجَّاج: تقديره: لَتُبعَثُنَّ[٤].

وقيل: الجواب مذكورٌ، فعن الأخفش: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾[٥] وعن ابن كَيْسان والأخفش: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾[٦]. وعن نُحاة الكوفة: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ والمعنى: لقد عجِبوا[٧]. وقيل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾، وهو اختيار محمد بن علي الترمذي. وقيل: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾. وهذه كلُّها أقوالٌ ضعيفة[٨].

وقرأ الجمهور: «قافْ» بسكون الفاء. وبفتحِها عيسى، وبكسرها الحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو السَّمَّال، وبالضمِّ هارون، وابنُ السَّمَيفع، والحسن أيضاً فيما نقل ابن خالويه[٩].

---

(١) الكشاف ٤/ ٣.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤١.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، وما بعده منه.

(٤) هو بنحوه في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٤١.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩٦، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، وذكر أنَّ النحاس ضعَّفه. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٩-٢٢٠.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥ عن ابن كيسان وحده، ولم أجده في معاني القرآن للأخفش.

(٧) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٢٧.

(٨) نقل ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٦ عن أبي حاتم قولَه: ولا يُجوِّز غيرَها إلَّا جُوَّازُ سوء.

(٩) في القراءات الشاذة ص١٤٤، وانظر في القراءات السالفة: المحتسب ٢/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٦.

والأصل في حروف المعجم إذا لم تُركَّب مع عاملٍ أن تكون موقوفةً، فمَنْ فتحَ «قافَ» عدلَ إلى أخفِّ الحركات، ومَنْ كسرَ فعلى أصل التقاء الساكنين، ومَنْ ضمَّ فكما ضمَّ قطُّ ومنذُ وحيثُ[1].

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إنكارٌ لتعجُّبهم ممَّا ليس بعجبٍ، وهو أنْ يُنذرهُم بالخوف رجلٌ منهم قد عرفوا صِدْقَه وأمانتَه ونُصْحَه[2]، فكان المناسبُ أن لا يعجبوا، وهذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى، فأيُّ بُعْدٍ في أن يبعث مَنْ يُخوِّفُ ويُنذِرُ بما يكون في المآل من البعث والجزاء.

والضمير في «بل عجبوا» عائدٌ على الكفار، ويكون قولُه: «فقال الكافرون» تنبيهاً على العِلَّةِ الموجبةِ للعجب، وهو أنَّهم قد جُبِلوا على الكفر؛ فلذلك عجبوا.

وقيل: الضمير عائدٌ على الناس؛ قيل: لأنَّ كلَّ مفطورٍ يعجَبُ من بِعثة بشرٍ رسولاً من الله، لكِن مَنْ وُفِّقَ نظرَ فاهتدى وآمن، ومَنْ خُذِلَ ضلَّ وكفرَ وحاجَّ بذلك العجَب.

والإشارة بقولهم: «هذا شيءٌ عجيب» الظاهرُ أنَّها إلى مجيء مُنذرٍ من البشر. وقيل: إلى ما تضمَّنه الإنذارُ وهو الإخبار بالبعث[3].

وقال الزمخشري: و«هذا» إشارةٌ إلى المرجع[4]. انتهى. وفيه بُعْدٌ.

وقرأ الجمهور: «أئِذا» بالاستفهام، وهم على أصولهم في تحقيق الثانية وتسهيلها والفصل بينهما.

وقرأ الأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وابنُ وَثَّاب، والأعمش، وابن عتبة عن ابن عامر: «إذا» بهمزة واحدة[5] على صورة الخبر، فجاز أن يكون استفهاماً حُذِفَتْ منه الهمزة، وجاز أن يكونوا عدلوا إلى الخبر وأُضمِرَ جوابُ «إذا»، أي: إذا مِتْنا وكنَّا تراباً رجَعْنا.

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٩/ ٤٢٥.
(٢) الكشاف ٤/ ٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٦.
(٤) الكشاف ٤/ ٤.
(٥) المحتسب ٢/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٦، والمشهور عن أبي جعفر وابن عامر كقراءة الجمهور.

وأجاز صاحب «اللوامح» أن يكون الجوابُ «رجعٌ بعيد» على تقدير حذف الفاء. وقد أجاز بعضُهم في جواب الشَّرط ذلك إذا كان جملةً اسميةً، وقصرَه أصحابُنا على الشِّعر في الضرورة.

وأمَّا في قراءة الاستفهام فالظرف منصوبٌ بمُضمَرٍ، أي: أنُبعَثُ إذا مِتْنا، وإليه الإشارة بقوله: «ذلك» أي: البعث «رجعٌ بعيد» أي: مُستَبْعَدٌ في الأوهام والفِكر.

وقال الزمخشري: و«إذا» منصوبٌ بمُضمَرٍ، معناه: أَحينَ نموتُ ونَبلى نرجِع[١]؟ انتهى. وأخذه من قول ابن جِنِّي؛ قال ابن جِنِّي[٢]: ويحتمل أن يكون المعنى: أئِذا مِتْنا بَعْدُ رجَعْنا، فدَلَّ «رَجْعٌ بعيدٌ» على هذا الفعل، ويحلُّ محلَّ الجواب لقولهم: «أئِذا».

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون الرَّجعُ بمعنى المَرْجوع، وهو الجواب، ويكون من كلام الله تعالى؛ استبعاداً لإنكارهم ما أُنذِروا به من البعث، والوقفُ قبلَه على هذا التفسير حسن. فإنْ قلتَ: فما ناصبُ الظَّرفِ إذا كان الرَّجعُ بمعنى المرجوع؟ قلت: ما دلَّ عليه المُنذِرُ من المُنذَرِ به وهو البعث[٣]. انتهى. وكونُ «ذلك رجعٌ بعيدٌ» بمعنى مرجوع، وأنَّه من كلام الله تعالى لا من كلامهم ـ على ما شرحه ـ مفهومٌ عجيبٌ ينبو عن إدراكه فَهْمُ العرب.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: من لحومهم وعظامهم وأبشارِهم[٤]. قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور[٥]. وهذا فيه ردٌّ لاستبعادهم الرَّجع؛ لأنَّ مَنْ كان عالماً بذلك كان قادراً على رجعهم[٦].

وقال السُّدِّي: أي: ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم. وهذا يتضمَّن الوعيد[٧].

---

(١) الكشاف ٤/ ٤.
(٢) في المحتسب ٢/ ٢٨١.
(٣) الكشاف ٤/ ٤.
(٤) تصحفت في (يه) و(ع) والمطبوع إلى: وآثارهم.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٧، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤١٧. وقول ابن عباس ومجاهد أخرجهما الطبري في تفسيره ٢١/ ٤٠٤.
(٦) الكشاف ٤/ ٤ بنحوه.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٧، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٢٠.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ أي: حافِظٌ لما فيه جامعٌ، لا يفوت منه شيء، أو محفوظٌ من البِلى والتغير[1]. وقيل: هو عبارة عن العِلْم والإحصاء[2].

وفي الخبر الثابت: «إنَّ الأرضَ تأكلُ ابنَ آدم إلَّا عَجْبَ الذَّنَب»[3] وهو عظمٌ كالخَرْدَلة منه يُركَّبُ ابنُ آدم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾وقدَّروا قبلَ هذا الإضراب جملةً يكون مضروباً عنها، أي: ما أجادوا النَّظرَ، بل كذَّبوا. وقيل: لم يكذِّب المُنذِرُ، بَلْ كذَّبوا. والغالب أنَّ الإضرابَ يكون بعد جملةٍ منفيَّةٍ[4].

وقال الزمخشري: «بَلْ كذَّبوا» إضرابٌ أُتبِعَ الإضرابَ الأولَ للدَّلالة على أنَّهم جاؤوا بما هو أفظعُ من تعجُّبهم، وهو التَّكذيب بالحقِّ الذي هو النبوَّة[5] الثابتة بالمعجزات[6]. انتهى. وكأنَّ هذا الإضرابَ الثاني بَدَلُ بَداءٍ من الأول[7]، وكلاهما بعد ذلك الجواب الذي قدَّرناه جواباً للقسَم، فلا يكون قبلَ «بل» الثانية ما قدَّروه من قولهم: ما أجادوا النظر[8].

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾والحقُّ: القرآن[9]، أو البَعْثُ[10]، أو الرسول ﷺ، أو الإسلام[11]. أقوال.

وقرأ الجمهور: «لمَّا جاءهم» أي: لم يُفكِّروا فيه، بل بأول ما جاءهم كذَّبوا.

---

(١) ينظر الكشاف ٤/ ٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٦، وزاد المسير ٨/ ٦.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٢٩.
(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، وأبو داود (٤٧٤٣) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ. وهو في مسند أحمد (٨١٨٠). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٥٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٧ بنحوه.
(٥) تحرفت في (يه) و(د٣) إلى: الحياة.
(٦) الكشاف ٤/ ٤.
(٧) العبارة في (يه) و(ع) والمطبوع: كان هذا الإضرابُ الثاني بدلاً من الأول.
(٨) وتعقَّبه صاحب الدر المصون ١٠/ ١٩ بقوله: وما قاله الزمخشري أحسن.
(٩) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٤٣، والنكت والعيون ٥/ ٣٤١، والكشاف ٤/ ٤، وزاد المسير ٨/ ٦.
(١٠) الكشاف ٤/ ٤.
(١١) ذكرهما القرطبي في تفسيره ١٩/ ٤٣٠.

والجَحْدريُّ: «لِمَا جاءهم» بكسر اللام وتخفيف الميم[١]، و«ما» مصدرية، واللام لام الجر، كهي في قولهم: كتبتُه لخَمْسٍ خَلَوْنَ، أي: عند مجيئهم إيَّاه.

﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال الضحَّاك وابن زيد: مُختَلِط؛ مرَّةً: ساحر، ومرَّةً: شاعر، ومرَّةً: كاهن[٢]. وقال قتادة: مُختَلِف. وقال الحسن: مُلتَبس. وقال أبو هريرة: فاسِد[٣].

ومَرِجَتْ أماناتُ النَّاسِ: فسَدَتْ. ومَرِجَ الدِّينُ: اختلَطَ. قال أبو دُؤاد[٤]:

مَرِجَ الدِّينُ فأعْدَدْتُ لَهُ ... مُشْرِفَ الحارِكِ مَحْبُوكَ الكَتَدْ[٥]

وقال ابن عباس: المَريج: الأمر المُنْكَر[٦]. وعنه أيضاً: مختَلِط[٧]. وقال الشاعر:

فجالَتْ والتَمَسْتُ لها حَشاها ... فخَرَّ كأنَّهُ خُوطٌ مَرِيجُ[٨]

---

(١) القراءات الشاذة ص١٤٤، والمحتسب ٢/ ٢٨٢ والكلام منه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٠. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٤١ عن الضحاك، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٤٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٧ عن ابن زيد. وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ٤٠٨. والكلام في تفسير القرطبي ١٩/ ٤٣٠.

(٣) هذه الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٥/ ٣٤١.

(٤) تحرف في النسخ والمطبوع إلى: أبو واقد، والتصويب من المصادر والصحاح (مرج)، والكلام منه.

(٥) البيت في إصلاح المنطق ص٩٠، وأمالي القالي ٢/ ٣١٠، والنكت والعيون ٥/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٣٠. قال البكري في سمط اللآلي: الكَتَد: موصل العنق في الظهر. ومحبوك: مُدْمَج. وقال صاحب معجم متن اللغة ٢/ ٧١: الحارك من الفرس: أعلى الكاهل، أو عظم مشرف من جانبيه، أو منبت أدنى العرق إلى الظهر الذي يأخذ به من يركبه.

(٦) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٧. وأخرجه الطبري ٢١/ ٤٠٦.

(٧) وهكذا في تفسير القرطبي ١٩/ ٤٣٠، والذي أخرجه الطبري عنه ٢١/ ٤٠٦: مختلف، بدل: مختلط. وكذلك هو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٤٣.

(٨) البيت لعمرو بن الداخل الهُذلي كما في ديوان الهذليين ٣/ ١٠٣، وفيه: فراغت، بدل: فجالت، ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٢٢ لأبي ذؤيب، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة ١١/ ٧٢ للهذليّ ولم يسمّه. قال الأزهري: الخُوط: الغصن. والخُوط المَريج: غصنٌ له شُعَبٌ قِصار قد التبست.

والأصلُ فيه الاضطرابُ والقلَقُ، مَرِجَ الخاتم في أصبعي؛ إذا قلِقَ من الهُزال[١].

ويجوز أن يكون الأمرُ المَريج باعتبارِ انتقالِ أفكارِهم فيما جاء به المُنذِر، فأولاً[٢] عدمُ قبولهم أولَ إنذاره إيَّاهم، ثمَّ العجبُ منهم، ثمَّ استبعادُ البعث الذي أنْذَرَ به، ثمَّ التكذيبُ لِما جاء به.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ﴾ حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسولُ ﷺ إلى آثار قدرة الله تعالى في العالم العلويِّ والسُّفليِّ ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾مرتفعةً من غير عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنيِّرين وبالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من فُتوقٍ وشقوقٍ، بل هي سليمةٌ من كلِّ خَلَل[٣].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها[٤]﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾أي: جبالاً ثوابت، تمنعُها من التكفُّؤ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: نوعٍ ﴿بَهِيجٍ﴾أي: حسنِ المَنْظر بهيج، أي: يُسِرُّ مَنْ نظرَ إليه[٥].

وقرأ الجمهور: «تَبصرةً وذكرى» بالنصب، وهما منصوبان بفعلٍ مضمَرٍ من لفظهما، أي: بَصَّرَ وذَكَّرَ. وقيل: مفعول من أجله[٦].

وقرأ زيد بن علي: «تبصرةٌ» بالرفع، «وذكرى» معطوف عليه، أي: ذلك الخَلْقُ على ذلك الوصفِ تبصرةٌ، والمعنى: يتبصَّرُ بذلك ويتذكَّرُ كلُّ «عبدٍ منيبٍ» أي: راجعٍ إلى ربِّه، مُفكِّرٍ في بدائع صُنْعِه.

﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ أي: كثير المنفعة[٧]. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي: الحبَّ الحصيدَ، فهو من حَذْفِ الموصوفِ وإقامةِ الصِّفةِ مقامَه، كما يقوله البصريون[٨].

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٤٣. وينظر غريب القرآن لابن قتيبة ص٤١٧.
(٢) تحرفت في (ع) والمطبوع إلى: قائلاً.
(٣) الكشاف ٤/ ٤ بنحوه.
(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ١٦٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢١.
(٥) الكشاف ٤/ ٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢١.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٧.
(٧) الكشاف ٤/ ٤.
(٨) العبارة في (يه) و(د٣): هو من إضافة الموصوف إلى صفته كما يقول الكوفيون. قلت: =

والحصيد: كلُّ ما يُحصَدُ ممَّا له حبٌّ كالبُرِّ والشعير[١].

﴿بَاسِقَٰتٍ﴾أي: طِوالاً في العُلوِّ، وهو منصوب على الحال، وهي حالٌ مُقدَّرةٌ[٢]؛ لأنَّها حالةَ الإنبات لم تكن طِوالاً.

و«باسقات» جمع، و«النَّخل» اسمُ جنسٍ، فيجوز أن يُذكَّر نحو قوله: ﴿نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر: ٢٠]، وأن يؤنَّثَ نحو قوله تعالى: ﴿نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾[٣] [الحاقة: ٧]، وأن يُجمَعَ باعتبار أفرادِه ومنه «باسقات»، وقوله: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾[٤] [الرعد: ١٢].

والجمهور: «باسِقات» بالسين.

ورَوى قُطبة بن مالك عن النبيِّ ﷺ أنه قرأ: «باصقاتٍ» بالصاد[٥]، وهي لغةٌ لبني العنبر، يُبدِلون من السين صاداً إذا وَلِيَتْها، أو فصلَ بحرفٍ أو حرفين خاءٌ أو عينٌ أو قافٌ أو طاء.

﴿لَّهَا طَلۡعٞ﴾ تقدَّم شرحُه عند ﴿مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ [الأنعام: ٩٩].

﴿نَّضِيدٞ﴾ أي: منضودٌ بعضُه فوقَ بعض، يريد كثرةَ الطَّلْع وتراكُمَه، أي: كثرة ما فيه من الثمر[٦]. وأولُ ظهور الثَّمَر في الكُفُرَّى هو أبيض، يُنْضَدُ كحَبِّ الرُّمَّان،

= والعبارتان في الدر المصون ١٠/ ٢٠. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٣.

(١) الكشاف ٤/ ٤-٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٢.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٤١، وتهذيب اللغة ٧/ ٦١٤، والمفردات للراغب الأصبهاني ص٧٩٦.

(٤) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٨١.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٩٧)، والصغير (٦٩٠)، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٤٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٦، وقال: فيه عبد الله بن محمد بن صبيح، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
والثابت من حديث قطبة ﷺ أنه ﷺ قرأها: «باسقات» بالسين، فيما أخرجه مسلم (٤٥٧)، وأحمد (١٨٩٠٣)، والدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ ص١٥١، وغيرهم.
وقراءة «باصقات» بالصاد، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٨٢، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٥ دون نسبة.

(٦) الكشاف ٤/ ٥.

فما دام ملتصقاً بعضُه ببعضٍ فهو نَضيد، فإذا خرج من الكُفُرَّى تفرَّق فليس بنضيد[١].

و«رِزْقاً» نصب على المصدر؛ لأنَّ معنى «وأنبَتْنا»: رزَقْنا، أو على أنَّه مفعولٌ له[٢].

وقرأ الجمهور: «مَيْتاً» بالتخفيف. وأبو جعفر وخالد بالتثقيل[٣].

والإشارة في «كذلك» إلى الإحياء، أي: الخروجُ من الأرض أحياءً بعد موتكم مثلُ ذلك الحياة للبلدة الميت، وهذه كلُّها أمثلةٌ وأدلَّةٌ على البعث.

وذكر تعالى في السماء ثلاثةً؛ البناءَ، والتَّزيينَ، ونفيَ الفُروج. وفي الأرض ثلاثةً؛ المدَّ، وإلقاءَ الرواسي، والإنبات. قابَلَ المدَّ بالبناء؛ لأنَّ المدَّ وَضْعٌ، والبناءَ رَفْعٌ. وإلقاءَ الرواسي بالتَّزيين بالكواكب؛ لارتكاز[٤] كلِّ واحدٍ منهما. والإنباتَ المترتِّبَ على الشَّقِّ بانتفاءِ الفروج، فلا شَقَّ فيها. ونبَّه فيما تعلَّق به الإنباتُ على ما يُقطَفُ كلَّ سنةٍ ويبقى أصلُه، وما يُزرَعُ كلَّ سنةٍ أو سنتين ويُقطَفُ كلَّ سنةٍ، وعلى ما اختلط من جنسين، فبعضُ الثمار فاكهةٌ لا قوتٌ، وأكثرُ الزَّرعِ قوتٌ، والثمرُ فاكهةٌ وقوت.

ولمَّا ذكر تعالى قولَه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ ذكرَ مَنْ كَذَّبَ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام؛ تسليةً لرسوله ﷺ[٥].

وتقدَّم الكلامُ على مفردات هذه الآية، وقصصِ مَنْ ذُكِرَ فيها.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، وطلحة، ونافع: «الأيكة» بلام التعريف. والجمهور: «ليكة»[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٨. والكُفُرَّى: هو وعاء طلع النخل. الصحاح (كفر).

(٢) الكشاف ٤/ ٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٨، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٤٤ عن أبي جعفر، وهي من القراءات العشر كما في النشر ٢/ ٢٢٤. وخالد: هو ابن إلياس.

(٤) تحرفت في (يه) و(د٣) إلى: لأن مكان. والكلام بنحوه في تفسير الرازي ٢٨/ ١٥٦-١٥٨.

(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٨/ ١٦٠.

(٦) نقله المصنف من المحرر الوجيز ٥/ ١٥٨، وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٢٢

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: كلُّهم، أي: جميعُهم كَذَّبَ، وحمل على لفظ «كُلّ» فأفرد الضمير في «كذَّبَ». وقال الزمخشري[1]: يجوز أن يُراد به: كلُّ واحدٍ منهم. انتهى.

والتنوينُ في «كلّ» تنوينُ عِوَضٍ من المضاف إليه المحذوف، وأجاز محمد بن الوليد[2] - وهو من قدماء نُحاةِ مصر - أن يُحذَفَ التنوين من «كلّ»؛ جعله غايةً، ويُبنى على الضمِّ كما يُبنى «قَبْلُ» و«بَعْدُ»، فأجاز «كلُّ منطلقٌ» بضمِّ اللام دون تنوين، وردَّ ذلك عليه الأخفش الصغير وهو علي بن سليمان[3].

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وجَبَ تعذيبُ الأمم المكذِّبة وإهلاكُهم، وفي ذلك تسليةٌ للرسول ﷺ، وتهديدٌ لقريشٍ ومَنْ كذَّبَ الرسول[4].

❁ ❁ ❁

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾ وهو إنشاء الإنسان من نطفةٍ على التدريج[5].

وتقدَّم تفسيرُ «عَيِي» في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقرأ الجمهور: «أفعَيِينا» بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة، ماضي «عَيِيَ» كـ «رَضِيَ».

= بقوله: وهذا الذي نقله غفلةٌ منه، بل الخلاف المشهور إنما هو في «الشعراء» و«ص» كما حقَّقْتُه ثمَّة، وأمَّا هنا فالجمهور على لام التعريف.

(١) في الكشاف ٤/ ٥، وما قبله منه بنحوه.
(٢) يُعرف بوَلَّاد، قرأ كتاب سيبويه على المبرِّد، توفي سنة (٢٩٨هـ). إنباه الرواة ٣/ ٢٢٥.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٢-٢٢٣.
(٤) الكشاف ٤/ ٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٩.

وقرأ ابن أبي عَبْلة، والوليد بن مسلم، والقورصي عن أبي جعفر، والسمسار عن شيبة، وأبو بحر عن نافع: بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية[١]. هكذا قال أبو القاسم الهُذَلي في كتاب «الكامل».

وقال ابن خالويه في كتاب «شواذ القراءات»[٢] له: «أفعَيِّنا» بتشديد الياء: ابنُ أبي عبلة.

وفكَّرتُ في توجيه هذه القراءة؛ إذ لم يذكُرْ أحدٌ توجيهَها، فخَرَّجتُها على لغة مَنْ أدغم الياء في الياء في الماضي فقال: عَيَّ في عَيِيَ، وحَيَّ في حَيِيَ، فلمَّا أدغم ألحقَه ضميرَ المُتكلِّم المُعظِّم نَفْسَه، ولم يفُكَّ الإدغام فقال: عَيَّنا، وهي لغةٌ لبعض بكر بن وائل، يقولون في رَدَدْتُ ورَدَدْنا: رَدْتُ ورَدْنا، فلا يفُكُّون، وعلى هذه اللغة تكون الياءُ المشدَّدةُ مفتوحةً، فلو كان «نا» ضميرَ نصبٍ لاجتمعَتِ[٣] العربُ على الإدغام، نحو: رَدَّنا زيدٌ.

وقال الحسن: الخلقُ الأولُ آدمُ عليه السلام[٤]. والمعنى: أعَجِزْنا عن الخلق الأول فنعجِزُ عن الخلق الثاني[٥]؟

وهذا توقيفٌ للكفار وتوبيخٌ وإقامةُ الحجَّةِ الواضحةِ عليهم[٦].

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: خَلْطٍ وشُبْهةٍ وحَيْرة، ومنه قول عليٍّ: يا حَارِ[٧]، إنَّه لمَلبوسٌ عليك، اِعرفِ الحقَّ تَعْرِفْ أهلَه. ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: من البعث من القبور[٨]. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذه آياتٌ فيها إقامة حُجَجٍ على الكفار في إنكارهم البعث. والإنسان: اسم جنس. وقيل: آدم.

---

(١) والمشهور عن أبي جعفر ونافع كقراءة الجمهور.

(٢) ص١٤٤.

(٣) في النسخ سوى (ع) والمطبوع: فلو كانا ضمير نصب فاجتمعت.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٩، نقله عن الرمَّاني.

(٥) زاد المسير ٨/ ٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٩.

(٧) هذا من باب الترخيم، يعني: حارِث، واسمه الحارث بن حَوْط الليثي كما في أنساب الأشراف ٢/ ١٩٢، وتفسير القرطبي ١٩/٢. والكلام في الكشاف ٤/ ٥.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٩، وما بعده منه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ قُرْبَ عِلْمٍ به وبأحوالِهِ، لا يخفى عليه شيءٌ من خفيَّاته، فكأنَّ ذاتَه قريبةٌ منه، كما يُقال: اللهُ في كلِّ مكان، أي: بعلمِه، وهو مُنزَّهٌ عن الأمكنة[1].

و«حَبْل الوَريد» مَثَلٌ في فَرْطِ القُربِ، كقول العرب: هو مِنِّي مَقْعَدَ القابلةِ ومَعْقِدَ الإزار، قال ذو الرُّمَّة:

والمـوتُ أدنـى لـي مِـنَ الـوريـدِ[2]

والحبْلُ: العِرْقُ، شُبِّهَ بواحدِ الحِبال، وإضافتُه إلى الوريد للبيان، كقولهم: بعيرٌ سانيةٌ، أو يُراد حبلَ العاتِق، فيُضاف إلى الوريد كما يُضاف إلى العاتق؛ لاجتماعهما في عضوٍ واحد.

والعامل في «إذ» «أقرَبُ». وقيل: اذكُرْ. وقيل: ويَحسُنُ تقدير: اذكُرْ؛ لأنَّه أخبرَ خبراً مجرَّداً بالخلقِ، والعلم بخطَرات الأنفس، والقُرْبِ بالقُدرة والملك، فلمَّا تَمَّ الإخبار أخبرَ بذِكْرِ الأحوال التي تُصدِّق هذا الخَبرَ، وتُبيِّنُ[3] ورودَه عند السامع، فمنها ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾، ومنها مجيءُ سَكْرَة الموت، ومنها النَّفْخُ في الصُّور، ومنها مجيء كلِّ نفس معها سائقٌ وشهيد.

والمُتلقِّيان: المَلَكان المُوَكَّلان بكلِّ إنسان، ملَكُ اليمين يكتبُ الحسنات، وملَكُ الشِّمال يكتبُ السيئات.

وقال الحسن: الحفَظةُ أربعة؛ اثنان بالنهار، واثنان بالليل.

و«قَعيد» مفرد، فاحتمَل أن يكون معناه: مُقاعِد، كما تقول: جليس وخليط، أي: مُجالِس ومُخالِط، وأن يكون عُدِلَ من فاعل إلى فَعيل للمبالغة، كـ «عليم»[4]، قال الكوفيون: مفردٌ أُقيمَ مقام اثنين، والأجْوَدُ أن يكون حُذِف من الأول؛ لدلالة الثاني عليه، أي: عن اليمين قعيد، كما قال الشاعر:

رمـانـي بـأمـرٍ كـنـتُ مـنـهُ ووالـدي بـريـئاً ومِـنْ أجـلِ الـطَّـوِيِّ رمـانـي[5]

(١) الكشاف ٤/ ٥.

(٢) ديوان ذي الرمَّة ١/ ٣٦٨، والخزانة ١٠/ ٣٩٦، وعجز البيت: والحتْفُ يلقى أنْفُسَ الشُّهودِ. والكلام من الكشاف ٤/ ٥-٦ وما بعده منه أيضاً.

(٣) في النسخ: وتعين، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠ والكلام منه.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤١٨-٤١٩ بنحوه.

(٥) البيت لعمرو بن أحمر، وهو في الكتاب لسيبويه ١/ ٧٥، وشرح الحماسة للمرزوقي

على أحسن الوجهين فيه، أي: كنتُ منه بريًّا، ووالدي بريًّا.

ومذهَبُ المُبرِّد أنَّ التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال، فأخَّر «قعيد» عن موضعه. ومذهَبُ الفرَّاء أنَّ لفظ «قعيد» يدلُّ على الاثنين والجمع، فلا يحتاج إلى تقدير[١].

وقرأ الجمهور: «ما يَلْفِظ» بكسر الفاء. ومحمد بن أبي مَعْدان: بفتحها[٢].

وظاهر «ما يَلفِظُ» العموم؛ قال مجاهد وأبو الجَوْزاء: يُكتَبُ عليه كلُّ شيءٍ حتى أنينُه في مرضه[٣]. وقال الحسن وقتادة: يكتبان جميعَ الكلام، فيُثبت اللهُ تعالى من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غيرَ ذلك. وقيل: هو مخصوص، أي: من قول خيرٍ أو شرٍّ، وقال معناه عكرمة، وما خرجَ عن هذا لا يُكتب.

واختلفوا في تعيين قعود المَلَكَين، ولا يصحُّ فيه شيء.

«رَقيب»: ملَكٌ يَرْقُب. «عَتيد»: حاضر[٤]. وإذا كان على اللَّفظ رقيبٌ عتيدٌ، فأحرى على العمل.

وقال الحسن: فإذا ماتَ طُوِيَتْ صحيفتُه، وقيل له يوم القيامة: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾[٥] [الإسراء: ١٤].

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ هو معطوف على «إذ يتلقَّى»، وسكرةُ الموت: ما يعتري الإنسانَ عند نَزْعِه[٦].

= ٢/ ٩٣٦، والكلام بنحوه من معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٤، والكشاف ٤/ ٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٠.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠، ومذهب الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٧٧.

(٢) من قوله: بكسر الفاء.. إلى هنا من (ع) وحدها. والذي في القراءات الشاذة ص١٤٤ عن محمد بن أبي معدان: «ما نَلْفِظُ» بنون الجمع وكسر الفاء.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٩٣٥)، وهناد في الزهد (١١٠٢) من قول مجاهد. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠، وما بعده منه.

(٤) الكشاف ٤/ ٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠-١٦١. وأخرجه بنحوه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٧، والطبري ٢١/ ٤٢٥-٤٢٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٦١.

والباء في «بالحقِّ» للتعدية، أي: جاءت سكرةُ الموتِ الحقِّ، وهو الأمرُ الذي أنطقَ اللهُ به كتُبَه، وبعثَ به رسُلَه، من سعادة الميت أو شقاوته. أو للحال، أي: ملتبسةً بالحقِّ[(١)].

وقرأ ابن مسعود: «سَكَراتُ» جمعاً[(٢)].

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تَميل[(٣)]، تقول: أعيشُ كذا، وأعيشُ كذا، فمتى فكَّرَ في قُرْبِ الموت حادَ بذهنِه عنه، وأمَّله إلى مسافةٍ بعيدةٍ من الزمن، ومن الحَيْد الحَذَرُ من الموت[(٤)].

وظاهر «تحيد» أنَّه خطابٌ للإنسان الذي جاءَتْه سكرةُ الموت. وقال الزمخشري[(٥)]: الخِطاب للفاجر، ﴿تَحِيدُ﴾: تنفِرُ وتهرُب. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ هو على حذف، أي: وقت ذلك يوم الوعيد، والإشارة إلى مصدر «نُفِخَ»[(٦)].

وأضاف «اليوم» إلى «الوعيد»، وإن كان يومُ الوعدِ والوعيدِ معاً على سبيل التخويف.

وقرأ الجمهور: «معها». وطلحة بالحاء مثقَّلة[(٧)]؛ أدغمَ العين في الهاء، فانقلبَتا حاءً، كما قالوا: ذهبَ مَحُّمْ، يريد: مَعَهم.

﴿سَآئِقٌ﴾: حاثٌّ على السَّير ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهدُ عليه. قال عثمان بن عفان ومجاهد وغيره: ملَكان مُوكلان بكلِّ إنسان؛ أحدُهما يسوقُه، والآخَرُ من حفَظَتِه يشهد عليه[(٨)]. وقال أبو هريرة: السائقُ: ملَكٌ، [والشهيدُ: العمل. وقال منذر بن سعيد: السائقُ: الملَكُ]، والشهيدُ: النبيُّ. وقيل: الشهيدُ: الكتابُ الذي يَلْقاه مَنْشوراً.

---

(١) الكشاف ٤/ ٧.
(٢) القراءات الشاذة ص١٤٤.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٠، ونسبه لعطاء الخراساني.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦١.
(٥) في الكشاف ٤/ ٧، وما قبله منه.
(٦) الكشاف ٤/ ٧.
(٧) أي: «مَحَّا»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ١٦١.
(٨) أخرجه بنحوه ابن المبارك في الزهد (٣٦٥ من زوائد نعيم بن حماد)، وعبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٧، وابن أبي شيبة (٣٦٥٧٠)، والطبري ٢١/ ٤٣٩ عن عثمان بن عفان. وأخرجه الطبري ـ أيضاً ـ ٢١/ ٤٣٠ عن مجاهد. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٦١-١٦٢، وما بين حاصرتين الآتي منه.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ اسما جنس، فالسائقُ: ملائكةٌ مُوَكَّلون بذلك، والشهيدُ: الحفَظَةُ وكلُّ مَنْ يَشْهد. وقال ابن عباس والضحَّاك: السائقُ: ملَكٌ، والشهيدُ: جوارح الإنسان. قال ابن عطية: وهذا يَبعُدُ عن ابن عباس؛ لأنَّ الجوارحَ إنَّما تشهد بالمعاصي.

وقولُه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعُمُّ الصالحين، فإنَّما معناه: وشهيدٌ بخيرِه وشرِّه، ويقوى في «شهيد» اسمُ الجنس، فتشهد بالخير الملائكةُ والبقاعُ، ومنه قوله ﷺ: «لا يسمَعُ مدى صوتِ المؤذِّنِ إنسٌ ولا جِنٌّ ولا شيءٌ إلَّا شهِدَ له يوم القيامة»[١]. وقال أبو هريرة: السائق: ملَكٌ، والشهيد: العمل. وقال أبو مسلم[٢]: السائق: شيطان. وهو قول ضعيف.

وقال الزمخشري: ملَكان أحدُهما يسوقُه إلى المَحْشَر، والآخرُ يشهدُ عليه بعمله، أو ملَكٌ واحدٌ جامِعٌ بين الأمرين، كأنَّه قيل: ملَكٌ يسوقُه ويشهدُ عليه. ومَحلُّ «معها سائقٌ» النصبُ على الحال من «كل» لتعرُّفهِ بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة[٣]. انتهى.

ولا ضرورة تدعو إلى الحال، بل الجملة في موضع الصفة إنْ أَعربْتَ معها «سائقٌ وشهيدٌ» مبتدأً وخبراً، وإلَّا فـ «سائقٌ» فاعل بالظرف قبله؛ لأنَّه قد اعتمد، فالظرف في موضع الصفة. وأمَّا قوله: لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة، فكلامٌ ساقطٌ لا يصدرُ عن مبتدئٍ في النحو؛ لأنَّه لو نُعِتَ «كلُّ نفسٍ» ما نُعِتَ إلَّا بالنَّكِرة، فهو نَكِرةٌ على كلِّ حال، فلا يُمكِنُ أن يتعرَّفَ «كلُّ» وهو مضافٌ إلى نكرة[٤].

❁ ❁ ❁

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩)، وأحمد (١١٣٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٢، ونقله عنه القرطبي ١٩/ ٤٤٤: ابن مسلم، وكلاهما صحيح، فأبو مسلم: هو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني.
(٣) الكشاف ٤/ ٧.
(٤) من قوله: انتهى. . . إلى هنا، ليس في المطبوع، وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٢٦ بقوله: وهذا منه غير مرضيٍّ؛ إذ يَعلَمُ أنه لم يُرِدْ حقيقة ما قاله.

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ
﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾
ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

قرأ الجمهور: «لقد كنتَ» بفتح التاء. والجَحْدريُّ بكسرها؛ على مخاطبة النفس[(١)].

وقرأ الجمهور: «عنكَ غطاءكَ فبصَرُكَ» بفتح التاء والكاف؛ حملاً على لفظ «كلّ» من التذكير. والجَحدريُّ وطلحة بن مُصرِّف: «عنكِ غطاءكِ فبصَرُكِ» بالكسر؛ مراعاةً للنفس أيضاً[(٢)].

ولم يَنقُلِ الكسرَ في الكاف صاحبُ «اللوامح» إلّا عن طلحة وحده، قال صاحب «اللوامح»: ولم أجِدْ عنه في «لقد كنت» الكسر، فإنْ كسَرَ فإنَّ الجميعَ شَرْعٌ واحد، وإنْ فتَحَ «لقد كنتَ» فحَمْلٌ على «كلّ» أنّه مذكَّر، ويجوز تأنيثُ «كلّ» في هذا الباب؛ لإضافته إلى «نفس» وهو مؤنث، وإن كان كذلك فإنّه حملَ بعضَه على اللفظ وبعضَه على المعنى، مثل قوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ ثم قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١١٢]. انتهى.

قال ابن عباس وصالح بن كَيْسان والضحَّاك: يُقال للكافرِ الغافلِ من ذوي النَّفْسِ التي معها السائقُ والشهيدُ إذا حصَلَ بين يدي الرحمن وعاينَ الحقائق التي لا يُصدِّق بها في الدنيا ويتغافل عن النَّظر فيها: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: من عاقبة الكفر، فلمَّا كُشِفَ الغطاءُ عنكَ احتدَّ بصرُكَ، أي: بصيرتُكَ. وهذا كما تقول: فلانٌ حديدُ الذِّهن. وقال مجاهد: هو بصَرُ العين، أي: احتدَّ التفاتُه

---

(١) القراءات الشاذة ص١٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٢.

(٢) المصدران السابقان عن الجحدري وحده. ووقع الكلام في (به) و(ع) و(د٣) على النحو التالي: وقرأ الجمهور: «عنك غطاءك» بكسر الكاف في الثلاثة؛ على مخاطبة النفس وتأنيثها؛ لتقدُّم ذِكْرِها، وللعائد عليها في قوله: «معها». وقرأ الجحدري وطلحة بكسرها. اهـ. والمثبت من (أ).

إلى ميزانه، وغير ذلك من أهوال القيامة.

وعن زيد بن أسلم قولٌ في هذه الآية يَحرُمُ نقلُه، وهو في كتاب ابن عطية(١).

وكنَّى بالغطاء عن الغفلة، كأنَّها غطَّتْ جميعَه أو عينيه فهو لا يبصر، فإذا كان في القيامة زالَتْ عنه الغفلةُ فأبصرَ ما كان لم يُبصِرْه من الحق(٢).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: من زبانية جهنَّم: هذا العذابُ الذي لديَّ لهذا الإنسان الكافر عتيدٌ حاضرٌ(٣). ويُحسِّنُ هذا القولَ إطلاقُ «ما» على ما لا يعقل.

وقال قتادة وابن زيد(٤): «قرينُه»: المَلكُ المُوَكَّل بسَوْقِه، أي: هذا الكافر الذي أسوقُه لديَّ حاضر. وقال الزَّهراوي: وقيل: قرينُه: شيطانه. وهذا ضعيف، وإنَّما وقع فيه أنَّ القرين في قوله: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ هو شيطانُه في الدنيا ومُغْوِيْه بلا خلاف، ولفظُ القرين اسمُ جنس، فسائقُه قرين، وصاحبُه من الزَّبانية قرين، ومُماشي الإنسان في طريقه قرين. وقيل: قرينُه هنا: عملُه قلباً وجوارحَ.

وقال الزمخشري: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾: هو الشيطان الذي قُيِّضَ له في قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] يشهد له قولُه تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾: هذا شيءٌ لدَيَّ وفي مَلَكتي عتيدٌ لجهنم. والمعنى: أنَّ مَلَكاً يسوقُه، وآخرَ يشهدُ عليه، وشيطاناً مقروناً به يقول: قدِ أَعْتَدته لجهنم وهيَّأتُه لها بإغوائي وإضلالي(٥). انتهى. وهذا قول مجاهد. وقال الحسن وقتادة أيضاً: المَلَكُ الشهيدُ عليه(٦). وقال الحسن أيضاً: هو كاتبُ سيئاته(٧).

و«ما» نكرة موصوفة بالظَّرف وبـ «عتيد»، أو موصولة والظرفُ صِلَتُها.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٢، والقولان السابقان منه أيضاً.
(٢) الكشاف ٤/ ٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٣.
(٤) قوله: «وابن زيد» من (د٣) و(ع) والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٣ والكلام منه.
(٥) الكشاف ٤/ ٧.
(٦) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٥٠. وأخرج الطبري ٢١/ ٤٤٠ قول مجاهد.
(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ١٦٧ دون نسبة. ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٥ لمقاتل.

و«عتيد» قال الزمخشري[(١)]: بدل، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. انتهى.

وقرأ الجمهور: «عَتيدٌ» بالرفع. وعبد الله بالنصب[(٢)] على الحال، والأولى إذ ذاك أن تكون «ما» موصولة[(٣)].

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ الخطاب من الله للملَكين السائق والشهيد[(٤)]. وقيل: للملَكين من ملائكة العذاب[(٥)]. فعلى هذا الألفُ ضميرُ الاثنين[(٦)]. وقال مجاهد وجماعةٌ: هو قولٌ إمَّا للسَّائق، وإمَّا للذي هو من الزَّبانية، وعلى أنَّه خطابٌ للواحد، وقال المبرِّد: معناه: ألقِ ألقِ، فثنَّى[(٧)]. وقال الفرَّاء: هو من خطاب الواحد بخطاب الاثنين[(٨)]. وقيل: الألف بدل من النون الخفيفة؛ أُجري الوَصْل مجرى الوقف[(٩)]. وهذه أقوالٌ مرغوبٌ عنها، ولا ضرورةَ تدعو إلى الخروج عن ظاهر اللفظ؛ لقول مجاهد.

وقرأ الحسن: «أَلْقِيَنْ» بنون التوكيد الخفيفة[(١٠)]. وهي شاذَّةٌ مخالفةٌ لنقل التواتر بالألف.

﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مبالغة، أي: يَكْفُر النِّعمة والمُنْعِم.

﴿عَنِيدٍ﴾ قال قتادة: مُنحرف عن الطاعة. وقال الحسن: جاحد متمرِّد. وقال

---

(١) في الكشاف ٤/ ٧، وما قبله منه بنحوه.
(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٤٤.
(٣) وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٢٧ بقوله: قال أبو البقاء: ولو جاء ذلك في غير القرآن لجاز نصبُه على الحال. وقول أبي البقاء في الإملاء ٢/ ٢٤٢.
(٤) الكشاف ٤/ ٧-٨، وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٤٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٣.
(٦) ينظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٤٢.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٣. وقول المبرد ـ أيضاً ـ في الكشاف ٤/ ٨، وزاد المسير ٨/ ١٥.
(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٧٨ بنحوه، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٢٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٥.
(٩) الكشاف ٤/ ٨، وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٤٢.
(١٠) القراءات الشاذة ص١٤٤، والمحتسب ٢/ ٢٨٤.

السُّدِّي: المُشاقُّ، من العَنَد: وهو عظمٌ يعرِضُ في الحلق. وقال ابن بحر: المُعجَب بما فيه[١].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قال قتادة ومجاهد وعكرمة: يعني الزكاة[٢]. وقيل: بخيل[٣]. وقيل: مانعُ بني أخيه من الإيمان، كالوليد بن المغيرة؛ كان يقول لهم: مَنْ دخلَ منكم فيه لم أنفَعْه بشيءٍ ما عِشْتُ[٤]. والأحسن عمومُ الخير في المال وغيرِه.

﴿مُّرِيبٍ﴾ قال الحسن: شاكٌّ في الله أو في البعث. وقيل: متَّهم[٥].

﴿الَّذِى﴾ جوَّزوا فيه أن يكون منصوباً بدلاً من «كُلَّ كَفَّارٍ»، وأن يكون مجروراً بدلاً من «كَفَّار»، وأن يكون مرفوعاً بالابتداء مُضمَّناً معنى الشرط؛ ولذلك دخلتِ الفاءُ في خبره وهو «فألقِياهُ». والظاهر تعلُّقُه بما قبلَه على جهة البدل، ويكون «فألقِياهُ» توكيداً[٦]. وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون صفةً من حيث يختصُّ «كَفَّار» بالأوصاف المذكورة، فجاز وصفُه بهذه المعرفة. انتهى. وهذا ليس بشيءٍ لو وُصِفَتِ النَّكرةُ بأوصافٍ كثيرةٍ لم يَجُزْ أنْ تُوصَفَ بالمعرفة.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ لم تأتِ هذه الجملة بالواو بخلاف «وقال قرينُه» قبلَه؛ لأنَّ هذه استُؤنِفَتْ كما استُؤنِفَتِ الجملُ في حكاية التقاول في مقاولة موسى وفرعون، فجرَتْ مقاولةٌ بين الكافرِ وقرينِه، فكأنَّ الكافرَ قال: ربِّ هو أطغاني. قال قرينُه: ربَّنا ما أطغَيْتُه. وأمَّا «وقال قرينُه» فعُطِفَ للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول، أعني مجيءَ كلِّ نفسٍ مع الملَكين، وقول قرينه ما قال له.

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٥١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٤، قال ابن عطية: وهذا التخصيص ضعيف.
(٣) المفردات للراغب الأصفهاني ص٧٧٩.
(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٢، والكشاف ٤/ ٨. وذكره الماوردي بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٣٥٢ ونسبه للضحاك.
(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٥١، ونسب الأول للسدي، والثاني لقتادة. وأما قول الحسن فهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٤ بلفظ: شاكٌّ في الله تعالى ودينه.
(٦) الكلام بنحوه من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٩، والكشاف ٨/ ٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٤.

ومعنى «ما أطغيتُه» تنزيهٌ لنفسه من أنَّه أثَّرَ فيه.

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ أي: من نفسه لا منِّي، فهو الذي استحبَّ العَمى على الهُدى، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[١] [إبراهيم: ٢٢]. وكَذَبَ القرين قد أطغاه بوسوستِه وتزيينِه[٢].

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ﴾ استئناف أيضاً، مثل «قال قرينُه»، كأنَّ قائلاً قال: ما قال الله تعالى؟ فقيل: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ﴾ أي: في دار الجزاء وموقف الحساب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ لمَن عصاني، فلم أترُكْ لكم حجَّةً.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي: عندي، فما أمضيتُه لا يمكنُ تبديلُه[٣].

وقال الفرَّاء: ما يُكْذَبُ لدَيَّ؛ لعلمي بجميع الأمور[٤].

و«قَدَّمْتُ» يجوز أن يكون بمعنى «تقدَّمْتُ» أي: وقد تقدَّم قولي لكم مُلْتَبِساً بالوعيد، أو يكون «قدَّم» المتعدِّية، و«بالوعيد» هو المفعول، والباء زائدة، والتقديم كان في الدنيا، ونهيُهم عن الاختصام في الآخرة، فاختلف الزمانان، فلا تكون الجملةُ من قوله: «وقد قدَّمتُ» حالاً إلَّا على تأويل، أي: وقد صحَّ عندكم أنِّي قدَّمتُ، وصِحَّة ذلك في الآخرة، فاتَّفق زمانُ النهي عن الاختصام وصحَّةُ التقديم، فالحالُ على هذا التأويل مقارنةٌ[٥].

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ تقدَّم شرحُ مثلِه في أواخر آل عمران[٦]، والمعنى: لا أُعذِّب مَنْ لا يستحِقُّ العذاب[٧].

وقرأ: «يومَ يقولُ» ـ بياء الغَيبة ـ الأعرج، وشيبة، ونافع، وأبو بكر، والحسن،

(١) الكشاف ٤/ ٨ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٤.
(٣) الكشاف ٤/ ٨ بنحوه.
(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٩، ونقله عنه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٥٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٥.
(٥) الكشاف ٤/ ٩ بنحوه.
(٦) عند تفسير الآية (١٨٢) منها.
(٧) الكشاف ٤/ ٩.

وأبو رجاء، وأبو جعفر، والأعمش. وباقي السبعة بالنون[١]. وعبد الله، والحسن، والأعمش أيضاً: «يُقالُ» مبنيًّا للمفعول[٢].

وانتصاب «يومَ» بـ «ظَلَّام»، أو بـ «اذكُرْ» مضمَرةً، أو بـ «أنذِرْ» كذلك.

قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن ينتصب بـ «نُفِخَ» كأنَّه قيل: ونُفِخَ في الصُّورِ يومَ نقولُ. وعلى هذا يُشار بذلك إلى «يومَ نقول»[٤]. انتهى. وهذا بعيدٌ جِدًّا، قد فصَلَ على هذا القول بينَ العامل والمعمول بجملٍ كثيرةٍ، فلا يُناسِبُ هذا القولُ فصاحةَ القرآن وبلاغتَه.

و«هَلِ امتلأتِ» تقريرٌ وتوقيفٌ لا سؤال استفهام حقيقةً؛ لأنَّه تعالى عالِمٌ بأحوال جهنَّم. قيل: وهذا السؤال والجواب منها حقيقةً. وقيل: هو على حذف مضاف، أي: نقولُ لخزنةِ جهنَّم. قاله الرُّمَّاني. وقيل: السؤال والجواب من باب التصوير الذي يُثبت المعنى، أي: حالُها حالُ مَنْ لو نطقَ بالجواب لسائله لقال كذا. وهذا القول يُظهر أنَّها إذ ذاك لم تكن ملأى؛ فقولها: «هل من مزيد» سؤالٌ ورغبةٌ في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها. وقال الحسن وعمرو وواصل: كانت ملأى وقتَ السؤال، فلا يُزاد على امتلائها. وقولها: «هَلْ من مزيد» معناه النفي، أي: ما من مزيد؛ لامتلائها، كما جاء في الحديث: «وهل تركَ لنا عقيلٌ من دار»[٥]؟ أي: ما تركه.

و«مَزيد» يحتمل أن يكون مصدراً أو اسمَ مفعول[٦].

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مكاناً غيرَ بعيد، وهو تأكيدٌ لـ «أُزلِفَت» وقع مجاز القُرب بالوعد

---

(١) ينظر السبعة ص٦٠٧، والتيسير ص٢٠٢. والمشهور عن أبي جعفر بالنون كقراءة باقي السبعة. ينظر النشر ٢/ ٣٧٦.

(٢) المحتسب ٢/ ٢٨٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٥.

(٣) في الكشاف ٤/ ٩، وما قبله منه.

(٤) تحرفت في (يه) إلى: القيامة.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٨٢)، ومسلم (١٣٥١)، وأحمد (٢١٧٥٢) من حديث أسامة بن زيد ﷺ. وانظر المحرر الوجيز ٥/ ١٦٥، والكشاف ٤/ ٩-١٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٩-٢٣٠. وقوله: وقولها: هل من مزيد... إلى: لامتلائها؛ ليس في المطبوع.

(٦) الكشاف ٤/ ١٠.

والإخبار[١]، فانتصابُ «غيرَ» على الظرف صفةٌ قامت مقامَ «مكان» فأُعرِبَتْ بإعرابه.

وأجاز الزمخشريُّ أن ينتصب «غيرَ بعيد» على الحال من ﴿الجنة﴾. قال: وتذكيرُه يعني: «بعيد»؛ لأنَّه على زِنة المصدر، كالزَّئير والصَّليل، والمصادرُ يستوي في الوصف بها المذكَّرُ والمؤنَّث[٢]. انتهى. وكونُه على وزن المصدر لا يُسَوِّغ أن يكون المذكَّرُ صفةً للمؤنَّث.

وقال الزمخشريُّ أيضاً: أو على حذف الموصوف، أي: شيئاً غيرَ بعيد. انتهى. وكأنَّه يعني إزْلافاً غيرَ بعيد[٣].

﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ للثواب.

وقرأ الجمهور: «ما توعدون» خطابٌ للمؤمنين. وابنُ كثير وأبو عمرو بياء الغيبة[٤]، أي: هذا القول هو الذي وقعَ الوعدُ به. وهي جملة اعتراضية بين المُبدَلِ منه والبدل، و«لكلِّ أوَّابٍ» هو البدل من «للمتقين»[٥].

«مَنْ خَشِيَ» بدلٌ بعد بدلٍ تابع لـ «كُلِّ» قاله الزمخشري[٦]، وإنَّما جعلَه تابعاً لـ «كلِّ» لا بدلاً من «للمتقين»؛ لأنَّه لا تتكرَّرُ الأبدالُ من مُبدَلٍ منه واحدٍ، قال: ويجوز أن يكون بدلاً عن موصوفِ «أوَّاب» و«حفيظ». انتهى. يريد أن يكون التقدير: لكلِّ شخصٍ أوَّابٌ وحفيظٌ. ولا يجوز أن يكون في حكم «أوَّاب» و«حفيظ»؛ لأنَّ «مَنْ» لا يُوصَفُ به، ولا يُوصَفُ مِنْ بين سائر الموصولات إلا بـ «الذي». انتهى. يعني بقوله: في حُكم «أوَّاب» أن يُجعَلَ «مَنْ» صفةً، وهذا

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦ بنحوه.
(٢) الكشاف ٤/ ١٠.
(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ١٧٦.
(٤) تعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٣١ بقوله: إنما هي عن ابن كثير وحده. وهو كما قال. ينظر التيسير ص٢٠٢، والنشر ٢/ ٣٧٦.
(٥) هكذا وجَّه إعرابها الزمخشري في الكشاف ٨/ ١٠، وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٣١ وجهاً آخر فقال: والثاني: أن تكون منصوبةً بقولٍ مضمَر، ذلك القولُ منصوبٌ على الحال، أي: مقولاً لهم.
(٦) في الكشاف ٨/ ١٠.

حكمٌ صحيح. وأمَّا قوله: ولا يُوصَفُ من بين الموصولات إلَّا بـ «الذي» فالحصرُ فيه ليس بصحيح، قد وصفَتِ العربُ بما فيه «أل» وهو موصولٌ نحو: القائم والمضروب، ووصفت بـ «ذو» الطائية و«ذات» في المؤنَّث، ومن كلامهم: بالفضل ذو فَضَّلكم اللهُ به، والكرامةِ ذات أكرمكم اللهُ بها. يريد بالفضل الذي فضَّلكم والكرامةِ التي أكرمكم، ولا يريد الزمخشريُّ خصوصيةَ «الذي» بل فروعَه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك.

وجُوِّزَ أن تكون «مَنْ» موصولةً مبتدأً، خبرُه القول المحذوف، تقديره: يُقال لهم: ادخلوها؛ لأنَّ «مَنْ» معناه الجمع. وأن تكون شرطيةً، والجواب الفعل المحذوف، أي: فيُقال. وأن تكون مُنادًى، كقولهم: مَنْ لا يزال مُحسِناً أحسنْ إليَّ. وحذف حرف النداء [للتقريب](١). وقال ابن عطية: يحتمل أن تكون «مَنْ» نعتاً. انتهى. وهذا لا يجوز؛ لأنَّ «مَنْ» لا يُنعَتُ بها.

و«بالغيب» حالٌ من المفعول، أي: وهو غائبٌ عنه، وإنَّما أدركه بالعلم الضروريِّ؛ إذ كلُّ مصنوعٍ لا بُدَّ له من صانع. وأُجيزَ أن تكون صفةً لمصدر «خشيَ» أي: خَشْيةً ملتبِسةً بالغيب حيث خشِيَ عقابَه وهو غائبٌ، أو خَشْيةً بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه. وقيل: في الخلوة حيث لا يراه أحد، فيكون حالاً من الفاعل(٢). وقرن بالخشية «الرحمنَ» ثناءً على الخاشي، حيث عَلِمَ أنَّه واسعُ الرحمة، وهو مع ذلك يخشاه.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ﴾ أي: سالمين من العذاب، أو مُسَلَّماً عليكم من الله وملائكته.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ أي: يوم تقدير الخلود، كقوله: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] أي: مُقدَّرين الخلود، وهو معادلٌ لقوله في الكفار: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: ما تعلَّقت به مشيئاتُهم من أنواع الملاذِّ والكرامات، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ [فصلت: ٣١].

﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ زيادةٌ، أو شيءٌ مَزِيدٌ على ما تشاؤون، ونحوُه: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ

---

(١) ما بين حاصرتين من الكشاف ٤/ ١٠ والكلام منه ومن المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦.
(٢) الكشاف ٤/ ١٠.

﴿مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧]، وكما جاء في الحديث: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذنٌ سمِعَتْ، ولا خطَرَ على قلب بشر، بَلْهَ ما أُطلِعْتُم عليه»(١).

و«مَزيد» مبهم، فقيل: مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها. وقيل: أزواج من حور الجنة(٢). وقيل: تجَلِّي الله تعالى لهم حتى يَرَونه(٣).

❀ ❀ ❀

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ أي: كثيراً أهلَكْنا قبلهم، أي: قبل قريش «هم أشدُّ منهم بَطْشاً» لكثرة قوَّتهم وأموالهم(٤).

وقرأ الجمهور: «فنَقَّبوا» بفتح القاف مشدَّدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤)، وأحمد (١٠٠١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ. و«بَلْهَ» بمعنى «سوى». وقيل غير ذلك. ينظر فتح الباري ٨/ ٥١٦، وعمدة القاري ١٩/ ١١٤. والكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦.

(٢) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٥٤، وذكر الأول عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً. وأخرجه ـ ضمن حديث طويل ـ أحمد (١١٧١٥)، والطبري في تفسيره ٢١/ ٤٥٧، وابن حبان (٧٣٩٧) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم العُتْواري، عن أبي سعيد، به. ورواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢١ عن عليٍّ وأنس ﷺ مرفوعاً.

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٧.

والظاهر أنَّ الضمير في «فنقَّبوا» عائدٌ على «كم»[1] أي: دخلوا البلادَ من أنقابها، والمعنى: طَوَّفوا في البلاد[2].

وقيل: نقَّروا وبحثوا، والتَّنقيب: التَّنقير والبحث[3]. قال امرؤ القيس في معنى التَّطواف:

وقد نَقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى رَضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ[4]

ورُوِيَ: وقد طَوَّفْتُ[5]. وقال الحارث بن حِلِّزة:

نقَّبوا في البلاد من حَذَرِ المو تِ وجَالوا في الأرضِ كلَّ مجالِ[6]

و«فنقَّبوا» متسبِّبٌ عن شدَّة بطشهم، فهي التي أقدرَتْهم على التنقيب وقَوَّتْهم عليه.

ويجوز أن يعود الضمير في «فنقَّبوا» على قريش، أي: فنقَّبوا في أسفارهم في بلاد القرون، فهل رأوا مَحيصاً حتى يؤمِّلوه لأنفسهم[7].

ويدلُّ على عَوْدِ الضمير على أهل مكة قراءةُ ابن عباس، وابن يَعْمَر، وأبي العالية، ونصر بن سيَّار، وأبي حَيْوة، والأصمعي عن أبي عمرو بكسر القافِ مشدَّدة[8] على الأمر لأهل مكة، أي: فَسيحوا في البلاد وابحثوا.

---

(١) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٧.

(٣) الكشاف ٤/ ١١.

(٤) ديوان امرئ القيس ص٩٩.

(٥) كما في الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٢٤٩، وبهجة المجالس ١/ ٢٢٧، والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٠٠.

(٦) البيت في الكشاف ٤/ ١١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٥٨.

(٧) الكشاف ٤/ ١١.

(٨) أي: «فنقِّبوا»، وهي في المحتسب ٢/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٧ دون ذكرها عن أبي حيوة وأبي عمرو، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور. والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١١.

وقرأ ابن عباس - أيضاً - وعُبيد عن أبي عمرو: بفتح القاف مخفَّفة، وهي كالمشدَّدة[(١)].

وقُرئ بكسر القاف خفيفةً[(٢)]، أي: نَقِبَتْ أقدامُهم وأخفافُ إبلِهم أو حَفيت لكثرة تطوافهم في البلاد، من نَقِبَ خُفُّ البعير: إذا انتقبَ ودَمِيَ.

ويحتمل أن يكون «هَلْ مِنْ محيص» على إضمار القول، أي: يقولون: هَلْ مِن محيصٍ من الهلاك[(٣)]. واحتمل أن لا يكون ثَمَّ قولٌ، أي: لا مَحيص من الموت، فيكون توقيفاً وتقريراً[(٤)].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في إهلاك تلك القرون ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرةً واتِّعاظاً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: واعٍ، والمعنى: لمَن له عَقْلٌ. وعبَّر عنه بمحلِّه. ومَنْ له قلبٌ لا يَعي كمن لا قلبَ له[(٥)].

وقرأ الجمهور: «أو ألقى السَّمْعَ» مبنيًّا للفاعل، و«السَّمعَ» نُصِبَ به، أي: أو أصغى سمْعَه لهذه الأشياء الواعظة، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر الذهن متفطِّنٌ لما أصغى إليه سمعه، مُفكِّراً فيه، و«شهيد» من الشهادة: وهو الحضور. وقال قتادة: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ﴾ قيل: من أهل الكتاب، فيعتبر ويشهد بصِحَّتها؛ لعِلْمِه بذلك من التوراة، فـ«شهيد» من الشهادة[(٦)].

وقرأ السُّلمي، وطلحة، والسُّدِّي، وأبو البَرَهْسَم: «أو أُلقيَ» مبنيًّا للمفعول

(١) أي: «فنَقَبوا»، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٧. وقال ابن مجاهد في السبعة ص٦٠٧: روى القُطعي عن عبيد عن أبي عمرو: «فنَقَبوا» خفيفة القاف، وروى غيره عن أبي عمرو: «فنَقَّبوا» مشدَّدة. وهذه القراءة عن ابن عباس وأبي عمرو ليست في المطبوع.

(٢) أي: «فنَقِبوا»، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٤ عن أبي العالية ويحيى بن يعمر، وانظر الكشاف ٤/ ١١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٨، والكشاف ٤/ ١١ بنحوه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٧.

(٦) الكلام بنحوه من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٢، وتفسير الطبري ٢١/ ٤٦٣-٤٦٤، والكشاف ٤/ ١١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٨.

«السَّمعُ» رُفِعَ به[١]، أي: السَّمعُ منه، أي: من الذي له قلب[٢]. وقيل: المعنى: أو لمن ألقى غيرُه السَّمعَ وفتَح له أُذنَه ولم يُحضِرْ ذِهْنَه، أي: الملقي والفاتح، والملقى له والمفتوح أذنَه حاضر الذهن متفطن[٣].

وذُكِرَ لعاصم أنَّها قراءة السُّدِّي فمقَتَه وقال: أليسَ يقول: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾؟[٤] [الشعراء: ٢٢٣].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ نزلت في اليهود تكذيباً لهم في قولهم: إنَّه تعالى استراح من خلق السماوات والأرض في ستة أيام يومَ السبت، واستلقى على العرش[٥]. وقيل: التشبيه الذي وقع في هذه الأمة إنَّما أُخِذَ من اليهود[٦].

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ احتمل أن تكون جملة حالية، واحتمل أن تكون استئنافاً. واللُّغوب: الإعياء[٧].

وقرأ الجمهور بضمِّ اللام. وعليٌّ، والسُّلميُّ، وطلحة، ويعقوب: بفتحها[٨].

وهما مصدران؛ الأول مَقيسٌ وهو الضمُّ، وأما الفتح فغير مَقيسٍ، كالقَبول والوَلوع، وينبغي أن يُضاف إلى تلك الخمسة التي ذكرها سيبويه[٩]، وزاد الكسائي: الوَزوع[١٠]، فتصير سبعة.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٤٤-١٤٥ عن السدي وأبي البرهسم، والمحتسب ٢/ ٢٨٥ عن السدي وحده.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٨.
(٣) الكشاف ٤/ ١١ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٨.
(٥) أسباب النزول للواحدي ص٤٢٠-٤٢١، والكشاف ٤/ ١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٨. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٩، والطبري ٢١/ ٤٦٦ عن قتادة.
(٦) الكشاف ٤/ ١٢.
(٧) الصحاح (لغب)، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٩.
(٨) القراءات الشاذة ص١٤٥ عن علي والسلمي، والمحتسب ٢/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٨ عن السلمي وطلحة. والمشهور عن يعقوب كقراءة الجمهور.
(٩) وهي: الوَضوء، والوَقود، والقَبول، والوَلوع، والطَّهور، انظر الكتاب ٤/ ٤٢.
(١٠) نقلها عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ١٩٩، وهي بمعنى: الوَلوع.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ قيل: منسوخٌ بآية السيف ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود وغيرهم من الكفار؛ قريش وغيرهم[١].

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: فصَلِّ ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ هي صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ هي صلاة العصر. قاله قتادة وابن زيد والجمهور[٢]. وقال ابن عباس: ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾: الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ صلاة العشاءَين[٣]. وقيل: قبلَ الغروب: ركعتان قبل المغرب[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن أنس ما معناه أنَّ الصحابة كانوا يُصلُّونها قبل المغرب[٥].

وقال قتادة: ما أدركتُ أحداً يُصلِّيها إلَّا أنساً وأبا بَرْزَةَ الأسلمي[٦].

وقال بعض التابعين[٧]: كان الصحابةُ يهبُّون إليهما كما يهبُّون إلى المكتوبة.

وقال ابن زيد: هي العشاء فقط[٨]. وقال مجاهد: هي صلاة الليل[٩].

﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال أبو الأحوص: هو التسبيح في أدبار الصلوات[١٠].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٨. وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٢٠، والكشاف ٤/ ١٢، وزاد المسير ٨/ ٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٨، وأخرجه عن قتادة وابن زيد الطبري ٢١/ ٤٦٧-٤٦٨.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٨.

(٥) لفظه في صحيح مسلم (٨٣٧): عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنَّا بالمدينة، فإذا أذَّن المؤذِّن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فيركعون ركعتين ركعتين، حتى إن الرجل الغريب ليَدخلُ المسجد فيحسب أن الصلاة قد صُلِّيَتْ، من كثرة من يصلِّيهما. وذكره بنحو لفظ المصنف الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٥٧، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٩٨٢).

(٦) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.

(٧) هو رَغْبان مولى حبيب بن مسلمة فيما أخرجه البيهقي في السنن ٢/ ٤٧٦، وفيما ذكره المروزي في مختصر قيام الليل ص٣١، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٥٧. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٨.

(٩) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٦، والنكت والعيون ٥/ ٣٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٨. وأخرجه الطبري ٢١/ ٤٦٨.

(١٠) النكت والعيون ٥/ ٣٥٧.

وقال عمر وعليّ وأبو هريرة والحسن والشَّعبي وإبراهيم ومجاهد والأوزاعي: هما ركعتان بعد المغرب[١].

وقال ابن عباس: هو الوتر بعد العشاء[٢]. وقال ابن عباس ومجاهد ـ أيضاً ـ وابن زيد: النوافل بعد الفرائض[٣].

وقال مقاتل: ركعتان بعد العشاء، يقرأ في الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾.

وقرأ ابن عباس، وأبو جعفر، وشيبة، وعيسى، والأعمش، وطلحة، وشِبْل، وحمزة، والحِرْميَّان: «وإدبار» بكسر الهمزة[٤]، وهو مصدر، تقول: أدبَرتِ الصلاةُ: انقضَتْ وتمَّتْ. وقال الزمخشري[٥] وغيره: معناه: ووقتَ انقضاء السجود، كقولهم: آتيكَ خفوقَ النَّجم.

وقرأ الحسن، والأعرج، وباقي السبعة بفتحها، جمع دُبُر، كطُنُب وأطناب، أي: وفي أدبار السجود، أي: أعقابه. قال أوس بن حجر:

على دُبُرِ الشَّهرِ الحرام فأرْضُنا وما حولَها جَدْبٌ سنونَ تَلَمَّعُ[٦]

و«استَمِعْ» أمرٌ بالاستماع، والظاهر أنَّه أُريدَ به حقيقةُ الاستماع، والمُستَمعُ له محذوف، تقديرُه: واستمِعْ لما أُخبرَ به من حال يوم القيامة، وفي ذلك تهويلٌ

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٣٩) عن الشعبي، و(٨٨٤٠) عن إبراهيم النخعي، و(٨٨٤٢) عن الحسن، و(٨٨٤٤) و(٨٨٤٥) عن علي ﷺ، و(٨٨٤٦) عن عمر ﷺ، و(٨٨٤٧) عن أبي هريرة ﷺ.
وأخرجه الطبري ٢١/ ٤٦٩-٤٧٣ عنهم دون ذكر عمر.
(٢) الكشاف ٤/ ١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩، وهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٧، والنكت والعيون ٥/ ٣٥٧ عن ابن زيد وحده. وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ٤٧٣.
(٤) قراءة حمزة والحرميَّين نافع وابن كثير في السبعة ص٦٠٧، والتيسير ص٢٠٢. وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٧٦، وهي قراءة خلف ـ أيضاً ـ وهو من العشرة.
(٥) في الكشاف ٤/ ١٢، وما قبله منه.
(٦) لم أجده في ديوان أوس بن حجر، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.

وتعظيمٌ لشأن المخبَرِ به، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «يا معاذ، اسمَعْ ما أقولُ لك»[١] ثم حدَّثه بعد ذلك.

وانتصب «يومَ» بما دلَّ عليه «ذلك يومُ الخروج» أي: يومَ يُنادي المنادي يخرجون من القبور[٢]. وقيل: مفعول «استَمِعْ» محذوف، تقديره: نداءَ المنادي[٣]. وقيل: تقديره: نداءَ الكافر بالويل والثُّبور[٤]. وقيل: لا يحتاج إلى مفعول؛ إذ حذف اقتصاراً، والمعنى: كُنْ مستمِعاً ولا تكن غافلاً مُعْرِضاً[٥].

وقيل: معنى «واستَمِع»: وانتظِرْ، والخطاب لكلِّ سامع. وقيل: للرسول. أي: ارتَقِبْه، فإنَّ فيه تبيُّنَ صحَّةِ ما قلتُه، كما تقول لمن تَعِدُه بورود فتح: استمِعْ كذا وكذا، أي: كُنْ منتظراً له مستمعاً، فـ«يومَ» منتصبٌ على أنَّه مفعول به[٦].

وقرأ ابن كثير: «المنادي» بالياء وصلاً ووقفاً. ونافع وأبو عمرو بحذف الياء وقفاً. وعيسى، وطلحة، والأعمش، وباقي السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً؛ اتِّباعاً لخطِّ المصحف، ومَنْ أثْبتَها فعلى الأصل، ومن حذفَها وقفاً فلأنَّ الوقفَ محلُّ تغييرٍ يُبدَلُ فيه من التنوين ألفاً نصباً، والتاءُ هاءً، ويُشدَّد المُخفَّفُ، ويُحذَفُ الحرفُ في القوافي[٧].

والمنادي في الحديث: «إنَّ مَلَكاً يُنادي من السماء: أيَّتُها الأجسامُ الهامدة، والعظامُ البالية، والرِّمَمُ الذاهبة، هلُمُّوا إلى الحشرِ والوقوفِ بين يدَي الله تعالى»[٨].

---

(١) هكذا ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٢ والكلام منه، وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٥٩: لم أجده. قلت: ووجدت حديثاً مماثلاً أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣١٣٤) إلا أن فيه: «يا سواد» بدل «يا معاذ».

(٢) الكشاف ٤/ ١٢.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ١٨٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٦٤.

(٥) تفسير الرازي ٢٨/ ١٨٧.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩ بنحوه.

(٧) ينظر السبعة ص٦٠٧، والتيسير ص١٦٣، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٢١٤-٢١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.

(٨) هكذا أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩، ولم أجده. وأخرج نحوه ابن عساكر في

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وصفه بالقُرب مِن حيث يسمع جميعُ الخلق[(١)].

قيل: والمنادي: إسرافيل، ينفخ في الصور وينادي. وقيل: المنادي: جبريل[(٢)].

وقال كعب وقتادة وغيرهما: المكان صخرة بيت المقدس. قال كعب: قُرْبُها من السماء بثمانيةَ عشر ميلاً. كذا في كتاب ابن عطية[(٣)]، وفي كتاب الزمخشري: باثني عشرَ ميلاً، وهي وسط الأرض. انتهى. ولا يصحُّ ذلك إلَّا بوحي.

«يومَ يسمعون» بدل من «يومَ يُنادي»[(٤)].

و«الصَّيحةَ»: صيحة المنادي[(٥)]. قيل: يسمعون من تحت أقدامهم. وقيل: من تحت شعورهم، وهي النفخة الثانية[(٦)]. و«بالحق» متعلِّقٌ بـ «الصيحة» والمرادُ به البعث والحشر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور[(٧)]. وقيل: الإشارة بـ «ذلك» إلى النداء، واتُّسِعَ في الظرف، فجُعِلَ خبراً عن المصدر. أو يكون على حذف، أي: ذلك النداءُ نداءُ يومِ الخروج، أو وقت النداء يوم الخروج.

وقرأ نافع وابن عامر: «تَشَّقَّقُ» بشدِّ الشين. وباقي السبعة بتخفيفها[(٨)].

وقُرئ: «تُشْقَقُ» بضم التاء مضارع «شُقِقَتْ» على البناء للمفعول. و«تَنْشَقُّ» مضارع «انشَقَّتْ»[(٩)].

= تاريخ دمشق ٦٥/ ١٣٦ عن يزيد بن جابر. وعزاه ـ أيضاً ـ السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٠ للواسطي في كتاب فضائل بيت المقدس.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩.
(٢) الكشاف ٤/ ١٢.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.
(٤) الكشاف ٤/ ١٢.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.
(٦) الكشاف ٤/ ١٢، وما بعده منه.
(٧) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٥٨، والنكت والعيون ٥/ ٣٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.
(٨) السبعة ص٦٠٧، والتيسير ص١٦٣.
(٩) الكشاف ٤/ ١٢.

وقرأ زيد بن علي: «تَتَشَقَّقُ» بفك الإدغام، ذكره أبو عليّ الأهوازي في مقرأة زيد بن عليّ من تأليفه. و«يومَ» بدل من «يوم» الثاني[١]. وقيل: منصوب بالمصدر وهو «الخروج» وقيل: «المصير»[٢].

وانتصب «سِراعاً» على الحال من الضمير في «عنهم» والعامل «تشقَّقُ»[٣]. وقيل: محذوف، تقديره: يخرجون، فهو حالٌ من الواو في يخرجون. قاله الحَوْفي. ويجوز أن يكون هذا المُقدَّرُ عاملاً في «يومَ تشقَّقُ».

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فصلَ بين الموصوف وصفتِه بمعمولِ الصِّفة وهو «علينا» أي: يسيرٌ علينا، وحسُنَ ذلك لأجل كونِ الصِّفةِ فاصلةً.

وقال الزمخشري: «علينا يسير» تقديم الظرف يدلُّ على الاختصاص، يعني: لا يتيسَّر مثلُ ذلك الأمر العظيم إلَّا على القادر الذات الذي لا يشغَلُه شأنٌ عن شأن، كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٤] [لقمان: ٢٨]. انتهى. وهو على طريقه في أنَّ تقديم المفعول وما أشبَهه من دلالة ذلك على الاختصاص، وقد بحَثْنا معه في ذلك في سورة الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا وعيدٌ مَحْضٌ للكفار وتهديدٌ لهم، وتسليةٌ للرسول ﷺ[٥].

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: بمتسلِّطٍ حتى تُجبرَهم على الإيمان. قاله الطبري[٦]. وقيل: أُريد التحلُّمُ عنهم، وتركُ الغِلْظة عليهم[٧].

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ لأنَّ من لا يخاف الوعيد ـ لكونه غيرَ مُصدِّقٍ

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٣. وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٣٧ بقوله: وفيه نظر من حيث تعدُّد البدلِ، والمُبْدَلُ عنه واحد.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٤.
(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.
(٤) الكشاف ٤/ ١٢.
(٥) الكلام من الكشاف ٤/ ١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.
(٦) في تفسيره ٢١/ ٤٧٧-٤٧٨، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.
(٧) الكشاف ٤/ ١٢، وما بعده منه بنحوه.

بوقوعه ـ لا يذَّكَّر؛ إذ لا تنفع فيه الذكرى، كما قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وخُتِمَتْ بقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ كما افتتحت بـ ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ﴾[1].

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ١٩٢.

مفردات سورة الذَّاريات

الحُبُك: الطرائقُ مثلُ حُبُكِ الرَّملِ والماءِ القائمِ إذا ضربَتْه الرِّيح، وكذلك حُبُك الشَّعر: آثارُ تثنِّيه وتكسُّرِه، قال الشاعر:

مُكَلَّلٍ بأصولِ النَّجمِ تَنْسِجُهُ ريحٌ خَريقٌ لضاحي مائهِ حُبُكُ[1]

والدِّرع محبوكةٌ؛ لأنَّ حَلَقَها مُطرَّقٌ طرائقَ، وواحدها حَبِيكة، كطَريقة وطُرُق، أو حِباك كمِثال ومُثُل[2]، قال الراجز:

كأنَّما جَلَّلَها الحُوَّاكُ طِنْفِسةً في وَشْيِها حِبَاكُ[3]

ويُقال حِباك للظَّفيرة التي يُشَدُّ بها حِظار[4] القَصَب ونحوه، وهي مستطيلة تُصنع في ترجيب[5] الغراسات المصطفَّة.

وقال ابن الأعرابي: حَبَكْتُ الشيءَ: أحكمتُه وأحسنتُ عملَه[6]. قال الفرَّاء:

---

(١) قائله زهير، وهو في شرح ديوانه ص١٧٦. قال شارحه: قال الأصمعي: النجم: النبت الذي يقال له: الثِّيل. وقال غيره: الماء مُكلَّلٌ بالنجم، وهو كل شيء من النبات ليس له ساق ينبت حول الماء كالإكليل. ويقال: نَجَمَ البقلُ: إذا طلع. ريح خريق؛ يقال: هبَّت الشَّمال خريقاً: إذا هبَّتْ هبوباً شديداً. لِضاحي مائِه: ما ضحا للشمس من الماء، ضَحِيَ يضحى ضَحًى، وضَحَى يضحى: برز للشمس.

(٢) إلى هنا من الكشاف ٤/ ١٤.

(٣) البيت في تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٦، والنكت والعيون ٥/ ٣٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وما بعده منه. والطِّنْفِسة: النُّمروقة فوق الرحل، أو البساط الذي له خمل. معجم متن اللغة ٣/ ٦٣٧.

(٤) الحِظار: حائط الحظيرة، يكون من قصب وخشب. معجم متن اللغة ٢/ ١١٧.

(٥) من الرُّجْبة: وهي ما يُدعمُ به النخل. المعجم الوسيط (رجب).

(٦) الصحاح (حبك).

الحَبْكُ: تكسُّر كلِّ شيء[١]. وقال غيره: المَحْبوك: الشديدُ الخَلْق من فرسٍ وغيره[٢]. قال امرؤ القيس:

قَدْ غدا يحمِلُني في أنفِهِ لاحِقُ الإطْلَينِ مَحبوكٌ مُمَرْ[٣]

الهُجوع: النَّوم[٤].

السِّمَن معروف: وهو امتلاءُ الجسد بالشَّحم واللحم؛ يقال: سَمِن سِمَناً، فهو سَمين؛ شَذُّوا في المصدر واسم الفاعل، والقياس: سَمَنٌ وسَمِنٌ، وقالوا: سامِنٌ إذا حدَثَ له السِّمَن.

الذَّنوب: الدَّلو العظيمة[٥]. قال الراجز:

إنَّا إذا نازَلَنا غريبُ
لهُ ذَنوبٌ ولَنا ذَنوبُ
وإنْ أبيتُمْ فلنا القَليبُ[٦]

وأنشده الزمخشري[٧]:

لَنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ

ويُطلَقُ ويُراد به الحَظُّ والنَّصيب. قال علقمة بن عَبْدة:

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٢.
(٢) الصحاح (حبك).
(٣) ديوان امرئ القيس ص١٤٦، وهو في وصف الغيث. قال شارحه: يحملني في أنفه، أي: في أول هذه المطرة. لاحِقُ الإطْلَين: يعني فرساً ضامر الكشحين. والمحبوك: المُدْمَج الخلْق، الشديد. والمُمَر نحوه في المعنى.
(٤) الصحاح (هجع). وقيَّده بالنوم ليلاً الراغبُ الأصبهاني في المفردات ص٨٣٤، والواحديُّ في الوسيط ٤/ ١٧٥.
(٥) تهذيب اللغة ١٤/ ٤٣٩.
(٦) لم أقف على قائل هذا الرجز، وهو في معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٠، وتفسير الطبري ٢١/ ٥٥٧، واللسان (ذنب)، وعندهم: ولكم ذَنوبُ، بدل: ولنا ذَنوبُ.
(٧) في الكشاف ٤/ ٢١.

وفي كلِّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بنعمةٍ فَحُقَّ لِشَأسٍ مِنْ نَداكَ ذَنوبُ

ونسبه الزمخشري لعمرو بن شأس، وهو وهم، وهو في ديوان علقمة(١).

وكان الحارث بن أبي شَمِر الغسَّاني أسرَ شأساً أخا علقمة، فرحل إليه علقمة ومدحه بالقصيدة التي فيها هذا البيت، فلمَّا وصل إلى هذا البيت في الإنشاد قال الحارث: نَعَمْ وأذْنِبَة(٢). وقال حسان:

لا يَبْعَدَنَّ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ وسقى الغواديَ قبرَهُ بذَنوبِ(٣)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ والمَنايا طارقاتٌ لكلِّ بني أبٍ منها ذَنوبُ(٤)

* * *

سورة الذاريات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ
عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ
۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي

(١) ديوان علقمة الفحل ص٤٨.

(٢) ينظر الشعر والشعراء ١/ ٢٢١-٢٢٢، والكامل للمبرد ١/ ٢٥١-٢٥٢.

(٣) هكذا نُسب البيت لحسان في الكامل للمبرد ٣/ ١٣٥٨، والدرة الفاخرة ١/ ١٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٣. ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ٢٣١ لمكرز بن حفص بن الأحنف الكناني. ونُسب في شرح ديوان الحماسة ص٩٠٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٤٠٩-٤١٠ لحفص بن الأحنف. ونُسب في معجم الشعراء ص٣٦، وجمهرة أنساب العرب للكلبي ص٣٠ لعمرو بن شقيق بن سلامان. وذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني ١٦/ ٥٥ بأنه نُسب لضرار بن الخطاب الفِهري، ونقل عن ابن سلَّام أن الصحيح هو لعمرو بن شقيق.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ٩٢.

جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

هذه السورة مكية، ومناسبتُها لآخرِ ما قبلَها أنَّه قال: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وقال أول هذه بعد القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾﴾[(١)].

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾: الرِّياح ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾: السَّحاب ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ﴾: الفُلْك ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ﴾: الملائكة. هذا تفسير عليٍّ كرَّم الله وجهه على المنبر وقد سأله ابنُ الكوَّاء[(٢)]. وقاله ابن عباس[(٣)].

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾: هي السُّفُن المُوقَرة بالناسِ وأمتاعِهم. وقيل: الحوامل من جميع الحيوان. وقيل: الجاريات: السحاب بالرياح، وقيل: الجواري من الكواكب[(٤)].

وأدغمَ أبو عمرو وحمزة «والذَّاريات» في ذال «ذَرْواً»، وذَرْوُها: تفريقُها للمطر أو للتراب[(٥)].

وقُرِئ: «وَقْراً» بفتح الواو، تسميةً للمحمول بالمصدر[(٦)].

ومعنى «يُسْراً»: جَرْياً ذا يُسْرٍ، أي: سهولةً، فـ «يُسراً» مصدر وُصِفَ به على

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ١٩٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤١، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٣٨، والطبري في تفسيره ٢١/ ٤٨١-٤٨٤، والفريابي كما في تغليق التعليق ٤/ ٣١٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٦-٤٦٧، والضياء المقدسي في المختارة (٦٧٨)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
ابن الكوَّاء: هو عبد الله؛ قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٥٤٩: له أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويُعْنِيه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علي.

(٣) أخرجه عنه ـ مقطعاً ومختصراً ـ الطبري ٢١/ ٤٨١ و٤٨٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٧١.

(٥) الكشاف ٤/ ١٣ بنحوه. وينظر السبعة ص١٢١-١٢٢، والتيسير ص٢٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٣.

تقدير محذوف، فهو على رأي سيبويه في موضع الحال[١].

﴿أَمْرًا﴾ تقسم الأمورَ من الأمطارِ والأرزاقِ وغيرِها، فـ «أَمْراً» مفعول به. وقيل: مصدر منصوب على الحال، أي: مأمورةً، ومفعول «المُقَسِّمات» محذوف[٢].

وقال مجاهد: تتولَّى أمرَ العباد؛ جبريل للغِلْظة، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ.

وجاء في الملائكة «فالمُقَسِّمات» على معنى الجماعات[٣]. وقال الزمخشري: ويجوز أن يُراد الرياح لا غير؛ لأنَّها تُنشئ السحابَ وتُقِلُّه وتُصرِّفُه، وتجري في الجوِّ جَرْياً سهلاً، وتقسم الأمطار بتصريف السَّحاب[٤]. انتهى.

فإذا كان المدلولُ متغايراً فتكون أقساماً متعاقبةً، وإذا كان غيرَ متغايرٍ فهو قسمٌ واحدٌ، وهو من عطف الصِّفات، أي[٥]: ذرَتْ أولَ هُبوبِها الترابَ والحَصْباء، فأَقَلَّتِ السحاب، فجَرَتْ في الجوِّ باسطةً للسحاب، فقسمَتِ المطر، فهذا كقوله:

يا لَهْفَ زَيَّابَةَ للحارثِ الصـ ـصابحِ فالغانمِ فالآيبِ[٦]

أي: الذي صبَّحَ العدوَّ فغَنِمَ منهم فآبَ إلى قومه سالماً غانماً.

والجملة المُقسَمُ عليها وهي جواب القسم هي «إنَّما توعدون» و«ما» موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي: توعدونه. ويحتمل أن تكون مصدرية، أي: إنَّه وعْدُكم أو وعيدُكم، إذ يحتمل «توعدون» الأمرين؛ أن يكون مضارع «وعد»، ومضارع «أوعَدَ»، ويناسب أن يكون مضارع «أوعَدَ»؛ لقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ولأنَّ المقصودَ التخويفُ والتهويل، ومعنى صِدْقِه: تحقُّقُ وقوعِه، والمتَّصفُ بالصدق حقيقةً هو المُخْبَر، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ

---

(١) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧١. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٥، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٣ بنحوه، وقول مجاهد الآتي منه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٧١.

(٤) الكشاف ٤/ ١٣-١٤.

(٥) من هنا إلى قوله: فقسمت المطر، من الكشاف أيضاً.

(٦) البيت لابن زيَّابة التميمي، وسلف عند تفسير الآية (٣) من سورة الصافات.

مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] أي: مَصْدوقٌ فيه[(١)].

وقيل: «لصادق»، وُضِعَ اسمُ الفاعل موضعَ المصدر[(٢)]. ولا حاجة إلى هذا التقدير.

وقال مجاهد: الأظهر أنَّ الآية في الكفار، وأنَّه وعيدٌ مَحْض[(٣)].

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ أي: الجزاء[(٤)] ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي: صادرٌ حقيقةً على المكلَّفين من الإنس والجن.

والظاهر في «السماء» أنَّه جنسٌ أُريد به جميعُ السماوات. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي السماء السابعة[(٥)]. وقيل: السَّحاب الذي يُظِلُّ الأرض[(٦)].

﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ أي: ذات الخَلْق المستوي الجيد. قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والربيع[(٧)]. وقال الحسن وسعيد بن جُبير: «ذاتِ الحُبُك» أي: الزينة بالنجوم[(٨)]. وقال الضحَّاك: ذات الطرائق[(٩)] يعني من المجرَّة التي في السماء.

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٨/ ١٩٦-١٩٧.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٦٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢.

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٣، والكشاف ٤/ ١٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وزاد المسير ٨/ ٢٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وقول ابن عمرو أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٢، والطبري ٢١/ ٤٨٩-٤٩٠، وأبو الشيخ في العظمة (٥٦٥)، والحاكم ٤/ ٤٩٠ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٦٢.

(٧) أخرجها عنهم الطبري ٢١/ ٤٨٦-٤٨٩، وهي في تفسير القرطبي ١٩/ ٤٧١، وذكرها الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٦٠ دون قول مجاهد، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٩ عن ابن عباس وقتادة.

(٨) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وزاد المسير ٨/ ٢٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٧١.

(٩) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٨٩، وهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٠، وزاد المسير ٨/ ٢٩، وذكره القرطبي في تفسيره ١٩/ ٤٧١، وذكر ما بعده ١٩/ ٤٧٣ على أنه قول آخر.

وقال ابن زيد: ذات الشدَّة؛ لقوله: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾[١] [النبأ: ١٢]. وقيل: ذات الصَّفاقة[٢].

وقرأ الجمهور: «الحُبُك» بضمَّتين. وابنُ عباس، والحسن بخلافٍ عنه، وأبو مالك الغفاري، وأبو حَيْوة، وابن أبي عبلة، وأبو السمَّال، ونعيم عن أبي عمرو بإسكان الباء[٣]. وعكرمة بفتحها[٤]، جمع حُبْكة، مثل: طُرْفة وطُرَف. وأبو مالك الغفاري، والحسن بخلافٍ عنه بكسر الحاء والباء[٥]. وأبو مالك الغفاري، والحسن أيضاً، وأبو حَيْوة بكسر الحاء وإسكان الباء[٦]، وهو تخفيفُ فِعِلٍ المكسورِ هنا، وهو اسمٌ مفرد لا جمع؛ لأنَّ فِعِلاً ليس من أبنية الجموع، فينبغي أن يُعَدَّ مع: إبِل فيما جاء من الأسماء على «فِعِل» بكسر الفاء والعين. وابنُ عباس أيضاً، وأبو مالك بفتحهما[٧]. قال أبو الفضل الرازي: فهو جمع «حَبَكة» مثل: عَقَبة وعَقَب. انتهى. والحسن أيضاً: «الحِبَك» بكسر الحاء وفتح الباء[٨]. وقرأ أيضاً كالجمهور، فصارت قراءاتُه خمساً «الحُبُك» «الحُبْك» «الحِبِك» «الحِبْك» «الحِبَك». وقرأ أبو مالك أيضاً: «الحِبُك» بكسر الحاء وضمِّ الباء، وذكرها ابن عطية[٩] عن الحسن، فتصيرُ له ستُّ قراءات.

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٨٩، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٧٢.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ٤٧٢ عن خصيف.
(٣) أي: «الحُبْك»، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٥، والمحتسب ٢/ ٢٨٦ عن الحسن، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢ عن الحسن وأبي مالك وأبي حيوة وأبي السمال، وزاد المسير ٨/ ٢٨ عن ابن عباس وابن أبي عبلة. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٤) أي: «الحُبَك»، وهي في المحتسب ٢/ ٢٨٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.
(٥) أي: «الحِبِك»، وهي في المحتسب ٢/ ٢٨٦ عن الحسن، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢ عنهما.
(٦) أي: «الحِبْك»، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢ عن الحسن، والمحتسب ٢/ ٢٨٦ عن الحسن وأبي مالك، وزاد المسير ٨/ ٢٨ عن أبي حيوة.
(٧) أي: «الحَبَك»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢ عن ابن عباس. وذكرها ابن خالويه في الشاذة ص١٤٥، وابن جني في المحتسب ٢/ ٢٨٦ عن الحسن أيضاً.
(٨) وقع في القراءات الشاذة ص١٤٥ عن الحسن: «الحَبِك».
(٩) في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، وذكرها - أيضاً - ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٨٦.

وقال صاحب «اللوامح»: وهو عديم النَّظير في العربية في أبنيتها وأوزانها، ولا أدري ما وراءَه. انتهى.

وقال ابن عطية: هي قراءة شاذَّة غيرُ متوجِّهةٍ، وكأنَّه أراد كسْرَها، ثم توهَّم «الحُبُك» قراءة الضمِّ بعد أن كسر الحاء فضمَّ الباء، وهذا على تداخل اللُّغات، وليس في كلام العرب هذا البناء. انتهى. وعلى هذا تأوَّلَ النُّحاةُ هذه القراءة، والأحسَنُ عندي أن تكون ممَّا أتبعَ فيه حركة الحاء لحركة «ذاتِ» في الكسرة، ولم يعتدَّ باللام الساكنة؛ لأنَّ الساكنَ حاجزٌ غيرُ حصين.

وجواب القسم «إنَّكم لفي قولٍ مختلف»، والظاهر أنَّه خطابٌ عامٌّ للمسلم والكافر، كما أنَّ جواب القسم السابق يشملُهما. واختلافهم كونُهم مؤمناً بالرسولِ ﷺ وكتابِه وكافراً[(١)].

وقال ابن زيد: خِطابٌ للكفَرة فيقولون: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون[(٢)]. وقال الضحَّاك: قَولُ الكفَرة لا يكون مستوياً، إنَّما يكون متناقضاً مختلفاً[(٣)]. وقيل: اختلافهم في الحشر منهم مَنْ ينفيه ومنهم من يشكُّ فيه[(٤)]. وقيل: اختلافهم: إقرارهم بأنَّ الله تعالى أوجدَهم، وعبادتُهم غيرَه، والأقوال التي يقولونها في آلهتهم[(٥)].

﴿يُؤْفَكُ﴾ أي: يُصرَفُ عنه، أي: عن القرآن والرسول. قاله الحسن وقتادة[(٦)].

﴿مَنْ أُفِكَ﴾ أي: مَنْ صُرِفَ الصَّرْفَ الذي لا صَرْفَ أشدُّ منه وأعظمُ، كقوله: «لا يَهْلِكُ على الله إلَّا هالِك»[(٧)]. وقيل: مَنْ صُرِفَ في سابق عِلْمِ اللهِ تعالى أنَّه مأفوكٌ عن الحقِّ لا يَرْعَوي.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣، وأخرجه بنحوه الطبري ٢١/ ٤٩٠.
(٣) الكشاف ٤/ ١٤.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ١٩٧.
(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٦٣.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣، وأخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٤٩١ بنحوه.
(٧) أخرجه مسلم (١٣١) (٢٠٨)، وأحمد (٢٥١٩) من حديث ابن عباس ﵄. والكلام من الكشاف ٤/ ١٤.

وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون الضميرُ لـ «ما توعدون» أو لـ «الدِّين» أقسم بالسماء على أنَّهم في قولٍ مختلَفٍ في وقوعه، فمنهم شاكٌّ، ومنهم جاحد. ثمَّ قال: يُؤفَكُ عن الإقرار بأمر القيامة مَنْ هو المأفوك.

وقيل: المأفوك عنه محذوف، و«عن» هنا للسبب، والضمير عائدٌ على «قولٍ مُخْتَلِف» أي: يُصْرَفُ بسببه مَنْ أراد الإسلام بأنْ يقول: هو سحر، هو كهانة. حكاه الزهراوي[1] والزمخشري[2] وأورده على عادته في إبداء ما هو مَحْكيٌّ عن غيره أنَّه مخترِعُه[3].

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يعود على «قولٍ مختلف» والمعنى: يُصرَفُ عنه بتوفيق الله إلى الإسلام مَن غلبَتْ سعادتُه، وهذا على أن يكون «في قولٍ مختلف» للكفار، إلَّا أنَّ عُرْفَ الاستعمال في «أُفِكَ» الصَّرْفُ من خيرٍ إلى شرٍّ؛ فلذلك لا تجده إلَّا في المذمومين[4]. انتهى، وفيه بعض تلخيص.

وقرأ ابن جُبير وقتادة: «من أَفَك» مبنيًّا للفاعل، أي: مَنْ أفَكَ الناسَ عنه، وهم قريش[5].

وقرأ زيد بن علي: «يأفِكُ عنه مَنْ أَفَك» أي: يَصرفُ الناسَ عنه من هو مأفوكٌ في نفسه. وعنه أيضاً: «يأفِكُ عنه مَنْ أفَّكَ» أي: يَصرِفُ الناسَ عنه مَنْ هو أفَّاكٌ كذَّاب. وقُرِئ: «يُؤْفَنُ عنه مَنْ أُفِنَ» بالنون فيهما، أي: يُحْرَمُه مَنْ حُرِمَ، من أَفَنَ الضَّرعَ: إذا نَهِكَه حَلْباً[6].

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم، وهم أصحاب القول المختلف، فكذَّبوا الرسول ﷺ.

وقُرِئ: «الخرَّاصين»[7] أي: قتلَ اللهُ الخرَّاصين وهم المُقدِّرون ما لا يصحُّ.

(١) فيما نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.
(٢) في الكشاف ٤/ ١٤.
(٣) وهو قول النحاس في إعراب القرآن له ٤/ ٢٣٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.
(٥) الكشاف ٤/ ١٤، والقراءة في الشاذة ص١٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٣ عن قتادة وحده.
(٦) الكشاف ٤/ ١٤-١٥، وزاد المسير ٨/ ٣٠، وتفسير الرازي ٢٨/ ١٩٩.
(٧) من قوله: دعاء عليهم... إلى هنا، ليس في المطبوع.

﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في جهلٍ يَغْمُرُهم ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون عمَّا أُمِروا به.

﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى وقتُ الجزاء؟ سؤالُ تكذيبٍ واستهزاء.

وتقدَّمت قراءة من كسر الهمزة[1] في قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

و«أيَّان يومُ» ظرفان، والظرف لا يقع في الظرف، فهو على حذف، أي: أيَّان وقوعُ يومِ الدِّين[2]، فيكون الظرفُ محلًّا للمصدر.

وانتصبَ «يومَ هم» بمُضمَرٍ تقديره: هو كائن، أي: الجزاء. قاله الزجَّاج[3]. وجوَّزوا أن يكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو يومُهم، والفتحةُ فتحةُ بناءٍ؛ لإضافته إلى غير مُتمكِّنٍ وهي الجملة الاسمية، ويؤيِّده قراءةُ ابنِ أبي عبلة والزعفراني: «يومُ هم» بالرفع[4].

وإذا كان ظرفاً جاز أن تكون الحركةُ فيه حركةَ إعرابٍ وحركةَ بناءٍ، وتقدَّم الكلامُ على إضافة الظرف المستقبل إلى الجملة الاسمية في «غافر» في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ [الآية: ١٦].

وقال بعض النُّحاة: «يومَ هم» بدل من «يومُ الدين»[5] فيكون هنا حكايةً من كلامهم على المعنى، ويقولون ذلك على سبيل الاستهزاء، ولو حكى لفظَ قولهم لكان التركيب: يوم نحن على النار نُفتَن[6].

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا[7].

---

(١) وهي قراءة السلمي والأعمش كما في القراءات الشاذة ص١٤٥، وإعراب القرآن ٤/ ٢٣٧، والمحتسب ٢/ ٢٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.

(٢) من قوله: ظرفان... إلى هنا، ليس في المطبوع. وانظر الكشاف ٤/ ١٥.

(٣) في معاني القرآن له ٥/ ٥٢، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.

(٤) القراءات الشاذة ص١٤٥ عن ابن أبي عبلة وحده. والكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ١٥. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٧، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.

(٦) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: يفتنون، والتصويب من الدر المصون ١٠/ ٤٣، وروح المعاني ٢٦/ ١٨.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٤.

﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ مبتدأ وخبر. وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن يكون «هذا» بدلاً من «فتنتكم» أي: ذوقوا هذا العذاب. انتهى. وفيه بُعْدٌ، والاستقلال خيرٌ من البدل.

ومعنى «تُفتَنون»: تُعذَّبون في النار. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والناس[٢]. واستعجالهم: قولُهم: «أيَّان يومُ الدِّين».

ولمَّا ذكر حالَ الكفار ذكر حالَ المؤمنين.

وانتصب «آخذينَ» على الحال، أي: قابِليه راضينَ به، وذلك في الجنة. وقال ابن عباس: «آخِذين» أي: في دنياهم «ما آتاهم ربُّهم» من أوامرِه ونواهيه وشرعِه، فالحال محكيَّةٌ؛ لتقدُّمها في الزمان على كونهم في الجنة[٣].

والظاهر أنَّ «قليلاً» ظرفٌ، وهو في الأصل صفة، أي: كانوا في قليلٍ من الليل، وجُوِّزَ أن يكون نعتاً لمصدرٍ محذوف، أي: كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً، و«ما» زائدة في كلا الإعرابين[٤].

وفسَّر أنس بن مالك ذلك فقال: كانوا يتنفَّلون بين المغرب والعشاء[٥]. ولا يدلُّ لفظ الآية على الاقتصار على هذا التفسير.

وقال الربيع بن خُثَيم[٦]: كانوا يُصيبون من الليل حظًّا.

وقال مُطرِّف بن عبد الله ومجاهد وابن أبي نَجيح: قَلَّ ليلةٌ أَتَتْ عليهم هجوعاً كلُّها[٧].

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٥، وما قبله منه.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ٢١/ ٤٩٥-٤٩٧، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣، وما بعده منه.

(٣) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٧٤، والكشاف ٤/ ١٥.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥ بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٣، وأبو داود (١٣٢٣)، والطبري ٢١/ ٥٠١-٥٠٢، وابن أبي الدنيا في التهجد (٣٠٦)، والحاكم ٢/ ٤٦٧. وهو وما بعده من المحرر الوجيز/ ١٧٤.

(٦) هكذا في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٤، ونقله عنه المصنف، والصواب فيه: الربيع بن أنس، وقوله أخرجه الطبري ٢١/ ٥٠٣.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٣٦٠)، والطبري ٢١/ ٥٠٢، وابن أبي الدنيا في التهجد (٣٠٥) عن مطرف بن عبد الله.

=

وقال الحسن: كابدوا قيامَ الليل لا ينامون منه إلَّا قليلاً[١]. وقال الضحَّاك: كانوا قليلاً، أي: في عددهم[٢]، وتمَّ خبرُ «كان»، ثمَّ ابتدأ «من الليل ما يَهْجَعون»، فـ «ما» نافية، و«قليلاً» وقفٌ حسن[٣].

وهذا القول فيه تفكيكٌ للكلام وتقدُّمُ معمولِ العامل المنفيِّ بـ «ما» على عامله، وذلك لا يجوز عند البصريين ولو كان ظرفاً أو مجروراً، وقد أجاز ذلك بعضُهم وجاء في الشعر قولُه:

إذا هي قامَتْ حاسراً مُشْمَعِلَّةً نَخيبَ الفؤادِ رأسَها ما تُقَنِّعُ[٤]

فقدَّم «رأسَها» على «ما تَقَنَّعُ» وهو منفيٌّ بـ «ما».

وجَوَّزوا أن تكون «ما» مصدرية في موضع رفع بـ «قليلاً» أي: كانوا قليلاً هجوعُهم[٥]. وهو إعرابٌ سهلٌ حسن.

وأن تكون «ما» موصولةً بمعنى «الذي»، والعائد محذوفٌ تقديره: كانوا قليلاً من الليل من الوقت الذي يهجعون فيه[٦]. وفيه تكلُّف.

﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ يدلُّ على أنَّهم مشتغلون بالعبادة في أوقات الراحات وسكون الأنفس من مشاقِّ النهار.

= وأخرجه ابن أبي شيبة (٦٣٦٤) و(٣٦٦٠٤)، والطبري ٢١/ ٥٠٤ عن مجاهد.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٦٣٦٨)، والطبري ٢١/ ٥٠٤ عن ابن أبي نجيح.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٣٥٦)، والطبري ٢١/ ٥٠٤.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٣٦١) و(٦٣٦٦)، والطبري ٢١/ ٥٠٧، وابن أبي الدنيا في التهجد (٣٠٨).
(٣) زاد المسير ٨/ ٣١ بنحوه. وردَّ هذا المعنى ابنُ الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٠٦.
(٤) البيت للأعرج المعنيِّ كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٥٠. قوله: «مشمَعِلَّةً» أي: جادَّةً في العدو. والبيت ورد في مقارنة امرأة بفرس للشاعر، والمعنى: ما تُساوي هذه المرأةُ الفرس إذا هي قامت بلا قناع، جادَّةً في العَدْو، منخوبةَ القلب، طائرةَ اللُّبِّ، لا خمار عليها ولا قناع.. إلخ.
والأعرج المعنيُّ: اسمه عدي بن عمرو بن سويد بن ريان، وقيل: اسمه سويد بن عدي، وهو مخضرم. معجم الشعراء للمرزباني ص٨٥.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٩، والكشاف ٤/ ١٥-١٦، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٣.
(٦) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٢، والكشاف ٤/ ١٦.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ فيه ظهورٌ على أنَّ تهجُّدَهم يتَّصل بالأسحار، فيأخذون في الاستغفار ممَّا يمكن أن يقع فيه تقصير، وكأنَّهم أجرموا في تلك الليالي، والأسحار مظنَّة الاستغفار.

وقال ابن عمر والضحَّاك: «يستغفرون»: يصلُّون[١]. وقال الحسن: يدعون في طلب المغفرة.

والظاهر أنَّ قيامَ الليل وهذا الحقَّ الذي في المال هو من المَنْدوبات، وأكثر ما تقع زيادة الثواب بفعل المندوب. وقال منذر بن سعيد: هذا الحقُّ هو الزكاة المفروضة. وضُعِّفَ بأنَّ السورة مكية، وفرض الزكاة بالمدينة. وقيل: كان فرضاً ثم نُسِخَ. وضُعِّفَ بأنَّه تعالى لم يُشَرِّع بمكة قبل الهجرة شيئاً من أخذ الأموال[٢].

والسَّائل: الذي يَستعطي[٣]. والمَحْروم لغةً: الممنوعُ من الشيء[٤]. قال علقمة:

ومُطْعَمُ الغُنْمِ يومَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ أنَّى توجَّهَ والمَحْرومُ مَحْرومُ[٥]

وأمَّا في الآية فالذي يُحسَبُ غنيًّا فيُحْرَم الصدقةَ لتعفُّفِه[٦]. وقيل: الذي تبعُدُ منه مُمْكنات الرِّزق بعد قُربها منه فينالُه الحِرْمان. وقال ابن عباس: المُحارَف[٧] الذي ليس له في الإسلام سهمُ مال. وقال زيد بن أسلم: هو الذي أُجيحَتْ ثمرته[٨].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٥، وابن أبي شيبة (٣٥٧٧٨)، والطبري ٢١/ ٥٠٩-٥١٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥.
(٣) الكشاف ٤/ ١٦.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٧-٢٣٨.
(٥) ديوان علقمة الفحل ص٦٦.
(٦) الكشاف ٤/ ١٦.
(٧) في (د٣): المجانف، وفي باقي النسخ والمطبوع: المحارب. والمثبت من المصادر، فقد أخرج قوله عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٤، وأبو عبيد في الأموال (١٧٥٦) و(١٧٥٧)، وابن أبي شيبة (٣٣٩٠٤) و(٣٣٩٠٥)، والطبري ٢١/ ٥١١-٥١٤. وفسَّره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥ فقال: هو ذو الحرفة المحدود.
(٨) أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٧. وهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥. وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٢٧.

وقيل: الذي ماتَتْ ماشيتُه[١]. وقال عمر بن عبد العزيز: هو الكلب[٢]. وقيل: الذي لا يَنْمى له مال[٣]. وقيل: المُحارَف الذي لا يكاد يكسِب[٤]. وقيل غير ذلك، وكلُّ هذه الأقوال على سبيل التمثيل لا التعيين، ويجمعها أنَّه الذي لا مال له لحرمانٍ أصابه[٥].

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ تدلُّ على الصانعِ وقدرتِه وتدبيرِه من حيثُ هي كالبساط لِما فوقَها، وفيها الفِجاج للسُّلَّاك، وهي مُتجزِّئةٌ من سَهْلٍ ووَعْرٍ وبحرٍ وَبرٍّ وقِطعٍ متجاوراتٍ من صلبةٍ ورخوةٍ ومُنبِتةٍ وسبخةٍ، وتلقحُ بأنواع النبات، وفيها العيونُ والمعادن والدوابُّ المنبثَّةُ في بحرها وبَرِّها المختلفةُ الأشكال[٦].

وقرأ قتادة: «آية» على الإفراد[٧].

﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ وهم الذين نظروا النَّظرَ الصحيحَ، وأدَّاهم ذلك إلى إيقانِ ما جاءَتْ به الرسلُ، فأيقنوا لم يدخُلْهم رَيبٌ.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في حالِ ابتدائها وانتقالها من حالٍ إلى حال، وما أُودعَ في شكل الإنسان من لطائف الحواسّ، وما ترتَّب على العقل الذي أُوتيه من بدائع العلوم وغريب الصنائع، وغير ذلك ممَّا لا ينحصر[٨].

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال الضحَّاك ومجاهد وابن جُبير: المطر والثلج؛ لأنَّه سبب الأقوات، وكلُّ عين دائمة من الثلج[٩]. وقال مجاهد أيضاً وواصل الأحدب: أراد

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥.
(٢) الناسخ والمنسوخ ٣/ ٢٨، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤١٢.
(٣) هو قول عكرمة فيما أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٧، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ٢٨، والجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٤١٢، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٥١٦.
(٤) الكشاف ٤/ ٥١٦.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥.
(٦) الكشاف ٤/ ٥١٦ بنحوه.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥.
(٨) الكلام من الكشاف ٤/ ٥١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٥ بنحوه.
(٩) أخرج أقوالهم الطبري ٢١/ ٥٢٠-٥٢١، وقول الضحاك أخرجه - أيضاً - أبو الشيخ في العظمة (٧٤٦). والكلام من الكشاف ٤/ ١٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٦.

القضاء والقدر، أي: الرزقُ عند الله يأتي به كيف شاء[١].

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الجنة، أو هي النار، أو أمرُ الساعة، أو من خير وشر، أو من ثواب وعقاب. أقوالٌ المرادُ بها التمثيل لا التعيين[٢].

وقرأ ابن مُحَيصن: «أرزاقُكم» على الجمع[٣].

والضمير في «إنَّه» عائدٌ على القرآن، أو إلى الدِّين الذي في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾، أو إلى اليوم المذكور في قوله: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، أو إلى الرزق، أو إلى الله، أو إلى النبيِّ ﷺ. أقوالٌ منقولة[٤].

والذي يظهر أنَّه عائدٌ على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدَّم في هذه السورة؛ من صِدْقِ الموعود، ووقوعِ الجزاء، وكونِهم في قول مختلف، وقَتْلِ الخرَّاصين، وكينونةِ المتقين في الجنة على ما وصف، وذكرِ أوصافهم وما ذكر بعد ذلك؛ ولذلك شبَّه في الحقيقة بما يصدر من نطق الإنسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والحسن، وابن أبي إسحاق، والأعمش بخلاف عن ثلاثتهم: «مِثْلُ» بالرفع صفةً لقوله: «لَحَقٌّ»[٥]. وباقي السبعة والجمهور بالنصب.

وقيل: هي فتحةُ بناءٍ، وهو نعتٌ كحاله في قراءة مَنْ رفع، ولمَّا أُضيف إلى غير متمكِّن بُنيَ، و«ما» على هذا الإعراب زائدة للتوكيد، والإضافة هي إلى «أنَّكم تنطقون»[٦]. وقال المازني: بُني «مِثْلَ» لأنَّه رُكِّبَ مع «ما» فصار شيئاً واحداً[٧]، ومثله: وَيْحَما، وَهَيَّما، وابْنَما، قال حميد بن ثور:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٦، وقول واصل أخرجه بنحوه الطبري ٢١/ ٥٢١-٥٢٢.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤٠-٢٤١، وتفسير الطبري ٢١/ ٥٢٢-٥٢٣، والنكت والعيون ٥/ ٣٦٨، والكشاف ٤/ ١٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٦.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٥.
(٤) تنظر في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤، والكشاف ٤/ ١٧، وتفسير الرازي ٢٨/ ٢٠٩-٢١٠.
(٥) قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر في السبعة ص٦٠٩، والتيسير ص٢٠٣. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٦.
(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٧.
(٧) الحجة لأبي علي ٦/ ٢١٨، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٧.

ألا هَيَّما مِمَّا لَقِيتُ وهَيَّما ... ووَيْحاً لِمَنْ لم يَدْرِ ما هُنَّ[1] وَيْحَما

قال: فلولا البناءُ لكان مُنوَّناً. وقال الشاعر:

فأكرِمْ بنا أمَّا وأكرِمْ بنا ابْنَما

انتهى هذا التخريج.

و«ابنَما» ليس ابناً بُنِيَ مع «ما»، بل هذا من باب زيادة الميم فيه، وإتباعِ ما قبلَ الآخِرِ للآخِرِ؛ إذ جُعِلَ في الميم الإعراب، تقول: هذا ابنُمٌ، ورأيتُ ابنَماً، ومرَرْتُ بابنِمٍ، وليست «ما» في البيت[2] في «ابنما» مركَّبةً مع «ما» كما قال، بل الفتحةُ في «ابنَما» حركةُ إعراب، وهو منصوبٌ على التمييز.

وأنشدَ النَّحْويُّون في بناء الاسم مع الحرف قولَ الراجز:

أثَوْرَ ما أصِيدُكُمْ أم ثَوْرَيْنْ

أم هذه[3] الجَمَّاءَ ذاتَ القَرْنَيْنْ

وقيل: هو نعتٌ لمصدر محذوف تقديره: إنَّه لحَقٌّ حقًّا مثلَ ما أنَّكم، فحركتُه حركةُ إعراب[4].

وقيل: انتصب على أنَّه حالٌ من الضميرِ المُستكِنِّ في «لَحَقٌّ»[5].

وقيل: حال من «لَحَقٌّ» وإن كان نكرةً، فقد أجاز ذلك الجَرْميُّ[6] وسيبويه في مواضع من «كتابه»[7].

والنُّطقُ هنا: عبارةٌ عن الكلام بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني، ويقول الناس: هذا حقٌّ كما أنَّكَ هاهنا، وهذا حقٌّ كما أنَّكَ ترى وتسمع، وهذا كما في

---

(١) في المطبوع: يلقَ منهنَّ. والبيت في ديوان حميد بن ثور ص٧.
(٢) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ والمطبوع: الثلاث.
(٣) في المطبوع، والحجة لأبي علي ٦/ ٢٢٠، والخصائص ٢/ ١٨٠، واللسان (ثور): تيكم.
(٤) هو قول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٨٥، والزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٥٤.
(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٧.
(٦) نقله عنه أبو علي في الحجة ٦/ ٢٢١، ومكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٧.
(٧) ينظر الكتاب ٢/ ١١٢-١١٣.

الآية، و«ما» زائدة بنصّ الخليل[(١)]، ولا يُحفَظُ حذفُها فتقول: هذا حقٌّ كأنَّكَ هاهنا، والكوفيون يجعلون «مِثْلاً» مُحلًّى فينصبونه على الظرف، ويُجيزون: زيدٌ مِثْلَك، بالنصب، فعلى مذهبهم يجوز أن يكون «مِثلَ» هنا منصوباً على الظرف، واستدلالُهم والردُّ عليهم مذكورٌ في النَّحو، ومن كلام بعض الأعراب: مَنْ ذا الذي أغضبَ الجليلَ حتى حلف؛ لم يُصدِّقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين.

❁ ❁ ❁

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ
﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾
وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ
إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ
قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تقريرٌ لتجتمع نفسُ المُخاطَب، كما تبدأ المرءَ إذا أردتَ أن تُحدِّثَه بعجيبٍ فتقرِّرَه هل سمعَ ذلك أم لا؟ فكأنَّكَ تقتضي أن يقول: لا، ويستطعمك الحديثَ[(٢)].

وفيه تفخيمٌ للحديث، وتنبيهٌ على أنَّه ليس من عِلْم رسول الله ﷺ، وإنَّما عرفه بالوحي.

و«ضَيْف» الواحد والجماعة فيه سواء[(٣)].

(١) ينظر الكتاب ٣/ ١٤٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧.
(٣) الكشاف ٤/ ١٧.

وبدأ بقصة إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام وإن كانت متأخِّرةً عن قصة عاد؛ هزًّا للعرب؛ إذ كان أباهم الأعلى، ولكون الرُّسُل الذين وفدوا عليه جاؤوا بإهلاك قوم لوطٍ إذ كذَّبوه، ففيه وعيدٌ للعرب وتهديدٌ واتّعاظٌ، وتسليةٌ للرسول ﷺ على ما يجري عليه من قومه[1].

ووصفهم بالمُكْرَمين؛ لكرامتهم عند الله تعالى، كقوله تعالى في الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] قاله الحسن. فهي صفةٌ سابقةٌ فيهم، أو لإكرام إبراهيم إيَّاهم؛ إذ خدَمَهم بنفسه وزوجتُه سارة، وعجَّل لهم القِرى. وقيل: لكونه رفَعَ مجالِسَهم، فهي صفةٌ حادثة[2].

وقرأ عكرمة: «المُكَرَّمين» بالتشديد[3].

وأطلق عليهم «ضيف»؛ لكونهم في صورة الضيف، حيثُ أضافَهم إبراهيم. أو لحسبانه لذلك[4]. وتقدَّم ذِكرُ عدَدِهم في سورة هود[5].

و«إذْ» معمولةٌ لـ «المُكرمين» إذا كانت صفةً حادثةً بفعل إبراهيم، وإلَّا فبما في «ضيف» من معنى الفعل، أو بإضمار «اذكُرْ». وهذه أقوالٌ منقولة[6].

وقرأ الجمهور: «فقالوا سلاماً» بالنصب على المصدرِ السادِّ مسدَّ فِعْلِه المستغنى به عنه، «قال سلامٌ» بالرفع، وهو مبتدأٌ محذوفُ الخبر، تقديره: عليكم سلام، قصدَ أن يُجيبَهم بأَحْسَنَ ممَّا حيَّوه؛ أخذاً بأدب الله تعالى، إذ «سلاماً» دعاء[7].

وجُوِّز أن يكون خبرَ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: أمرُه سلامٌ، و«سلامٌ» جملة خبرية قد تحصَّل مضمونُها ووقع. وقال ابن عطية[8]: ويتَّجه أن يعمل في «سلاماً» «قالوا»

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٨/ ٢١٠.
(٢) الكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧، والكشاف ٤/ ١٧.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٥.
(٤) الكشاف ٤/ ١٧.
(٥) عند تفسير الآية (٦٩) منها.
(٦) الكشاف ٤/ ١٧، وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٥٠ وجهاً رابعاً بأن العامل في «إذ» قوله: «حديث»، أي: هل أتاك حديثُهم الواقعُ في وقت دخولهم عليه.
(٧) الكشاف ٤/ ١٧.
(٨) في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧، وما قبله منه بنحوه.

على أن يجعل «سلاماً» في معنى «قولاً»، ويكون المعنى حينئذٍ: إنَّهم قالوا تحيةً وقولاً معناه سلاماً. وهذا قول مجاهد.

وقرأ ابن وَثَّاب، والنَّخَعيُّ، وابن جُبير، وطلحة، وحمزة، والكسائي: «قال سِلْمٌ» بكسر السين وإسكان اللام(١)، والمعنى: نحنُ سِلْمٌ، أو أنتم سِلْمٌ.

وقُرئا مرفوعين، وقُرئ: «سلاماً قالوا سِلْماً» بنصبهما، وكسر سين الثاني وسكون لامه(٢).

﴿قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ قال أبو العالية: أنكرَ سلامَهم في تلك الأرض وذلك الزمان(٣). وقيل: لا نُميِّزُهم ولا عهدَ لنا بهم(٤). وقيل: كان هذا سؤالاً لهم، كأنَّه قال: أنتم قومٌ مُنكَرون فعرِّفوني من أنتم(٥).

و«قومٌ» خبر مبتدإٍ محذوف قَدَّروه: أنتم(٦).

والذي يناسب حالَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنَّه لا يُخاطِبُهم بذلك؛ إذ فيه من عدم الأُنس ما لا يخفى، بل يظهر أنَّه يكون التقدير: هؤلاء قومٌ مُنكَرون، وقال ذلك مع نفسه أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: مضى أثناء حديثه مُخفياً مُضِيَّه مستعجلاً ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ﴾ ومن أدب المُضيف أن يُخفي أمرَه، وأن يُبادر بالقِرى من غير أن يَشْعُرَ به الضيف؛ حَذَراً من أن يمنعه أن يجيء بالضيافة(٧).

وكونه عَطَفَ «فجاء» على «فراغ» يدلُّ على سرعة مجيئه بالقِرى، وأنَّه كان مُعَدًّا

(١) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٦٠٨، والتيسير ص٢٠٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧.
(٢) القراءاتان في الكشاف ٤/ ١٧ دون نسبة.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٧، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٢، وزاد المسير ٨/ ٣٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧.
(٥) الكشاف ٤/ ١٧-١٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧.
(٧) الكشاف ٤/ ١٨.

عنده لمن يَرِدُ عليه. وقال في سورة هود [الآية: ٦٩]: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ وهذا يدلُّ أيضاً على أنَّه كان العجل سابقاً شَيُّهُ قبل مجيئهم.

وقال قتادة: كان غالبُ مالِه البقر[١].

وفيه دليلٌ على أنَّه يُحضِرُ للضيف أكثرَ ممَّا يأكل.

وكان عليه الصلاة والسلام مضيافاً، وحسبُكَ وقفَ للضيافة أوقافاً تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها[٢].

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه أدب المُضيف من تقريب القِرى لمن يأكل، وفيه العَرْضُ على الآكل، فإنَّ في ذلك تأنيساً للآكل، بخلاف من قدَّم طعاماً ولم يَحُثَّ على أكله، فإنَّ الحاضرَ قد يتوهَّم أنَّه قدَّمه على سبيل التجمُّل عسى أن يمتنع الحاضرُ من الأكل، وهذا موجودٌ في طباع بعض الناس، حتى إنَّ بعضَهم إذا لجَّ الحاضرُ وتمادى في الأكل أخذ من أحسنِ ما أحضرَ وأجزلِه، فيُعطيه لغلامه برسم رَفْعِه لوقتٍ آخر يختصُّ هو فيه بأكله.

وقيل: الهمزة في «ألا» للإنكار، وكأنَّه ثَمَّ محذوفٌ تقديره: فامتنعوا من الأكل، فأنكر عليهم تركَ الأكل، فقال: ألا تأكلون[٣].

ورُويَ في الحديث أنَّهم قالوا: إنَّا لا نأكل إلَّا ما أدَّينا ثمنَه. فقال لهم: وإنِّي لا أُبيحه لكم إلَّا بثمن. قالوا: وما هو؟ قال: أن تُسمُّوا اللهَ عزَّ وجلَّ عند الابتداء، وتَحْمَدوه عند الفراغ من الأكل. فقال بعضهم لبعض: بحَقٍّ اتَّخذه اللهُ خليلاً[٤].

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ أي: فلمَّا استمرُّوا على الامتناع من الأكل أوجسَ منهم خيفة، وذلك أنَّ أكْلَ الضيف أَمَنَةٌ ودليلٌ على انبساط نفسِه، وللطعام حُرْمَةٌ وذِمام،

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٧، والنكت والعيون ٥/ ٣٧٠، والكشاف ٤/ ١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٧. وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٥، والكشاف ٤/ ١٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٧-١٧٨. وأخرجه أبو إسحاق الحربي في إكرام الضيف (٩٢) عن أبي موسى الأشعري ﷺ موقوفاً. وبرقم (٩٣) من قول السدي، و(٩٤) من قول عمرو بن دينار. وذكره في النكت والعيون ٥/ ٣٧٠ عن مكحول.

والامتناعُ منه وَحْشَة، فخشي إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنَّ امتناعهم من أكل طعامه إنَّما هو لشرٍّ يريدونه، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وعرَّفوه أنَّهم ملائكة[1].

وعن ابن عباس: وقع في نفسه أنَّهم ملائكة أُرسِلوا للعذاب[2].

وعِلْمُهم بما أضمرَ في نفسه من الخوف إنَّما يكون بإطلاع الله ملائِكَتَه على ما في نفسه، أو بظهور أمارته في الوجه، فاستدلُّوا بذلك على الباطن.

وعن عون[3] بن شدَّاد: مسح جبريل عليه السلام بجناحه العِجْلَ، فقام يَدْرُج حتى لحق بأمِّه.

﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: سيكون عليماً، وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء. وعن الحسن: «عَليم»: نبيّ. والجمهور على أنَّ المُبشَّرَ به هو إسحاق ابن سارة. وقال مجاهد: هو إسماعيل. وقيل: عَلِمَ أنَّهم ملائكة من حيث بشَّروه بغيب[4].

ووقعَتِ البشارةُ بعد التأنيس والجلوس، وكانت البشارةُ بذكَرٍ؛ لأنَّه أسرُّ للنفس وأبهجُ، ووَصْفُه بـ «عليم»؛ لأنَّها الصفة التي يختصُّ بها الإنسان الكامل، لا بالصورة الجميلة والقوة.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي: إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم وتسمع كلامهم. وقيل: «فأقبلَت» أي: شرعَتْ في الصِّياح. قيل: وجدت حرارةَ الدم فلطمَتْ وجهها من الحياء[5].

والصَّرَّة؛ قال ابن عباس ومجاهد والضحَّاك وسفيان: الصَّيْحَة[6]. قال الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/١٧٨.

(٢) الكشاف ٤/١٨.

(٣) تحرف في النسخ والمطبوع إلى: يحيى، وتابعه عليه الآلوسي في روح المعاني ٢٦/٣١، والتصويب من النكت والعيون ٥/ ٣٧٠، والكشاف ٤/١٨، والخبر فيهما. وأخرجه على الصواب الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٦٧.

(٤) الكلام من المحرر الوجيز ٥/١٧٨، والكشاف ٤/١٨. وقول مجاهد في النكت والعيون ٥/ ٣٧١، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٧.

(٥) الكلام من المحرر الوجيز ٥/١٧٨، والكشاف ٤/١٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/١٧٨. وأخرجه عنهم ـ دون قول سفيان ـ الطبري ٢١/ ٥٢٨-٥٢٩.

فألحَقَنا بالهادياتِ ودونَهُ جواحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ[(١)]

وقال قتادة وعكرمة: الرَّنَّة. قيل: قالت: أوَّه! بصياحٍ وتعجُّب[(٢)]. وقال ابن بحر: الجماعة، أي: من النسوة، تبادَرْنَ[(٣)] نظراً إلى الملائكة. وقال الجوهري[(٤)]: الصَّرَّة: الصَّيحة والجماعة والشِّدَّة.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾أي: لطَمْته. قاله ابن عباس[(٥)]. وذلك كما يفعله مَنْ يرِدُ عليه أمرٌ يستَهْوِلُه ويتعجَّبُ منه، وهو فعل النساء إذا تعجَّبْنَ من شيء.

وقال السُّدِّي وسفيان: ضربَتْ بكفِّها جبهتَها[(٦)]. وهذا مُستعمَلٌ في الناس حتى الآن.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾أي: أنا؛ قد اجتمع فيها أنَّها عجوزٌ، وذلك مانعٌ من الولادة، وأنَّها عقيمٌ؛ وهي التي لم تلِدْ قطُّ، فكيف ألِدُ؟! تعجَّبت من ذلك[(٧)].

﴿قَالُوا كَذَلِكِ﴾ أي: مثل القول الذي أخبرناك به ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وهو القادر على إيجاد ما يُستَبْعَد.

ورُويَ أنَّ جبريل عليه السلام قال لها: انظُري إلى سقف بيتك، فنظرَتْ، فإذا جذوعُه مُورِقةٌ مثمرة[(٨)].

﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾أي: ذو الحكمة ﴿الْعَلِيمُ﴾بالمصالح[(٩)].

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٢. قال شارحه: قوله: فألحَقَنا بالهاديات، أي: ألحقَنا الفرسُ بالمتقدمات من البقر. والجواحر: ما تخلَّف منها. والصرَّة: الجماعة. ومعنى: لم تَزَيَّل: لم تفرَّق، أي: جمع الفرس بين أواخرها وأوائلها، فلم يفُتْ منها شيء.

(٢) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٩-٥٣٠ عن قتادة، وهو كذلك في النكت والعيون ٥/ ٣٧١، وزاد المسير ٨/ ٣٧. وهو في الكشاف ٤/ ١٨ عن عكرمة.

(٣) في النسخ والمطبوع: تبادروا، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٨ والكلام منهما ومن النكت والعيون ٥/ ٣٧١.

(٤) في الصحاح (صرر).

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٩. وهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٧، والنكت والعيون ٥/ ٣٧١، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٨.

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٥٣٠.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨ بنحوه، وكذلك ما بعده. وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٥، وتفسير الطبري ٢١/ ٥٣٠.

(٨) الكشاف ٤/ ١٨.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٨.

ولمَّا علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنَّهم ملائكة، وأنَّهم لا ينزلون إلَّا بإذن الله تعالى رُسُلاً، قال: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، أي: ذَوي جرائم وهي كبار المعاصي من كفرٍ وغيره[١].

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾أي: لنُهلِكهم بها ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ وهو السِّجِّيل: طينٌ يُطبَخُ كما يُطبخ الآجرُّ حتى يُصَيَّر في صلابةٍ كالحجارة. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلَّمة، على كلِّ واحدٍ منها اسمُ صاحبه. وقيل: مُعلَّمةٌ أنَّها من حجارة العذاب. وقيل: مُعلَّمةٌ أنَّها ليست من حجارة الدنيا ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾وهم المجاوزون الحدَّ في الكفر[٢].

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾في القرية التي حلَّ العذابُ بأهلها ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾هو بيت لوطٍ عليه السلام، وهو لوط وابنتاه فقط[٣]. وقيل: ثلاثة عشر نفساً.

وقال الرُّمَّاني[٤]: الآية تدلُّ على أنَّ الإيمان هو الإسلام. وكذا قال الزمخشري[٥]، وهما معتزليَّان.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾أي: في القرية ﴿ءَايَةً﴾علامةً. قال ابن جُريج: حجراً كبيراً جدًّا منضوداً. وقيل: ماء أسود منتن.

ويجوز أن يكون «فيها» عائداً على الإهلاكة التي أُهلِكوها، فإنَّها من أعاجيب الإهلاك بجَعْلِ أعالي القرية أسافلَ، وإمطارِ الحجارة.

والظاهر أنَّ قوله: «وفي موسى» معطوف على «وتركنا فيها» أي: في قصة موسى.

وقال الزمخشري وابن عطية: يكون عطفاً على «وفي الأرض آياتٌ للموقنين» «وفي موسى». وهذا بعيدٌ جدًّا، يُنزَّه القرآنُ عن مثله. وقال الزمخشري أيضاً: أو على قوله: «وتركنا فيها آية» على معنى: وجعَلْنا في موسى آيةً، كقوله:

(١) الكشاف ٤/ ١٨.
(٢) الكلام من الكشاف ٤/ ١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٨.
(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٣٢ عن ابن عباس وأبي حسبة الأشجعي. والكلام من الكشاف ٤/ ١٩.
(٤) فيما نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٩.
(٥) في الكشاف ٤/ ١٩، والكلام الآتي منه أيضاً، ومن المحرر الوجيز ٥/ ١٧٩.

عـلَـفـتُـهـا تِـبـنـاً ومـاءً بـاردا[١]

انتهى. ولا حاجةَ إلى إضمارِ «وجعَلْنا»[٢]؛ لأنَّه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور «وترَكْنا».

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي: ازورَّ وأعرض، كما قال: ﴿وَنَـَا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت: ٥١]. وقيل: بقوَّتِه وسلطانِه[٣]. وقال ابن زيد: ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: بجُموعه[٤]. وقال قتادة: بقومه[٥].

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ظنَّ أحدهما، أو تعمَّدَ الكذب، وقد علم أنَّه رسول الله ﷺ حقًّا. وقال أبو عبيدة[٦]: «أو» بمعنى الواو، ويدلُّ على ذلك أنَّه قد قالهما، قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] وقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، واستشهد أبو عبيدة بقول جرير:

أثـعـلـبـةَ الـفـوارسَ أو ريـاحـاً عَـدَلْـتَ بـهـم طُـهَـيَّـةَ والـخِـشـابَـا[٧]

ولا ضرورةَ تدعو إلى جَعْلِ «أو» بمعنى الواو؛ إذ يكون قالَهما وأبهمَ على السامع، فـ«أو» للإبهام.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتى من المعاصي ما يُلام عليه[٨].

---

(١) قائله الشماخ، وسلف عند تفسير الآية (٧) من سورة البقرة وغيرها، وشطره الثاني: حتى شتَتْ همَّالةً عيناها.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: وتركنا.

(٣) المحرر الوجيز٥/ ١٧٩، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٢ عن ابن عباس. وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ٥٣٤ على الشك فقال: بقوته أو بقومه. والشك من الطبري.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٣٥. وهو في النكت والعيون ٥/ ٣٧٢.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٤، والطبري ٢١/ ٥٣٥، وهو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٠.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٢٢٧.

(٧) البيت في ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٢/ ٨١٤، والكتاب ١/ ١٠٢ و٣/ ١٨٣، والخزانة ١١/ ٦٩. قال البغدادي: أي: عدلت هاتين القبيلتين بهاتين القبيلتين. وضعَّف النحاس قولَ أبي عبيدة في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٠ والكلام بتمامه منه.

(٨) الكشاف ٤/ ١٩.

﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ التي لا خيرَ فيها من إنشاء مطر، أو لقاح شجر[١]. وفي الصحيح: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبور»[٢]. فقول مَنْ ذهبَ إلى أنَّها الصَّبا[٣] أو الجَنوبَ[٤] أو النَّكباء[٥]: وهي ريحٌ بين ريحين، نكَبَتْ عن سَمْتِ القبلة فسُمِّيت نكباء = ليس بصحيح؛ لمعارضته للنصِّ الثابت عن الرسول ﷺ أنَّها الدَّبور.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ هو عامٌّ مخصوصٌ، كقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي: ممَّا أراد اللهُ تدميرَه وإهلاكَه من ناسٍ أو ديارٍ أو شجرٍ أو نباتٍ؛ لأنَّها لم يُرِدِ اللهُ بها إهلاك الجبال والآكام والصخور، ولا العالَم الذي لم يكن من قوم عادٍ[٦].

﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ جملة حالية[٧].

و«الرَّميم» تقدَّم تفسيره في «يس»[٨]، وهنا قال السُّدِّي: التراب. وقتادة: الهَشيم. ومجاهد: البالي. وقطرب: الرَّماد[٩]. وابن عيسى: المُنْسَحِق الذي لا يُرَمُّ، جعل الهمزة في أرَمَّ للسَّلْب.

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/٥٦٨، والكشاف ٤/١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٠. وأخرجه الطبري ٢١/٥٣٧-٥٣٨ عن ابن عباس والضحاك. وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٨٥٨)، والحاكم ٢/ ٤٦٧ عن ابن عباس وحده.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، وأحمد (٢٠١٣) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) وهو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٥/ ٣٧٣.

(٤) وهو قول سعيد بن المسيب فيما أخرجه الطبري ٢١/٥٣٨، وأبو الشيخ في العظمة (٨٥١). وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٣ عن الحارث بن عبد الرحمن مرفوعاً.

(٥) وهو قول علي ﷺ كما في الكشاف ٤/١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٠. وأخرجه عنه الفريابي وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ١١٥.

(٦) ينظر التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٠.

(٧) تعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/٥٦ بقوله: وليس بظاهر. وأعربها جملةً في موضع المفعول الثاني لـ «تَذَر».

(٨) عند تفسير الآية (٧٨) منها.

(٩) الأقوال ذكرها الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٣، وفيه قول قتادة بالمعنى. وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢١/ ٥٤٠.

رُوِيَ أنَّ الرِّيحَ كانت تمرُّ بالناس فيهم الرجل من قوم عاد، فتَنْتَزِعُه من بينهم وتُهلِكُه.

﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال الحسن: هذا كان حين بُعِثَ إليهم صالح، أُمِروا بالإيمان بما جاء به والتمتُّع إلى أن تأتيَ آجالُهم، ثمَّ إنَّهم عتَوا بعد ذلك؛ ولذلك جاء العطفُ بالفاء المقتضية تأخُّرَ العُتُوِّ عمَّا أُمِروا به، فهو مطابقٌ لفظاً ووجوداً.

وقال الفرَّاء: هذا الأمر بالتمتُّع كان بعد عقر الناقة والحين ثلاثة أيام التي أوعدوا في تمامها بالعذاب، فالعتوُّ كان قد تقدم قبل أن يقال لهم: «تمتعوا» فكان من أمرهم أن عتَوا قبل أن قيل لهم: تمتَّعوا[١]. ولا ضرورة تدعو إلى قول الفرَّاء إذ هو غيرُ مرتَّبٍ في الوجود[٢].

وقرأ الجمهور: «الصَّاعِقَة». وعمر وعثمان ﵄، والكسائي: «الصَّعْقة»[٣] وهي الصَّيحةُ هنا. وقرأ الحسن: «الصَّاقِعَة»[٤]، وزيد بن عليّ كقراءة الكسائي.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: فجأةً وهم ينظرون بعيونهم. قاله الطبري. وكانت نهاراً. وقال مجاهد: «وهم ينظرون» ينتظرون ذلك في تلك الأيام الثلاثة التي أعلموه فيها، ورأوا علاماته في قلوبهم. وانتظارُ العذاب أشدُّ من العذاب[٥].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ كقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[٦] [الأعراف: ٧٨]. ونفيُ الاستطاعة أبلَغُ من نفي القدرة، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أبلَغُ من نفي الانتصار، أي: فما قدَروا على الهَرَب، ولا كانوا ممَّن ينتصر لنفسه فيدفع ما حَلَّ به.

---

(١) من قوله: فكان من أمرهم... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٠.
(٣) قراءة الكسائي في السبعة ص٦٠٩، والتيسير ص٢٠٣. وهي عن عمر وعليٍّ ﵄ في معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٨، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٠.
(٤) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: «الصاعقة»، والتصويب من القراءات الشاذة ص١٤٥. وينظر الدر المصون ١٠/ ٥٦، وما تقدم عند تفسير الآية (١٩) من سورة البقرة.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٠ دون قوله: وكانت نهاراً، فهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٦٨، والكشاف ٤/ ١٩. وقول الطبري في تفسيره ٢١/ ٥٤١-٥٤٢، وأخرج قول مجاهد أيضاً.
(٦) الكشاف ٤/ ١٩.

وقيل: ﴿مِن قِيَامٍ﴾ هو من قولهم: ما يقومُ به، إذا عَجَز عن دَفْعِه، فليس المعنى انتصابَ القامة. قاله قتادة[١].

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «وقومٍ» بالجرِّ[٢] عطفاً على ما تقدَّم، أي: وفي قوم نوح، وهي قراءة عبد الله[٣].

وقرأ باقي السبعة وأبو عمرو في رواية بالنصب[٤]. قيل: عطفاً على الضمير في «فأخذَتْهم». وقيل: عطفاً على «فنَبَذْناهم»؛ لأنَّ معنى كلٍّ منهما: فأهلكناهم. وقيل: منصوب بإضمار فعلٍ تقديره: وأهلكنا قومَ نوحٍ؛ لدلالة معنى الكلام عليه[٥]. وقيل: بـ «اذكُرْ» مُضْمَرة[٦].

وروى عبد الوارث ومحبوب والأصمعي عن أبي عمرو، وأبو السَّمال، وابن مِقْسَم: «وقومُ نوح» بالرفع على الابتداء، والخبر محذوف، أي: أهلكناهم[٧].

❀ ❀ ❀

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه بمعناه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٥، والطبري ٢١/ ٥٤٣. والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨١.

(٢) السبعة ص٦٠٩، والتيسير ص٢٠٣.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩، وقراءة عبد الله ذكرها ـ أيضاً ـ الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٨٨.

(٤) المشهور عن أبي عمرو قراءة الجر.

(٥) الكلام الأخير من الكشاف ٤/ ١٩، وذكر هذه الأوجه الثلاثة مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٩. وذكر الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٨٩ الوجه الأول وكرهه. وذكر الزجَّاج في معاني القرآن له ٥/ ٥٧ الوجه الثاني واستحسنه، وعلَّل ذلك بقوله: لأنَّ المعنى: فأغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل.

(٦) ذكره الفراء أيضاً في معاني القرآن له ٣/ ٨٩ وكرهه. وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٥٧ وجهين آخرين لم يذكرهما المصنف، هما: أنه منصوب عطفاً على مفعول «فأخذناه»، والآخر: أنه معطوف على محل «وفي موسى»، وهو عند العكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٥.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨١ ـ والكلام منه ـ من رواية عبد الوارث عن أبي عمرو، والمشهور عن أبي عمرو ـ كما تقدم ـ رواية الجر.

إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي: وبنَينا السماء، فهو من باب الاشتغال، وكذا: وفرشنا الأرض[1].

وقرأ أبو السمَّال، ومجاهد، وابن مِقْسَم برفع السماء، ورفع الأرض على الابتداء[2].

﴿بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوَّة. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وهو كقوله: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾[3] [ص: ١٧].

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: بناءَها، فالجملة حالية، أي: بنيناها بتوسيعها[4]، كقوله: جاء زيدٌ وإنَّه لمَسرعٌ، أي: مسرعاً، فهي بحيث إنَّ الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء كالنقطة وسط الدائرة.

وقال ابن زيد قريباً من هذا، وهو أنَّ الوُسْع راجعٌ إلى السماء[5]. وقيل: لَموسعون قوَّةً وقدرةً، أي: لقادرون، من الوُسْع وهو الطاقة[6]. وقال الحسن: أوسعَ الرِّزقَ بالمطر والماء[7]. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ أي: نحن[8].

﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال مجاهد: إشارةٌ إلى المتضادَّات والمتقابلات؛ كالليل

---

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٧.
(٢) ذكرها الفراء في معاني القرآن له ١/ ٢٤٠ و٢/ ٩٥ دون نسبة.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٨٣. وأخرجه عنهم الطبري ٢١/ ٥٤٥-٥٤٦. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٢) عن ابن عباس و(٢٥٣) عن مجاهد.
(٤) المثبت من (د٣) و(يه)، وفي (أ) و(ع): موسِّعيها، والمطبوع: موسعوها.
(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨١، وزاد المسير ٨/ ٤١.
(٦) الكشاف ٤/ ٢٠.
(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨١.
(٨) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٧، والكشاف ٤/ ٢٠، وزاد المسير ٨/ ٤١.

والنهار، والشِّقوة والسَّعادة، والهُدى والضَّلال، والسماء والأرض، والسَّواد والبياض، والصِّحة والمرض، والكفر والإيمان، ونحو ذلك، ورجَّحه الطبري بأنَّه أدَلُّ على القدرة التي توجد الضِّدَّين بخلاف ما يفعل بطبعه فعلاً واحداً كالتسخين والتبريد[١]. ومثَّلَ الحسنُ بأشياءَ مما تقدَّم وقال: كلُّ اثنين منها زوج، والله تعالى فردٌ لا مِثْلَ له[٢]. وقال ابن زيد وغيره: من كلِّ شيء، أي: من الحيوان خلقنا زوجين ذكراً وأنثى[٣].

وقيل: المراد بالشيء الجنس، وما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كلِّ جنسٍ خلقَ نوعين، من الجواهر؛ مثل النامي والجامد، ومن النامي المُدْرِك والنبات، ومن المُدْرِك الناطق والصامت، وكلُّ ذلك يدلُّ على أنَّه فردٌ لا كثرةَ فيه[٤].

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾أي: بأنِّي باني السماء، وفارشُ الأرض، وخالقُ الزَّوجين[٥]. تعالى أن يكون له زوجٌ. أو تذكَّرون أنَّه لا يُعجِزُه حشرُ الأجساد وجمعُ الأرواح[٦].

وقرأ أُبيٌّ: «تتذكَّرون» بتاءين وتخفيف الذال[٧].

وقيل: إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه[٨].

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾أمرٌ بالدخول في الإيمان وطاعة الله، وجعلَ الأمرَ بذلك بلفظ الفرار؛ ليُنبِّه على أنَّ وراء الناس عقاباً وعذاباً، وأمراً حقُّه أن يُفَرَّ منه، فجمعت لفظةُ «ففِرُّوا» بين التحذير والاستدعاء، وينظر إلى هذا المعنى قولُ النبيِّ ﷺ: «لا ملجأ ولا مَنْجا منك إلَّا إليك» قاله ابن عطية[٩]، وهو تفسير حسن.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٨١، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢١/ ٥٤٧، وترجيحه له ٢١/ ٥٤٨.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٨١. وأخرجه عنه بنحوه الطبري ٢١/ ٥٤٨.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٢٧.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٠.
(٦) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٢٧.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨١.
(٨) الكشاف ٤/ ٢٠.
(٩) في المحرر الوجيز ٥/ ١٨١، والحديث أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠)، وأحمد (١٨٥١٥) من حديث البراء بن عازب ﷺ. وأوله: «إذا أتيتَ مضجعك..».

وقال الزمخشري: إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه، ووحِّدوه ولا تشركوا به شيئاً، وكرَّرَ: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك؛ ليعلم أنَّ الإيمان لا ينفع إلَّا مع العمل، كما أنَّ العملَ لا ينفع إلَّا مع الإيمان، وأنَّه لا يفوز عند الله إلَّا الجامع بينهما، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾؟ [الأنعام: ١٥٨] والمعنى: قُلْ يا محمد: فِرُّوا إلى الله[1]. انتهى. وهو على طريق الاعتزال، وقد ردَدْنا عليه في تفسير ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] في موضعِ هذه الآية.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمرُ الأمم السابقة عند مجيء الرسل إليهم مثل الأمر من الكفار الذين بعثت إليهم وهو التكذيب.

﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ «أو» للتفصيل؛ أي: قال بعضٌ: ساحر، وقال بعضٌ: مجنون، وقال بعضٌ: كلاهما، ألا ترى إلى قوم نوح عليه الصلاة والسلام لم يقولوا عنه: إنَّه ساحر، بل قالوا: ﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨]؟ فجمعوا في الضمير، ودلَّتْ «أو» على التفصيل.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: بذلك القول، وهو توقيفٌ وتعجيبٌ من توارد نفوس الكفَرة على تكذيب الأنبياء مع افتراق أزمانهم[2].

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصَوا به؛ لأنَّهم لم يكونوا في زمانٍ واحدٍ، بل جمعَتْهم عِلَّةٌ واحدةٌ وهي كونُهم طغاة، فهم مُستَعلون في الأرض مفسدون فيها عاتون[3].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِضْ عن الذين كرَّرْتَ عليهم الدعوة فلم يُجيبوا ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ إذ قد بلَّغْتَ ونصحْتَ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ تؤثِّر فيهم وفيمن قدَّر الله أن يؤمن.

وما دلَّ عليه الظاهرُ من الموادعة منسوخٌ بآية السيف[4].

(١) الكشاف ٤/ ٢٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٢، وما بعده منه أيضاً.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٠ بنحوه، وما بعده منه أيضاً.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٢، وما بعده الآتي منه أيضاً.

وعن عليٍّ كرَّم الله وجهه: لـمَّا نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ حزن المسلمون، وظنُّوا أنَّه أمرٌ بالتولِّي عن الجميع، وأنَّ الوحي قد انقطع، نزلَتْ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فسُرُّوا بذلك[(١)].

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: وما خلقتُ الجنَّ والإنس الطائعين. قاله زيد بن أسلم وسفيان، ويؤيِّده روايةُ ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «وما خلقتُ الجنَّ والإنس من المؤمنين إلَّا ليَعبُدون»[(٢)]. وقال علي وابن عباس: «إلا ليَعْبدون»: إلَّا لآمُرَهم بعبادتي، وليُقِرُّوا لي بالعبادة. فعبَّر بقوله: «ليَعْبُدون» إذِ العبادة هي مُضمَّن الأمر، فعلى هذا الجنُّ والإنسُ عامٌّ. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: إلَّا مُعَدِّين ليعبدونِ، وكأنَّ الآيةَ تعديدُ نعَمِه، أي: خلقتُ لهم حواسَّ وعقولاً وأجساماً منقادةً نحو العبادة، كما تقول: هذا مخلوقٌ لكذا، وإن لم يصدُرْ منه الذي خُلِقَ له، كما تقول: القلم مُبْرًى لأنْ يُكتَبَ به، وهو قد يُكتَبُ به وقد لا يُكتَبُ به[(٣)].

وقال الزمخشري: إلَّا لأجل العبادة، ولم أُرِدْ من جميعهم إلَّا إيَّاها، فإن قلت: لو كان مُريداً للعبادة منهم لكانوا كلُّهم عُبَّاداً. قلت: إنَّما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مُضطَرِّين إليها؛ لأنَّه خلقَهم مُمَكَّنينَ، فاختار بعضُهم ترك العبادة مع كونه مُريداً لها، ولو أرادها على القسرِ والإلجاءِ لوُجِدَتْ من جميعهم[(٤)]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وقال مجاهد: «إلا ليعبدون»: ليعرفونِ. وقال ابن زيد: لأحملَهم في العبادة على الشقاوة والسعادة. وقال الربيع بن أنس: إلَّا للعبادة. قال: وهو ظاهر اللفظ. وقيل: إلَّا ليذِلُّوا لقضائي. وقال الكلبي: إلَّا ليوحِّدونِ، فالمؤمن يُوحِّده في الشدة والرخاء، والكافر في الشدَّة. وقال عكرمة: ليُطيعونِ، فأُثيبُ العابد وأعاقبُ

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢١/ ٥٥٢-٥٥٣، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٥٠)، والضياء المقدسي في المختارة (٧١٤).

(٢) هي في القراءات الشاذة ص١٤٥. والكلام ـ أيضاً ـ بنحوه في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧١.

(٣) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ١٨٢-١٨٣.

(٤) الكشاف ٤/ ٢١.

الجاحد. وقال مجاهد أيضاً: إلَّا للأمر والنهي[١].

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾أي: أن يرزقوا أنفسَهم ولا غيرَهم[٢]. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾أي: أن يُطعِموا خلقي، فهو على حذف مضاف، فالإضافة إلى الضمير تجوُّز. قاله ابن عباس[٣]. وقيل: ﴿أَن يُطۡعِمُونِ﴾: أن ينفعونِ، فذكر جزءاً من المنافع وجعله دالًّا على الجميع.

وقال الزمخشري: يريد أنَّ شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم؛ لأنَّ مُلَّاكَ العبيد إنَّما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم، فإمَّا مُجَهَّزٌ في تجارة ليفيء ربحاً، أو مرتَّبٌ في فِلاحةٍ ليغتَلَّ أرضاً، أو مسلمٌ في حِرفةٍ لينتفع بأجرته، أو محتطبٌ، أو مُحتَشٌّ، أو مُسْتَقٍ، أو طابخٌ، أو خابزٌ، أو ما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرُّفٌ في أسباب المعيشة وأبواب الرزق، فأمَّا مالكُ مُلَّاكِ العبيد فقال لهم: اشتغلوا بما يُسعِدُكم في أنفسكم، ولا أُريد أن أصرِفَكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم، وأنا غنيٌّ عنكم وعن مرافقكم، ومتفضِّلٌ عليكم برزقكم وبما يُصلحكم ويُعيِّشكم من عندي، فما هو إلَّا أنا وحدي[٤]. انتهى. وهو تكثيرٌ وخطابة.

وقرأ ابن محيصن: «الرَّازق» كما قرأ: «وفي السماء رازقكم» اسم فاعل، وهي قراءة حُميد[٥].

وقرأ الأعمش وابن وثَّاب: «المتينِ» بالجرِّ صفةً للقوة، على معنى الاقتدار.

(١) هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧١ دون قول مجاهد الأخير فهو في النكت والعيون ٥/ ٣٧٤. وقول مجاهد الأول أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٥٥). وقول ابن زيد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٥٤٥، والطبري ٢١/ ٥٥٣-٥٥٤، وهو في النكت والعيون ٥/ ٣٧٥. وقول الربيع بن أنس في النكت والعيون ـ أيضاً ـ ٥/ ٣٧٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٣. وأخرجه بنحوه الطبري ٢١/ ٥٥٥ عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس. ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٥ لأبي الجوزاء.
(٣) هكذا في جميع النسخ، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٦/ ٥٤. وفي المحرر الوجيز ٥/ ١٨٣ والكلام منه: ابن عباد.
(٤) الكشاف ٤/ ٢١.
(٥) القراءات الشاذة ص١٤٥.

قاله الزمخشري[١]. أو كأنَّه قال: ذو الأيدِ[٢]. وأجاز أبو الفتح[٣] أن تكون صفةً لـ «ذو»، وخفض على الجوار، كقولهم: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذَّبوا الرسول ﷺ ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: حظًّا ونصيباً ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ من الأمم السابقة التي كذَّبتِ الرُّسلَ في الإهلاك والعذاب[٤].

وعن قتادة: سَجْلاً من عذاب الله مثل سَجْل أصحابهم[٥].

وقال الجوهري[٦]: الذَّنوب: الدَّلو الملأى ماءً، ولا يقال لها: ذَنوبٌ وهي فارغة، وجَمْعُها في أدنى العدد: أذْنِبة، وفي الكثير: ذَنائِب. والذَّنوب: الفرسُ الطويلُ الذَّنَب. والذَّنوب: النصيب. والذَّنوب: لحمُ أسفلِ المتن.

وقال ابن الأعرابي: يُقال: يومٌ ذَنوبٌ، أي: طويلُ الشَّرِّ لا ينقضي[٧].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ﴾ قيل: يوم بدر. وقيل: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: به، أو يوعدونه[٨].

---

(١) في الكشاف ٤/ ٢١. والقراءة عنهما في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧١، والمحتسب ٢/ ٢٨٩، وهي في القراءات الشاذة ص١٤٥ عن يحيى بن وثاب وحده.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٣.
(٣) في المحتسب ٢/ ٢٨٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٣.
(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٥، والطبري ٢١/ ٥٥٨-٥٥٩.
(٦) في الصحاح (ذنب).
(٧) تهذيب اللغة ١٤/ ٤٤٠.
(٨) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٤.

فهرس الآيات

سورة الشورى . . . .

• **مفردات سورة الشورى** ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا
لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ
شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ
مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ
إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ
يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا
بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ
بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ
ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ
أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ
أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ

(١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ
نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)﴾ . . ١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ
الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا
وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ
يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)
وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ
اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي
يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ
فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)﴾ ٢٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ
ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ
لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ
يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا
أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ
وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ (٤٣) وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ
مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا
إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ
كَفُورٌ (٤٨) لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ

ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن
يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ
حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ
نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ ٥٠

سورة الزخرف ....

● **مفردات سورة الزخرف** ٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن
كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾
لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا
وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ
مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ ٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا
وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ
ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا
كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ

عظيم (٣١) أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجت ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون (٣٢)﴾ ٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة وحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون (٣٣) ولبيوتهم أبوبا وسررا عليها يتكئون (٣٤) وزخرفا وإن كل
ذلك لما متع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (٣٥) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطنا فهو له قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (٣٧) حتى إذا جاءنا
قال يليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين (٣٨) ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في
العذاب مشتركون (٣٩) أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلل مبين (٤٠) فإما
نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك الذي وعدنهم فإنا عليهم مقتدرون (٤٢) فاستمسك
بالذي أوحي إليك إنك على صرط مستقيم (٤٣) وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون (٤٤) وسئل من
أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن ءالهة يعبدون (٤٥)﴾ ٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بايتنا إلى فرعون وملإيه فقال إني رسول رب
العلمين (٤٦) فلما جاءهم بايتنا إذا هم منها يضحكون (٤٧) وما نريهم من ءاية إلا هي أكبر من أختها
وأخذنهم بالعذاب لعلهم يرجعون (٤٨) وقالوا يأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا
لمهتدون (٤٩) فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون (٥٠) ونادى فرعون في قومه قال يقوم
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) أم أنا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يبين (٥٢) فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملئكة مقترنين (٥٣)
فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فسقين (٥٤) فلما ءاسفونا انتقمنا منهم فأغرقنهم
أجمعين (٥٥) فجعلنهم سلفا ومثلا للآخرين (٥٦)﴾ ١٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧) وقالوا ءألهتنا خير
أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلنه مثلا
لبني إسرءيل (٥٩) ولو نشاء لجعلنا منكم ملئكة في الأرض يخلفون (٦٠) وإنه لعلم للساعة فلا
تمترن بها واتبعون هذا صرط مستقيم (٦١) ولا يصدنكم الشيطن إنه لكم عدو مبين (٦٢) ولما
جاء عيسى بالبينت قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله
وأطيعون (٦٣) إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صرط مستقيم (٦٤) فاختلف الأحزاب من بينهم
فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (٦٥) هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا
يشعرون (٦٦) الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٦٧) يعباد لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين ءامنوا بايتنا وكانوا مسلمين (٦٩) ادخلوا الجنة أنتم وأزوجكم
تحبرون (٧٠) يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين
وأنتم فيها خلدون (٧١) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (٧٢) لكم فيها فكهة
كثيرة منها تأكلون (٧٣)﴾ ١١١

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ١٢٠

سورة الدخان ....

● **مفردات سورة الدخان** ١٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ

يوم الفصل ميقاتهم أجمعين (٤٠) يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون (٤١) إلا من
رحم الله إنه هو العزيز الرحيم (٤٢) إن شجرت الزقوم (٤٣) طعام الأثيم (٤٤) كالمهل يغلي
في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من
عذاب الحميم (٤٨) ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون (٥٠) إن
المتقين في مقام أمين (٥١) في جنات وعيون (٥٢) يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين (٥٣)
كذلك وزوجناهم بحور عين (٥٤) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (٥٥) لا يذوقون فيها
الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم (٥٦) فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم (٥٧)
فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون (٥٨) فارتقب إنهم مرتقبون (٥٩)﴾ ١٤٨

سورة الجاثية ....

تفسير قوله تعالى: ﴿حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السماوات والأرض لآيات
للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من
السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥) تلك آيات الله نتلوها
عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٦) ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم
يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (٨) وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب
مهين (٩) من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب
عظيم (١٠) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم (١١) الله الذي سخر لكم البحر
لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض
جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم
ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على
العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن
ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧)﴾ ١٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨)
إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا
بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السماوات
والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون
(٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا

يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (٢٥) قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٦)﴾ . . . ١٧٢

تفسير قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (٣٠) وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين (٣١) وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون (٣٣) وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤) ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥) فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين (٣٦) وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٣٧)﴾ ١٨٢

سورة الاحقاف . . . .

• مفردات سورة الاحقاف ١٨٨

تفسير قوله تعالى: ﴿حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (٣) قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين (٤) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (٥) وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٦) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (٩) قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (١٠)﴾ ١٨٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (١١) ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين (١٢) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (١٤) ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ
وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفّٖ
لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞ
فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ
ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ ١٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ
قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمٗا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضٗا مُّسْتَقْبِلَ
أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءِۭ بِأَمْرِ
رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ
فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعٗا وَأَبْصَٰرٗا وَأَفْـِٔدَةٗ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ
كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ٢١١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ
صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى
ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ
عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ
ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ
وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا
تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ٢١٩

سورة القتال (محمد) . . . .

• مفردات سورة القتال (محمد) ٢٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ
اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ
أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ ٢٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي
أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ
مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي
النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى
وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ
ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ ٢٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا
يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ
الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ ٢٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا

ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ ٢٦٦

سورة الفتح ....

- **مفردات سورة الفتح** ٢٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ ٢٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ ٢٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً

لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ ٢٩١

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ ٣٠٦

سورة الحجرات ....

• **مفردات سورة الحجرات** ٣١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ ٣١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾ . . ٣٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٧) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ ٣٤٤

سورة ق . . . .

- **مفردات سورة ق** ٣٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ (٤) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾ ٣٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾ ٣٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ

إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ ٣٦٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ (٤٠) وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ ٣٧٥

سورة الذاريات ....

• **مفردات سورة الذاريات** ٣٨٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٢) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٣) فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ (٦) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (١٩) وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾ ٣٨٧

تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٣٧) وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ (٤١) مَا

نَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن
قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦)﴾ ٤٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن
كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ
إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩)
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)﴾ ٤١١